الجزء الاول من كتاب الغيث المسجم في شرح لامية العجم
للشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك
الصفدي الاديب الشاعر المنشي
الاديب تغمده الله برحمته
وأسكنه فسيح جنته
آمين

قال في كشف الظنون (لامية العجم) لمؤيد الدين اسماعيل بن الحسين بن علي فخر الكتاب العميد الطغرائي المتوفى سنة ٥١٤ نظمها ببغداد سنة ٥٠٠ في وصف حاله وشكاية زمانه واعتنى بها الادباء (فشرحها) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ بشرح أوله الحمد لله الذي شرح صدر من تأدب الخ وسماه الغيث المسجم في شرح لامية العجم ذكر فيه شيئا كثيرا على طريق الاستطراد فصار مشحونا بغرائب الجد والهزل وأحسن المجاميع (وعليه حاشية) لعبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي المتوفى سنة ٩٦٣ (واختصره) كمال الدين محمد بن موسى الدميري المتوفى سنة ٨٣٩ ذكر فيه ان الصفدي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من فوائده الا أظهرها وأنه ينتقل فيه من علم الى علم ومن غريبة الى غريبة فهو غريب في بابه عزيز عند طلابه (وشرحها) أيضا أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري المتوفى سنة ٦١٦ (وبدر الدين) محمد بن أبي بكر بن عمر المالكي الدماميني المتوفى سنة ٨٢٨ (وابن جماعة) النحوي وسماه ايضاح المبهم من لامية العجم (وعلي بن قاسم) الطبري وسماه حل المبهم والمعجم في شرح لامية العجم (وجمال الدين) محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي وسماه نشر العلم في شرح لامية العجم (وحسين الكفوي) جمعه من الشروح كشرح الصفدي (والقاضي) جلال الدين المدني (وجلال الدين) خضر الحنفي الذي ألفه بقسطنطينية سنة ٩٦٢ (وخسها) معاذ الدين أبو جعفر محمد بن علي الربعي البغدادي (وشهاب الدين) أحمد بن عبد الله الاندلسي واجادا انتهى باختصار

(وبهامشه كتاب سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون) لعلامة زمانه ونادرة أوانه جمال الدين محمد بن نباتة المصري جعل الله تعالى أنهار الجنة من تحته تجري)

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣٠٥ هجرية)

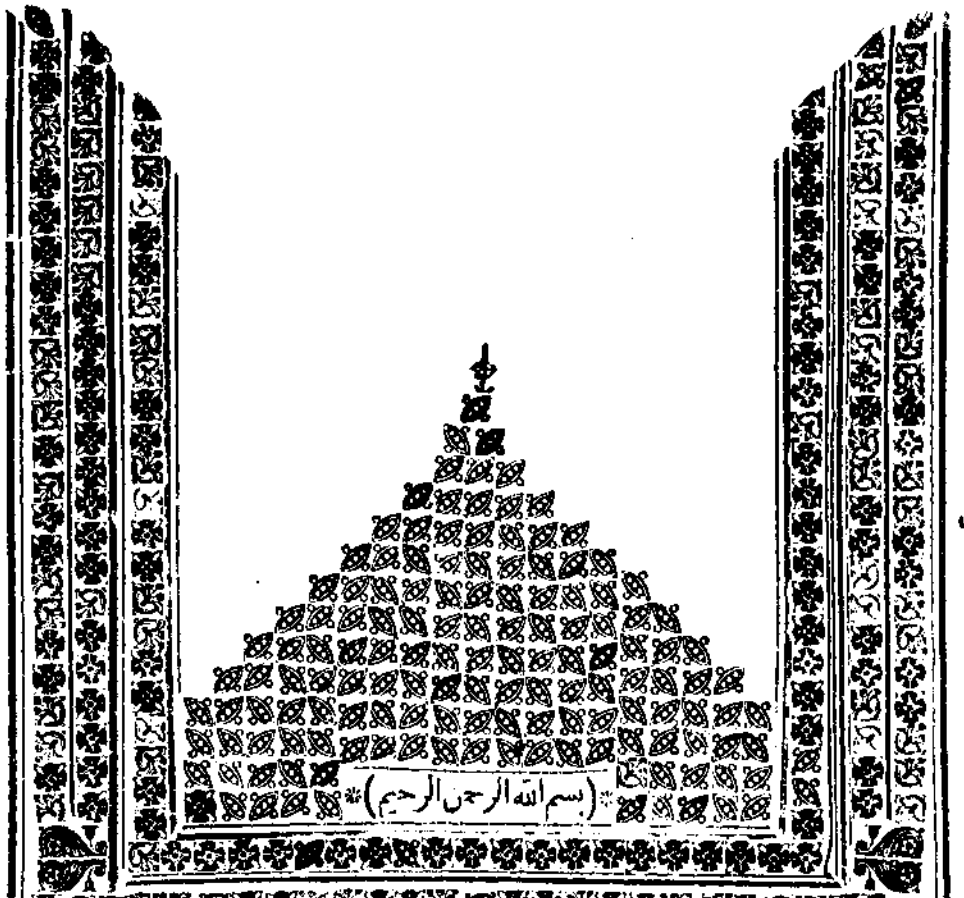

الحمد لله الذى شرح صدر من تأدب ورفع قدر من تأهل للعلم وتأهب وجمل من تدرع لباس الفضل وتدرب وكمل من ترقى الى غاية ما ترقب (أحمده) على نعمه التى جعلت العلوم بالادب روضا مثمرا وأعلت همة من برى له قلما قد اتخذ الانامل منبرا وأغلت قيمة جواهره فكانت ثمنا تباع به القلوب وتشترى وأوجدت من كرام أهله من يحر البدر النضار لمن قرى (وأشهد) أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تسجع بها حمائم الخطباء على غصون المنابر وتحيى الذين نصبوا لها جسور الاقلام على معابر المحابر وتنضد لديها على عرائس السطور فى منصات الدفاتر وتنبه بايقاظ نسيمها مقل الزهر الفواتر (وأشهد) أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفصح ناطق صرف عنان لفظه وأبلغ صادق أرهف سنان وعظه وأشرف زاهد ثنى عن زهرة الدنيا عند الحياة سوام لحظه وأعرف ناقد بنى فى حضرة العلياء بعد الممات مقام حظه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بآدابه وسبقوا الى مدى لم يطمع أحد من بعدهم فى غاية سكابه ونصروا أقواله ولسان السيف لم يتلظ فى فم قرابه وهزموا حزب الكفر بنصل كتائبه ونص كتابه صلاة تطول لهم بها القصور وتحيط بهم بركاتها الحاطة الهالات بالبدور ما خفقت أقلام الطروس على مواكب السطور وأودعت نفائس الكلام فى خزائن الصدور وسلم وبجدوكرم (وبعد) فان القصيدة الموسومة بلامية العجم رحم الله ناظم عقدها وراقم بردها مما تعاطى الناس مدام أكوابه

الحمد لله الذى لا يجب الحمد الا له وصلى الله على سيدنا محمد المخصوص بأشرف رسالة وعلى آله وصحبه فما أفضل وأكرم صحبه وآله وأدام الله أيام مولانا السلطان المؤيد الملك الكامل العالم العادل عماد الدنيا والدين ادامة متصلة الجلالة مقبلة الا بالة ما جنت عسل النصر الشهى رياحه العسالة وأثمرت غصون أقلامه المنعمة بين ديم أنامله الهطالة فمن فروض نعمه على وقروض منته لدى ان أدعو لايامه المنرمة كما صليت على نبى المرحمة وأذكر من اصلح لنا أمور الدنيا القائمة كما ذكرت من أصلح لنا أمور الدين القيمة طلبا لاجابة الدعاء واثابة الرجاء وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وأمتعنا ببقائه من سبقت مواهبه الغيث فصلى وأجزته فسلم

وتجاذبوا

وتجاذبوا هداب أهدابه وتداولوا ضرب مثله الذى حلا عن أضرابه واقتطفوا ثمر معانيه منشابها وغير منشابه

اهانت الدر حتى ماله ثمن * وأرخصت قيمة الامثال والخطبا

أما فصاحة لفظها فيسبق السمع الى حفظها وأما انسجامها فيطوف منه بخمر الانس جامها وأما معانيها فنزهة معانيها وأما قوافيها فتذهب القوى فيها وأما شكواها فتمرض الاكباد فى الاجسام وأما اغراؤها فيوجب الوثوب على الآساد فى الآجام وأما غزلها فتذكر معه نغمات الاوتار وأما مثلها فاهى الاكالمصابيح فى المساجد ذات الانوار كأن ناظمها غاص فى البحر فأتى بالدر منضودة أو ارتقى الى السماء فجاء بالدرارى من الافق مصفودة

فحالها فى النورى مثل يناظرها * وكم لها سار بين الناس من مثل
أقمارها فى تمام النظم قد طلعت * تسير فى أوج معناها ولم تفل
وزهرها لم تزل تندى غضارته * لان منبته فى روضها الخضل
يرتاح سامعها حتى يهزلها * من التعجب عطف الشارب الثمل
فلا تعر غيرها سمعا ولا بصرا * فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وقد أحببت ان أضع عليها شرحا يجيدها فرائدا وقصيدتها فوائدا مما سمعت فوعيت وجمعت فأوعيت ولا أغادر فيها لغة ولا اعرابا ولا ايضاح معنى ولا اغرابا ولا ما يضمه اليها سالك أو يدخل معها جرابا الا انبهت عليه وأشرت بحسب الامكان اليه هذا الى ما يستطرد اليه الكلام من نكتة وتعترض جملة ذكره بغتة ويمد به الضمير على لسان القلم وكم للسان فلتة وبثينة التعمد اذا علمت أن لجيد الاطلاع اليه لفتة ليكون هذا الشرح أنموذج الادب وعنوانا يدل على الفضيلة التى امتاز بها لسان العرب فقد أودعت فيه فوائد جمة وقواعد مهمة وشواهد هى لجامحات المعانى أزمة ودلائل تبرهن كل علم فما يكن أمركم عليكم غمة فما شامت عيونه برق علم الا انتجعت قطره الصيب وصبرت على ثمره الردى حتى رأيت الطيب ولا تطلعت أعناقه الى مرعى بحث الا أسمته سعدانه وأنقلت بالفوائد اذا انصرف من مأدبته أردانه ولا قرمت شهواته الى نكت بديع الا أنزلته بمن يمنحه العطا ويمنعه العطب وتتبعت لقراه ذوائب النيران التى وقودها المندل الرطب لا الحطب فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم (وقال) عبد الله بن قتيبة من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا ومن أراد أن يكون أديبا فليتسع فى العلوم فليذا لا تحدنى فى هذا الشرح واقفا مع ضيق المقام ولا فارا من مشق القواضب ولا رشق السهام بل أشرف على كل مكان فأسقط وأتوخى الحب من الدرر الكبار فألقط فهما استطرد الكلام اليه وفيته حقه ومهما تعلق به ملكته رقه فمن غور الى نجد ومن ربوة الى وهد ومن ظهر أرض الى بطن مهد ومن اقتناص بصقر الى اصطياد بغهد ومن سنام واخدة شملال الى صهوة كميت نهد

طور ايمان اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معد يا فعدنانى

فقد يثلل الاستطراد والقلم معه ويتشعب الكلام فلا أدعه يجدد عة فاترك كثيرا مما

(وبعد) فانى أمرت بشرح رسالة الوزير ألى الوليد بن زيدون الآتى ذكرها وايضاح براهينها الغامض على كثير من سراة الادب سرها فقلت ما أنا وصعود هذا الصرح وولوج هذا السرح ومعارضة ذلك البزولست من ذلك الطرح وهل أنا الا صاحب أبيات تقيم جدرها القريحة المطبوعة وكلمات تأتى على العفو فقرها المسجوعة فتى أخرجت عن ظل أبياتى ظلمات ومتى أبعدت عن رياض سجعى ألمات هذا مع تشعب فنون هذه الرسالة واحجام الفضلاء عن الخوض فى غدرها السيالة فقيل لى انا نقتصر من شرحك على الاختصار ونهب تقصيرك لما قدمت بين يدى نجواك من الاعتذار ونرضى من بيانك بأدنى الحصص ومن قسمة الايضاح ببعض الحصص ونقنع من التاريخ الغاص ببعض الغرض واذا كنت من الشعراء فما أنت ببعيد من القصص فقابلت بالطاعة أمرا قد وجب وقلت ان فاتنى سلوك الآداب المنظومة فان الامتثال خير من سلوك الادب وكنت أعرف ببعض خزائن دمشق

طلب وأنطلب ما يحق له الفرار والهرب وأتذكر بالضد غيره عند الرجوع والمنقلب وأعطف على نظائره فأفوز بالغلب فكنت كما قيل

جننا بليلى وهى جنت بغيرنا * وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

ولا أقول

علقتها عرضا وعلقت رجلا * غيرى وعلق أخرى ذلك الرجل

بل أقول

أحب الذى هام الحبيب بحبه * ألا فاعجبوا من ذا الغرام المسلسل

ولا بدع فالمعانى بعضها ببعض مشتبك والمباحث لا يزال نافرها فى شرك الذهن يرتبك وما ألبق هذا المقام بقول ابن عميرة لما جعل البرق سميره

تعرض مختارا وكان مذكرا * بعهد اللوى والشئ بالشئ يذكر

ومن وقف على كتاب الحيوان للجاحظ وغالب تصانيفه ورأى تلك الاستطرادات التى يستطردها والانتقالات التى ينتقل اليها والجمل التى يعترض بها فى غضون كلامه ويدرجها فى اثناء عباراته بادى ملابسة وأيسر مشابهة علم ما يلزم الاديب وما يتعين عليه من مشاركة المعارف

هكذا هكذا والا فلا لا * طرق المجد غير طرق المزاح

ولم أقصد بما أوردته غير صلة العائد من الفائدة وبعث النفوس التى هى فى قبور الفتور هامدة ساهدة فان المطالعة تستروح اليها النفوس وتجد فى مراجعتها ما تجده فى معاطاة الكؤس فالكتاب خير جليس ونعم أنيس لا يمل من محادثته الانيس واسمع كريم لا يخل الاعلى الغبى بما عنده من الدر النفيس

لم يبق شئ من الدنيا يسر به * الا الدفاتر فيها الشعر والسمر

(قال) شيخ قرأت عليه ما أثر غطفان من كتاب ذهبت المكارم الا من الكتب والخروج من فن الى فن أقدر على البحث وأسلط والانتقال من نوع الى نوع انشط للطالعة وأبسط والمشاركة أقوى على الظفر بالصواب وأقوم وأقسط

لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة * الا التنقل من حال الى حال

ولان فيما أوردته ما يتسلط به الواقف على الانتقاء والانتقاد ويتوصل به الى حسن الارتياء والارتياد (قال) الجاحظ طلبت علم الشعر عند الاصمعى فوجدته لا يعرف الا غريبه فرجعت الى الاخفش فوجدته لا يتقن الا اعرابه فعطفت على أبى عبيدة فرأيته لا ينقل الا فيما اتصل بالاخبار وتعلق بالانساب والايام فلم أظفر بما أردت الا عند أدباء الكتاب كالحسن ابن وهب ومحمد بن عبد الملك (وقال) محمد بن يوسف الحمادى حضرت مجلس عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد حضره البحترى فقال يا أبا عبادة أمسلم أشعر أم أبو نواس فقال بل أبو نواس لانه يتصرف فى كل فن ويتنوع فى كل مذهب ان شاء جد وان شاء هزل ومسلم يلزم طريقا واحدا لا يتعداه ويتحقق بمذهب لا يتخطاه فقال له عبيد الله ان أحمد بن يحيى المعروف بثعلب لا يوافقك على هذا فقال أيها الامير ليس هذا من علم ثعلب واضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله وانما يعرف الشعر من دفع الى مضايقه فقال ورب بك زنادى يا أبا عبادة وان حكمك

الموفقية أسفارا فيها للطالب منجع وللافهام النائية ذكرى تنفع فلم يتهيأ أن أعارضها كتابا ولا أراجع من ألسنة حروفها خطابا فقلت هذا عذر آخر لم يكن فى الحساب وهذا قصد تعلقت دونه الكتب فانها ذات أبواب وما بقى الا الرجوع الى صيابة الحاصل التى أبقتها نوب الدهر واستنباط الغداة اذا أعجز ورود البحر ثم أمليت شرح هذه الرسالة عن فكر خامل مسه القرح وشرحت الا أنى مقصر وما أطيل الشرح بيد أنى لم أعتمد الا على نقل خبر صحيح ونسب على قول صريح ولم أخل ترجمة كل مذكور من فائدة سارة ونادرة دارة وأقوال سديدة وأبيات مشيدة وفقرا أخطأتها فطنة سعيدة ولم آل فى اختيارها جهدا ولا ازددت مع صروف الزمان الا نقدا هذا مع تجنب الاكثار وترك الاجلاب بنظائر الاشعار والتخفيف مما لعل المباحث تقتضيه من العثار والله تعالى الموفق لصواب الارادة ومعين الخدم على القيام بطاعة السادة وجابر وهنهم بما يتلقونه من امتثال أوامرهم السادة بمنه وكرمه

في عميك أبي نواس ومسلم وافق حكم أبي نواس في عميه جرير والفرزدق فانه سئل عنهما ففضل جريرا فقيل له ان أبا عبيدة لا يوافقك على هذا فقال ليس هذا من علم أبي عبيدة وانما يعرفه من دفع الى مضايق الشعر على انني لم أدع الجفلى الى هذه المأدبة ولا رضيت طفيلي الكلام أن يتصدر في هذه المرتبة فكم توقف القلم في الاذن على ما حصل فيه ادنى لبس وكم ضاق بواحد من غسان ولم يسع جميع بني عبس وكم دفع عن صدر كثير من المحاسن وأعرض عن منهل كان ماؤه العذب غير آسن

وهل يباعد عذب الماء ذو غصص * أو ينثني عن لذيذ الزاد مهموم

(نعم) خشيت الاطالة واجتنبت العثرة خوفا من عدم الاقالة وفررت من الزيادة حتى لا يكون ضغثا على ابالة وقلت مع ضوء الشمس لا يظهر فضل الذبالة ومع الظفر بالصيد لا فكرة في الحبالة ومع الحصول على متاع البيت لا يلتفت الى الزبالة فاضربت عن التجمل بالاثيل الاثير وعلمت أن من الناس من يقر النافع ولا يقر الابن كثير فاقتصرت على الزبد واختصرت ومللت في المباحث الى قول المتأخرين وانتصرت (اللهم) الا فيما ندر وخان هذا الشرط وغدر (قال) بعضهم الاديب من يكتب احسن ما يسمع ويحفظ أحسن ما يكتب ويورد أحسن ما يحفظ (ومثل) هذا قول عبد الرحمن بن مهدي اذا لقي الرجل الرجل فوقه في العلم كان يوم غنيمته واذا لقي من هو مثله كان يوم دراسته واذا لقي من هو دونه تواضع له وعلمه ولا يكون امام في العلم من حدث بكل ما سمع ولا يكون اماما من حدث عن كل أحد ولا يكون اماما من حدث بالشاذ فلهذا عرضت نخب فكري وانتقيت وعلوت عن التعرض للرذل وارتقيت ولم انتق له الا ما كان أديبه غضا ولم اختر منه الا ما كان نفعه نضا مما راق جنى ولاق سنا ووجد المعنى فيه بريئا من العنا وجمته من الاوراق بيض الظبا ومن الاقلام سمر القنا لئلا يكون هذا القول الشارح محمودا لمقدم مذموم التالي وحتى لا ينظر السائل حسنه بعين السالي فتصح أماليه بعد القائل عند القالي وقد علقت هذا الشرح وأنا في هموم قد علم الله ترادف بعوثها وانسكاب غمائم غمومها وغيوثها وافتراس فوارسها واذ هني الجناس عن ذكر ليوثها قد لمحت في نهج الكناية بكيت أو التصغير بالثريا عن الكميت وامتنعت الراحة مني امتناع الفاء من الدخول على خبر لعل وليت

والافعا بالي ولم أشهد الوغى * أبيت كأني مثخن بجراح

أتجرع كؤسا علق بها العلقم واسا ور على الارق منها اما هو انفث سما من الارقم وانثلم بصدري كل صدع قد يئس من الجبر والتزم بحملها التزام واصل بن عطاء بالقدر أو وجهم بن صفوان بالجبر وأعالج منها كل جراحة بعد غورها عن السبر وانطلب رضا الايام وهي على أشد حقد من سلامة بنت سعد على عاصم حتى الدبر والتي جيوش الخطوب وانا عارنم ذكرت بالسجع أن لي درعا من الصبر وأعد في الاحياء وانا من الاموات ولكن ما ضمتني جوانح القبر

فالارض تعلم انني متصرف * من فوقها وكأنني من تحتها

فكيف يتألق مع هذا الحال برق فكر وكيف يترقرق ودق ذكر وكيف تعلق يد الذهن بذيل مسئلة وكيف ينعقل بحث وقد دمغه غمه وله وله وكيف يعرف الكلمة الاولى من الثانية ولا أقول الاولة وكيف وكيف وكيف وأنى لمن يتردد بين جناس الخنف والخيف

(ذكر منشئ هذه الرسالة)

هو الوزير أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب ابن زيدون المخزومي الاندلسي الكاتب الشاعر المشهور ولد بقرطبة سنة أربع وتسعين وثلثمائة وكان من أبناء الفقهاء المتعينين واشتغل بالادب وفحص عن نكته ونقب عن دقائقه الى أن برع وبلغ من صناعتي النظم والنثر المبلغ الطائل وانقطع الى أبي الوليد بن جهور أحد ملوك الطوائف المتغلبين بالاندلس فخف عليه وتمكن من دولته واشتهر ذكره وقدره واعتمد عليه في السفارة بينه وبين ملوك الاندلس فأعجب به القوم وتمنوا ميله اليهم لبراعته وحسن سيرته واتفق أن ابن جهور تقدم عليه أمر الخميس واستعطفه ابن زيدون برسائل عجيبة وقصائد بديعة فلم تجح فهرب واتصل بعباد بن محمد صاحب اشبيلية الملقب بالمعتضد فتلقاه بالقبول والاكرام وولاه وزارته وفوض اليه أمر مملكته وكان حسن التدبير تام الفضل محببا الى الناس فصيح المنطق جدا (حكى) ابن بسام في كتاب الذخيرة

والحيف

وما مثل هذا الامر تحمل مضغة * ولكن قلبي في الردى مقلوب

ولكن قد يلفت الحظ الأعنة ويثور كمين اللطف الخفي لهذا الخمول وتشرع الألسنة وتضع الايام حملها فان الآمال في بطونها أجنة وليس الاحسن الظن بالله فانه ثمن الجنة

ان خنم الله بغفرانه * فكل ما لاقيته سهل

اعترضت بهذا الفصل وقطعت به لذة ذلك الوصل ليعذر الواقف على الخطا ويتحقق السبب في عدم نوم القطا لان هذه الاوراق ما فيها غير هذه القصيدة ثم ولوعا بن الطغرائي رحمه الله هذا الشرح لقال أراني السها لما أريته القمر وما أولاني بقول العماد الكاتب

هي كتبي فليس تصلح من بعدي لغير العطار والاسكاف

هي اما زواد للعقاقير واما بطائن للخفاف

(وقول) مجير الدين محمد بن تميم الاسعردي

عرضت كتابي كي يباع بدرهم * على مشتر عند الوفاء شحيح

رأى خطه ذا علة فاعاده * ومن يشتري ذا علة بصحيح

ومن هنا أشرع في ذكر الطغرائي رحمه الله وتاريخ مولده ووفاته وسبب قتله وما اتفق له في ذلك ثم اتلوه بشيء من شعره المقاطيع التي له ثم أتكلم فيما بعد على عروض القصيدة وقافيتها وما يتعلق بذلك واذا انتهى الامر الى ذلك أجمع سردت القصيدة بيتا فبيتا ولا أذكر الثاني حتى أفرغ من الأول وأسوق فيه ما له به علاقة لا يستغني الاديب عنها ومن الله أستمد الاعانة على الاتمام وأسأله التوفيق الى التحقيق لاهدي الابنوره ولا بيان لمتكلم ان لم يوره عليه توكلت واليه أنيب (ذكر مولد الطغرائي ووفاته رحمه الله) هو العميد مؤيد الدين فخر الكتاب أبو اسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الاصبهاني المنشي المعروف بالطغرائي بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وفتح الراء وهذه نسبة الى من يكتب الطغرا وهي الطرة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الجلي تتضمن نعوت الملك وألقابه وهي لفظة أعجمية * قال قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان كان غزير الفضل لطيف الطبع فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر وذكره السمعاني في كتاب الانساب واثنى عليه وأورد له قطعة من شعره في وصف الشمعة وذكر انه قتل في سنة خمس عشرة وخمسمائة وللطغرائي المذكور ديوان شعر جيد ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم وكان عملها ببغداد سنة خمس وخمسمائة يصف فيها حاله ويشكو زمانه ولم يذكر القصيدة مستوفاة وأتبعها بمقاطيع من شعره ثم قال وذكره أبو المعالي الخطيري في كتاب زينة الدهر وذكر له مقاطيع وذكره أبو البركات في المستوفى في تاريخ اربل وقال انه ولي الوزارة بمدينة اربل مدة وذكر العماد الكاتب في كتاب نصرة الفطرة وعصرة القطرة وهو تاريخ الدولة السلجوقية أن الطغرائي كان ينعت بالاستاذ وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل وانه لما جرى بينه وبين أخيه السلطان محمود المصاف بالقرب من همذان وانرى وكانت النصرة لمحمود فأول من أخذ الاستاذ أبو اسماعيل وزير مسعود فأخبر به وزير محمود وهو الكمال نظام الدين أبو طالب علي بن أحمد بن حرب السميري فقال الشهاب أسعد وكان طغرائيا في ذلك

الوقت

عن بعض وزراء اشبيلية قال مهدي بالي الوليد بن زيدون قائما على جنازة بعض حرمه والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم فاسمعته يجيب أحدا عما أجاب به غيره لسعة ميدانه وحضور جنانه ولم يزل عند المعتضد عباد وعند ابنه المعتمد على الله قائم الجاه وافر الحرمة الى أن توفي باشبيلية سنة ثلاث وستين وأربعمائة تغمده الله برحمته وقد ذكره ابن حيان وابن بسام وغيرهما من المؤرخين وأجروا نبذا كثيرة من أخباره وفضائله ووقفت على ديوان شعره وكثير من ترسله ونظمه أمكن عند النقاد وأجود من نثره وكان يسمى بحتري المغرب لحسن ديباجة لفظه ووضوح معانيه فأما نثره فانه أكثر فيه من استعمال أمثال العرب وجعل أشعاره المتقدمين والمتأخرين الى أن قيل ان رسائله أشبه بالمنظوم من المنثور وعلى ذلك فقد دل بها على اطلاع معجب واستحضار معجز وقد اكتفيت منها بهذه الرسالة المشروحة عن شعره ما قاله من قصيدة يخاطب بها ابن جهور أيام سجنه

ما حال بعدك لم تحفل في سنى القمر
الا ذكرتك ذكر العين بالاثر

الوقت نيابة عن النصر الكاتب هذا الرجل ملحد يعني الاستاذ فقال وزير محمود من يكن ملحدا يقتل فقتل ظلما وقد كانوا خافوا منه لفضله فاعتمدوا قتله بهذه الحجة وكانت الواقعة سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وقيل سنة أربع عشرة وقيل ثماني عشرة وقد جاوز ستين سنة وفي شعره ما يدل على أنه بلغ سبعا وخمسين سنة لانه قال وقد جاءه ولد

هذا الصغير الذي وافى على كبر * أقر عيني ولكن زاد في فكري
سبع وخمسون لو مرت على حجر * لبان تأثير ها في ذلك الحجر

والله أعلم بما عاش بعد ذلك وقتل السميري المذكور يوم الثلاثاء سلخ صفر سنة ست عشرة وخمسمائة في السوق ببغداد عند المدرسة النظامية قبل قتله عبد أسود كان للطغرائي لانه قتل استاذه انتهى (وقال) عز الدين بن الاثير في الكامل في ترجمة سنة أربع عشرة وخمسمائة واتصل الاستاذ أبو اسماعيل الحسين بن علي الاصبهاني الطغرائي بالملك مسعود وكان ولده أبو المؤيد محمد بن اسماعيل يكتب للطغرائي مع الملك مسعود فلما وصل والده استوزره الملك مسعود بعد أن عزل أبا علي بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة وخمسمائة بباب خوما فحسن ما كان دبيس يكاتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته وظهور ما هم عليه فبلغ السلطان محمودا الخبر فكتب اليهم يخوفهم ان خالفوه ويعدهم الاحسان ان أقاموا على طاعته ووافقته فلم يصغوا الى قوله وأظهروا ما كانوا عليه ثم قال ابن الاثير بعد أسطر قلائل فانهزم عسكر الملك مسعود آخر النهار وأسر منهم جماعة كثيرة من أعيانهم وأسر الاستاذ أبو اسماعيل وزير مسعود فأمر السلطان محمود بقتله وقال قد ثبت عندي فساد دينه واعتقاده وكانت وزارته سنة وشهرا وقد جاوز ستين سنة وكان حسن الكتابة والشعر يميل الى صناعة الكيميا وله فيها تصانيف قد ضيعت من الناس أمواتا لا تحصى انتهى (وذكره) العماد الكاتب في الخريدة فقال الطغرائي خدم السلطان العادل ملكشاه ابن ألب أرسلان وكان منشي السلطان محمد مدة مملكته متولي ديوان الطغرا وما لك قلم الانشاء تشرفت به الدولة السلجوقية وتشوقت اليه المملكة الأتابكية وتنقل في مراقي المناصب وتوقل في مراقب المراتب وتولى الاستيفاء وترشح للوزارة واستبد بالحكم وتوشح بالكفاية ولم يكن للدولتين السلجوقية والامامية من يضاهيه في الترسل والانشاء سوى امين الملك بي أنصر حقص من أهل أصبهان المنشي في عهد نظام الملك والفضل له لتقدمه ولكن برز هذا في فنون العلم وحسن الاستعارة في النثر والنظم وراض في العلوم العربية المصعب فاصحب وسلك المذهب المذهب وأبدع المعنى المهذب وله معجز البلاغة المعجب وصاحب البيان المغرب فأما شعره فعبر الشعرى العبور علو عبارة وسموا استعارة وسموق راية وشروق آية وتناسق مقصد وغاية وتناسب بداية ونهاية وأما نثره فنثر الدراري والدرر ومنثور الزهر وأما خلائقه فمطوية على الكرم موقورة بحسن الشيم متأرجة بعرف العرف متموجة بماء اللطف متبلجة بنور الظرف متوهجة بنار الحسن مبتهجة بنور اليمن حدثني الامام محمد بن الهيثم باصفهان عنه وهو الذي سمعت شعره منه انه كشف بذكائه سر الكيمياء المرموز واستخرج من معماه المكنوز لم يزل في مدة حياته مصدرا في الدست موقرا بالنعوت حليفا بل جليسا أنيسا للسلاطين

ولا استطلت زمام الليل من أسف
الا على ليلة مرت مع القصر
يا ليت ذاك السواد الجون متصل
بما استعار سواد القلب والبصر
جمعت معنى الهوى في لحظ طرفك لي
ان الحوار المفهوم من الحور
لا يهنأ الشامت المرتاح ناظره
أني معنى الامانى صانع الخطر
هل الرياح بتخم الارض عاصفة
أم الكسوف لغير الشمس والقمر
ان طال ليل فمن سجن ابداعي
فلا عجب
قد يودع الجفن حد الصارم الذكر
وان يثبطا بالحزم الرضا قدر
عن كشف ضيري فلا عتب على القدر
لم أزل من مداه على ثقة ولم أبت من تجنيه على حذر
(وقال من أبيات في بني جهور)
بني جهور أحرقتم بجفائكم
جناني فما بال المدامع تعبق
تعدونني كالعنبر الورد انما
تطيب لكم أنفاسه حين يحرق
(وقال فيهم أيضا من أبيات)
ان الجهاورة الملوك تبوؤا
شرفا جرى معه السماك جنيبا
فاذا دعوت وليدهم لعظيمة
لبالك رقراق السماح أريبا
هم تعاقبها النجوم وقد تلا
في سودد منها العقيب عقيبا
ومحاسن تندى دقائق ذكرها

والملوك محبرا ينظمه وتثره الموشى المحبوك فلما انتهت الايام الغياثية المحمدية واستوفت مدتها استأنفت الدولة المغيثية المحمودية جدتها واستقر الشهاب أسعد فى مكانه وانتصب فى منصب ديوانه وكان السلطان مسعود بن محمد حينئذ ملكا صغيرا فاستوزر أبا اسماعيل وروض به روض ملكه المحيل وأصبح بالمؤيد مؤيدا وبسداده مسددا حتى اتفقت بينه وبين أخيه السلطان محمود الحرب التى أودعت أهل الفضل الحرب وقلت العلم والادب ولما مس عود مسعود العظم انكسر وأحجم مقدم جيوشه جوشك وألقى قناع الهزيمة فانحسر وأدرك الاستاذ رحمه الله فأسر وطغى رأى الطغرائى فى حقه فسعى فى حتفه خوفا على منصبه فأجال فى نصه وأعطى الرضا بغضبه وفتك به وقت أسره بل قدم سرا وقتل صبرا قبل ان ينبه بأمره وينوه بقدره وأزر الطغرائى الوزير وعاند التقدير فه زبالشهادة وختم له بالسعادة وذلك فى سنة خمس عشرة وخمسمائة (فهذا) من جملة من قتله فضله ورماه بنبل الدهر نبله وألحفه رداء الردى علمه وسامه الادب فهام به فى حيرة التيه فهمه وحسده الدهر فاغتاله وقاص بعد السبوغ ظلاله بل غار الزمان على مثله من بين الجهال فاسترده وأخلق من الابتهاج بفضله ما استجده انتهى اقتصرت هنا على ماذكره العماد الكاتب (قلت) فعلى ماذكره ابن خلكان عن مستوفى أربل وابن الاثير أيضا يكون مولد الطغرائى فى عشر الستين بعد الاربعمائة تقريبا والخلاف فى وفاته مبنى على الخلاف فى الواقعة التى كانت بين الملك مسعود وأخيه السلطان محمود كما مر فى كلام مستوفى أربل وأخبرنى العالم العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى بالقاهرة المحروسة ان الطغرائى لما عزم أخو مخدومه على قتله أمر به ان يشد الى شجرة وان يقف تجاهه جماعة ليرموه بالسهام ففعل به ذلك وأوقف انسانا خلف الشجرة من غير ان يشعر به الطغرائى وأمره ان يسمع ما يقول وقال لارباب السهام لاترموه الا اذا أشرت اليكم فوقفوا والسهام فى أيديهم مفوقة لرميه فأنشد الطغرائى فى تلك الحالة

ولقد أقول لمن يسدد سهمه * نحوى وأطراف المنية شرع
والموت فى لحظات أحور طرفه * دونى وقلبى دونه يتقطع
بالله فتش عن فؤادى هل يرى * فيه لغير هوى الاحبة موضع
أهون به لو لم يكن فى طيه * عهد الحبيب وسره المستودع

فرق له وأمر بأطلاقه فى ذلك الوقت ثم ان الوزير عمل على قتله فيما بعد وقتل (قلت) ماهذا الاثبات جنان بل ثبوت جنون لقد أرى هذا فى الثبات والشجاعة وعدم الالتفات الى الحياة ونقادها والوفاء بشرط المحبة والذكرى نحبوبه فى السراء والضراء على عنترة العبسى وغيره ممن تبعه من الشعراء فى قوله ولقد ذكرتك والاسنة تدعى مشهورة ولولا خوف الاطالة ههنا لذكرتها ولعلها ترد فيما بعد فى اثناء هذه الاوراق (وأما حله رموز الكيميا) فان له فيها تصانيف وهى معتبرة عند أربابها منها كتاب مفاتيح الرحمة ومصابيح الحكمة ومنها جامع الاسرار وكتاب تراكيب الانوار ورسالة وسمها بذات الفوائد وكتاب حقائق الاستشهادات بين فيه اثبات صناعة الكيميا والرد على ابن سينا فى ابطالها بمقدمات من كتاب الشفا وله مقاطيع شعر فى الصنعة وله ديوان شعر على عادة الشعراء ومن شعره

فتكاد تو همك المديح نسيبا
(وقال من قصيدة يمدح بها المعتضد بن عباد)
أما فى نسيم الريح عرف يعرف
لناهل لذات الوقف بالجزع موقف
وليلة واقينا الكثيب لموعد
سرى الاين لم يعلم بسراه مرجف
تهادى أناة الخطو مرتاعة الحشا
كما ريع يعفور الفلا المتشوف
فديتك أنى زرت نورك واضح
وعطرك نمام وحليك مرجف
هبيك اعتسفت الليل واشيك هاجع
وفرعك غربيب وليلك أغدف
فكيف أطقت المشى خصرك مدمج
ورد فلك رجراج وقدك أهيف
فما قبل من أهوى حوى البدر هودج
ولاضم ريم القصر خدر مسجف
ولاقبل عباد حوى البحر مجلس
ولاحمل الطود المعظم رفرف
رويته فى الحادث الادلحظة
وتوقيعه الجالى دجى الخطب أحرف
على السيف من تلك الصرامة مبسم
وفى الروض من تلك الطلاقة زخرف
أظن الاعادى أن حربك نائم
لقد تعد النفس الظنون فتخلف

قوله

قوله

أما العلوم فقد ظفرت ببغيتي * منها فما أحتاج أن أتعلما
وعرفت أسرار الخليقة كلها * علما أنارلي البهيم المظلما
وورثت هرمس سر حكمته الذي * مازال ظنا في الغيوب مترجما
وملكت مفتاح الكنوز بفطنة * كشفت لي السر الخفي المبهما
لولا التقية كنت أظهر معجزا * من حكمتي يشفي القلوب من العمى
أهوى التكرم والتظاهر بالذي * علمته والعقل ينهى عنهما
وأريد لا الدنيا غبيا موسرا * في العالمين ولا لبيبا معدما
والناس اما ظالم أوجاهل * فمتى أطيق تكرما وتكلما

(قلت) يقال ان طلب الكيميا أول ماظهر في جبابرة قوم هود وتعاطوا ذلك وبنوا مدينة من ذهب وفضة لم يخلق مثلها في البلاد وهذه اللفظة معربة من اللفظ العبراني وأصله من كيم به معناه انه من الله والاشبه انها فارسية فعني كي ما متى تجيء على الاستبعاد وكان الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية ينكر ثبوتها وصنف رسالة في انكارها ورد عليه فيها نجم الدين بن أبي الدر البغدادي وزيف ماقاله وأما الامام فخر الدين الرازي فانه في المباحث المشرقية عقد فصلا في بيان امكانها فقال سلم امكان صبغ النحاس بصبغ الفضة والفضة بصبغ الذهب وان يزال عن الرصاص أكثر مافيه من النقص فاما أن يكون الفصل المنوع يسلب أو يكتسي قال فلم يظهر لي امكانه بعد اذ هذه الامور المحسوسة يشبه أن لا تكون هي الفصول التي تصير بها هذه الاجساد أنواعا بل هي اعراض ولوازم فصولها مجهولة واذا كان الشيء مجهولا كيف يمكن أن يقصد قصد ايجاده أو افنائه ثم ان الامام ذكر حجيجا أخر للفلاسفة على امتناعها وأبطل بعد ذلك ماقاله الشيخ وغيره وقرر امكانها واستدل الامام أيضا في الملخص على امكانها فقال الامكان العقلي ثابت لان الاجسام مشتركة في الجسمية فوجب أن يصح على كل واحد منها مايصح على الكل على ماثبت وأما الوقوع فلان انفصال الذهب عن غيره باللون والرزانة وكل واحد منهما يمكن اكتسابه ولا منافاة بينهما نعم الطريق اليه عسر (وحكى) ابو بكر ابن الصائغ المعروف بابن باجة الاندلسي في بعض تعاليقه عن الشيخ أبي نصر الفارابي انه قال قد بين ارسطوطا ليس في كتبه في المعادن أن صناعة الكيميا داخلة تحت الامكان الا انها من الممكن الذي يعسر وجوده بالفعل اللهم الا أن تتفق قرائن يسهل بها الوجود وذلك انه فحص عنها أولا على طريق الجدل فأثبتها بقياس وأبطلها بقياس على عادته فيما يكثر عناده من الاوضاع ثم أثبتها آخرا بقياس ألفه من مقدمتين بينهما في أول الكتاب وهما أن الفلزات واحدة بالنوع والاختلاف الذي بينها ليس في ماهياتها وانما هو في أعراضها فبعضه في أعراضها الذاتية وبعضه في أعراضها العرضية والثانية ان كل شيئين تحت نوع واحد اختلفا بعرض فانه يمكن انتقال كل واحد منهما الى الآخر فان كان العرض ذاتيا عسر الانتقال وان كان مفارقا سهل الانتقال والعسر في هذه الصناعة انما هو لاختلاف أكثر هذه الجواهر في أعراضها الذاتية ويشبه أن يكون الاختلاف الذي بين الذهب والفضة يسيرا جدا انتهى كلامه والمراد بالفلزات الجواهر التي لاتحرقها النار عند الملاقاة بل تذيبها فاذا فارقتها النار

ولما قضينا مادعانا أداؤه
وكل بما يرضيك داع فملحف
رأيناك في أعلى المصلى كأنما
تطلع من محراب داود يوسف
(وقال أيضا في مرثية له)
يا من ثنا الامثال فيه مهذب
ضربت له في السودد الامثال
نقصت حياتك حيث فضلك كامل
هلا استضاف الى الكمال كمال
حيا الحيا مثواك وامتدت على
ضاحي ثراك من النعيم ظلال
فلئن أذالك بعد طول صيانة
قدر فكل مصونة مستذال
(وقال في الغزل وهو من المجيدين فيه)
بيني وبينك ما لو شئت لم يضع
سر اذا ذاعت الاسرار لم يذع
يا باثا حظه مني ولو بذلت
لي الحياة بحظي منه لم أبع
يكفيك أنك لو حملت قلبي ما
لا يستطيع قلوب الناس يستطع
تهة أحتمل واستطل أصبر وعز أهن
وول أقبل وقل أسمع ومر أطع
(وقال أيضا)
أمار جا قلبي فأنت جميعه
بالليتي أصبحت بعض رجا كا
يدنو بوصلك حين شط مزاره
وهم أكاد به أقبل فاكا
(وقال من أخرى)
اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا
والافق طلق وماء الروض قد راقا

وللنسيم اعتلال فى أصائله
كأنه رق لى فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضى مبتسم
كما حلت عن اللبات أطواقا
لاسكن الله قلبا عن تذكركم
فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملى نسيم الريح حين سرى
وافاكم يقتفى أضناه مالاقى
الآن أحدما كنا لعهدكم
سلوتم وبقينا نحن عشاقا

وله القصيدة النونية التى أولها بنتم وبناوهى أشهر من أن تذكر وقد تداولتها الالسن وزيد فيها ما كانت غنية عنه * وفضائل الرجل متمكنة وكفى بهذا القدر عنوانا لها

(ذكر سبب انشاء هذه الرسالة)

كانت بقرطبة امرأة ظريفة من بنات خلفاء الغرب الامويين المنسوبين الى عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالداخل من بنى عبد الملك ابن مروان تسمى ولادة بنت المستكفى بالله محمد بن المستظهر بالله عبد الرحمن ابتذل حجابها بعد نكبة أبيها وقتله وتغلب مماليك الطوائف فى خبر طويل ثم صارت تجالس للشعراء والكتاب وتعاشرهم وتحاضرهم وتعشقها

عادت الى حالتها الاولى وهى هذه المتطرقات السبع الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والرصاص والخارصينى وهو المعروف فى زماننا بالحديد الصينى الذى تأتى منه التسدورة من بلاد الصين وتكسر ويعمل فى أكاريج البارود * قال الشيخ العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى أما ان أراد المدبر أن يصنع ذهبا نظير ما صنعته الطبيعة من الزئبق والكبريت الطائرين فيحتاج الى معرفة أربعة أشياء كمية كل واحد من ذينك الجزأين وكيفيته ومقدار الحرارة الفاعلة للطبخ وزمانه وكل واحد منها عسر التحصيل وأما ان أراد ذلك بأن يدبر دواء وهو المعبر عنه بالاكسير مثلا ويلقيه على الفضة ليمتزج بها ويستقر خالدا فيها ويكسبها لون الذهب ووزانه فاستخراج ذلك بالتجربة يحتاج الى استقراء حال جميع المعدنيات وخواصها وان استخرجه بالقياس فقد مانه مجهولة ولاخفاء فى عسر ذلك ومشقته انتهى كلامه (قلت) زعم الطبيعيون فى علة كون الذهب فى المعدن ان الزئبق لما كمل نضجه جذبه اليه كبريت المعدن فأجنه فى جوفه لئلا يسيل سيلان الرطوبات فلما اختلطا واتحدا وذابت الحرارة فى طبخهما ونضجهما انعقد عند ذلك منهما ضروب المعادن فان كان الزئبق صافيا والكبريت نقيا واختلط أجزاؤهما على النسبة وكانت حرارة المعدن معتدلة لم يعرض لها عارض من البرد واليبس ولا من الملوحات والمرارات والحموضات انعقد من ذلك على طول الزمان الذهب الابريز وهذا المعدن لا يتكون الا فى البرارى الرملة والاحجار الرخوة فتبارك الله الفعال لما يريد ومراعاة الانسان النار فى عمل الذهب بيده على مثل هذا النظام مما يشق معرفة الطريق اليه والوصول الى غايته وعمل الزجاج ومعامل الفراريج بالديار المصرية مما يطمع العقول فى عمل الذهب

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

ولبعقوب الكندى رسالة فى ابطال دعوى الذين يدعون صنعة الذهب والفضة جعلها مقالتين يذكر فيهما تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله وخدع أهل هذه الصناعة وجهلهم ورد عليه أبو بكر محمد بن زكريا الرازى رداغير طائل (قلت) قال المنكرون لذلك لو كان الذهب الصناعى مثلا للذهب الطبيعى لكان ما بالصناعة مثلا لما بالطبيعة ولو جاز ذلك لجاز أن يكون ما بالطبيعة مثلا لما بالصناعة فكنا نجد سيفا أو سريرا أو خاتما بالطبيعة وذلك باطل * وقالوا أيضا الجواهر الصابغة اما ان تكون أصبر على النار من المصبوغ أو يكون المصبوغ أصبر أو يتساويان فان كان الصابغ أصبر وجب ان يبقى المصبوغ قبل الصابغ وان كان المصبوغ أصبر وجب ان يبقى الصابغ ويبقى المصبوغ على الحالة الاولى عريا عن الصبغ وان تساويا فى الصبر على النار فهما من جنس واحد لاستوائهما فى المصابرة على النار فلا يكون أحدهما صابغا ولا مصبوغا وهذه الحجة الثانية من أقوى حجج المنكرين * والجواب من المتقنين عن الاولى انا نجد النار تحصل بالقدح واصطكاك الاجرام والريح يحصل بالمراوح وأكوازا لقفاع والنوشادر قد يتخذ من الشعير وكذلك كثير من المزاجات ثم بتقدير أن لا يوجد بالطبيعة ما يوجد بالصناعة لا يلزمنا الجزم بنفى ذلك ولا يلزمنا من امكان حصول الامر الطبيعى بالصناعة امكان العكس بل الامر موقوف على الدليل * وعن الثانية انه لا يلزم من استواء الصابغ والمصبوغ فى الصبر على النار استواؤهما

في الماهية لما عرفت ان المختلفين قد يشتركان في بعض الصفات وفي هذا الجواب نظر (وحكى) لي بعض من أتفق عمره في الطلب ان الطغرائي التي المثقال من الاكسير أولا على ستين ألفا ذهبا ثم انه التي آخرا المثقال على ثلثمائة ألف (وحكى) لي أيضا ان مريانس الراهب معلم خالد بن يزيد ألقى المثقال على ألف ألف ومائتي ألف مثقال وقال لي أيضا قالت مارية القبطية والله لولا الله لقلت ان المثقال يملأ ما بين المخافقين فما كان له عندي جواب الا أن انشدته قول أبي اسحق ابراهيم الغزي

كجوهر الكيمياء ليس يرى * من نالهُ والانام في طلبه

والذي ظهر لي من حال الطغرائي انه لم يدر شيأ البتة لانه قال

ولولا ولاة الجور أصبحت والحصى * بكفي أني شئت دروياقوت

وسيأتي تمام هذا الشعر في موضعه عند قوله أريد بسطة كف البيت وصاحب الشذور من جملة أئمة هذا الفن صرح بان نهاية الصبغ القاء الواحد على الالف في قوله في القصيدة الفائية

فعاد بلطف الحل والعقد جوهرا * يطاوع في النيران واحده الالف

وفي قوله في القصيدة القافية

فذان هما البدران فاغن بعلمنا * تنل بهما ما يصبغ الالف دانقه

وأنشدت بعض المولعين بها قول القائل

أعيا الفلاسفة الماضين في الحقب * ان يصنعوا ذهبا الا من الذهب

أو يصنعوا فضة بيضاء خالصة * الا من الفضة المعروفة النسب

فقل لطالبها من غير معدنها * أضعت نفسك بالتنكيد والتعب

فقال لي صدق لو لم يكن الذي يدبره الصانع في أصله ذهبا بالقوة لما صار ذهبا بالفعل فقلت له هذا من باب التاويل واخراج اللفظ الظاهر عن الصريح الى ما لا يفهم منه الا بالاحتمال والصريح لا يعارض بالمؤول ولو أراد الانسان ان يجعل معلقة امرئ القيس مرثية في قط أو غزلا في فيل لما أعجزه ذلك (حكى) لي بعض الفضلاء ان الشيخ تقي الدين بن تيمية كان كثير الحط على الشيخ محيي الدين بن عربي فقيل له يوما ان هنا انسانا يخرج جميع ما تنكره عليه ويرده بالتأويل الى ما يوافق ظاهر الشريعة فطلبه فلم يحضر اليه فلما كان بعد مدة اتفق اجتماعهما في مكان واحد فقيل له هذا الذي وصفناه لك فقال له ما الذي تفهم من قول محيي الدين بن عربي دخلت لجة بحر الانبياء وقوف بساحله فقال له صدق لان الانبياء يقفون على الساحل بصدد من يغرق فينقذونه من الغرق فقال هذا بعيد في الاحتمال فقال أليس انه يحتمل ما قلته مخلا فالغرض حظ نفسك فلم يجبه وكان شمس الدين محمد شيخ الربوة المعروف بابن أبي طالب يقول زعم بعضهم ان المقامات وكلها ودمنه رموز في الكيميا سمعته يقول ذلك غير مرة ويزعمون أيضا ان الصناعة مرموزة في صورة البرابي وكل ذلك من شغفهم وكلفهم بحبها نسأل الله السلامة ووجدت بعض من جرب وتعب فاقلقه الوجد وظن ان جدها لعب قد كتب على بعض مصنفات جابر بن حيان تلميذ جعفر الصادق

هذا الذي بعقاله * غر الاوائل والاواخر

ما أثبت الاكاسر * كذب الذي سما الشجاير

الكبراء منهم وكانت ذات خلق جميل وأدب غض ونوادر عجيبة ونظم جيد فمن ذلك ما كتبت به لابن زيدون وهي راضية عنه تقول

ترقب اذا جن الظلام زيارتي * فاني رأيت الليل أكتم للسر

وبي منك ما لو كان بالبدر لم ينر * وبالليل لم يظلم وبالنجم لم يسر

وقولها فيه وهي عليه غضبى ان ابن زيدون على فضله

يلهج بي شتما ولا ذنب لي * يلحظني شزرا اذا جئته

كأنما حثت لأخصي على * تعني غلاما له يسمى عليا

وكان سبب قولها فيه هذا الشعر أنه اتهمها بمواصلة الوزير أبي عامر بن عبدوس وكان يلقب بالفار فقال فيه وفيها

عيرتمونا بأن قد صار يخلفنا * فيمن نحب وما في ذاك من عار

أكل شهبي أصبنا من أطايبه * بعضا وبعضا صفحنا عنه للفار

ومن شعرها ما كتبت به على كمها وقيل تاجها

أنا والله أصلح للمعالي

وأمشي مشيتي وأتيه تيها

وأمكن عاشقي من لثم ثغري

وأعطي قبلتي من يشتهيها

(ومما ينسب اليها وهو عندي كثير على شعر امرأة)

لحاظكم تجرحنا في الحشى * ولحظنا يجرحكم في الخدود

وبعض الناس ينكر وجود جابر هذا وهو محال لأن له تصانيف كثيرة وهي مشهورة بين القوم
*وقال صاحب الأغاني في ترجمة خالد بن يزيد بن معاوية وكان من رجالات قريش سخاء
وعارضة وفصاحة وكان قد شغل نفسه بطلب الكيميا فافنى بذلك عمره وأسقط نفسه
وحدثني من اثق به ممن كان يطلع على أحوال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد انه كان بها
مغرى وأنفق فيها مالا وعمرا وقيل ان امام الحرمين مات وهو يفك وصلا من أوصالها خرج
اليه منه لسان نار فقتله وقد صحت كيميا العشق مع كمال الدين علي بن النبيه حيث يقول

تعلمت علم الكيمياء بحبه * غزال بجسمي ما بعينيه من سقم
فصعدت أنفاسي وقطرت أدمعي * فصح من التدبير تصغيره جسمي

(وقال أيضا)

صنعة الكيمياء صحت لعيني * حين بردا ذا ذيراني احمرارا
فاذا ما ألقيت اكسير لحظي * في تجين الخدود عاد نضارا

وقال ابن جديس الصقلي

ومغرب طعنته غيرنائية * أسنته هن ان حققتها شهب
ومشرق كيمياء الشمس في يده * فقضة الماء من القائها ذهب

وما أحلى قول عبد الملك التميمي المعروف بالدزكار المغربي

قم الى كيمياء شرب كرام * لاترى فيهم نديما خسيسا
خذ بدور الكؤس ألق عليها * من أكاسيرها تعد هاشموسا

ما أحسن هذا وأوقعه في النفس لان أرباب الكيمياء يرمزون الفضة بالقمر والذهب
بالشمس وقد أقام الخمر مقام الاكسير الذي يصبغ الجسم وقد حام الشيخ صدر الدين بن
الوكيل في قصيدته على هذا المعنى فقال

وليست الكيميا في غيرها وجدت * وكل ما قيل في أبوابها كذب
قيراط خمر على القنطار من حزن * يعيد ذلك أفراحا وينقلب

ولكنه لم يكن على تراكيب كلامه تلك الخفة ولا ذلك الانسجام وأما قول بكر بن النطاح
في أبي دلف

يا طالبا للكيمياء وعلمه * مدح ابن عيسى الكيمياء الاعظم
لو لم يكن في الارض الا درهم * ومدحته لاتاك ذاك الدرهم

فليس هذا من صناعة الكيميا في شيء بل هذا من باب الرقى والعزائم وكذا قول ابن قلاقس
الاسكندري

ما صح علم الكيمياء لغير مداح الامام الاريحي الحافظ
يعطيهم الاموال اذ يعطونه * لفظا وما مقدار لفظ اللافظ

وكذا قول القائل في حق الشعراء يخاطب ممدوحه

ما صح علم الكيمياء لغيرهم * فيما رأينا من جميع الناس
تعطيهم البدر النضار اذا هم * رفعوا اليك الشعر في قرطاس

وهذا كله من فساد التخيل أو من الجهل بماهية الكيميا وقد ظرف شيطان العراق في

قصيدته

جرح يجرح فاجعلوا ذا بذا
فالذي أوجب جرح الصدود
وكان ابن زيدون كثير
الشغف بها والميل اليها
وأكثر غزل شعره فيها وفي
اسمها ثم ان الوزير أبا عامر بن
عبدوس أيضا هام بها وكلف
بشعرتها وكان قصدهم
الظرف والادب وكانت ولادة
كثيرة العبث به ولها معه
نوادر ظريفة *ومن نوادرها
الظريفة أنها مرت يوما بدار
ابن عبدوس وهو جالس
بالباب وحوله جماعة من
أصحابه وأمامه بركة تتولد
من مراحيض وأقذار
فوقفت عليه وقالت يا أبا عامر
أنت الخصيب وهذه مصر
فتدفقا فكلاكما بحر
فلم يحر جوابا فضحت وحفظت
هذه النادرة واشتغل بها
الناس وهذا البيت لابي
نواس تمثلت به ونقلته هذا
النقل الحسن من المدح الى
الهجاء وكان كثيرا ما يخدعها
ويبغي التغرير بها وفي ذلك
يقول ابن زيدون (شعرا)

وغرك من عهد ولادة
سراب تراءى وبرق ومض
هي الماء يأبى على قابض
ويمنع زيدته من مخض
وكان أول أمرها معه
والباعث لابن زيدون على
انشاء هذه الرسالة أن ابن
عبدوس لما سمع بها أرسل

قصيدته التائية حيث قال

وما صنعه جابر * من الصنعة جربت
فكم للطين حلت * وللآمال وصلت
وفوق الشب والكبريت للزرنيخ صعدت
وكم ركبت انبيقا * على النار وقطرت
وللاجساد لينت * وللارواح لطفت
وللزهرة نقيت * وكم للشمس كلست
وكم في بوط بربوط * من الراسخت نزلت
وبالماشك كم كويت في كفي وحرقت
وما صح لي التدبير لكني أدبرت

وملح البوصيري حيث قال يهجو جماعة

اكسير نحس كل بفرده * مركب من مدبر فاسد
ان شئت أن تجعل الورى سفلا * ألق على الالف منهم واحد

وكتب الظهير البارزي الى من وزق توأمين ذكرا وأنثى من جارية سوداء أبيا تامن جملتها

وخصك رب العرش منها بتوأم * ومن ظلمات البحر تستخرج الدرر
وابرك أضحى وارثا علم جابر * فاعطاك من القائه الشمس والقمر

(وأما هذه القصيدة اللامية) فانما سميت لامية العجم تشبيها لها بلامية العرب لانها تضاهيها في حكمها وأمثالها ولامية العرب هي التي قالها الشنفرى وأولها

أقيموا بني أمي صدور مطيكم * فاني الى قوم سواكم لأميل

وقد روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال علموا أولادكم لامية العرب فانها تعلمهم مكارم الاخلاق * ورأيت لها شرحا حسنا تام المقاصد كثير الفوائد وهو مجلد جيد وحسبك ان الناس قالوا في هذه القصيدة انها لامية العجم في نظير تلك يعني ان كان للعرب قصيدة لامية مشهورة بالادب والامثال والحكم فان للعجم لاميه مثلها تناظرها واضافة الشئ الى شئ مشهور أو عظيم تدل على شرف المضاف الا ترى قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته أشرف لهم من قوله والملائكة لاضافتهم اليه * وزعم بعضهم ان بعض الشعراء غير قوافي هذه القصيدة من اللام الى حرف العين وهذا عندي يتعذر لان ألفاظ هذه القصيدة في غاية الفصاحة وتراكيب كلماتها كلها منسجمة عذبة غير قلقة ولا نافرة ومعانيها بليغة غير ركيكة وقوافيها في غاية التمكن فهي كما قال ابن عنين

معنى بديع وألفاظ منقحة * غريبة وقوافي كلها نخب

والقافية المتمكنة هي التي يبنى البيت من أوله الى آخره عليها فاذا ختم البيت بها نزلت في مكانها ثابتة فيه متمكنة في محلها قد رسخت في قرارها ودفعت الى مركزها فهي لا تتزحزح ولا تتغير منه بخلاف القافية القلقة التي اجتلبت وجيء بها لتمام الوزن وهي أجنبية منه غريبة من تركيبه عارية من الالتحاف به والالتحاق بحبه ومتى غيرت القافية المتمكنة بغيرها جاءت نافرة عن الطباع في غاية الركة وليت شعري بماذا يغير قوله

اليها امرأة من جهته تستميلها اليه وتذكرها محاسنه ومناقبه وترغبها في التفرد بمواصلته فبلغ ابن زيدون ذلك فكتب هذه الرسالة البديعة جوابا له عن لسانها تتضمن هذه الغرائب من سب أبي عامر والتهكم به والهجاء له وجعلها جوابا له على لسان ولادة وأرسلها اليه عقيب رجوع المرأة فبلغت منه كل مبلغ واشتهر ذكرها في الآفاق وأمسك ابن عبدوس عن التعرض لولادة الى أن انتقل ابن زيدون الى اشبيلية وتوفي بها تغمده الله برحمته وغفر لنا ولهم بمنه وكرمه هذا معنى ما ذكره ابن حيان وابن بسام وغيرهما من المؤرخين

(ذكر الرسالة وشرحها)

(أما بعد أيها المصاب بعقله الموزط بجهله)

(أما) حرف يقتضي مضي أحد الشيئين ويبتدأ به الكلام و(بعد) ههنا تستعمل في الترتيب الصناعي وتقدير أما بعد مهما يكن بعد وهي كلمة يبتدئ بها كثير من الخطباء والكتاب كلامهم في خطبهم المحبرة ورسائلهم المحررة كانهم يستدعون بها الاصغاء لما يقولون ولذلك فخر بها سحبان فقال

لو أن في شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

(وقوله أيضا)

وان علائى من دونى فلا عجب * لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

الى غير ذلك من بقية القوافى الممكنة التى هى فى البيت بمثابة القاعدة التى اذا زحزحت أو نقلت تهدم البيت وخرب وذهب حسنه وزال رونق تركيبه واذا غير مثل هاتين القافيتين فقد زال طرازها وذهب شمسها وقمرها ومحيت آية حسنها نعم قد يتفق للشاعر نفسه اذا أراد بناء قصيدته على قافيتين أو أكثر لانه يراعى ذلك فى أصل التركيب ويوفق بين ذلك من أول العمل كما فعل سيف الدين بن المشد فى قصيدته التى مدح بها السلطان نجم الدين أيوب وهى مشهورة أولها

اسقنى الراح قد تجلى النهار * والظلام وتغنى على الأراك الهزار الحمام
وبدا الروض فى ثياب من الزهـ * ـر سداها بفيح وعرار وثمام
فاسقنيها مثل الخدود احمرارا * وكثغر الحبيب فيه افتراز ابتسام
قهوة مرة رحيق شمول * قرقف لذة سلاف عقار مدام
من يدى أوطف الجفون غرير * زانه الخصر واللمى والعذار والقوام
بدر تم يلوح فى زى ظبى * قصرت عن صفاته الافكار الافهام

ثم انه سار على هذا الانموذج الى تمام أحد وعشرين بيتا ولا يخفى ما فى هذه الابيات من الانحلال والانحطاط وما فيها من الايراد لمن يروم النقد عليه وكما فعل الامير مؤيد الدولة اسامة بن منقذ فى ثلاثة أبيات أنشأها وهى

كتمت بثى غيران لم أطـ * ـق *
كتمان فيض المدمع الهامل * السافح الساكب الماطر
وليس يدرى لقذى جائل * فى العين فاضت أم هوى داخل * فاضح غالب قاهر
كالورق لا يدرى على هالك * ناحت أم ارتاحت الى راحل * نازح غائب هاجر

وقال ابن الزروى والذى حملنى على نظم ذات القوافى على بن الرومى اذ قال فى كلمة له

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانها * لأفسح مما كان فيه وأرغد
اذا أبصر الدنيا استهل كأنه * بما سوف يلقى من أذاها يهدد

وقال فى كلمة أخرى نظير هذه الابيات الا أنه أبدل فى البيت الاول يولد بقوله يوضع وأبدل أرغد بقوله أوسع وأبدل يهدد بقوله يقرع ونظم ابن الزروى قصيدته التى أولها

نوى أطلعت منها القفار السابس * بخيل مطى طلعهن أوانس

وهى تزيد على العشرين بيتا جعل لكل بيت أربعا وعشرين قافية وهذه القصيدة تنشد أربعا وعشرين قصيدة وهذا فى غاية القدرة وانما سهل هذا معه وانقاده له ما أراد لانه هو الذى بنى كل بيت فى الاصل على ما يريد ختمه به من القوافى المتعددة ولو أخذ قصيدة غيره وأراد تغيير

قوافيها

وقد علمت قيس بن عيلان انى
اذا قلت أما بعد أنى خطيبها
وكنت اما تأتى عقيب قول
الحمد لله ونسمى هنا لك فصل
الخطاب لانها فصلت بين
الكلام الاول والتالى وتأتى
عقيب البسملة وتأتى ابتداء
كانها عقيب الفكر والروية
وأول من قالها داود عليه
السلام وقيل انها فصل
الخطاب المذكور فى الكتاب
العزيز وقيل أول من قالها
قس بن ساعدة والاول أصح
وانما قس أول من خطب بها
فى العرب وكتبها أول الكتب
على ما ذكر (أيها المصاب) اسم
لمن نزلت به نائبة مصيبة
وأصاب السهم اذا وصل الى
المرمى بالصواب فالمصيبة
أصلها فى الرمية ثم اختص
بالنائبة (بعقله) العقل
المعـ ـرفة المستعملة
فى تحرى النفع وتجنب
الضرر ولاهل اللغة
والمتكلمين فى اشتقاقه ومعناه
أقوال كثيرة قيل اشتق من
عقل الناقة اذا شد وظيفها
مع ذراعها بالجبل يمنعها من
الشراد فكأنه يمنع الانسان
مما يميل اليه من الهوى ومن
عقل الناقة سميت الدية عقلا
لانها تعقل بفناء المقتول أو
لانها تحبس الدم وقيل اشتق
من العقل وهو الملجأ يقال

قوافيها لتقاعس المعنى عليه ولم ينقد له وأنت ترى قافية ابن الرومى الدالية كيف لفظة أرغد فيها قلق يسير وكيف أوسع أحسن منها وكيف لفظة يهدد أليق من يقرع هذا أمر يشهد به الذوق وصنع أبو القاسم على بن منجب المعروف بابن الصيرفى بيتين وهما

لما غدوت مليك الارض أفضل من * جلت مفاخره عن كل اطراء
تغايرت أدوات النطق فيك على * ما يصنع الناس من نظم وانشاء

ثم انه غير روى البيتين على جميع حروف المعجم ومن وقف على كلام أبى العلاء المعرى فى رسالة الغفران فى ذينك البيتين اللذين للنمر بن تولب وهما

ألم بصحبتى وهم هجوع * خيال طارق من أم حصن
لها ما تشتهى عسل مصفى * متى شاءت وحوارى بسمن

وكيف غير القوافى منها ونزلها على سائر حروف المعجم خلا حرف الطاء علم تمكن أبى العلاء من الادب واطلاعه على اللغة وحكايته خلاف الاحمر مع أصحابه ومعناها انه لو قال أم حفص ماذا كان يقول فى تمام البيت الثانى فسكتوا فقال بلمص وأما اتفاق الشاعرين فى الابيات وتخالفهما فى القافية فكثير فمنه قول النابغة

لو انها عرضت لاشمط راهب * عبد الاله صرورة متعبد
لرنا لبهجتها وحسن حديثها * ولخاله رشدا وان لم يرشد

وقول ربيعة بن مقدوم الضبى

لو انها عرضت لاشمط راهب * عبد الاله صرورة متبتل
لرنا لبهجتها وحسن حديثها * ولهم من تامور يتنزل

وقول الافشين العجلى

جريت مع الصبا طلق العنيق * وهان على مأثور الفسوق
وجدت الذعارية الليالى * قران النغم بالوتر الخفوق
ومسمعة متى ماشئت غنت * متى نزل الاحبة بالعقيق
تمتع من شباب ليس يبقى * وصل بعرى الصبوح عرى الغبوق

وقول أبى نواس

جريت مع الهوى طلق الجموح * وهان على مأثور القبيح
وجدت الذعارية الليالى * قران النغم بالوتر الفصيح
ومسمعة متى ماشئت غنت * متى كان الخيام بذى طلوح
تمتع من شباب ليس يبقى * وصل بعرى الغبوق عرى الصبوح

وهذا من أبى نواس فى غاية الحسن لمن تأمله وقول امرئ القيس

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجمل

وقول طرفة بن العبد بعده

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

وقول امرئ القيس أيضا

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بأمثل

عقل الوعل اذا التجأ الى الجبل الذى يمنعه فكأن الانسان يلتجئ اليه فى أحواله وقيل غير ذلك وأكثر المعانى مشتركة فى الاشتقاق وقال الجاحظ العقل اسم يقع على المعرفة بالصواب والخطا وايثاره اذا اقترنا فى زمان وكان العلم علة للعمل وقيدا له فاذا دعا الرجل علمه بالمحاسن الى العمل بها ونهاه علمه بالمساوى عن العمل بها صار قيدا للعمله وكان كالعقال لما استحسنه فاذا عقله علمه وحبسه كما يحبس الحمل فالواهذا عاقل * وقال الراغب العقل يقال للقوى المتهيئة للعلم ويقال للعلم الذى يستفيده الانسان بتلك القوى عقل ولهذا قال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوع كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء العين ممنوع والى الاول اشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل والى الثانى أشار بقوله ما كسب أحد شيأ أفضل من عقل يهديه الى هدى أو يرده عن ردى وكل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل فأشارة الى الثانى دون الاول وكل موضع رفع فيه التكليف

وقول الطرماح بعده

ألا أيها الليل الطويل الا انجلي * بصبح وما الاصباح منك بارح

وقول علي بن الخليل

لا أظلم الليل ولا أدعي * أن نجوم الليل ليست تزول
ليلى كما شاءت قصيرا اذا * جادت وان ضنت فليلي طويل

وقول ابن بسام بعده

لا أظلم الليل ولا أدعي * أن نجوم الليل ليست تغور
ليلى كما شاءت فان لم تجد * طال وان جادت فليلي قصير

وقول الامير أبي الفضل الميكالي

أقول لشادن في الحسن أضحى * يصيد بلحظه قلب الحكمي
ملكت الحسن أجمع في نصاب * فأذكاة منظرك البهي
وذلك أن تجود لمستهام * برشف من مقبلك الشهي
فقال أبو حنيفة لي امام * يرى ان لا زكاة على الصبي

وقد رواها بعضهم على غير هذه القافية فأنشدها

أقول لشادن في الحسن فرد * يصيد بلحظه قلب الجليد
ملكت الحسن أجمع في قوام * فلا تمنع وجودا عن وجود
وذلك أن تجود لمستهام * برشف من مقبلك البرود
فقال ابو حنيفة لي امام * يرى أن لا زكاة على الوليد

وقول سليمان بن ياكل الخزاعي

يا بنت خنساء التي أتجنب * ذهب الزمان وحبها لا يذهب
اني لأمنحك الصدود وانني * قسما اليك مع الصدود لاحبب

وقول الاحوص

يا بنت عاتكة انني أتعزل * حذر العداو بها الفؤاد موكل
اني لامنحك الصدود وانني * قسما اليك مع الصدود لاميل

وقد اشتهر قول الاحوص وشاع وذاع وملأ الافواه والاسماع واستشهد الناس به قديما وحديثا في حكايات مشهورة عند أرباب الادب * وعن محمد بن كعب القرظي قال بينما عمر ابن الخطاب جالسا ومعه أصحابه اذ مر به رجل فسلم عليه فقال رجل من القوم يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المسلم قال لا قال هو سواد بن قارب الذي أتاه رئيه من الجن بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه عمر فقال له أنت سواد بن قارب قال نعم قال أنت على ما كنت عليه من كهانتك فغضب الرجل غضبا شديدا وقال ما استقبلني أحد منذ أسلمت بهذا فقال عمر ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك فاخبرني بالذي أنبأك به رئيك من ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم بينا أنا بين نائم ويقظان اذ أتاني رئي وضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب وافهموا عقل انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله تعالى ثم أنشأ الجني يقول بحيث أسمع

عن العبد لعدم العقل فاشارة الى الاول (وقال) بعض الحكماء هو جوهر بسيط وقال آخرون هو جسم شفاف ومحله الدماغ وبعض العلماء يقول محله القلب ويستدل بقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله تعالى لمن كان له قلب أي عقل وقال الجاحظ هو مادة تتولد من الاغذية المقوية للعصب فلذلك كان البلادر جيدا له والبصل مضرا له ولذلك يقال يفسد الباذنجان في شهر ما يصلح البلادر في عام ويزعم قوم أنه هيئة تحصل بالدربة ولذلك فسدت أذهان المعلمين لخالطتهم الصبيان (المورط) الورطة الهلاك قال رؤبة

فأصبحوا في ورطة الاوراط

وأصل الورطة أرض مطمئنة لا طريق فيها ورياها هلاك الواقع فيها ومنه الوراط الخديعة وفي الحديث لا خلاط ولا وراط (بجهله) الجهل ضد العلم ومنه سميت المفازة مجهلة كأنه جهل كيف الطريق فيها وقال الراغب الجهل على ثلاثة أضرب الاول خلو النفس من العلم هذا هو الاصل وقد جعل بعض المتكلمين الجهل معنى مقتضيا للافعال الخارجة عن النظام كما جعل العلم معنى مقتضيا

عجبت للجن وأخبارها * وشدها العيس بأكوارها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ماؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم * بين روابيها وأحجارها

فقلت دعنى أنام فقد أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثانية أتانى فضربنى برجله وقال قم ياسواد بن قارب وافهم واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى الله والى عبادته ثم أنشأ الجنى يقول

عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس باقتابها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ماصادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم * فما قداماها كاذنابها

فقلت دعنى أنام فقد أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فضربنى برجله وقال قم ياسواد بن قارب وافهم واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى الله والى عبادته ثم أنشأ الجنى يقول

عجبت للجن وتجاسها * وشدها العيس بأحلاسها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ماخير الجن كانجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى راسها

فلما أصبحت شددت على ناقتى رحلها وسرت الى مكة فقيل لى قد سار الى المدينة فأتيت المدينة فسرت الى المسجد فعقلت ناقتى واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جماعة من أصحابه فلما نظر الى قال هات ياسواد بن قارب فقلت

أتانى رئيى بعد هدء ورقدة * ولم أك فيما قد يبلون بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك رسول من لؤى بن غالب
فشمرت من ذيلى الازار ووسطت * بى الدلعب الوجناء بين السباسب
وأشهد أن الله لارب غيره * وانك مأمون على كل غائب
وأنك أعلى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك ياخير من مشى * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لى شفيعا يوم لاذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فرحا شديدا فقام اليه عمر فالتزمه وقبله بين عينيه وقال لقد كنت أحب ان أسمع هذا الخبر منك فاخبرنى هل يأتيك رئيك اليوم قال اما منذ قرأت كتاب الله فلا ونعم العوض كتاب الله من الجن (وحكى) صاحب الجليس والانيس قال كان الاصمعى يعادى عباس بن الاحنف فقال يوما وهو بين يدى الرشيد والاصمعى حاضر

اذا أحببت أن تعمل شيأ يعجب الناسا
فصوره هنا قردا * وصور ثم عباسا
وبينهما فدع فترا * فان زدت فلا باسا
فان لم يدنوا حتى * ترى رأسيهما راسا

للافعال الجارية على النظام والثانى اعتقاد الشئ على خلاف ماهو عليه والثالث فعل الشئ بخلاف ماحقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أو فاسدا

(البين سقطه الفاحش غلطه)

(السقط) مالا يرضى ومنه سقط المتاع رديئه وسقط القول خطؤه وسقط الرجل فى يده اذا فعل ما يندم عليه وقال الاخفش أسقط وهو غير مستعمل والاصل السقوط وهو طرح الشئ من العالى الى المنخفض و (الفاحش) ماعظم قبحه من الاقوال والافعال ومنه الفاحشة الفعلة القبيحة سميت فاحشة وصار علما عليها والغلط الخروج عن الصواب نطقا أو فعلا تقول العرب غلط وغلت بالتا زعم قوم أنهما لغتان وزعم قوم أن غلط انما يقال فى المنطق وغلت انما يقال فى الحساب

(العاثر فى ذيل اغتراره الاعمى عن شمس نهاره)

(العثار) السقوط وما قاربه و(الاغترار) الغفلة واستعارة الذيل والعثار للغافل حسنة والفقر مناسبة لما قبلها وما بعدها و(العمى) يقال فى افتقاد البصر ويقال فيه أعمى وعمه عمى البصيرة أشد ولذلك لم يعد الله تعالى افتقاد

فكذبها بما قاست * وكذبه بما قاسا

فقال الرشيد ما سمعت معنى أحسن من هذا فقال الاصمعي قد سبقه الى هذا المعنى رجل من العرب ورجل من النبط فقال ما قال العربي قال كان رجل يقال له عمر يحب جارية يقال لها ثمر فقال

اذا أحببت ان تعمل شيأ يعجب البشرا
فصور ههنا ثمرا * وصور ههنا عمرا
فان لم يدنوا حتى * ترى بشريهما بشرا
فكذبها بما ذكرت * وكذبه بما ذكرا

قال الرشيد فما قال النبطي قال كان رجل يقال له روز يحب جارية يقال لها فاق فقال

اذا أحببت ان تعمل شيأ يعجب الخلقا
وتسمع صوت معشوق يعشق لاق في الهوى رتقا
فصور ههنا روزا * وصور ههنا فلقا
فان لم يدنوا حتى * ترى خلقيهما خلقا
فكذبها بما لاقت * وكذبه بما يلقى انتهى

وتغيير قوافي هذه اللامية أراه متعذرا الا أن يتهدم جانب جيد من كل بيت ومع ذلك فلا يكون لغير قوافيها داعية استأثر بها الطغرائي * وأنشدني لنفسه من لفظه المولى نور الدين علي بن محمد بن فرحون المالكي اليعمري المدني بدمشق المحروسة في سنة احدى وأربعين وسبعمائة هذه اللامية وقد ركب على كل صدر عجزا وعلى كل عجز صدرا فناسبها وهذا قصد طريف ومما أنشدني في قوله

اصالة الرأي صانتني عن الخطل * وسرعة الحزم زادتني عن المهل
وحلة العلم أغنتني محلا بها * وحلية الفضل زانتني لدى العطل
مجدي أخير او مجدي أولا شرع * وسؤددي ذاع في جهل ومرتحل
وهمتي في الغنى والفقر واحدة * والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل
فيم الاقامة بالزوراء لا سكني * دان ولا أنا في عيش بها خضل
وليس لي أرب فيها ولا خولي * بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

وتغيير القوافي في البيت والبيتين أمر يهون كما أنشد بعضهم البيتين المشهورين في الشيب وهما

وخود دعتني الى وصلها * وعصر الشبيبة مني ذهب
فقلت مشيبي ما ينطلي * فقالت بلى ينطلي بالذهب

وكان في المجلس بعض ظرفاء الادباء حاضرا فقال ما أعرف القافية في هذين البيتين الا حرف الراء فقال له المنشد كيف قال فقال قال * وعصر الشبيبة مني سرى * فقال فكيف تصنع بالثاني بعد قوله مشيبي ما ينطلي فقال * فقالت بلى ينطلي بالخرا * فأطرق المنشد خجلا وأما أنا فاتفق لي يوما مثل هذه الواقعة في بعض مجالس المذاكرة في محفل فيه رؤساء واكابر من الكتاب وفيهم من يتعاطى الادب وهو شاب فيه مغمز ومطمع فأنشد قول ابن العفيف التلمساني

ولقد عتبت عليه وهو ممدد * والايرى أحشائه مدسوس

البصر عمي في جنب افتقاد البصيرة حيث قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور و(شمس النهار) ههنا كناية عن الصواب الواضح الذي تركه هذا المكتوب اليه وعمي عنه حتى تعرض للذم أو كناية عن مقدار هذه المرأة التي هي كالشمس حتى طلب منها ما لا يصل اليه

(الساقط سقوط الذباب على الشراب)

الذباب في اللغة يقع على هذا المعروف من الحشرات وعلى النحل والزنابير ونحوهما قال الجاحظ ومن الدليل على ان أجناس النحل والزنابير وما أشبهها كلها ذباب ما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل ذباب في النار الا النحلة وقال الشاعر فهذا أوان العرض حي ذبابه * زنابيره والازرق المتلمس

والذباب ههنا هو المعروف وسمي ذباب العين ذبابا لشبهه به أو لتطايرشعاعه طيران الذباب وبه يضرب المثل في الوقوع على الشراب فيقال أوقع من ذباب على شراب و(الشراب) كل مائع متناول للشرب وغرض الذباب ما حلا ولو كرهه عليه يقع على كل مائع سواء كان حلوا او غيره * وفي كتاب كليله

أوما بعده وقال بنفسه * من ههنا يتعوج الفقوس

فقلت وقد أشار بيده عند نصف البيت الثانى مثل مولانا يغير القافية انما هو من ههنا يتعوج اليقطين فاستحى فقال بعض الحاضرين كيف تعمل فى القافية الاولى فقلت بسرعة عوض مدسوس مدفون والتدبيب يغتفر فيه ويسامح بما لا يسامح فى غيره لسرعة الجواب الاترى ما أحلى جواب بعض الوعاظ وهو على المنبر لما سئل عن أشياء ما الاصل فيها فقال اذا كان الله عز وجل قال يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء فكيف تسألون أنتم عنها فاستحسن هذا الجواب منه لسرعته وان كان قد مغلط ولكن لما عجز عن الجواب مال الى هذا الجواب الاقناعى لان أرباب التصريف لهم فيها كلام طويل منهم من يقول أصل أشياء فعلاء ومنهم من يقول فعلاء والكلام فى ذلك يطول ويقال ان أبا الحسين بن السماك كان يتكلم على رؤس الناس بجامع المدينة وكان لا يحسن شيأ من العلوم الا ما شاء الله وكان مطبوعا بالتكلم على مذاهب الصوفية فرفعت اليه رقعة فيها ما تقول السادة الفقهاء فى رجل مات وخلف كذا وكذا فلما فتحها ورأى ما فيها من الفرائض رماها من يده وقال أنا أتكلم على مذاهب أقوام اذا ماتوا لم يخلفوا شيأ فعجب الحاضرون من سرعة جوابه * وكذا التدبيب فى البيتين الاولين الاصل فيهما أكمل لان الطلاء دائما بالذهب مع ما فى القافيتين من الجناس التام وكذا قولى اليقطين فان فيه تغيير المثل المتداول بين الناس وهو * من ههنا يتعوج الفقوس ولكن لما كانت تلك الحالة لائقة باليقطين عند اشارته بيده حسن ذلك وخف على السمع وراج على القلب * وأنشدت يوما بعض الافاضل قول البحترى من قصيدته المشهورة

وأزرق الصبح يبدو قبل أبيضه * وأول الغيث قطر ثم ينسكب

فقال بدل ينسكب ينهمر فقلت كيف تصنع فى الاول وهو قوله

هذى مخايل برق خلفه مطر * جود ووري زناد خلفه لهب

فقال بدل لهب شرر فقلت هذه القصيدة بائية أولها

نحن الفداء لجود مرتقب * ينوب عنك اذا هممت بك النوب

فلم يحر جوابا لكنه اعترف له بالاحسان لسرعة الجواب فى الثانى (ايراد شئ من نظم الطغرائى) قال قصيدة خائية عارض بها محمد بن هانئ المغربى فى قصيدته التى أولها

سرى وجناح الليل أقتم أفتح * مهاد ضجيع بالعبير مضمخ

ومدح الطغرائى بها السلطان محمود بن محمد أيام سلطنة أبيه سنة أربع وخمسمائة وهى

هى العيس قود فى الازمة تنفخ * تعطى لها من عجمة الليل برزخ ومنها

ويا نار قلبى ما لجمرك كلما * نضحت عليه الماء لا يتبوخ

ويا صادحات الورق فى الايك أقصرى * فمالى اذن أشكو ولا لك مصرخ

ويا جيرة شطت بهم غربة النوى * ولا عهدهم ينسى ولا الود يفسخ

لكم فى جنوب الارض مسرى ومسرح * وللحب فى جنبى مرسى ومرسخ ومنها

وحظى من الايام ملك بعزه * تقام مواقيت العلا وتؤرخ

يتوق اليه الملك وهو له اب * ويصبو اليه التاج وهو له أخ

يربى العدا أبناءهم لحسامه * وللصقر ما أضحى البغاث يفرخ

ومنهم من لم يرض بما يكفيه كان كالذباب الذى لا يرضى حتى يطلب الماء السائل من آذان الفيلة فتضربه بآذانها فتقتله

(المتهافت تهافت الفراش فى الشهاب)

(التهافت) الترامى مع خفة وطيران يقال منه هفت وتهافت ومنه قولهم وردت هفية من الناس للذين أقحمتهم السنة و(الفراش) نوع من الذباب رقيق الجسد ومنه قيل لكل عظم رقيق فراشة وقيل فراشة القفل لرقتها وانما شبهها بالفراش الطائر وأما قول ذى الرمة

فأيقن أن النقع صارت نطافه * فراشا وأن البقل ذاو ويابس

فقد قيل ان النقع وهو الموضع الذى يجتمع فيه نقر الماء صار فراشا أى ماء رقيقا وقيل المراد أن نطف الماء صارت فراشا طائرا فربما تولد الفراش من الماء (والشهاب) الشعلة من النار ومن ذلك قيل للسواد المختلط بالبياض شهبة تشبيها بالسواد المختلط بالدخان والفراش معروف بالقائه نفسه فى النار ولذلك قيل فى المثل ما هم الا فراش طمع والفلاسفة تزعم أن الحيوان تجذبه النورية كالفراش الطائر بالليل وما اطف جسمه يطرح نفسه فى

ومنها خدمتكم والعمر غض جميمه * ندوأهاضيب الشبيبة تنضح
ومنها أسير فى أياكم من شواردى * غلالة سفر حين تمتدسرنج
وأجعل من أسراركم كل ناهض * يضيق به صدر الكتوم فينضح
وأنشر فى الشورى صحائف طيها * نوافث سحر للعزائم تنسخ
وأنحكم فى حل كل مترجم * به يضبط الامر الشعاع فيرسح
أحين أنى أن أجتنى ثمر الرضا * أردالى نزر من العيش يرضح
أعوذ بكم من كبوة الجد انها * دهتنى ولاذنب به أتلطخ

قلت كان الطغرائى يتمنى علو شانه ويؤمل اقبال زمانه فى أيام هذا الممدوح اذا آل أمر السلطنة اليه فكان فيها حتفه * وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تتمنوا الدول فتحرموها وما أحسن قول القائل

سالت الله أن تعلو محلا * كعرض الارض فى طول السماء
فلما ان علوت علوت عنى * فكان اذن على نفسى دعائى

وقال ابن دريد

اذا رأيت امرأ فى حال عسرته * مصافيا لك ما فى وده دخل
فلا ترج له أن يستفيد غنى * فانه بانتقال الحال ينتقل

وقال محمد بن سبط التعاويذى

أأحرم دولتكم بعدما * ركبت الامانى وأنضيتها
ومالى ذنب سوى أننى * رجوتكم وتمنيتها

وقال أحمد بن أبى بكر الكاتب

اذا لم يكن للمرء فى دولة امرئ * نصيب ولاحظ تمنى زوالها
وماذاك عن بغض لها غير أنه * يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

وقال جرير المثل

رب ما يرجو الفتى نفع فتى * خوفه أولى به من أمله
رب من ترجوه دفع الاذى * سوف يأتيك الاذى من قبله

وقال ابن عنين فى ابن المجاور

سواء علينا نلت ما نلت من علا * اذا لم تنل أو كنت ما كنت من قبل
وما نافعى أن يبلغ العرش صاحبى * ويحط قدرى عنده عندما يعلو

أنشد الزكى عبد الرحمن القوصى الملك المظفر قبل أن يملك حماة

متى أراك ومن تهوى وأنت كما * تهوى على رغمهم روحين فى بدن
هناك أنشد والآمال حاضرة * هنئت بالملك والاحباب والوطن

فوعده اذا ملك حماة أن يعطيه ألف دينار فلما ملكها أنشده

مولاى هذا الملك قد نلته * برغم مخلوق من الخالق
والدهر منقاد لما شئته * وذا أوان الموعد الصادق

فدفع اليه الالف وأقام معه ولزمه فى اسفاره أنفق فيها المال الذى أعطاه ولم يحصل بيده زيادة

النار فيحترق وغير ذلك مما يصاد فى الليل بالشهاب من الغزلان والوحش والطير والسمك اذا قرب منها السراج فى الزوارق ويزعمون ان النور صلاح هذا العالم ومعنى هذا السجع أن المكتوب اليه من جهله وتعرضه لما يؤذيه بمنزلة الفراش والذباب الواقع فيما يهلكه من غير اشعار أنه هالك

(فان العجب أكذب ومعرفة المرء نفسه أصوب) (قوله فان) صلة لقوله أما بعد ولابد من اقتضائها الفاء لرد الكلام بعضه على بعض و(العجب) ما يعجب الانسان من نفسه أى يستحسنه والاصل العجب كانه يتعجب من حسن ما يجد و(الكذب) ضد الصدق يقال فى المقال والفعال وينسب أيضا الى نفس القول والفعل فيقال فعلة صادقة وفعلة كاذبة ومعنى المثل أن المعجب من نفسه بحالة يظن أنه قد بلغ بها الغاية وامتاز بالفضل وليس الامر كذلك فكان عجبه بنفسه خيل له ما لا صحة فيه فكذبه و(المعرفة) ادراك الشئ بتدبر لاثره وهو أخص من العلم فيقال فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله متعديا الى مفعول واحد لما

عليه فقال

ذاك الذى أعطوه فى جملة * قد استردوه قليلا قليل
فليت لم يعطوا ولم يأخذوا * وحسبى الله ونعم الوكيل

فبلغ ذلك المظفر فأخرجه من دار كان أنزله بها فقال

أتخرجنى من كسر بيت مهدم * ولى فيك من حسن الثناء بيوت
فان عشت لم أعدم مكانا يضمنى * وأنت ستدرى ذكر من سيموت

فحبسه المظفر فقال ماذنبى اليك فقال وحسبى الله ونعم الوكيل ثم أمر بخنقه فلما أحس بالهلاك قال

أعطيتنى الالف تعظيما وتكرمة * ياليت شعرى أم أعطيتنى دينى

قلت لو كنت حاضر الزكى عبد الرحمن لانشدته قول القائل

وكنت كالمتمنى أن يرى فلقا * من الصباح فلما أن رآه عمى

ومما أحسن قول أبى الطيب وهو مما رواه تاج الدين الكندى عنه ولم يكن فى ديوانه

أبعين مفتقر اليك نظرتنى * وأهنتنى وقذفتنى من حالق
لست الملوم أنا الملوم لاننى * أنزلت آمالى بغير الخالق

ومما يخرط فى هذا السلك قول القائل

لما بدا العارض فى خده * بشرت قلبى بالنعيم المقيم
وقلت هذا عارض ممطر * فجاءنى منه العذاب الاليم

وقال الطغرائى يصف خيلا

سبقت حوافرها اللواظر فاستوى * سبق الى غاياتها وسفون
لولا تراعى الغايتين لاقسم الراؤن انى راكبا تسكين
وتكاد تشبهها البروق لانها * لم تعتقلها أعين وظنون

هذه مبالغة فى السرعة والاول مأخوذ من قول أبى الطيب

تقبلهم وجه كل سابحة * اربعها قبل طرفها تصل

قيل ان أبا الحر الثعلبى قال عند ما سمع هذا البيت هذه كانت عيناها فى استها وذكرت بهذه واقعة اتفقت لبعض أكابر أهل العصر وهو انه كان له غلام حسن الوجه فحضر يوما عنده بعض أصحابه وأخذ يصف ذلك الغلام ويلاحظه فى دخوله وخروجه لا يفتر عن ذلك فقال له مالك قد أطلت النظر الى هذا الغلام فقال أعجبنى حسنه فقال عينك فى استك فقال لا والله بل عينى فى استه وقد فسر بعض المتعصبين على أبى الطيب قوله

تبل خدى كلما ابتسمت * من مطر برقه ثنايا ها

فقال كانت تبصق فى وجهه وكذلك قوله

كفى بجسمى نحولا أننى رجل * لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

فقال هو اذن ضرطة يسمع ولا يرى وبالغ ابن حجاج فى مرثية فرس له فقال

قال له البرق وقالت له الريح جميعا وهما ماهما
أأنت تجرى معنا قال لا * ان شئت أضحكتكما منكما

كان معرفة البشر لله تعالى هى بتدبر آثاره دون ادراك ذاته ويقال الله يعلم كذا ولا يقال الله يعرف كذا لما كانت المعرفة تستعمل فى العلم القاصر المتوصل اليه بتفكر وأصله من عرفت كذا أى أصبت عرفه أى رائحته والمعنى أن معرفة الانسان مقداره حتى لا يتعدى أطواره أصوب وهو مما يؤيد قوله الحب اكذب وهذان مثلان جيدان الاول ينسب الى اكثم بن صيفى والثانى مأخوذ من قوله ان يهلك امرؤ عرف قدر نفسه وهو اكثم بن صيفى بن رياح التميمى أشهر حكام العرب فى الجاهلية وحكمائهم وخطبائهم ادرك مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وراسله واختلف فى اسلامه والاكثر على صحته حكى الهيثمى ان اكثم بن صيفى لما بلغه مبعث النبى صلى الله عليه وسلم قال لقومه احملونى اليه فقالوا لا والله وانت سن من أسنان العرب قال فليأته احدكم فليسأله عن ربه وعما امره به فأتى حبيش بن اكثم فقال يا محمد بعثك ربك قال بعثنى بان اكسر الاوثان قال ثم امرك قال ان الله يأمر بالعدل والاحسان

هذا ارتداد الطرف قد فتنه * الى المدى سبقا فمن أنتما

وقال أبو العلاء المعرى

ولما لم يسابقهن شئ * من الحيوان سابقن الظلالا

وقال ابن خفاجة الاندلسى

وأبلق خوار العنان مطهم * طويل الشوى والساق أقود أتلعا
جرى وجرى البرق اليمانى عشية * فابطأ عنه البرق عجزا وأسرعا
وحسب الاعادى منه ان يزجرونه * مغيرا فاصبح الحى أبقعا

هذا المعنى فى غاية الحسن ومن هنا اختلس هذا المعنى النفيس أحمد بن عبد العزيز المالكى حيث قال

حمدا لليلة رأيت دجاها * زاهيا عطفه بحلة فخر
بشرت بالقاء وهى غراب * ونفى الفجر حسنها وهو قرى

وقرأت على الشيخ الامام القاضى شهاب الدين أبى الثناء محمود الكاتب كتابا انشأه فى وصف الخيل جاء منه لا يستن داحس فى مضماره ولا تطمع الغبراء فى شق غباره ولا يظفر لاحق من لحاقه بسوى آثاره تسابق يداه رجلى طرفه ويدرك شوارد البروق ثانيا من عطفه وقد اشتهر هذا المعنى فى سبق الحافر الناظر قال بعضهم

كم سابح أعددته فوجدته * عند الكريهة وهو سرطائر
لم يرم قط بطرفه فى غاية * الا وسابقه اليها الحافر

وما أحسن ما أنشدنى لنفسه من لفظه المولى صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى بالباب وبراعة من بلاد حلب سنة احدى وثلاثين وسبعمائة

وأغر تبرى الاهاب مورد * سبط الاديم محجل بياض
أخشى عليه ان يصاب باسهمى * مما يسابقها الى الاغراض

وأنشدنى لنفسه أيضا

وأدهم يقق التحجيل ذى مرح * يميس من عجبه كالشارب الثمل
مضمر مشرف الاذنين تحسبه * موكلا باستراق السمع عن زحل
ركبت منه مطاليل تسيبه * كواكب تلحق المحمول بالحجل
اذا رميت سهامى فوق صهوته * مرت بهاديه وانحطت عن الكفل

قلت الثانى من الاول والرابع من الثانى فى غاية الحسن وهما من المبالغات المليحة وما احسن ما أنشدنيه لنفسه من لفظه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة

وردمع العرب منسوب فلا قطعت * أيدى الحوادث من انسابه شجره
اذا امتطى ظهره رامى السهام مضى * والسهم حذوا فلولا سبقه عقره
عجبت حين يسمى سابحا وله * وثب لو البحر أرسى دونه طفره
فضاء فى هضبات الحزن صاعدة * أولا فصاعقة فى السهل منحدره
لما ترفع عن ند يسابقه * أضحى يسابق فى ميدانه نظره

وأنشدنى

الى آخر الآية فانصرف حبيش الى أبيه فأخبره بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا عليه الآية الشريفة فجعل يردد ها ويقول ان هذا لرب كريم يأمر بمحاسن الاخلاق وينهى عن مساويها ثم جمع اليه بنى عمه وقام فيهم خطيبا وعمره اذ ذاك مائة وتسعون سنة وفى ذلك يقول

وان امرأ قد عاش تسعين حجة * الى مائة لم يسأم العيش جاهل

ويروى لخمس فلم يسأم على ان عمره خمس وتسعون سنة وهو الاقرب ثم قال يا بنى عمى لا تحضروا الى سفيها فان السفيه يرهن من فوقه ويثب من دونه اى يهلكه ولا خير فيمن لا عقل له ان ابنى قد شاهد هذا الرجل الذى ظهر بمكة وشافهه وهو يأمر بمحاسن الاخلاق ويدعو الى توحيد الله عز وجل وخلع الاوثان وقد عرف ذوو الرأى منكم ان الفضل فيما يدعو اليه وان احق الناس بمعاونته لانتم فان كان الذى يدعو اليه حقا فهو لكم وان كان باطلا كنتم احق من كتم وستر وقد سمعت أشقف نجران يذكره ويترجى أن يكون له فسى ابنه محمدا فكونوا فى أمره أولا ولا تكونوا آخرا وائتوه طائعين قبل أن تأتوه كارهين والله

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين يوسف بن سليمان بن أبي الحسن الصوفي بدمشق في جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين وسبعمائة

وأدهم الاون فات البرق وانتظره * فغارت الريح حتى غيبت أثره
فواضع رجله حيث انتهت يده * وواضع يده أنى رمى بصره
شهم تراه يحاكي السهم منطلقا * وماله غرض مستوقف خبره
ويعقر الوحش في البيداء فارسه * ويثني وادعا لم يلتحف غبره

ومما اتفق لي نظمه في فرس أشقر

ياحسنه من أشقر قصرت * عنه بروق الجو في الركض
لا تستطيع الشمس من جريه * ترسمه ظلا على الارض

وقال الطغرائي يصف الصبح

وردنا سحيرا بين يوم وليلة * وقد علقت بالغرب أيدي الركائب
على حين عرى منكب الشرق حذيه * من الصبح واسترخى عنان الغياهب

ما أحسن هذه الاستعارة في عرى منكب الشرق وفي استرخاء عنان الليل يعني ان الصبح ظهر وانكشف والليل أسرع ذاهبا والاستعارة الاولى من قول ذي الرمة

وقد لاح للساري الذي كاد يهتدي * على أخريات الليل فتق مشهر
كمثل الحصان الانبط البطن قائما * تمايل عنه الجل والاون أشقر

فأخذه ابن المعتز فقال

وساق يجعل المنديل منه * مكان حمائل السيف الطوال
غداة الصبح تحت الليل باد * كطرف أشقر ملقى الجلال

ونقله ابن المعتز الى النار فقال

مشهرة لا يحجب الخيل ضوءها * كأن سيوفا بين عيدانها تجلى
يفرج أغصان الوقود اضطرامها * كما شقت الشقراء عن منهاجلا

والاستعارة الثانية تشبه قول ابن عمار الاندلسي

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى * والليل قد صرف العنان عن السرى

لكن ابن عمار كنى عن ذهاب الليل بصرف العنان والطغرائي كنى عن ذهابه بارخاء العنان كانه أسرع وولى هاربا واستعمله ابن قلاقس في البرق فقال

نعم هو البرق على الأنعم * فاشق به ان شئت أو فانعم
لاح بأعلى هضبة خافقا * خفق لواء البطل المعلم
وزال عن صهوة طرف الدجا * سقطة جل الفرس الادهم

وقال الطغرائي من أبيات

ونفس باعقاب الامور بصيرة * لها من طلاع الغيب حاد وقائد
وتأنف ان يشفى الزلال غليلها * اذا هي لم تشتق اليها الموارد

يشير الى قول أبي العلاء المعري مع انه هدم القافية

اذا اشتاقت الخيل المناهل أعرضت * عن الماء فاشتاقت اليها المناهل

ان هذا الذي يدعو اليه لو لم يكن ديننا لكان في أخلاق العرب حسنا فأطيعوا أمري فمن سبق فاز ومن تأخر ندم فقام مالك بن نويرة وقال لقد خرف شيخكم فلا تتعرضوا للبلاء فقال أكثم ويل للشجي من الخلي لهفي على أمر لم أدركه ولم يسبقني ثم رحل الى النبي صلى الله عليه وسلم فمات في الطريق وبعث باسلامه مع من أسلم ممن كان معه وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الآية وهي ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله نزلت في أكثم ومن تبعه من أصحابه وقال قوم آخرون خرج مهاجرا ولم يسلم وكان من أفصح خطباء العرب وجمع من كلامه شئ كثير ومما صح من أمثاله على ما رواه ابن دريد عن أبي حاتم قوله يابني تميم لا يفوتكم وعظي ان فاتكم الدهر بي يابني تميم ان مصارع الالباب تحت ظلال الطمع ومن سلك الجد أمن من العثار ولن يعدم الحسود أن يتعب فكره ولا يجاوز ضرره نفسه والسكوت عن الاحمق جوابه * ومن أمثاله أشبع جارك وأجع فارك يعني لا تدخر شيئا يأكله الفار أو يعني بالفار الفضل في الجسد أي

وهو مأخوذ من قول البحترى

لو أن مشتاقا تكلف فوق ما * فى وسعه لسعى اليك المنبر

ومن هذا المعنى أخذ المتنبى قوله

لو تعلم الشعرا التى قابلتها * مدت محبتها اليك الاعصنا

ولكن ديباجة البحترى أحسن وأمكن وأمتن قال ميمون بن هارون رأيت أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذرى المؤرخ يقول كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء فقال لست أقبل الا من قال مثل قول البحترى فى المتوكل لو أن مشتاقا اللبيت فرجعت الى دارى وصنعت بيتين وأتيته فقلت قلت فيك أحسن مما قال البحترى فقال هاته فأنشدته

ولو أن برد المصطفى اذ لبسته * يظن لظن البرد أنك صاحبه

وقال وقد أعطيته ولبسته * نعم هذه اعطافه ومناكبه

فقال ارجع الى منزلك وافعل ما آمرك به فرجعت فبعث لى بسبعة آلاف دينار وقال اذ هذه للحوادث بعدى ولك على الجراية والكفاية مادمت حيا وقال الطغرائى

انى لاذكركم وقد بلغ الظما * منى فاشرق بالزلال البارد

وأقول ليت أحبتى عاينتهم * قبل الممات ولو بيوم واحد

وقال أيضا

مرض النسيم وصح والداء الذى * أشكوه لا يرجى له افراق

وهذا خفوق البرق والقلب الذى * ضمت عليه جوانحى خفاق

وما أحسن قول ابن التعاويذى وأرقه

ارحم ضنى جسد اودى السقام به * أتلفته فيك والنظر فى تلافيه

واسأل خيالك عن هم أكابده * ليلى الطويل وعن وجد أعانيه

تصرمت فيك أيامى وقصر عذالى وقلبى المعنى فى تماديه

وقال الطغرائى

تالله ما استحسنت من بعد فرقتكم * عينى سواكم ولا استمتعت بالنظر

ان كان فى الارض شئ غيركم حسنا * فان حبكمو غطى على بصرى

وقول أبى الطيب

يقضى على المرء فى أيام محنته * حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

هذا من قول عباس بن الاحنف فيما أظن

قالت وابنتها سرى فبحت به * قد كنت عندى محب السر فاستتر

ألست تبصر من حولى فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصرى

وما أحسن ما ضمنه مجير الدين محمد بن تميم وسيأتى

لما رحلتم بقلبى فى حمولكم * فظلت حيران بين الهم والفكر

سلطت دمعى على عينى وقبلكم * قد كنت أشفق من دمعى على بصرى

وقال الطغرائى

خبروها أنى مرضت فقالت * أضنى طارفا شكى أم تليدا

لا تسمن وجارك جائع * ومن امثاله أيضا لا تهرف بما لا تعرف * وسئل ما الحزم فقال سوء الظن بالناس وأقواله كثيرة وقلما عرف له نظم

(وانك راسلتنى مستهديا من صلاتى ما صفرت منه أيدى أمثالك)

(الصلة) قرب الشئ وبلوغه ويستعمل فى الاعيان والمعانى ومنه سميت العطية صلة وقيل فلان متصل بفلان اذا كانت بينهما نسبة أو مصاهرة والصلة ههنا تحتمل الوجهين اما المودة وتقوم مقام العطاء أو القرب ويقوم مقام الاتصال (وصفر) الاناء اذا خلا حتى يسمع له صفير لخلوه ثم صار متعارفا فى كل خال من الآنية وغيرها ويقال صفرت اليد اذا خلت وسمى خلو العروق من الغذاء صفرا وكانت العرب تزعم أن ذلك حية فى البطن تسمى الصفر حتى جاء فى الحديث لا صفر والمعنى انك تتعرض من صلاتى لما تخلو منه يد مرادك

(متصديا من خلتى لما قرعت دونه أنوف أشكالك)

(التصدى) المقابلة مأخوذ من مقابلة الصدى أى الصوت الراجع من الجبل (والخلة) المودة اما لانها تتخلل النفس أى تتوسطها

وأشاروا بان تعود وسادى * فابت وهى تشتهى ان تعودا
وأتتنى فى خيفة وهى تشكو * ألم الوجد والمزار البعيدا
و رأتنى كذا فلم تتمالك * ان أمالت على عطفا وجيدا

(قلت) هذه الابيات يرشفها السمع مداما ويفضلها السامع على العقود نظاما ويظن الناظر الفاظها غصونا والهمزات عليها حماما وما أحسن قول الاستاذ شمس الدين بن العفيف فى الزيارة

ومليح كالبدر زار بليل * فجلا حسنه الدجا اذ تجلى
مادرى منزلى ولكن قلبى * يلهب الجوى هداه وولى
وتجيب منه فقيه ذكى * جعل النزاع كيف استدلا

وفى قوله جعل النزاع مسامحة يسيرة تغتفر لما فيها من التورية وأما العيادة فيحسن فيها قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

مرضت لله قوم * مافيهم من جفانى
عادوا وعادوا وعادوا * على اختلاف المعانى

وقد أنشدتهما الجماعة من العصريين فلم يفسروا كيفية اختلاف المعانى فى عادوا بل الفاضل منهم يقول الاول من العيادة والثانى من العود قلت والثالث من قولهم اللهم عد علينا بفضلك ونقلت من خط السراج الوراق له أيضا

قال صديقى ولم يعدنى * وعارض السقم فى أثر
لقد تغيرت ياصديقى * ويعلم الله من تغير

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

ومسلولة فى الحب لما ان رأت * أثر السقام بعظمى المهتاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

والثانى بديع وفى الاول نظر من وجهين (وقال) ناصر الدين بن النقيب الفقيسى رحمه الله تعالى

سمعت بما تشكو وما أنت واجد * فظلت دموع العين فى الخد تسفح
واوصلت خطى فى العيادة نائبا * وما كل خط للزيارة يصلح

وقال الطغرائى فى البان

غصون الخلاف اكتست فانبرت * لها الطير دراسة شجوها
مقدمة لورود الربيع تشخص أبصارنا نحوها
أحست برحلة فصل الشتا * فخاءت وقد قلبت فروها

(قلت) لابد من المسامحة فى هذا الثالث وقد قلده الآخر فقال

قد أقبل الصيف وولى الشتا * وعن قليل نشتكى الحرا
اما ترى البان بأغصانه * قد قلب الفرو الى برا

وأسلم منهما قول القائل

أوما ترى البان الذى يزهو على * كل الغصون بقده المياس

فان الخال الفرجة بين الشفتين واما الفرط الحاجة اليها ويقال خالله محا الله فهو خليل وسمى الله تعالى نبيه ابراهيم خليلا لافتقاره الى ربه تعالى (والقرع) صوت ضرب شئ على شئ والمعنى انك تخطب من مودتى مالا يصلح له أمثالك واشكالك فدفعوا عنه وضربت أنوفهم دونه اما حقيقة أو مجاز الكون أنهم ردوا فحصل لهم من الهوان ما يحصل لمن يضرب أنفه وخص الانف بالضرب لانه محل الشمم والكبر مع ان المثل للعرب يخاطب به الخاطب الكفؤ فيقول هو الفحل لا يقرع أنفه والاصل فحل الابل اذا ضرب وجهه عن الناقة التى لا يريدون نتاجها منه وتمثل به أبو سفيان ابن حرب حين بلغه زواج النبى صلى الله عليه وسلم ابنته أم حبيبة فقال ذاك الفحل لا يقرع أنفه

*(مرسلا خليلتك مرتاده * مستعملا عشيقتك قواده)*

(خليلتك) صاحبة مودتك أو خليلتك زوجتك وفى كلا المعنيين ذم للرسل لان الخليلة أو الخليلة التى هى محل الغيرة على الرجل لا تغار على مثله حتى تمشى بينه وبين النساء (والمرتاد) طالب الكلا وسمى به الطالب مطلقا

وأصل الرود التردد فى طلب الشئ برفق وباعتبار الرفق قيل رادت المرأة فى مشيتها فهى رود (وقاد) الشئ فانقاد له أى خضع وقوّد شدد للكثرة واستعمل فيمن يجمع بين الشخصين حراما لانه أصعب للانقياد وكانت القوّادة فى العرب تكنى أم حكيم ولما قال ابن أبى ربيعة فى وصف القوّادة

فأتتها طيبة عارفة
تخلط الجد مرارا باللعب
تغلط القول اذا الانت لها
وتراخى عند ثوران الغضب

قال له ابن أبى عتيق يا ابن أخى ان الناس ليحتاجون الى خليفة مثل قوّادتك لسوسهم ومنه كان يقال فى المثل أقود من ظلمة قيل انها امرأة كانت تقول اذا مت فأحرقونى وتربوا برمادى الكتب المرسلة بين المتعاشقين فانهم يجتمعون وقيل انها الظلمة من الليل فانها تستر وتعين على الاجتماع وأنشد بعضهم

فالشمس نمامة والليل قوّاد

(كاذبا نفسك انك ستنزل عنها الى وتخلف بعدها على) يعنى انك وعدت نفسك أن تترك الاتصال بهذه المرأة التى هى خليلتك وتتعوض عنها بحصولى وهذا أمر لا يقع فأنت كاذب نفسك فى الوعد أو وعدت هذه المرأة انى

وقال

وانى بشير بالربيع وقربه * يختال فى السنجاب والبرطاس

وما أحلى قول محيى الدين بن قرناص

والبان مذ ولى الشتا * أقبل فى زى عجب
يخلع سنجابا من الـ * ـقر ويبدو فى غبب

قلت تشبيه البان بالسنجاب والبرطاس واقع فى موضعه (حكى) أن شهاب الدين أبا جلنك كتب ورقة الى بعض الحكام يسأله فيها شيئا فوقع له برطلين من خبز فتوجه الى بستان للعاكم وكتب على حائطه رحمه الله تعالى

لله بستان حللنا دوحه * فى جنة قد فتحت أبوابها
والبان تحسبه سنانير ارأت * قاضى القضاة فنفشت أذنابها

قيل ان الشيخ بدر الدين بن مالك املى عليهما كراسة فى البديع ولم أرها وقال الطغرائى فى الشمعة من ابيات

يحيى بما يفنى به من جسمه * نفسا له مرهونة بفنائه
ساويته فى لونه ونحوله * وفضلته فى بؤسه وشقائه
هب انه مثلى بحرقة قلبه * وسهاده طول الدجا وبكائه
أفوادع طول النهار مرفه * كمعذب بصباحه ومسائه

وما تركت قصيدة الارجانى الهمائية التى له فى الشمعة رأسا رفعه شاعر ولا بيتا فى غيرها يعد من البديع النادر بل أخذت بمجامع الحسن وفاقت على المتناول اللسن ولشهرتها لم أثبتها هنا وقال الطغرائى فيها أيضا من أبيات

أعدى اليه لظى فؤادى فالتقى * نارا تحدث عن لظى برحائه
أمعذب والنار فى عذابه * كمعذب والنار فى احشائه

وما أحلى قول مجير الدين محمد بن تميم وقد اجتاز ليلة بدار صاحب له ومعه شمعة وقد طفئت فأوقدها من داره ومن خطه نقلت

لما أزرتك شمعتى لتنيرها * جاءت تحدث عن سراجك بالعجب
وافته حاسرة فقبل رأسها * وأعادها نحوى بتاج من ذهب

وله فى مليح فى يده شمعة

عجبا له أنى يزور بشمعة * وضياؤه يثنى الظلام نهارا
واظنها لما تلهب قلبها * حسدا أسالت دمعها مدرارا
وغدت لفرط الغيظ تعطى كل من * وافى ليقطع رأسها دينارا

وما أحسن قول القائل

وباكية من غير حزن بأدمع * تذوب بها احشاؤها حين تهمل
دموع اذا اردت اليها بكت بها * ولم أر دمعا غيره مرد فى المقل

وقول الآخر

اذا مرضت طال منها الدلال * ومد المداوى اليها يدا
ويقطف من رأسها الجلنار * فيرجع اهليلجها اسودا

وقال الطغرائي من ابيات في الروض والنهر

يشقها في وسطها جدول * مياهه العذبة مثلوجه
له سواق طفحت والتوت * تلوّى الحيات مشجوجه
فهي رماح أشرعت نحوها * تطعنها سلكي ومخلوجه

(قلت) عجز البيت الثالث صدر بيت امرئ القيس وهو

تطعنهم سلكي ومخلوجة * كرّ الامين على بابل

السلكي الطعنة المستقيمة التي تكون حيال الوجه والمخلوجة التي تأتي عن اليمين وعن الشمال

وقال ابن حمديس الصقلي وأحسن

ومطرد الاجزاء تصقل متنه * صبا أعلنت للعين ما في ضميره
جريح بأطراف الحصا كلما جرى * عليه شكى أوجاعه بخريره
كأن حبابا ريع تحت جنابه * فاقبل يلقي نفسه في غديره

وقال الطغرائي يصف كوكب الرجم

وليل ترى الشهب منقضة * بها نحو مسترق سمعه
كمارد من ذهب مدة * على لازوردية الرقعه

وما أحسن قول بعضهم فيه

وكوكب أبصر العفريت مسترقا * للسمع فانقض يذكي اثره لهبه
كفارس حل من تيه عمامته * وجرها كلها من خلفه عذبه

وقال الطغرائي يصف الهلال والثريا

وترى الثريا والهلال مطاهرا * لمعتبر من حليه ومجعد
كالحب فضل في وشاح خريدة * حسناء تطلع في لثام أسود
فكأنه وكأنها في جنبه * عنقودة في زورق من عسجد

(قلت) وقول ابن طباطبا العلوي أحسن ما قيل في هذا الباب

أما والثريا والهلال جلتهما * لي الشمس اذ ودعت كرها نهارها
كأسماء اذ زارت عشاء وغادرت * دلالا لديناقرطها وسوارها

وتشبيه ابن المعتز أكمل من ثالث الطغرائي حيث قال

قد انقضت دولة الصيام وقد * بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفا غر شره * يفتح فاه لاكل عنقود

وقال ابن المعتز أيضا

زارني والدجا أحم الحواشي * والثريا في الغرب كالعنقود
وهلال السماء طوق عروس * بات يجلى على غلائل سود

وشبههما ابن قلاقس تشبيها حسنا فقال

يارب ليل أشتهي لباسه * قد عطر الوصل لنا أنفاسه
دع امرأ القيس ودع امراسه * فترى الهلال سرعة قد قاسه
منكسا نحو الثريا راسه * هل تعرف العرجون والكباسه

هي عندك بمنزلة نفسك في الوعد انك اذا ظفرت بي تركتها وأطلقت سراحها لرغبتها في البعد عنك فهي تسعى في هذا الامر سعي المجتهد وهذا أمر لا يتم فقد كذبتها فيما وعدت (والخلف) ما جاء بعد الشيء ومنه سمي الخليفة ويقال بالتحريك للمدح مثل خلف صالح وبالسكون للذم كجلد الاجرب

*(ولست بأول ذي همة
دعته لما ليس بالنائل)*

هذا البيت للمتنبي وحسن التمثيل به ههنا لمطابقة المعنى في طلب ما لا يوجد لا سيما ان كان التصحيف أريد بلام النائل فان ذلك في هذا الموضع يكون عجبا وكثيرا ما يعتمد أهل الظرف شبيه ذلك في مكاتباتهم * وحيث أفضى القول الى ذكر المتنبي فلا بأس بذكر نبذة من أخباره فاما أشعاره فقد ملأت الاقطار لكني أقتصر منها على ذكر القصيدة التي منها هذا البيت وكذلك اعتمد في كل ما يورد من شعره في هذه الرسالة وهو أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي ويكنى أبا الطيب ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلثمائة وقيل ان أباه كان يسمى عبدان وهو رجل يستقي الماء على جمل له بالكوفة ونشأ أبو الطيب

ولمحمد بن الخياط الدمشقي في تشبيه الهلال قريبا من كوكبين

لاح الهلال كما تعوج مرهفا * والكوكبان فأعجبا بل أطرفا
متتابعين تتابع الكعبين في * رمح أقيم الصدر منه وثقفا
فكأنه وقد استقاما فوقه * كف يخالف أكرتين تلقفا

ولآخر في تشبيهه مع الزهرة

أما رأيت الأفق لما غدا * هلاله ملتقم الزهره
كعاشق قبل معشوقة * فالتقمت من فمه دره

ولآخر في تشبيهه مع انقضاض النجوم

كأنما الليل والهلال وقد * وافت نجوم السماء منقضه
رام من الزنج قوسه ذهب * تندر منه بنادق الفضه

(أنشدني) من لفظه لنفسه الشهاب أبو الثناء محمود بدمشق سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة في تشبيه الثريا والهلال والدارة

كأن الثريا والهلال ودارة * حوته وقد زان الثريا التئامها
حباب طفا من حول زورق فضة * بكف فتاة طاف بالراح جامها

وقال الطغرائي في تقابل الشمس والقمر

وكأنما الشمس المنيرة اذ بدت * والبدر يخجل للغروب وما غرب
متحاربان لذا مجن صاغه * من فضة ولذا مجن من ذهب

(قلت) وقال الشريف دفتر خوان

تأمل اذا ما قابل البدر شمسه * صباحا وكل يملأ الأفق أنوارا
كأن الذي ألقى الى الغرب درهما * لحاجته ألقى الى الشرق دينارا

وقال الطغرائي في الهلال

قوموا الى لذاتكم يا ندام * وبهوا العود وصفوا المدام
هذا هلال الفطر قد جاءنا * بمنجل يحصد شهر الصيام

(قلت) وأحسن منه قول ابن المعتز

انظر الى حسن هلال بدا * يهتك من أنواره المحندسا
كمنجل قد صيغ من عسجد * يحصد من زهر الدجا نرجسا

ومن أحسن ما قيل في وصف الهلال قول علاء الدين النابلسي

هلال شوال ما زالت مطالعه * يرنو اليها الورى من شدة الفرح
كأصبعي كف ندمان أشار الى * ساق لطيف يروم الاخذ للقدح

وقول أبي الحسين الجزار

ان هلال الفطر لما بدا * مستحسنا في أعين الناس
وددت ان ألثمه عندما * راح يحاكي شفة الكاس

وقول ناصر الدين حسن بن النقيب

أعملت فكري في السماء وقد بدا * فيها هلال جسمه متهوك

شتغلا بالادب راغبا فيه مع فقره واحتياجه وكان من أذكى الناس وأسرعهم حفظا

(حكي) انه جلس يوما بالوراقين في أيام صباه فاستعرض من أحد الدلالين دفترا فيه أكثر من عشرين ورقة فأطال تأمله الى أن قال له الدلال ان كنت تريد شراءه فعجل الثمن وان كنت تريد حفظه فهذا يكون في شهر فقال ان كنت حفظته آخذه بغير ثمن قال نعم فشرع يسرده عليه حفظا الى أن أتمه ووضعه في كمه وانصرف ثم نظم الشعر واسترزق به وطاف البلاد وكان يقنع من الجائزة بأيسر شئ ثم نزل باللاذقية على معاذ بن اسمعيل فأكرمه وأحسن اليه وأقام عنده مدة ثم خرج الى بادية السماوة فنزل بقوم من بني عبس فتنبأ وعمل أسجاعا كثيرة وتبعه قوم منهم وكان سبب ذلك وقائع نادرة منها أن قوما قالوا له ان ههنا ناقة صعبة فان ركبتها علمنا انك مرسل فتحيل يوما الى أن ركبها فنفرت ساعة ثم سكنت ووردا الحي وهو راكبها ومنها انه كان مستخفيا فراح ليلة هو ورجل فنبح عليهما كلب فلما ذهبا قال للرجل انك ستجد الكلب ميتا اذا رجعت فوجده كذلك وقيل كان يعرف نوعا من

فكأنما هي شقة ممدودة * وكأنه من فوقها مكوك

وقلت أنا وفيه تشبيهان باستعارتين

حكى هلال الافق لما مضت * له ثلاث واعتلى واستنار
مرآة خد بعضها ظاهر * والبعض منها في غلاف العذار

وقد جمع بعض الافاضل في وصف الهلال ما يقارب السبعين وأنا أذكر الآن هنا ما يمكن من تشبيهه ولم أذكر الشاهد عليه خوفا من الاطالة فأقول المقدم على ذلك كله تشبيه القرآن العظيم بالعرجون وشبه بحاجب النوبي الشائب وبقلامة الظفر وبصلع ملقاة في فلاة وبالصدع في الزجاج وبالزورق وبحرف النون وبشفرة السكين وبالنؤى وبالسرج ويخلب الطائر وبناب الفيل وبالخلخال وبالسوار وبالدملج وبطوق عروس وبوقف من عاج وبالقوس وبلحية انتقيت وبأثر الظفر في نقاحة وبزبانى عقرب من فضة وبقبضى سرطان من ذهب وبراكع منحن وبخشكنانة وبعين المليحة وبقراضة دينار وبالفخ وبالمنجل وبطرف الصدغ وبالمكوك وبشفة الكاس وبوجه مسافر رفع العمامة عن جبينه وبجانب مرآة انكشف عنها الغلاف وبأكليل ملك وبأثر الحافر وبنعل الحافر وبالعذار الشائب وبالسنان المنعطف وبعطفة اللام وبصولجان وبطيلسان مقور وبنصف زردة وقد ذكرت الشواهد على هذه التشبيهات في مقتضب لي سميته بالتنبيه على التشبيه وقال الطغرائي رحمه الله

سأحجب عني أسرتي عند عسرتي * وأبرز فيهم ان أصبت ثراء
ولي أسوة بالبدر ينفق نوره * فيخفى الى أن يستجد ضياء

(قلت) أخذه من قول أبي بكر الخوارزمي

رأيتك ان أيسرت خيمت عندنا * لزاما وان أعسرت زرت لماما
فما أنت الا البدر ان قل نوره * أغب وان زاد الضياء أقاما

والاصل في هذا المعنى قول عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب حيث قال

اذا افتقرت نفسي قصرت افتقارها * عليها فلم يظهر لها أبدا فقري
وان ألتقى في الدهر مندوحة الغنى * يكن لا خلائي التوسع في العسر
فلا العسر يزري بي اذا هو نالني * ولا اليسر يوما ان ظفرت به فخري

على ان الخوارزمي أخذ المعنى من قول ابراهيم بن العباس الصولي في محمد بن عبد الملك الزيات

أسد ضار اذا ما نعته * وأب بر اذا ما قدرا
يعرف الأبعد ان أثرى ولا * يعرف الادنى اذا ما افتقرا

ولكن الخوارزمي أراد ان يضرب لهذه الحالة مثالا في الخارج فلم يجده الا في القمر فزاد ذلك حسنا وعكس الوراق الحضيري هذا المعنى أعني قول الطغرائي فقال

قد كان يجمع صحبه في فقره * فتفرقوا عنه لطول ثرائه
مثل الهلال ترى الكواكب حوله * فاذا استتم تغيبوا لضيائه

(الكلام فيما يتعلق بالقصيدة من العروض والقافية) العروض مؤنثة لانها مشتقة اما من الناحية والمراد بذلك الناحية التي قصدتها العرب قال الاخفش بن شهاب

الاسحر يسمى صدحة المطر وذلك ان الشخص يدير حوله بعصا ويذكر كلاما فيصرف عن موضعه المطر وذكر أن كثيرا من العرب باليمن من أهل حضرموت والسكون يعرفون هذه الصدحة حتى ان أحدهم يصدح عن ابله وبقره وعن القرية من القرى فلا يصيبها من المطر قطرة ومما يدل على ان المتنبي كان من السكون قوله

أمنسي السكون وحضرموتا
ووالدتي وكندة والسبيعا

مع انه كان يخفي نسبه فاذا سئل عنه قال أنا رجل أخبط القبائل ولا آمن أن يكون لاحد ثارق قبيلتي فيقتلني ثم ان بعض الولاة ظفر بالمتنبي وحبسه فتاب ورجع عما ادعاه من النبوة وقيل له يوما على من تنبأت قال على السفلة قيل ان لكل نبي معجزة فما معجزتك قال قولي

ومن تكد الدنيا على الحر أن يرى
عدوا له ما من صداقته بد

ثم تقلبت به الاحوال ووصل الى سيف الدولة علي بن حمدان بحلب فأقبل عليه ولحظته السعادة واشتهر ذكره في الآفاق ورزق من الحظ والنعمة والسعة ما لا مزيد عليه ثم اتفق بينه وبين ابن خالويه كلام بحضرة سيف

لكل اناس من معد عمارة * عروض اليها يلجؤن وجانب

واما من قولهم ناقة عروض أى صعبة والمراد بذلك انها يراض بها الصعب حتى يدخل الوزن وهذا أحسن من قول من قال مأخوذ من العرض لان الشعر يعرض على هذه الاوزان فما وافق كان صحيحا وما خالف كان سقيما اذ الصحيح انه معروض عليه اللهم الا أن يقال مفعول بمعنى فعول وليس بشئ وعلى هذا تكون العروض مذكرة واما من العروض أى الطريق التى فى الجبل والمراد الطريقة المسلوكة التى تسلكها العرب وقيل لما شبهوا البيت من الشعر ببيت من الشعر شبهوا العروض التى تقيم وزنه بالعروض وهى الخشبة المعترضة فى سقف البيت كما شبهوا الاسباب بالاسباب والاوتاد بالاوتاد والفواصل بالفواصل والعروض اسم لآخر الجزء الذى هو نصف البيت الاول وانما سمى عروضا لكثرة دوره كما سمى علم المواريث فرائض لكثرة قولهم فرض الزوج كذا فرض الام كذا وأما حد علم العروض اصطلاحا فانه علم بمعرفة أوزان شعر العرب وقال الجاحظ العروض ميزان الشعر ومعياره وبه يعرف الصحيح من السقيم والمعتل من السليم وعليه مدار القريض من الشعر وبه يسلم من الاود والكسر (قلت) هذا أليق بالوصف من الحد وقال الجوهرى العروض ميزان الشعر وهى ترجمة عن ذوق الطباع السليمة وقال على بن عبد الرحمن علم يدرك به معرفة ما تعتقده العرب من كلامهم شعرا وأقول انا العروض آلة قانونية تعصم مراعاتها الانسان عن ان يضل فى وزن شعر العرب وهذا الاحتراز الاخير أتيت به لان اللغة اليونانية فيها شعر ولهذا تسمعهم يقولون سولون الشاعر وقال أرسطوحكيم اليونان و خطيبهم وشاعرهم وليس الشعر عندهم ما يكون ذا وزن وقافية ولا ذلك ركن فيه بل الركن فى ذلك ايراد المقدمات المخيلة فحسب فان كانت المقدمة التى ترد فى القياس الشعرى مخيلة فقط تمحض القياس شعريا وان انضم الى المقدمة قول اقناعى تركبت المقدمة من معنيين شعرى واقناعى قال أرباب المنطق القياس الشعرى قول مؤلف من مقدمات مخيلة تؤثر فى النفس تأثيرا عجيبا من قبض أو بسط كقول القائل مح البيضة عذرة والخمر ياقوت سيال فالاول يؤثر فى النفس انقباضا والثانى انبساطا (وذكر) لى العالم العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى ان الشعر اليونانى له وزن مخصوص ولليونان عروض لبحور الشعر والتفاعيل عندهم تسمى الايدى والارجل قال ولا يبعد ان يكون وصل الى الخليل بن أحمد شئ من ذلك فأعانه على ابراز العروض الى الوجود انتهى والحاجة ماسة وداعية الى معرفة الوزن وما يجوز من الزحاف فى كل بحر وما لا يجوز فقد وقع فى ذلك جماعة من كبار العرب كامرئ القيس ومهلهل وعلقمة بن عبدة وعبيد بن الابرص وغيرهم وجماعة من كبار المحدثين كابى العتاهية والبحترى وأبى الطيب وحسبك بوقوع مثل هؤلاء الفحول فى الخروج عن الوزن واذا اتفق مثل هذا لمثل هؤلاء فما الظن بغيرهم وقال قوم لا حاجة الى العروض لان كل من نظم بالعروض شق ذلك عليه وأتى به متكلفا ولا يتأتى له وزن البيت الواحد بل الكلمة الواحدة يدخلها الوزن وينظر فى حركاتها وسكناتها وهل هى من سببين وفاصلة صغرى أولا الى غير ذلك من التفصيل الا بعد مكابدة مشقة عظيمة والى أن ينظم الناظم بالعروض بيتا نظم صاحب الطبع السليم قصيدة وما أحسن قول أبى فراس ابن حمدان

الدولة فضربه ابن خالويه بمفتاح فخرج غضبان ورحل الى مصر فاتصل بتوليها كافور الاخشيدى فطمع منه بالولايات فلم يتهيأ له ذلك ورحل فى البرية الى العراق فاقام بها أياما وسئل عن ذلك فقال ان بنى حمدان كدروا خاطرى فجئت أريحه ويقال ان هذا من الكلام الموجه فى مدح الجهتين وذمهما ثم رحل الى العجم فمدح عضد الدولة وابن العميد وكسب أموالا جزيلة ورجع فقتل فى الطريق سنة أربع وخمسين وثلثمائة وكان رحمه الله قد انفرد بخصال منها الكبر الزائد كما ذكره الحاتمى وغيره وكما أحوجه الى فراق سيف الدولة * ومنها البخل حتى حكى انه أجيز على قصيدة بعشرة آلاف درهم فوزنها ووضعها فى كيس وختمه ورفعه الى صندوق فى خزانته ثم رجع الى مجلسه فوجد بين الحصير قطعة تكون مقدار ربع درهم فعالجها بأطافيره وهو ينشد قول ابن الحطيم

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة
بدا حاجب منها وضنت بحاجب

الى أن أخذها فأعاد الكيس ووضعها فيه بحضرة جماعة يعرف أنهم يذمونه بذلك * ومنها اقبال الناس على

تناهض

تناهض الناس للمعالى * لما رأوا نحوها نهوضى
تكلفوا المكرمات كدًا * تكلف النظم بالعروض

وقول ابن حجاج

مستفعلن فاعلن فعول * مسائل كلها فضول
قد كان شعر الورى صحيحا * من قبل أن يخلق الخليل

(قلت) هذا الوزن يعرف بمخلع البسيط ولا بد للباغى من مصرع فان ابن الحجاج بغى على الخليل فاورده بغيه مصرعا فظيعا وأوقعه الله فى زحاف هذا الوزن بعينه لانه قال أول قصيدته البائية

النيل عندى أحلى وأطيب * من عنب أصفر مزيب

فان وزنه مستفعلن فاعلن فعولن فهو كما ترى غير فاعلن بفعولن فزاد سببا خفيفا فى قوله عندى أحلى وقال ابن نقادة يهجو

أعبد من سمالك انسا كاذب * ما للوحاشة عن خلالك معدل
وأقمت ميزان العروض وقد غدا * تقطيع كاملها بوصفك يكمل
مستصفع مستقود مستجهل * مستحمق مستبرد مستثقل
مستفعلن مستفعلن مستفعلن * مستفعلن مستفعلن مستفعل

ولقائل ان يورد على العروض ما أورد على المنطق وعلم المعانى فيقول ان كان هذا العلم من النظريات فليستغن عن تعلمه والا افتقر الى علم آخر ودار أو تسلسل ولان اصابة الانسان فى الاتيان بما ينظمه من بحور الشعر على اختلاف أوزانها من غير مراعاة هذا العلم تنفى الحاجة اليه وقال الجاحظ العروض علم مستبرد ومذهب مرفوض وكلام مجهول يستكد العقول بمستفعلن ومفعول من غير فائدة ولا محصول (يحكى) ان أبا جعفر أحمد بن النحاس المصرى النحوى كان جالسا على درج المقياس فى سنة لم يزد فيها النيل والناس من أمره فى شدة وهو اذ ذاك يقطع فى بيت شعر فمر به اثنان فسمعاه يتكلم بكلام غير معقول المعنى فتوهما فيه انه سحر النيل فدفعاه الى البحر فغرق (ويحكى) ان بعض الاكابر مر بامرأة من بعض احياء العرب فقال لها ممن المرأة قالت من بنى فلان فأراد العبث بها فقال لها أتكتنون فقالت نعم فتكتنى فقال لها معاذ الله ولو فعلته لاغتسلت فاجابته على الفور وقالت له دع ذا أتعرف العروض قال نعم قالت قطع لى قول الشاعر

حولوا عنا كنيستكم * يا بنى حالة الحطب

فلما أخذ يقطعه وقال حولوا عن ناكنى فقالت من هو فتعجب وقال الله أكبر ان للباغى مصرعا وقد روى صاحب العقد وغيره هذه الحكاية واختلفوا فيها وزادوها بيتا آخر والذى اعتقده انها موضوعة وعلى الجملة فلا باس بمعرفة ما أمكن من العروض وأحسن ما فيه معرفة فلك الدوائر ومعرفة ذلك يعرف قدر واضعه الذى استنبطه فانه كان ذا ذهن متوقد وعقل صحيح وفطرة سليمة قيل انه قال أريد ان أضع قاعدة فى الحساب اذا توجهت الجارية بها الى البقال ومعها درهم لا يكاد يظلمها فى فلس واحد ثم أخذ يفكر فيها وهو فى المسجد ذاهبا وراجعا فبيناهو مشغول عن نفسه لطمته السارية فمات منها (ومن فوائد) علم العروض فصل

شعره واشتغالهم به حتى ترك شعر غيره ووضع لشعره أكثر من أربعين تصنيفا وكان اذا سئل عن معنى من قوله قال اذهبوا الى ابن جنى فانه يقول لكم ما أردته ومالا أردته

* ومنها معرفته بلغة العرب وحوشيها حتى حكى أن أبا على الفارسى الداريني قال له يوما كم لنا من الجموع على وزن فعلى فقال عجلى وظربى قال أبو على فطالعت الكتب ثلاث ليال على انى أجد لهذين الجمعين ثالثا فلم أجده وكان يرمى بفساد عقيدته استخرج ذلك من شعره مثل قوله على مذهب السوفسطائية

هون على بصر ما شق منظره * فانما يقظات العين كالحلم

وقوله على مذهب القائلين بالنفس الناطقة

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم
الا على شجب والخلف فى الشجب

فقيل تسلم نفس المرء باقية
وقيل تشرك جسم المرء فى العطب

وقوله على مذهب الهوائية وأصحاب القضاء

تبخل أيدينا بأرواحنا
على زمان هن من كسبه

وهذه الارواح مرجوة
وهذه الاجسام من تربه

وغير ذلك من المكفرات

ظاهر المحتج فيها باطنا وعلى الجملة فكان كثير المحاسن والمحامد وله أشعار لم تدخل فى ديوانه مثل قوله

وتركت مدحى ناصبى تعمدا
اذ كان نورا مستطيلا شاملا
واذا استطال الشئ قام بنفسه
وصفات نور الشمس تذهب بالطلا

وهو شئ بنفسه ويروى له أيضا نثر لطيف مثل قوله وقد مرض بمصر فعاده بعض أصحابه مرارا ثم انقطع عنه بعد ما شفى وصلتنى وصلك الله معتلا وهجرتنى بليلا فان رأيت أن لا تحجب العلة التى ولا تكدر الصحة على فعلت ان شاء الله تعالى فاما القصيدة التى منها البيت المذكور بسببه فانه يمدح بها سيف الدولة بن حمدان ويذكر فيها خلاص بعض أقاربه من الاسر وهزيمة بعض الخوارج عليه أولها

الام طماعية العاذل
ولا رأى فى الحب للعاقل
يراد من القلب نسيانكم
وتأبى الطباع على الناقل
وانى لاعشق من عشقكم
نحولى وكل امرئ ناحل
ولو زلتم ثم لم أبككم
بكيت على حبى الزائل

يعنى انى أحب الحب لاجلكم أو انى ألفته لطول صحبته فلو زال بكيته

القضية فما يتنازع فيه هل هو شعر عربى أم لا وقد رأيت للشيخ جمال الدين بن واصل كلاما على قول البهاء زهير

يا من لعبت به شمول * ما ألطف هذه الشمائل

الابيات فقال فيها انها غير داخلة فى بحر العروض وتابعه جماعة والصحيح أنها من بحر الوافر الا أنه دخل فيه العقص وهو اجتماع الخرم بالراء والعصب فيخلفه مفعول بتحريك اللام وشاهده

لولا ملك رؤف رحيم * تداركنى برحمته هلكت

تقطيع بيت البهاء زهير وتفعيله

يا من لـ عبت به شـمول * ما ألطاف هـذه الشمائـل
مفـعول مفاعلن فعولن * مفـعول مفاعلن فعولن

ورأيت قصيدة أولها لابى الحسين الجزار مطلعها

يا عاذلى هجر المحبوب أو وصلا * أنا الذى لا أرى فى حبه بدلا

هذا البيت من البسيط ويخرج منه وزن آخر من المديد وهو

هجر المحبوب أو وصلا * لا أرى فى حبه بدلا

وأما عروض قصيدة الطغرائى هذه فانها من الضرب الاول من البسيط والبسيط نفسه مركب من مستفعلن فاعلن أربع مرات وعروضه الاولى مخبونة والضرب مثلها ولم يأت عن العرب سالما لا العروض ولا الضرب ولا يحسن ذوقهما فى السمع الامزاحفين وهو أمر غير معقول المعنى والحين هو حذف الثانى الساكن فيرجع مستفعلن الى مفاعلن وفاعلن الى فعلن وانما سمى البسيط بسيطا لانبساط السببين على الوتد فى أول جزءيه وهو مستفعلن لانها مركبة من سببين خفيفين ووتد مجموع وقيل لانه بسطت أسبابه من أسباب الطويل لانه فك منه فان عجلن مفاعيلن ومستفعلن وقيل لانه كانت عروضه فاعلن وضربه كذلك فصارا فعلن فانبسطت الحركات فى قاعدتيه لان الالف كانت فاصلة ومانعة من انبساط الاولى الى الثانية فهو فعيل بمعنى مفعول وهذا أحسن ما علل به والبيت مقفى لانه فى العروض بحرف الروى وهو اللام استحجالا لبيان القافية للسامع ثم فى التقفية لم يلتزم ذلك وليس بمصرع لان من شرط التصريع تغيير العروض عن زنتها الى زنة الضرب وههنا لم يتغير للعروض وزن والتصريع أخص من التقفية لان كل مصرع مقفى من غير عكس (ذكرت) هذا الغز أنشدنيه بعض الاصحاب لشمس الدين بن الصائغ الحنفى

يا عروضيا له فطن * بحرها بالفكر يضطرب
ايما اسم وضعه وتد * وهوان صحفته سبب
ويرى فى الوزن فاصلة * ساكن تحريكه عجب

وهذا الغز ظاهره مشكل اذ الوتد غير السبب والسبب غير الفاصلة عند العروضى واللغز هو فى جبل وأراد بالوتد قوله تعالى والجبال أوتادا وهو فى تصحيفه جبل وهو السبب لغة ووزنه فاصلة صغرى لان جبلا ثلاثة أحرف متحركة بعدها ساكن وقد جمع مثال السببين والوتد بين والفاصلتين فى قول القائل لم أر على ظهر جبل سمكة ونقلت من خط السراج الوراق له

أنا الذى مرضت شهرا كاملا * فما رأيت عائدا ولا صله
لولا الوزير الصاحب البدر الذى * نعماه لى مع الزمان واصله
شارف قلاعا وندى وخاف قنا * عاسبى فقلت هذى الفاصله

ومن شعره أيضا

قالت جمعت لفاقة كسلا * فانهض وقم واد أب لهم العائله
فأجبت هل قدرين لى سببا * قالت ولا وتداوهذى الفاصله

ونقلت من خطه أيضا له

مالى ونظم الشعر بانت صبوتى * والناس قد رغبوا عن الآداب
أأقوله عبثا بلا سبب له * والشعر مبنى على الأسباب

أنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباته

من منصفى من أناس * فيهم تحير ذهنى
لا درهم ما وزنوه * وحاولوا الشعر منى
وهل سمعتم بشعر * يأتى على غير وزن

وما أحسن قول الغزى

قالوا هجرت الشعر قلت لهم نعم * باب الدواعى والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب أنه لا يشترى * ويخان فيه مع الكساد ويسرق

والبسيط من الدائرة الاولى وهى دائرة المختلف وانما سميت بذلك لاختلاف أجزائها وهذه الدائرة تجمع ثلاثة أبحر وهى الطويل والمديد والبسيط أنشدنى بعض الاصحاب لغزا حسنا وهو

يا أيها الحبر الذى * علم العروض به امتزج
أبن لنا دائرة * فيها بسيط وهزج

ثم قال ان العالم العلامة نجم الدين أبا الحسين على بن داود القيصرى أنشده لبعض الطلبة فى حلقته فتفكر ساعة طويلة ثم قال هذا فى الساقية فقال له الشيخ أصبت الا انك درت فيها زمانا طويلا حتى وقفت على المقصود (قلت) وهذا من الشيخ أحسن من فك اللغز فانه ظرف فى التدبير واللغز ظاهره مشكل لانه ليس فى دوائر العروض ما يجمع البسيط والهزج لان البسيط من دائرة المختلف والهزج من المجتلب وأوهم بالبسيط وهو يريد الماء لانه أحد البسائط وأوهم بالهزج وهو يريد الصوت الذى المسموع من الساقية حال الدوران ومن أبيات المعاياة فى العروض قول الشاعر

يا أيها القوم برتنى الخطوب * وخيال اذا رجعت ومايؤوب

فانه يخرج من ثلاثة أبحر الاول من الضرب الثالث من الطويل الا ان أول النصف الاول مخروم بالراء المهملة أى ناقص حرفا وأول النصف الثانى محزوم بالزاى المعجمة أى زائد حرفا والثانى من الضرب الاول من المديد الا انه محزوم الاول بالزاى أى زائد حرفين ومحزوم أول النصف الثانى بزيادة أربعة أحرف والثالث من الضرب الاول من السريع وذلك اذا سكنت الباء وجعلت القافية مردوفة لكن فى أول النصف الثانى حزم بزيادة حرفين ويمكن عليه

كأن الجفون على مقلتى
شباب شققن على ثاكل
ولو كنت فى أسر غير الهوى
ضمنت ضمان أبى وائل

يعنى لو أسرنى غير الهوى لخلصت منه كما خلص أبو وائل وهو قريب سيف الدولة وكان مأسورا فى بنى كليب عند الخارجى الذى خرج بهم على سيف الدولة وكان أبو وائل قد ضمن له فداء نفسه بذهب وخيل واستدعى سيف الدولة سراً فخرج ومزبهم واستنقذه بغير فداء فذكر أبو الطيب صورة الحال

فدى نفسه بضمان النضار
وأعطى صدور القنا الذابل
ومناهم الخيل مجنوبة
فجئن بكل فتى باسل

فكان خلاص أبى وائل
معاودة القمر الآفل
دعا فسمعت وكم ساكت
على البعد عندك كالقائل

(ومنها)

وجيش أمام على ناقة
صحيح الامامة فى الباطل
فأقبلن يخزن قدامه
نوافر كالنحل والعاسل

فلما بدون لاصحابه
رأت أسدها أكلة الآكل
بضرب يعمهم جائر
له فيهم قسمة العادل

يعنى بالجور افراطه فى قتلهم وبالعدل ثلاثة أوجه أحدها أنهم مستحقون لذلك لخروجهم

أن يخرج أيضا من الضرب الثانى من المديد وتقطيع البيت

أصالة الـ رأى صا ئنى عن الـ خطل * وحلية الـ فضل زا ئنى لدى الـ عطل

مفاعلن فاعلن مستفعلن فعلن * مفاعلن فاعلن مستفعلن فعلن

وأما القافية فانها من المتراكب وأقول القافية لغة تطلق على القصيدة قالت الخنساء

وقافية مثل حد السنا * ن تبقى ويذهب من قالها

واشتقاقها من قفوت أثره اذا تتبعته كأن الشاعر يتتبع الكلام التى تناسب ما بنى قصيدته عليه فحينئذ تكون فاعلة بمعنى مفعولة أى مقفوة كقوله تعالى عيشة راضية أى مرضية وقوله من ماء دافق أى مدفوق أو كأن كل قافية تقفو صدر البيت الاول وما أحسن قول أبى تمام الطائى

وتقفو لى الجدوى بجدوى وانما * بروقك بيت الشعر حين يصرع

والقافية اصطلاحا اختلفوا فيها اختلافا كثيرا وأصح الاقوال ما ذهب اليه الخليل بن أحمد من انها من آخر حرف فى البيت الى أول ساكن يليه مع حركة الحرف الذى قبله لانك ترى هذا القول منتظما بجميع العوارض فى القافية من حروف وحركات تراعى أحكامها ومتى اختل شئ مما شرطه فقدت القافية وانما أنثوا القافية مع كون الحرف أو الروى مذكرا لان حروف المعجم كلها مؤنثة تقول هذه ألف مستقيمة وجيم حسنة والمتراكب من القوافى ما كان فى آخر البيت فاصلة صغرى وهى ثلاث حركات بعدها ساكن وكذلك الخطل الخاء والطاء واللام متحركات والياء ساكنة وسمى هذا النوع متراكبا لتراكب حركاته وهو دون المتكاوس لان التكاوس هو الاضطراب والمتكاوس اربع متحركات والاضطراب أشد من التراكب فالروى فى هذه القصيدة هو اللام لانها الحرف الذى بنيت القصيدة عليه والروى فى اللغة هو الجمع والاتصال والضم ومن ذلك الرواء وهو الجبل الذى يشد به المتاع والاحمال قال الراجز

انى اذا ما القوم كانوا انجيه * واضطرب القوم اضطراب الارشيه

وشد فوق بعضهم بالارويه * هنالك توصينى ولا توصى بيه

وقيل للماء الكثير روى لاجتماع الناس اليه فكأن هذا الحرف يربط القصيدة ويجمعها والياء التى بعد اللام فى القصيدة هى الوصل وسمى الوصل بذلك لانه وصل حركة المجرى وهى حركة الروى قلت قول الشاعر

يوشك من فر من منيته * فى بعض غراته يوافقها

هذه القافية وأمثالها نهاية ما يمكن أن يجتمع فى قافية وذلك لانه اجتمع فيها خمسة أحرف وهى التأسيس والدخيل والروى والصلة والخروج وكل واحد من هذه يلزم تكراره الا الدخيل واجتمع قبله أربع حركات وهى الرس والاشباع والاطلاق والنفاد فهذه تسعة أشياء اجتمعت فى قافية واحدة كما ترى فالالف فى الكلمة تأسيس وحركة الواو التى قبلها رس والفاء دخيل وحركتها اشباع والقاف روى وحركتها اطلاق ومجرى ان شئت والهاء صلة وحركتها نفاد والالف خروج (ذكرت هنا) ما كتب به بعض أدباء الاندلس الى الفقيه أبى عبد الله المازرى بالمهدية وهو

وما عالج القوافى رجال * تلتوى تارة لهم وتلين

والثانى انه وقع ذلك لمن بالغ منهم فى القتال والثالث أن الضربة كانت تقسم الفارس نصفين

ينصل يخضب منها اللحى
قنى لا يعيد على الناصل
قال ابن وكيع يعنى أن كل
خضاب ينصل الاخضاب
هذه القتلى الذى هو الدم فانه
لا ينصل فيعيده لانهم فارقوا
الحياة وما ينصل غير خضاب
اللحى وقال بعضهم وهو وجه
بعيد الناصل المضروب بالنصل
وهو فاعل بمعنى مفعول
كقولك ناقة ضارب وعيشة
راضية يريد أنها اذا ضرب
انسانا بالنصل لم يبق فيه ما
يحتاج الى اعادة ضربه
خذوا ما أتاكم به واعذروا
فان الغنيمة فى العاجل
يعنى أن هذا بدل الفداء يتهكم
بهم
وان كان أعجبكم عامكم
فعودوا الى حص فى قابل
فان الحسام المخضب الذى
قتلتم به فى يد القاتل

(ومنها)

تركت جماجمهم فى النقا
وما ينحصلن للناخل

(ومنها)

وعدت الى حلب ظافرا
كعود الحلى الى العاطل

(ومنها)

وكم لك من خبر شائع
له شبه الابلق الجائل

طاوعتهم عين وعين وعين * وعصتهم نون ونون ونون

فأبن لى ما طاوعهم وما عصاهم فأجاب طاوعهم العجمة والعى والعجز وعصاهم اللسان والجنان والبيان قلت ما أجاب بشئ ومال عن الجد الى الهزل وما ناسب بين الاول والثانى وكان ينبغى أن يقول عوض الثلاثة الاخيرة التى ذكرها النحو والنقل والنظم أو يقول طاوعهم الهلع والجزع والطبع وعصاهم اللسان والجنان والبيان لتكون أوائل الكلمات من القسمين متناسبة وكذلك الاواخر منهما ومثل هذا الجواب ما حكاه ضياء الدين بن الاثير فى المثل السائر بعد ما ساق لغز الخلخالى وهو

ومضروب بلا جرم * مليح اللون معشوق
له شكل الهلال على * مليح القد معشوق
وأكثر ما يرى أبدا * على الامشاط فى السوق

قال وبلغنى أن بعض الناس سمع هذه الابيات فقال دخلت السوق فلم أر على الامشاط شيأ انتهى قلت ولو قال دخلت فلم أر على الامشاط فى السوق غير الكتان لكان أغرب وقد أوهم بالامشاط التى يرجل بها الشعر وهو يريد أمشاط الاقدام والسوق جمع ساق ومما اتفق لى نظمه فى الخلخال

أيا عجبا من صابر صامت ولم * يفه بكلام قط فى ساعة الضرب
أقام ولم يبرح مكانا نوى به * على أنه أضحى يدور على الكعب

واتفق لى فيه أيضا

ما أصفر دار على أبيض * لان ولكن قلبه قاسى
ورب ساق غص منه وما * أحسن هذا الوصف فى الناس

(وأما الجواب) عن البيتين المتقدمين فى ذكر القوافى فهو ما وقفت عليه بالقاهرة المعزية بخط الفقيه كمال الدين أبى العباس أحمد بن سليمان بن ابراهيم الطوخى الشافعى صهر الشيخ جمال الدين أبى عمرو بن الحاجب وصورته أنشدنى الشيخ جمال الدين بن الحاجب ما ذكره بعض أصحاب التاريخ فى المعميات وذكر البيتين ثم قال كتب هذان البيتان الى حاذق باخراج المعميات فاقام ستة أشهر ينظر فيهما الى أن كشفهما ثم حلف بأيمان مغلظة انه لا ينظر فى معمى أبدا ولم يذكر تفسيرهما أصلا قال الشيخ جمال الدين فاضربت عن النظر فيهما لما تبين من عسرهما من سياق الحكاية ثم بعد أربعين سنة خطر الى بالليل فافكرت فيهما فظهر لى أمرهما وانه انما أراد بقوله طاوعتهم عين وعين وعين يعنى نحو يد وغدود لانها عينات مطاوعة فى القوافى مرفوعة كانت أو منصوبة أو مجرورة وكل واحد منها آخره عين الكلمة لان وزن غدفع ووزن يدفع ووزن ددفع وأراد بقوله وعصتهم نون ونون ونون الحوت لانه يسمى نونا والدواة لانها تسمى نونا والنون أحد حروف الهجاء وكلها نونات غير مطاوعة فى القوافى اذ لا يلتئم كل واحد منها مع الآخر ثم انه نظم فى ذلك بيتين وسبك الجواب فيهما على الوزن والقافية فقال

وغدمع يددهى حروف * طاوعت فى الروى وهى عيون
ودواة والحوت والنون نونا * ت عصتهم وأمرها مستبين

(ومنها)

فهنالك النصر معطيكه
وارضاه سعيك فى الاجل
فذى الدار أخون من مومس
واخدع من كفة الحابل
تفانى الرجال على حبها
ولا يحصلون على طائل

(ولا شك انها قلتك اذ لم تضن بك وملتك اذ لم تعز عليك) يعنى أبغضتك لانها لم تبخل بك على من تحبه دونها (والقلى) شدة البغض يقال قلاه يقليه ويقلوه فمن جعله من الواوى فهو من القلو أى الرمى يقال قلت الناقة برا كبها تقلوا وقلوت بالقاف فكأن القلو الذى يقذفه القلب من بغضه فلا يقبله ومن جعله من اليائى فمن قليت السويق وغيره على المقلاة وفى الحديث اخبر تقله والهاء للسكت (والضن) البخل بالشئ النفيس ولهذا قيل علق مضنة ومنه قوله تعالى وما هو على الغيب بضنين اى بخيل على ما يوحى اليه وقرئ بظنين أى متهم والامر كذلك على كل من المعنيين (فانها أعذرت فى السفارة لك وما قصرت فى النيابة عنك)

يعنى بلغت عذر الاجتهاد لك فى الصلة بينى وبينك يقال اعذر الانسان اذا أتى ما صار

به معذورا وأعذر من أنذر
(والسفارة) المشى فى الصلح وكانها كشفت ماغم من الحال بين المتباينين اى سفرت ومنه قيل السفر لانه يكشف الاخلاق والاصل من سفر الصبح اذا اضاء
(زاعمة أن المروءة لفظ أنت معناه) (المروءة) كمال المرء كما ان الرجولية كمال الرجل والانسانية تمام الانسان و (اللفظ) مستعار من لفظ الشئ من الفم اذا طرحه ولفظت الرحا الدقيق (والمعنى) نفس الكلام وسره وكانه ماخوذ من معاناة المرء اطلاعه على خفوى الكلام ولاهل البيان والمتكلمين فى تمثيل الالفاظ والمعانى فصول مستحسنة قال القرشى الهيلوف الالفاظ من امة الحس والمعانى من امة العقل والحس تابع للعقل والطبيعة وقال آخر مما حكاه ابن رشيق المعنى مثال واللفظ حذو والحذو يتبع المثال فيتغير بتغيره ويثبت بثباته وقال آخر اللفظ جسم والمعنى روح وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته فاذا سلم المعنى واختل اللفظ كان نقصا فى الكلام كما يعرض ليعض الاجسام من العور والعرج وما اشبه ذلك من

ثم قال ولا يشك عارف بالمعميات انه لم يرد سوى ذلك انتهى وعلى ذكر القافية فنقلت من خط السراج الوراق له

قلت صلنى فقد تقيدت فى الحب بأسر والاسر فى الحب ذل
قال يامن يجيد علم القوافى * لاتغالط ما للقيد وصل

وقال الاسعد بن مماتى يصف قصيدة مقيدة

تبكى قوافى الشعر لامية * بيضتها جهلا لاسودتها
لما علا وسواس ألفاظها * ظنتها جنت فقيدتها

(وقلت) أخاطب أمرد يسرق نظمى

ان كان لابد ولاى أن * يأخذ شعرى جملة كافيه
قافية البيت اطرح لفظها * وقم خذ الكل بلا قافيه

(وهذا أول القصيدة قال الطغرائى)

(أصالة الرأى صانتنى عن الخطل * وحلية الفضل زانتنى لدى العطل)

اللغة (أصالة) مصدر أصل الشئ أصالة مثل ضخم ضخامة ومجد أصيل ذو أصالة ورجل أصيل الرأى محكمه قال ابن الانبارى الاصيل القوى الذى له أصل (الرأى) مصدر رأى رأيا مهموز ويجمع على آراء وأرآء أيضا مقلوب منه والرأى هو التفكر فى مبادى الامور ونظر عواقبها وعلم ما تؤل اليه من الخطا والصواب وأصحاب الرأى عند الفقهاء هم أصحاب القياس والتاويل كاصحاب أبى حنيفة وأصحاب أبى الحسن الاشعرى وروى نوح الجامع انه سمع أبا حنيفة يقول ماجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وماجاء عن الصحابة اخترنا وما كان من غير ذلك فهم رجال ونحن رجال وقال يحيى القطان لا تكذب الله ما سمعنا أحسن من رأى أبى حنيفة وقد أخذنا أكثر أقواله وقال أبو يوسف قال أبو حنيفة علمنا هذا رأى وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاءنا باحسن منه قبلناه وقال ابن حزم جميع الحنفية مجمعون على ان مذهب أبى حنيفة أن ضعيف الحديث عنده أولى من الرأى قلت وقول أبى حنيفة يشبه قول الخليل بن أحمد حيث قال مثلى فى النحو كمثل رجل دخل دارا قد صح عنده حكمة بانيها فقال انما كان الايوان هنا لكذا والصفة هنا لكذا فان وافق نية البانى والا فقد أتى بما يقبله العقل والشافعى احتاط لمذهبه فقال اذا صح الحديث فهو مذهبى أو فاضربوا بمذهبى عرض الحائط وبهذا احتج الشيخ محيى الدين النووى وصح امتداد وقت المغرب الى غيبوبة الشفق قال أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطى

عذيرى من قوم يقولون كلما * طلبت دليلا هكذا قال مالك
وقد قاله ابن القاسم الثقة الذى * على قصده منهاج الهدى هو سالك
فان عدت قالوا هكذا قال أشهب * وقد كان لا تخفى عليه المسالك

(قال) الشافعى ما رأيت كاهل مصر اتخذوا الجهل علما لانهم سالوا ما لكا عن مسائل فقال لهم لا أعلمها فهم لا يتعلمونها ممن يعلمها الان ما لكا قال لا أعلمها وأصحاب الرأى والتاويل ضد أصحاب الظاهر كالحنابلة واتباع داود وابن حزم الظاهريين (أنشدنى) الحافظ المحدث الاديب فتح الدين محمد بن أبى عمرو محمد بن أبى بكر بن محمد بن سيد الناس اليعمرى بالقاهرة

المحروسة قال أنشدنى والدى قال أنشدنى الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرح اليمانى قال أنشدنى أبو الوليد سعد السعود بن أحمد بن هشام قال أنشدنى الحافظ أبو العباس أحمد ابن عبد الملك قال أنشدنا أبو أسامة يعقوب قال أنشدنى والدى الفقيه الحافظ أبو محمد ابن حزم لنفسه

من عذيرى من أناس جهلوا * ثم ظنوا انهم أهل النظر
ركبوا الرأى عنادا فغروا * فى ظلام تاه فيه من عبر
وطريق الرشد نهج مهيع * مثل ما أبصرت فى الافق القمر
وهو الاجماع والنص الذى * ليس الا فى كتاب أو أثر

ولابن حزم أيضا أبيات عينية فى هذه المادة أضربت عن اثباتها لطولها الا أنه ختمها بقوله

فخير الامور السالفات على الهدى * وشر الامور المحدثات البدائع

وقد بالغ فى الشناع حيث قال

ان كنت كاذبة الذى حدثتنى * فعليك اثم أبى حنيفة أو زفر
الواثبين على القياس تمردا * والراغبين عن التمسك بالاثر

واستطرد استطرادا قبيحا (وحاش لله) ليس أبو حنيفة وزفر ممن يقال فى حقهما مثل هذا وبين الظاهرية وأصحاب الرأى والتأويل خلاف شديد فى الوقف فى قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا فأصحاب التأويل قالوا الوقف عند قوله والراسخون فى العلم بناء على أن الواو عاطفة والظاهرية يقولون الوقف على الا الله والواو استئنافية وعلى هذا لا يعلم المتشابه الا الله (قال الامام فخر الدين) وعلى هذا قول ابن عباس وعائشة والحسن ومالك والكسائى والفراء ومن المعتزلة قول أبى على الجبائى وهو المختار عندنا والاول مروى عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس وأكثر المتكلمين وقد استدل الامام فى مفاتيح الغيب على ان الوقف الصحيح على قوله الا الله بستة أوجه ملخص الثانى منها ان الآية دلت على أن طالب التأويل مذموم لقوله تعالى فاما الذين فى قلوبهم زيغ الى آخره ولو كان التأويل جائزا لما ذمه الله والرابع منها ملخصه لو كانت الواو فى والراسخون عاطفة لصار قوله يقولون آمنا به ابتداء وهو بعيد عند ذوى الفصاحة بل كان الاولى أن يقول وهم يقولون آمنا به أو يقال ويقولون آمنا به (قلت) مذهب أبى الحسن الاشعرى اما أن يرد ظاهر القرآن بالتأويل الى ما يطابق العقل واما أن يمره على ظاهره ويسند العلم فيه الى الله من غير أن يحكم فيه بشئ ولا يعتقد فيه ما يقوله الحشوية فقد سئل ابن عباس عن قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم فقال علمه وهذا اشارة الى ان ذلك القول الاول مروى عن ابن عباس (صانتنى) تقول صنت الشئ صونا وصيانة وصيانا فهو مصون ولا يقال مصان وثوب مصون على النقص ومصوون على التمام قال الجوهرى ليس يأتى ثلاثى من بنات الواو بالتمام الا حرفان مسك مدووف وثوب مصوون فان هذين جاءا نادرين والكلام مدوف ومصون لثقل الضمة على الواو والياء اقوى على احتمالها منه فلهذا جاءا ما كان من بنات الياء بالتمام والنقصان نحو ثوب مخيط ومخيوط (الخطل) المنطق الفاسد المضطرب وقد خطل فى كلامه بالكسر خطلا أى أفحش وأذن خطلاء اذا كانت غير أن تذهب الروح وكذلك ان ضعف المعنى وأجيد لفظه كان للفظ من ذلك أوفر حظ كالذى يعرض للاجسام من المرض بعرض الارواح ولا تجد معنى يختل الا من جهة اللفظ وجرى فيه على غير الواجب قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم والارواح فان اختل المعنى كله وفسد بقى اللفظ موانا لا فائدة فيه وان كان حسن الطلاوة فى السمع كما ان الميت لا ينقص من شخصه شئ فى رأى العين الا انه ميت لا ينتفع به وكذلك ان اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصلح له معنى لانا لم نجد وحافى غير جسم البتة (والانسانية اسم أنث جسمه وهيولاه)

(الانسانية) تمام الانسان كما تقدم ومما عرب به أبو زرعة البغدادى من كلام ارسطاطاليس قصوله الانسانية أفق والانسان متحرك الى أفقه بالطبع دائر على مركزه الا أن يكون مخلوطا بالاخلاق بهيمية ومن رفع عصاه عن نفسه وسيب هواه فى مرعاه وكان لين العريكة لاتباع الشهوات الرديئة فقد خرج من أفقه وصار أذل من البهيمة لسوء ايثاره (والاسم) ما عرف به

مسترخية كالكلاب والغنم ورمح خطل أى مضطرب ومنه سمى الاخطل لخطل كان فى أذنيه (وحلية) الحلية للسيف وغيره جمعها حلى مثل كلية وكلى وحلية الرجل صفته وليست هى مرادة هنا وانما المراد بها هنا الزينة التى يتحلى بها الانسان من الفضائل (الفضل) خلاف النقص لغة والمراد به هنا ما ينطوى عليه الانسان من العلم والادب والتجارب والممارسة للامور والاشياء التى يفضل بها الانسان غيره والفاضل بخلاف الناقص كانه فى انسانيته زائد على الجاهل (زانتنى) الزينة ما يتزين به والزين ضد الشين (لدى) بمعنى عند (العطل) مصدر عطلت المرأة اذا خلا جيدها من القلائد فهى عطل (الاعراب) اصالة مبتدا مضاف الى ما بعده والمبتدا قال الشيخ بدر الدين بن مالك هو الاسم المجرد عن العوامل اللفظية غير الزائدة مخبرا عنه أو وصفا رافعا المكتفى به وقد اختلف فى رافعه فقيل الابتداء وهو جعلك الاسم أول الكلام وهذا أمر معنوى والعامل المعنوى لم يأت عن النحاة الا فى موضعين هذا والثانى وقوع الفعل المضارع موقع الاسم حتى أعرب وهذا قول سيبويه وأكثر البصريين وأضاف الاخفش اليهما موضعا ثالثا وهو عامل الصفة فذهب الى أن الاسم يرتفع لكونه صفة لمرفوع وينتصب لكونه صفة لمنصوب وينجر لكونه صفة لمجرور وكونه صفة فى هذه الاماكن معنى يعرف بالقلب وليس للفظ فيه حظ وما أحسن قول القائل

قالوا أحب حبيبا ما تأمله * فكيف حل به للسقم تأثير

فقلت قد يعمل المعنى لقوته * فى ظاهر اللفظ رفعا وهو مستور

(ملحة) اذا عجز الفقيه عن تعليل الحكم فى المسئلة قال هذا تعبد كما يعلل المالكى غسل الاناء سبعا من ولوغ الكلب لانه قائل بظهارته فاذا أورد عليه الحديث وهو طهور اناء أحدكم اذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبعا قال هذا شئ تعبدنا الله به والحديث رواه مالك فى الموطا عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا شرب الكلب فى اناء أحدكم فليغسله سبع مرات وفى حديث مسلم طهور اناء أحدكم اذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب وفى حديث آخر وعفروه الثامنة بالتراب وقال ابن حزم وروى ابن القاسم عن مالك أنه ان كان فى الاناء ماء أريق وغسل سبع مرات وان كان فيه لبن أو زيت أكل ذلك ثم لا يغسل الاناء سبعا ولا أقل ولا أكثر وروى ابن وهب عن مالك أنه قال يشرب الماء ويؤكل اللبن والزيت ثم يغسل الاناء سبع مرات قال وكلتا هاتين الروايتين مخالفة لما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صاحب اثارة العزم فى الرد على ابن حزم ان ابن حزم وأهل الظاهر فى معزل عن فقه هذه المسئلة وشبهها ولا شك أن هذه الاحاديث جاءت هكذا وقال الله تعالى فى الكلاب فكلوا مما أمسكن عليكم فهذه الاحاديث معارضة لعموم القرآن وعموم القرآن مقدم عند كثير من العلماء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم اذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله فكل مما أمسكن عليك قلت وان قتلن قال وان قتلن ولم يأمره بغسل الصيد ولو كان ريق الكلاب نجسا لامره بغسله ولم يؤخر البيان عن وقت الحاجة واذا عجز النحوى عن تعليل الحكم أيضا قال العامل هنا معنوى كما تقدم واذا عجز الحكيم عن التعليل فى شئ قال هذا بالخاصية كما اذا طلب منه علة جذب المغناطيس الحديد (رجع) وقيل رافع المبتدا التجرد عن العوامل وليس بشئ اذ العدم

الشئ وأصله من السمو وبه رفع ذكر المسمى فعرف وسيأتى ذكره عند الفصل بين الاسم والمسمى و(الجسم) يقال لكل ذى طول وعرض وعمق ولما لا يثبت له لون كالماء والهواء ولا تخرج أجزاء الجسم عن كونها أجزاء وان قطع وجزئ وهو أعم من الجسد لان الجسد لا يقال الا لما له لون (والهيولى) المادة المدبرة للصورة وهى أصل الشئ كالفضة فى الدرهم وكان ارسطاطاليس يسمى صاحب الهيولى وذلك أن مذهبه فى الدهر أن أصل العالم قديم غير انه لم يكن من طينة ولا كان شئ مما نسميه العرض وللحكماء فى تحقيقها كلام طويل لا يسع هذا المحل ذكره

(قاطعة انك انفردت بالجمال واستأثرت بالكمال واستعليت فى مراتب الجلال واستوليت على محاسن الخلال) (قطعت) الامر اذا فصلته عن الشك ومنه الدليل القطعى والقطع الفصل فيما يدرك بالابصار كالاجسام وفيما يدرك بالبصيرة كالامور العقلية (والكمال) حصول غايات الغرض فى الشئ محسوسا أو معقولا وقوله تعالى ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك

لايكون علة للوجود وفيه نظر وقيل رافعه الخبر وهو باطل لان الخبر متأخر عنه وضعا وقيل بل هما مترافعان وقيل الابتداء رافعهما وهو ضعيف لان المعنى ماله هذه القوة وقيل الابتداء رفع المبتدا والمبتدا رفع الخبر وهو أقرب الاقوال وقد استوفيت هذه المسئلة فى تعليقى على الحاجبية (الرأى) مجرور بالمضاف لا بالاضافة الى المبتدا (صانتنى) صان فعل ماض والتاء ضمير يرجع الى أصالة وهو فى موضع رفع لانه فاعل صان والنون الثانية نون الوقاية وهذه النون هى التى تقى الفعل من الكسر وما أحلى قول الامير أمين الدين أبى الحسن على بن عثمان السليمانى

أضيف الدجا معنى الى ليل شعره * فطال ولولا ذاك ماخص بالجر

وحاجته نون الوقاية ماوقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

والياء ضمير المتكلم وهى فى موضع نصب على أنها مفعول صان وهذه الجملة من الفعل والفاعل والمفعول فى موضع رفع على أنها خبر المبتدا وهو أصالة والاصل فى الخبر ان يكون مفردا وقد يكون جملة اسمية مثل زيد ابوه كريم وفعلية كما فى البيت (عن) حرف جر وتجىء للمجاوزة كما هنا اى تجاوزت بى عن الخطل وتجى بمعنى بعد كقوله تعالى لتركبن طبقا عن طبق وتجى بمعنى على كقول الشاعر

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب * عنى ولا أنت ديانى فتخزونى

(الخطل) مجرور بعن وسيأتى الكلام على الالف واللام فى قوله

و ينحرون كرام الخيل والابل * (وحلية) الواو تكون تارة للعطف كهذه وهى للتشريك فى الحكم بلا ترتيب فان الواو فى قوله تعالى واسجدى واركعى ما أفادت الترتيب وقيل لعل السجود كان قبل الركوع فى ذلك الزمان ثم نسخ وكذا قوله تعالى انى متوفيك ورافعك الى والصحيح ان المسيح عليه السلام ماتوفى بل رفعه الله اليه لان الخبر ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سينزل ويقتل الدجال وعلى هذا الترتيب فى الواو لكن قال ابن عباس ومحمد بن اسحاق متوفيك أى ممتك والمقصود لا يصل أعداؤك من اليهود الى قتلك ثم أكرمه الله تعالى بعد ذلك برفعه الى السماء واختلف فى مدة الوفاة فقال ابن وهب توفى ثلاث ساعات ثم رفع وأحيى وقال محمد بن اسحاق سبع ساعات ثم رفع وقال الربيع بن أنس نوم حال مارفعه واستشهد بقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية وقال أبو بكر الواسطى المراد انى متوفيك عن شهواتك وحظوظ نفسك ومنهم من قال التوفى أخذ الشئ وافيا والمعلوم ان من الناس من يخطر بباله ان الذى رفعه الله انما هو روحه ذكر ذلك ليدل على ان الله رفعه بجسده اليه ومنهم من قال كل من رفع وانقطع خبره واثره عن الارض كان كالمتوفى ومنهم من قال فى الكلام حذف مضاف تقديره متوفى عملك وهو جائز (رجع) وتارة تكون بمعنى رب وتارة للقسم وتارة تكون واو مع وتارة تكون واو الحال وتارة تكون ضمير الفاعلين فى مثل يقومون أو علامة الرفع فى مثل الزيدون وتارة تزاد فى رسوم الخط فى مثل عمرو فرقا بينه وبين عمر فاذا دخل تنوين النصب عمرا فلا دخول لها لان الفرق حاصل لكون عمر غير منصرف (حكى) أن بعضهم كان يكتب كتابا والى جانبه آخر فكتب عمرا بغير واو فقال له يا مولانا زدها واوا للفرق فقال له والله لقد تفضل مولانا بزيادة واو يعنى انه تفوضل وبعضهم

عشرة كاملة ليس للاعلام بأن الثلاثة والسبعة عشرة وانما اليمين أن يحصل صيام العشرة يحصل كمال الصوم القائم مقام الهدى (والخلال) جمع خلة وهى الطريقة الحسنة مأخوذ من الخلة وهى الطريق فى الرمل وقوله استعلت واستولت والجلال والخلال أنواع من الصناعات اللفظية من ترصيع وتجنيس ليس الغرض ذكرها

(حتى خيلت أن يوسف عليه السلام حاسنك فغضضت منه)

يعنى بارائك فى الحسن فأخجلته وأصل الغض النقصان فى الطرف ويستعار لما سواه وبدأ بذكر الحسن فيما سرده من تواريخ ذوى الاوصاف الشريفة لانه أول مايجب المرأة من الرجل ثم ذكر المال والهمم والعلوم ونحو ذلك * والمراد ههنا يوسف عليه السلام وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ذالك الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم وبه ضرب المثل فى الحسن ويستدل على حسنه بكتاب الله تعالى والحديث والآثار فمن الكتاب قوله عز وجل فى ذكر امرأة العزيز والنسوة اللاتى لمنها على حبه

(وأعتدت لهن متكأ) الى آخر الآية قال المفسرون المتكأ النمرق الذى يتكأ عليه وقيل المتكأ هو الطعام والاصل فيه ان من دعوته ليطعم عندك فقد أعددت له وسادة فسمى الطعام متكأ على الاستعارة وقيل متكأ طعاما يحتاج الى أن يقطع بالسكين لان الطعام اذا كان كذلك احتاج الانسان الى أن يتكئ عند القطع وقيل المتكأ الاترج وهو شاذ أنكره أبو عبيدة (وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه) قيل عظمنه ورأينه كبيرا عما فى أنفسهن وقيل حضن والهاء للسكت مثل انه بمعنى ان وهو قول شاذ ولا يعرف فى اللغة الاكبار بمعنى الحيض الا ان تكون الصغيرة بالحيض تدخل فى معنى الكبيرة ولانى الطب أن المرأة تحيض اذا رأت ما روعها الا أن تكون حاملا فيحصل لها اسقاما فتحيض والقول الاول من أن معنى الاكبار التعظيم أصح وأحسن (وقطعن أيديهن) كناية عن الدهش والحيرة اما أنها دهشت فكانت تقطع فى يديها وهى تظن أنها تقطع فى الفاكهة أو الطعام واما أنها تناولت السكين من موضع الفصل وهى تظن أنه من

يرى أن تزاد بعد لا النافية فى الجواب اذا قيل هل فعلت كذا فتقول لا وعافاك الله (يحكى) عن الصاحب بن عباد انه قال هذه الواو وههنا أحسن من واوات الاصداغ فى خدود الملاح قال ابن الجوزى جمال الدين أبو الفرج رحمه الله رويناعن عمر رضى الله عنه انه قال لرجل عرس هل كان كذا فقال لا أطال الله بقاءك فقال عمر رضى الله عنه قد علمتم فلم تتعلموا هلا قلت وأطال الله بقاءك وتارة تكون الواو واو الثمانية فى مثل قوله تعالى ثيبات وأبكارا وفى قوله تعالى الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وفى قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها أتى بالواو وههنا ولم يأت بها فى ذكر جهنم لان للنار سبعة أبواب وللجنة ثمانية وستأتى أسماء الجنة والنار فيما بعد ان شاء الله تعالى (وحكى) لى بعض الافاضل عن بعض الحكام فى المدن الكبار انه ألقى درسا فى هذه الآية الكريمة وقد قال فى حق أصحاب جهنم انهم لما جاؤها فتحت لهم أبوابها على التعقيب لان الفاء للتعقيب فلم يمهلوا للدخول بل أدخلوا على الفور وأما أهل الجنة فانهم لم يضطروا الى الدخول بل أمهلوا لانه قال وفتحت أبوابها (قلت) انظر الى هذه الغفلة فى الاولى والثانية كونه ظنها اولا خارجة عن الكلمة ولم تكن من اصلها ووجدها ثابتة فى الثانية فلم ينكرها ونقول هذه هى تلك الحمد لله واهب العقل اه وفى قوله تعالى ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ولعمرى ان هذا استقراء حسن وبعض المحققين منع هذا وقال انما تقع بين المتضادين لان الثيبات غير الابكار والآمرين ضد الناهين وقال فى قصة أهل الكهف انه أتى بالواو مع الثمانية لان القول الثالث أقرب الى الحق أو هو الحق لانه قال فى القولين الاولين رجما بالغيب وفى الثالث قال تعالى قل ربى أعلم بعدتهم وقال فى قصة أهل الجنة وأثبت الواو لان أبواب جهنم لا تفتح الا عند دخول أهلها زيادة فى الضيق على من بها وأما أبواب الجنة فانها تفتح لاهلها قبل دخولهم اليها اكراما لهم لقوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب ورد هذا القول بأن الواو دخلت مع تعدد الصفات فى قوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب ولم تدخل فى قوله تعالى الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن الآية ولا تضاد بين الغفران وقبول التوبة (قلت) لو سقطت الواو من أبكارا لاختل المعنى لانهن لا يكن ثيبات أبكارا معا فاضطر الى الواو لتدل على المغايرة قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله ان القاضى الفاضل رحمه الله كان يعتقد زيادة الواو فى هذه الآية ويقول هى واو الثمانية الى أن ذكر ذلك بحضرة الشيخ أبى الجود المقرى فبين له انه وهم وان الضرورة تدعو الى دخولها هنا واو الافصل المعنى بخلاف واو الثمانية فانه يؤتى بها لا لحاجة فقال ارشدتنا يا أبا الجود اه والامام فخر الدين اعترف بأن الواو فى قوله تعالى وثامنهم كلبهم واو الثمانية وعلى الجملة ففى هذه الواو مباحث جليلة جمعتها فى كراسة أضربت عن اثباتها هنا خوفا من الاطالة والواو التى فى سبحانك اللهم وبحمدك قال أبو اسحاق الزجاج سألت أبا العباس المبرد عن العلة فى ظهور الواو وههنا فقال لقد سألت أبا عثمان المازنى عما سألت عنه فقال المعنى سبحانك اللهم وبحمدك سبحتك (قلت) وأما واو عمرو فقد نظم الشعراء فيها كثيرا منهم أبو نواس قال يهجو اشجع السلمى

قل لمن يدعى سليمى سفاها ... لست منها ولا كلامة ظفر
انما انت من سليمى كواو ... ألصقت فى الهجاء ظلما بعمرو

(حكي) ان بعض الناس رأى في منامه انه قد كتب على ظفره واوا فجاء الى المعبر وقص الرؤيا عليه فقال له أنت دعي في نسبك واستشهد بالبيتين وقال آخر يهجو

غير المقول عيوبه كالواو من * عمرو يرى واللفظ عنه قصير
كالنون من زيد يقال مديحه * باللفظ لكن لا يراه بصير

(وقال التهامي)

لغو كحرف زيد لا معنى له * اوواو عمرو فقدها كوجودها

(وكان) الجاحظ يزعم ان عمرا أرشق الاسماء وأخفها وأظرفها وأسهلها مخرجا وكان يسميه الاسم المظلوم ومعنى ذلك الزاقهم به الواو التي ليست من جنسه ولا فيه دليل عليها ولا اشارة اليها ويزعم ان هذا الاسم لم يقع في الجاهلية الا على فارس مذكور او ملك مشهور او سيد مطاع او رئيس متبوع ثم انه يقول بعد ذلك عمرو بن هاشم وعمرو بن سعيد الاكبر وعمرو الاشدق وعمرو بن العاص وعمرو بن حمة وعمرو بن يحيى بن قعة وعمرو بن معديكرب وعمرو بن عبدود وعمرو بن الشريد وعمرو بن الحمق الى ان يذكر عمرو بن عبيد وعمرو بن قائد وغيرهم ثم يحتج بقول ابي نواس

فقلت له ما الاسم قال شعر دل * على انني أكني بعمرو ولا عمرا
وما شرفتني كنية عربية * ولا كنتني منه سناء ولا فخرا
ولكنها خفت فقلت حروفها * وليست كاخرى انما خلقت وفرا

قلت انما كان الجاحظ يقول هذا الان اسمه عمرو وكنيته ابو عثمان وقال ابو سعيد الرستمي

أبى الحق ان يعطى ثلاثون شاعرا * ويحرم ما بين الورى شاعر مثلي
كما ساء محوا عمر ابو او مزيدة * وضويق اسم الله في الف الوصل

(وما) أحلى قول ابن نقادة

أقل وجدي مذ تناءوا فكر * وبعض ما ألقاه فيهم سهر
أنحلني الوجد فسمي ألف الـ * ـوصل وأسقامي ليست تظهر

(وقد) جمع السراج الوراق رحمه الله هذه الواوات في أبيات وأحسن فيها حيث قال ومن خطه نقلت

مالي أرى عمرا أبى استجرت به * قد صار عمرا بواو فيه وانصرفا
ونام عن حاجة نبهته غلطا * بها فألفيت منه السهد والاسفا
والمستجير بعمرو قد سمعت به * فما أزيدك تعريفا بما عرفا
وتلك واو ولا والله ما عطفت * ولو أتت واو عطف ما أتت طرفا
ولو أتت واو حال لم تسد ولو * أتى بها قسما ما بر اذ حلفا
أو واو رب لما جرت سوى أسف * وكثرته خلافا للذي ألفا
أو واو مع لم أجد خيرا أتى معها * أو واو جمع غدا من فرقة تقفا
وليت صدغا بها قد شبهوه غدا * يكوى بنار وهذا الساو كفى
والله يطمسها واذ كرت بها * دالا بوسطى وكانت قبل ذا ألفا

(قلت) أما تشبيه الصدغ بالواو فهو كثير مشهور بين الشعراء ومن ذلك قول ابن قلاقس

موضع النصاب فتجرح يدها والالتذاذ بالنظر يمنعها من وجود الالم وفي هذا من الكناية عن الحسن ما لا مزيد عليه (وقال حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم) المقصود اثبات الحسن لانه تعالى ركب في الطباع أن لا شيء أحسن من الملك وقد عاين ذلك قوم لوط في ضيف ابراهيم من الملائكة كما ركب في الطباع أن لا شيء أقبح من الشيطان وكذلك قوله تعالى في صفة جهنم طلعها كانه رؤس الشياطين فكما تقرر في الطباع أن اقبح الاشياء هو الشيطان فقد تقرر ان أحسن الاشياء هو الملك فلما أرادت النسوة وصف يوسف بالحسن شبهنه بالملك * وأما الحديث فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مررت بيوسف في الليلة التي عرج بي فيها الى السماء فقلت لجبريل من هذا قال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته فقال كالقمر ليلة البدر * ومن الآثار قولهم انه كان اذا مشى في أزقة مصر يتلألأ نور وجهه على الجدران كما يتلألأ نور الشمس من الماء عليها وقولهم انه ورث الحسن من جدته سارة التي هم الملك بأخذها من ابراهيم وزاد عليها وقصتها مشهورة

الاسكندري وهو مليح

قرنت بواو الصدغ صاد المقبل * وابديت لامامن عذار مسلسل
فان لم يكن وصل لديك لعاشق * فماذا الذى أبديت للتأمل

(وقال) البهاء زهير فيما أظن

عسى عطفة للوصل ياواو صدغه * وحقك انى أعهد الواو تعطف

(وقول) السراج والله يطمسها واوا البيت يريد بذلك احليله وانه قد تعقف من الكبر فكان واوا الكنه منحن كالدال بعد أن كان كالالف وله فى هذا المعنى عدة مقاطيع منها قوله ومن خطه نقلت

انحل ايرى منى * كانهم عقدوه
وصار يحضن بيضى * كانهم رقدوه

(وقوله أيضا)

كان ايرا صار سيرا * يلطم الاكياس سخره
كيف لا يبأين عنى * ومعى شيب ودره

(أنشدنى) لنفسه الشيخ زين الدين عمر بن مظفر بن عمر الوردى اجازة

وكان اذا رأيت ولو عجوزا * يبادر بالقيام على الحراره
فاصبح لا يقوم لبدر تم * كأن الخمس قد ولى الوزاره

(وقولهم) وقع رمضان فى الواوات يريدون انه جاوز العشرين فلا يذكر الا بواو عطف (وما) احسن قول محمد بن على بن منصور بن بسام

قد قرب الله منا كل ماشسعا * كانى بهلال الفطر قد طلعا
فخذ للهوك فى شوال اهبته * فان شهرك فى الواوات قد وقعا

(وكذا) قول بعضهم وقع الشهر فى الاثنين مرادهم انه يقال فيه احد وعشرين ثانى وعشرين فيكرر فيه الاثنين وفى أمثال العوام اذا وقع رمضان فى الاثنين خرج شوال من الخميس (رجع الى الاعراب) حلية مبتدا والنصف الثانى اعرابه كاعراب الاول وأما الذى فانها ظرف مكان موضعها النصب والعامل فيها زانت (المعنى) وأبى الاصيل يصونني عن الاضطراب فى القول والعمل وحليه علمى تزينني عند العطل أى التعرى عن أعراض الدنيا وزخرفها ولعمرى ان الانسان شئ وراء الزينة واللبس والشكل والرواء وقد قال صلى الله عليه وسلم المرء باصغريه قلبه ولسانه وقال عليه السلام المرء مخبوء تحت لسانه وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه قيمة كل امرئ ما يحسنه قال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين عند ذكر هذه الكلمة لو لم نقف من هذا الكتاب الا على هذه الكلمة لوجدناها فاصلة عن الكفاية غير مقصرة عن الغاية اه (وقيل شعر)

واجهد لنفسك واستكمل فضائلها * فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

(وأنشدنى بعضهم)

كل حقيقتك التى لم تكمل * والجسم دعه فى الحضيض الاسفل
أتكمل الفانى وتترك باقيا * هملا وأنت بأمره لم تجفل

ويروى أنه عاش مائة سنة وتوفى بمصر ودفن فى نهر الفيوم الذى أحكم صنعته البديعة * ومن كلامه قيل له ماصنع بك اخوتك فقال لا تسئلونى عن صنيع اخوتى واسئلونى عن صنيع ربى ودعا لاهل السجن فقال اللهم عطف عليهم الاخبار ولا تخف عنهم الاخبار فيقال انهم أعرف الناس بما يتجدد من الاخبار فى البلدان والله أعلم

(وأن امرأة العزيز رأتك فسألت عنه)

(امرأة العزيز) زليخا المشغوفة بحب يوسف صار الحب شغافها اغلبها والشغاف جلدة رقيقة تحيط بالقلب وقرئ شغفها بالعين والشغاف أعالى الجبال كأن الحب بلغ أعلى قلبها وما كانت تسلو مع ذلك الحب الا باضعاف ذلك الحسن ومن كلامها حين دخلت على يوسف بعد أن ملك مصر واحتاجت اليه سبحان من جعل العبيد ملوكا بالطاعة وجعل الملوك عبيدا بالمعصية

(وأن قارون أصاب بعض ما كنزت)

(قارون) هو المذكور فى الكتاب العزيز قال بعض المفسرين اختلف فى نسبه فقيل كان ابن عم موسى عليه السلام لان موسى ابن عمران

النفس للجسم النفيسة آلة * مالم تحصل له به لم يحصل
يفنى ويبقى دائما في غبطة * أبدية أو شقوة لا تجلى
شرك كشف أنت في جهلاته * بادر الى وجه الخلاص وعجل
من يستطيع بلوغ أعلى منزل * ماباله يرضى بادنى منزل

والرأى ما زال محمودا عند العقلاء قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه رأى الشيخ خير من مشهد الغلام وقال أبو فراس الحمداني

ولا أرضى الفتى مالم يكمل * برأى الكهل اقدام الغلام

(وقال أيضا)

فما اشتورت الا وأصبح شيخها * ولا احتربت الا وكان فتاها

ولو قال استحربت لكان احسن ولكان حسنا * ولما هممت بتقييف الارتداد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم استشاروا عثمان بن أبي العاص وكان فيهم مطاعا فقال لهم لا تكونوا آخر العرب اسلاما وأولهم ارتدادا فنفعهم الله برأيه (وكان) الحباب بن المنذر يدعى ذا الرأى أشار يوم بدر على النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل على آخر ماء ببدر ليبقى المشركون على غير ماء وكان برأيه الخبر لان ذلك أضر بكفار قريش * والمشهورون بالرأى والدهاء خمسة معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن الانصار قيس بن سعد بن عبادة ومن المهاجرين عبد الله بن بديل الخزاعي رضي الله عنهم * وقال بعضهم دهاة العرب أربعة معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد ابن أبيه أما معاوية فللاناة والحلم واما عمرو فللمعضلات واما المغيرة فللمبادهة واما زياد فللصغير والكبير ويقال ذوو رأى العرب ومكيدتهم معاوية وعمرو ابن العاص والمغيرة وعبد الله بن بديل ذكرهم الشعبي في بيت

من العرب العرباء قد عد أربع * دهاة فما يؤتى لهم بشبيه
معاوية عمرو بن عاص مغيرة * زياد هو المعروف بابن أبيه

ثم جمعت الستة في قولي

من العرب ان رمت الدهاة فستة * موائد فضل ما بهن طفيلي
معاوية عمرو زياد مغيرة * وقيس وعبد الله نجل بديل

وقال أبو الطيب المتنبي

الرأى قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس مرة * بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه * بالرأى قبل تطاعن الاقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرف من الانسان
ولما تفاضلت النفوس ودبرت * أيدى الكماة عوالي المران

وقال أيضا

نفت التوهم عنه حدة ذهنه * فقضى على غيب الامور تيقنا

وقال الامير بدر الدين نشو الدولة أحمد بن نفادة

العلم للاعلام أقوى ناصب * والرأى للرايات أثبت حامل

ابن قاهث وقارون ابن يصهر ابن قاهث وقيل كان ابن خالته وهو أول من ضرب به المثل في كثرة المال وفي قوله تعالى (كان من قوم موسى) دليل على ايمانه وقرابته وكان من أحسن الناس وجها وقراءة للتوراة ويسمى المنور لحسنه وقيل انه كان من السبعين المختارة قال الله تعالى (وآتيناه من الكنوز) الكنز يطلق على ما جمع من المال سواء كان في باطن الارض أو ظاهرها (ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة) أي تنوء بها العصبة تتكلف بها النهوض وهذا من القلب المستعمل في كلام العرب مثل دخل الرأس الظل ٣ وعرضت الدابة على الحوض واختلف في المفاتح فقيل مفاتح أبواب الخزائن وكانت وقر ستين بغلا وهو قول واه وقيل المفاتح الخزائن نفسها وقد يسمى الشئ بما لابسه وقيل المفاتح العلم والاحاطة كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب يعنون أنه أوتي من الكنوز ما ان حفظه والاطلاع عليه ليثقل على العصبة أولى القوة أي يعجزون عن حسابها وحفظها لكثرة صنوفها (قال انما أوتيته على علم عندي) أي على خير وصلاح علمه الله مني وقيل على علم بالمكاسب

ولربما علم الغيب من له * فهم صحيح باتضاح دلائل
وأخو الحجا بالفكر منه يستدل على أواخر أمره بأوائل
علم التجارب شمسه يهدى بها * والرأى مرآة اللبيب العاقل
لكنه كالسيف يصدأ ثم يجلى بالاشارة لا بكف الصاقل

وقال أبو تمام

وما شئ من الاشياء أمضى * على الهيجات من رأى سديد

وقال البحترى

يوم أرسلت من كتائب آرا * ئك جندا لا يأخذون عطاء
ويودالاعداء لو تضعف الجيـ * ـش عليهم وتصرف الآراء

قلت لو كان لى فى هذا البيت حكم لقلت بدل تصرف تضعف أيضا فيكون الاول من الاضعاف وهو الزيادة بالمثل والثانى من الضعف وهو المرض والوهن على ان تصرف أمدح وتضعف أصنع (وقال) على بن الجهم

فهمته جيش وعزمته سرى * وفكرته حرب وآراؤه جند

(وقال) ابن حيوس

وما البطش الشديد مفيد عز * اذا لم يمضه الرأى السديد

(وقال ابن مكنسة)

بت جاره فالعيش تحت ظلاله * واستقه فالبحر من أنوائه
يلقى الخطوب بمثلها من صبره * والباترات بمثلها من رائه

وقال ابن المعتز

وأثار منى الدهر عضبا مهندا * يفل شبا الحظى وقلبا مشيعا
ورأيا كمرآة الصناع أرى به * سرائر غيب الدهر من حيث ما سعى

قلت ما رأى من غيب الدهر شيأ فانه ولى الخلافة يوما واحدا ثم قتل (وقال التهامى)

وللعادى رتب فى الحجا * الرأى ثم التكيد ثم الكفاح
قد يغلب المرء بتدبيره * ألفا ولا يغلبهم بالسلاح

(قيل) ان الملك العزيز بن صلاح الدين لما أتى عمه العادل لقتاله ووصل بالعساكر الى بلبيس ضاق الامر به وأراد النفقة فى الجيوش ولم يكن عنده شئ فقيل له ان القاضى الفاضل عنده من الاموال ما يقوم بما تريده فقال أستحى ان أطلب منه شيأ فألزموه بطلبه فلما علم بوصوله دخل الى الحريم حياء منه فتضرع القاضى الفاضل له حتى خرج اليه وحكى له القصة فقال له كل ما أنا فيه من نعمة فهى من صدقاتكم والمال عندى بكفى ما تروموه ولكن دعنى أتوجه الى العادل وأطلب منه الصلح فان وافق فبها ونعمت والا فالنفقة قدامنا والمحاربة أمامنا ثم ان القاضى الفاضل توجه الى الملك العادل ولم يزل يسحره ببيانه ويفتك فى ذروته والغارب بلسانه حتى رد راجعا ولم يدخل وكفى الله العزيز أمره تلك المرة برأى الفاضل * ومن شعر مؤيد الدين الطغرائى صاحب القصيدة

لا تحقرن الرأى وهو موافق * حكم الصواب اذا أتى من ناقص

والتجارات وقيل على علم الكيميا وكان الزجاج يقول هذا قول لا أصل له فان الكيميا باطلة ولا حقيقة لها (خرج على قومه فى زينته) قيل خرج راكبا بغلة شهباء بسرج من ذهب ومعه سبعمائة وصيفة على بغال شهب عليهن الحلى والحال والزينة فكاد يفتن بنى اسرائيل ثم بغى وتكبر حتى أهلكه الله * واختلف فى سبب بغيه وهلاكه فقيل انه كان قد حسد هرون على الحبورة وذلك أن موسى عليه السلام لما قطع البحر وأغرق الله فرعون جعل الحبورة لهرون فحصلت له النبوة والحبورة وهى القربان تأتى بنو اسرائيل بهدايا هم الى هرون فيضعها فى المذبح فتنزل نار فتأكلها وكان لموسى الرسالة فوجد قارون من ذلك فى نفسه وقال يا موسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست فى شئ لا أصبر على هذا فقال موسى والله ما صنعت ذلك لهرون بل جعله الله له فقال والله لا أصدقك أبدا حتى تأتينى بآية فأمر موسى رؤساء بنى اسرائيل أن يجئ كل رجل منهم بعصاه فجاؤا بها فألقاها موسى عليه السلام فى قبة له وكان ذلك بأمر الله تعالى ودعا موسى أن يريهم

فالدر وهو أجل شئ يقتنى * ماحط قيمته هوان الغائص

وقال القاضي الحشيشي

ولي صاحب ماخفت مكروه طارق * من الامر الاكان لي من ورائه
اذا عضني صرف الزمان فانني * برايته أسطو عليه ورائه

وقال أبو الفتح البستي

عول على رأيه اذا حزبت * نائبة من نوائب الزمن
فليس في الارض معقل أشب * كرائه من كرائه المحن

هذا ان الجناسان اللذان في هذين المقطوعين من أنواع الجناس المرفوض وهو ان يكون أحد ركني الجناس مركبا من جزأين أولهما حرف من حروف المعاني وقد ذكرت ذلك مستوفى في كتابي المسمى جنان الجناس (وما) أحلى قول أسعد بن مماتي

طبع الجناس فيه نوع قيادة * أوماترى تأليفه للاحرف

ونظمت أنا في هذا المعنى

ألا ان من عاني القريض بطبعه * يقود فأرسله ان صدواحتشم
ألم تره ان قال شعرا مجانسا * يؤالف مابين الحروف اذا نظم

ونظمت فيه أيضا

ماناظم الشعر في محل فتى * يقود فاسمع مقالة الظرفا
ألف هذا الحروفه وسمت * همة هذا فألف الحرفا

وقال ابن سنا الملك

وشاعر كاتب أديب * منتظم العقل والقياس
قلت له والفضول داء * وهو كما قيل كالعطاس
لم كنت تبغي فصرت تبغو * قال من العشق في الجناس

وقلت أنا

تعشقته جارا أسال مدامعي * وحملني مالايس يحمله الناس
فجار وأجرى حين جاور واجترى * فخافته مما يروم جناس

(وقلت)

أتى محلي أناس * بهم تحلى المديح
زاروا وزانوا وزادوا * هذا الجناس الملیح

(وقلت)

لله قوم جروني * من حادثات الليالي
صانوا وصابوا وصالوا * كذا جناس المعالي

(رجع القول الى الرأي) لما استولى الاسكندر على ملك فارس كتب الى ارسطو يأخذ رأيه في ذلك فكتب اليه الرأي ان توزع مملكتهم بينهم وكل من ولينه ناحية سمه بالملك وأفرده بملك ناحيته واعقد التاج على رأسه وان صغر ملكه فان المسمى بالملك لايخضع لغيره ولا ينشب في ذلك أن يقع بينهم تغالب على الملك فيعود حربهم لك حربا بينهم فان دنوت منهم دانوا لك وان

الله ببيان ذلك فباتوا يحرسون عصيهم فأصبحت عصاهرون تهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى ياقارون أماترى صنع الله تعالى لهرون فقال والله ماهذا بأعجب مما تصنع من السحر ثم اعتزل بمن معه من بني اسرائيل وكان كثير المال والتبع فدعا عليه موسى وقيل انه لما نزلت آية الزكاة على موسى جاء موسى اليه وصالحه على كل ألف دينار دينار وألف شاة شاة وعلى هذا الاسلوب فحسب ذلك فوجده مالا عظيما فجمع قومه من بني اسرائيل وقال ان موسى يأمركم بكل شئ فتطيعونه وهو الآن يريد أخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمرنا بما شئت فقال على بفلانة البغي فأعطاها مائة دينار وأمرها أن تقذف موسى بنفسها وجاء الى موسى وقال ان قومك قد اجتمعوا لتأمرهم وتنهاهم فخرج فقام فيهم خطيبا فقال يابني اسرائيل من سرق قطعناه ومن زنى جلدناه فان كانت له امرأة رجمناه فصاح به قارون وقال له وان كنت أنت فقال نعم قال فان بني اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة البغي فقال على بها فلما جاءت قال لها موسى يافلانة أنا فعلت

نأيت تعززوابك وفى ذلك شاغل لهم عنك وأمان لاحدائهم بعدك شيأ فلما بلغ الاسكندر ذلك علم أنه الصواب وفرق القوم فى الممالك فسموا ملوك الطوائف ويقال انهم لم يزالوا يرأى ارسطو مختلفين أربعمائة سنة لم ينتظم لهم أمر (وحكى) ان المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى أظنه صاحب جزيرة قبرص طلب منه خزانة كتب اليونان وكانت عندهم مجموعة فى بيت لا يظهر عليها أحد فجمع الملك خواصه من ذوى الرأى واستشارهم فى ذلك فكلهم أشاروا عليه بعدم تجهيزها الا مطرانا واحدا فانه قال جهزها اليهم فادخلت هذه العلوم على دولة شرعية الا افسدتها وأوقعت بين علمائها (حدثنى) من اثق به ان الشيخ تقى الدين احمد ابن تيمية رحمه الله كان يقول ما أظن ان الله يغفل عن المأمون ولا بد أن يقابله على ما اعتمده مع هذه الامة من ادخال هذه العلوم الفلسفية بين أهلها (قلت) ان المأمون لم يبتكر النقل والتعريب بل نقله قبله كثير فان يحيى بن خالد البرمكى عرب من كتب الفرس كثيرا مثل كليله ودمنه وعرب لاجله كتاب المجسطى من كتب اليونان والمشهور ان أول من عرب كتب اليونان خالد بن يزيد بن معاوية لما أولع بكتب الكيميا (وللتراجمة) فى النقل طريقان احدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصى وغيرهما وهو ان ينظر الى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى فيأتى بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها فى الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل الى الاخرى كذلك حتى يأتى على جملة ما يريد تعريبه وهذه الطريقة رديئة لوجهين أحدهما انه لا يوجد فى الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية ولهذا وقع فى خلال هذا التعريب كثير من الالفاظ اليونانية على حالها الثانى ان خواص التركيب والنسب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائما وأيضا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهى كثيرة فى جميع اللغات بهذا الطريق الثانى فى التعريب طريق حنين بن اسحاق والجوهرى وغيرهما وهو أن يأتى الى الجملة فيحصل معناها فى ذهنه ويعبر عنها من اللغة الاخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الالفاظ أم خالفتها وهذه الطريق أجود ولهذا لم تحتج كتب حنين بن اسحاق الى تهذيب الا فى العلوم الرياضية لانه لم يكن فيها بها بخلاف كتب الطب والمنطق والطبيعى والالهى فان الذى عربه منها لم يحتج الى اصلاح قاما أو قليلا وقد هذبه ثابت بن قرة الحرانى وكذلك المجسطى والمتوسطات بينهما (رجع القول الى ما يتعلق بالمأمون) والخلاف ما زال فى هذه الامة منذ توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موته ودفنه وأمر الخلافة بعده وأمر ميراثه وأمر قتال مانعى الزكاة الى غير ذلك بل فى نفس مرضه صلى الله عليه وسلم لما قال ائتونى بدواة وقرطاس أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدى على ما هو مذكور فى مواطنه وقد روى انس بن مالك رضى الله عنه انه عليه أفضل الصلاة والسلام قال ان بنى اسرائيل افترقوا على احدى وسبعين فرقة وان أمتى ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة وهى الجماعة وهو صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى قد أخبر ان الامة ستفترق ومتى افترقت خالف بعضها بعضا ومتى خالفت تمسكت بشبهه وحجج وناظر كل فرقة من يخالفها فانفتح باب الجدل واحتاج كل أحد الى ترجيح مذهبه وقوله بحجة عقلية أو نقلية أو مركبة منهما فهذا الامر كان غير مأمون قبل المأمون فعم زاد الشر شرا والضر ضرا وقويت به حجج

ما يقول هذا فقالت لا والله يا نبى الله وانما جعل لى جعلا حتى أقذفك بنفسى فسجد موسى يبكى ويتضرع فأوحى الله اليه مر الارض بما تشتهيه فقال يا أرض خذيه يعنى قارون فأخذته حتى غيبت بعضه ثم لم يزل يقول خذيه وهو يغيب حتى لم يبق من جسده الا القليل وهو يتضرع الى موسى ويسأله وهو يقول خذيه الى أن غاب وقال ابن الجوزى وهو يناشده الرحم فلما رحمه فاوحى الله الى موسى ما أقطعك وعزتى لو استغاث بى لاغثته قيل ولما خسف به قال بعض الجهال من بنى اسرائيل انما قصد موسى أخذ داره وكانت مبنية بالذهب والفضة فسأل الله فخسف بداره وقيل أراد بداره منزله والعرب تسمى المنزل دارا هذا قول من زعم انهم كانوا فى البيت اذا ليس ثم دور والقول الآخر قول من زعم أن الواقعة كانت بمصر والله أعلم

(والنطف عثر على فضل ما ركزت)

(الفضل) ههنا بقية الشئ و(الركز) والركاز دفين مال الجاهلية وفى الحديث فى الركاز الخمس (والنطف) رجل من العرب أصاب مالا فضرب به المثل واختلفت

المعتزلة وغيرهم وأخذ أصحاب الاهواء وتخالفوا السنة مقدمات عقلية من الفلاسفة فأدخلوها في مباحثهم وفرجوا بها مضايق جدالهم وبنوا عليها قواعد بدعهم فاتسع الخرق على الراقع وكاد منار الحق الواحد يشتبه بالثلاث الاثافي والرسوم البلاقع على ان السنة الشريفة مرفوعة المنار مأمونة الشرار خافقة الاعلام راسخة الاحكام باهرة السنى ساطعة غضة الجنى يانعة

ويزيدها مر الليالي جدة * وتقادم الايام حسن شباب

وأهل السنة فتح لهم الف الصالح مغلق أبوابها وذللوا بالشواهد الصادقة الصادعة ماجمع من صعابها واطلعوا نيرها الاعظم فطمس من البدع تألق شهابها وأجنوا من اتبع هداهم ثمر اليقين متحد النوع وان كان متشابها وجاسوا خلال الحق فيزوه وأهل ملة أخبر بشعابها

ومن قال ان الشهب أكبرها السها * بغير دليل كذبته ذكاء

(قال) ابو بكر الصيرفي الفقيه الشافعي الاصولي كانت المعتزلة قد رفعوا رؤسهم حتى اظهر الله ابا الحسن الاشعري فجزهم في اقماع السمسم اه (قلت) ومن وقف على طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار علم قدر ما كانوا عليه من العدد والعدد (وحكى) ان أبا الحسن الاشعري رحمه الله تعالى كان تلميذا لابي علي الجبائي قرأ عليه وتمذهب بمذهبه لان الجبائي كان زوج أم الشيخ أبي الحسن فاتفق أن جرت بينهما مناظرة في وجوب الاصلح والصلاح على الله تعالى فقال له الشيخ أبو الحسن أتوجب الصلاح أو الاصلح على الله تعالى في حق عباده فقال نعم فقال ما تقول في ثلاثة صبية اخوة اختارم الله تعالى منهم أحدهم قبل البلوغ وبقي اثنان فاسلم احدهما وكفر الآخر ما العلة في اختيار الصغير ان سأل ربه تعالى فقال لم اخترمني دون اخوي فقال له ابو علي انه لو عاش لكفر فكان الاصلح اختارمه فقال الشيخ ابو الحسن فقد أحيا احدهما وكفر فهلا اخترمه عملا بالاصلح له فقال له أبو علي انما احياه ليعرضه لاعلى المراتب فهو الاصلح له فقال له الشيخ ابو الحسن فهلا احيا الذي اخترمه ليعرضه لاعلى المراتب كما فعل بأخيه اذ قلت انه الاصلح له فانقطع ابو علي ولم يحر جوابا ثم قال الشيخ ابو الحسن اوسوست قال ابو علي ما وسوست ولكن وقف حمار الشيخ على القنطرة ثم فارقه الشيخ ابو الحسن وخالفه وخالف سائر المعتزلة اللهم انا نسألك لطف الهداية والعصمة ودوام النعمة التي لا تنالها نقمة والثبات بالقول الثابت حتى نحشر مع الفرقة الناجية من هذه الامة انك اهل التقوى واهل المغفرة وولي الخيرات التي وجدناها برسولك الصادق الامين لنا مسخرة وهذا الالزام من الشيخ ابي الحسن رضي الله تعالى عنه في غاية الحسن (ومن الالزام) ايضا ما حكي أنه توفي لصالح ابن عبد القدوس ولد فحضر اليه ابو الهذيل العلاف ومعه ابراهيم النظام وهو صغير فوجده يتأسف حزنا على ولده فقال له لا اوى لتحرقك وجها اذا لناس عندك كالنبات فقال يا ابا الهذيل انما تحرقي لانه لم يقرأ كتاب التشكوك فقال وما هذا قال كتاب وضعته من قرأه شك فيما كان حتى كأنه لم يكن وفيما لم يكن حتى كأنه كان فقال له ابراهيم النظام فابن أنت على أنه لم يمت وان كان قدمات وعلى أنه قرأ الكتاب وان لم يكن قرأه فلم يحر جوابا (ومن الالزامات) نظما قول ابن الرومي

ما عذر معتزلي موسر منعت * كفاه معتزليا معسرا صفدا

الاقوال فيه فبعض من لا يعرف حقيقة أمره يقول هو رجل كان يسقي الماء على ظهره فكان يقطف أي يقطر فسمي القطف ووجد خبيئة من المال فعظم حاله واستغنى بعد فقره وبعضهم يقول القطف الرجل المتهم كان الفقير يجد المال الكثير فيقصد اخفاءه فيتهم ويظهر عليه والصحيح ما ذكره البلاذري أن القطف ابن جبير بن حنظلة اليربوعي كان مقيما بالبادية مع بني تميم وكان باذام عامل كسرى على اليمن يحمل ثيابا من ثياب اليمن وذهبا ومسكا وجوهرا ويرسله الى كسرى مع خفراء من بني الجعد المرازبة الى أن يصل الى أرض بني تميم فيبعث معها هوزة من يجاوزها أرض بني تميم فلما كان في بعض السنين في أرض بني حنظلة تعرض لها بنو يربوع فأغاروا عليها وقتلوا من بها من العرب والاساورة والفرس وكان فيمن فعل ذلك ناجية بن عقال والحرث ابن عقبة والقطف بن جبير وكانوا فرسان بني تميم فنهبوا الاموال فحصل القطف على شئ كثير من جملته خرجان مملوآن مناطق ذهبا محلاة بالجواهر النفيسة فباعها متفرقة وضرب المثل بما

أصابه وقيل انه فرق على الفقراء من عشيرته منذ طلعت الشمس الى أن غابت وفى ذلك يقول بعض ولده

أبى النطف البارى الشمس انى ... عريق فى السماحة والمعالى
ومات النطف حتف أنفه بعد ... أن جرت بين العرب والفرس بسببه حروب عظيمة

(وكسرى حل غاشيتك)

كسرى اسم لملوك الفرس وقيصر للروم وخاقان للترك وتبع لحمير والنجاشى للحبشة واختلف فى نسب الفرس على أقوال أحدها أنه فارس ابن سام بن نوح وقيل فارس ابن افريدون بن اسحق عليه السلام وكان فى العرب من يفتخر بفارس على قحطان والفرس يقولون انه ابن كيومرث وكيومرث عندهم آدم عليه السلام وانه أول من ملك الفرس وكان منفردا عن العالم وليس فى زمانه ظلم ولا فساد فكثر البغى والظلم فاجتمع اليه حكماء أهل زمانه وقالوا ان صلاح هذا العالم فى اقامة ملك يورد الامور ويصدرها كما ان صلاح الجسد بالقلب وان العالم الصغير من جنس العالم الكبير لاستقيم أموره الا برئيس يدبره على ما تقتضيه قضايا العقول فساروا الى فارس بن كيومرث فقالوا أنت

أيزعم القدر المحتوم بخله * ان قال ذا فقد حل الذى عقدا

(وسمعت) الشيخ تقى الدين بن تيمية ينشد

اصنع الخير الذى ... بقضا الله قد رضى
فاذا قال لم فعلت ... فقل هكذا قضى

(وما) أحسن قول بعضهم

ان كان حكم النجم لاشك واقعا * فما سعينا فى رده بنجيح
وان كان بالتدبير يبطل حكمه * فقد صح أن الحكم غير صحيح

وقال أبو العلاء المعرى

زعم المنجم والطبيب كلاهما * ان لا معاد فقلت ذاك اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر * أو صح قولى فالوبال عليكما

وقال أيضا

عجبا للمسيح بين النصارى * والى أى والد نسبوه
أسلموه الى اليهود وقالوا * انهم بعد قتله صلبوه
فاذا كان ما يقولون حقا * فاسألوهم فى أين كان أبوه
واذا كان راضيا بقضاهم * فاشكروهم لاجل ما عذبوه
واذا كان ساخطا بأذاهم * فاعبدوهم لانهم غلبوه

ووجدت منسوبا الى أبى العلاء المعرى أيضا

زعم المجهول ومن يقول بقوله * أن المعاصى من قضاء الخالق
ان كان حقا ما يقول فلم قضى * حد الزنا وقطع كف السارق

وهذه من مسائل الاعتزال والجواب عنها مذكور فى مسئلة خلق الافعال وقال أيضا

يد بخمس مئين عسجد وديت * ما بالها قطعت فى ربع دينار
تحكم مالنا الا السكوت له * وأن نعوذ ولانا من النار

فأجاب علم الدين السخاوى

عز الامانة أغلاها وأرخصها * ذل الخيانة فافهم حكمة البارى

(وحكى) ان بعض اليهود صحب قدريا فى الطريق فقال له لاى شئ لم تسلم فقال له لو شاء الله تعالى لاسلمت فقال ان الله تعالى قد شاء ولكن الشيطان لا يدعك فقال اليهودى أنا مع أقواهما فلم يحر القدرى جوابا (وناظر) بختويه النيسابورى عافية بن شبيب البصرى فقال له بختويه ما دليلك على اثبات الخالق فقال له شعرة أمك التى تحلقها فتنبت فلو لم يكن لها منبت لم تنبت فقال له بختويه ينبغى ان يكون بظر أمك حين قطع ولم ينبت دليلا على انه لا منبت فألجمه (وأما حلية الفضل) فانها أفضل حلية وأنفس شئ يطمع اليه نواظر الامنية وهى جمال من ليس له جمال وكمال من يتعلم منه البدر الكمال * ومن كلام ابن المعتز العلم جمال لا يخفى ونسب لا يخفى قيل ان بعض الملوك شتم بقراط فقال له انما تفتخر على بغيرك ولكن رد كل جنس الى جنسه وتعال فتكلم * وقال المأمون لبعض أولاده وقد سمع منه لحنا ما على أحدكم ان يتعلم العربية فيقيم بها أوده ويزين بها مشهده ويقل بها هجين خصمه ويملأ مجلس سلطانه

بظاهر بيانه أيسر أحدكم ان يكون لسانه كلسان عبده أولسان أمته فلا يزال الدهر أسير كلمته
(دخل) الاحنف بن قيس على معاوية وافد الاهل البصرة ودخل معه النمر بن قطبة وعلى النمر عباءة قطوانية وعلى الاحنف مدرعة صوف وشملة فلما مثلا بين يدى معاوية اقتحمتهما عيناه فقال النمر يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك انما يكلمك من فيها فأومأ اليه فجلس
(وحكى) المسعودى فى شرح المقامات أن المهدى لما دخل البصرة رأى اياس بن معاوية وهو صبى وخلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة واياس يقدمهم فقال المهدى أف لهذه العثانين أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث ثم ان المهدى التفت اليه وقال كم سنك باقتى قال سنى أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن أسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم أبو بكر وعمر فقال له تقدم بارك الله فيك (قلت) كذا ذكره المسعودى والصحيح ما قرأته على الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبى فى تاريخه الكبير ان اياسا قاضى البصرة توفى فى زمن بنى أمية سنة مائة وتسع عشرة ولم يلحق دولة بنى العباس ويقال سنه اذ ذاك سبع عشرة سنة وكان معروفا بالذكاء والفطنة والفراسة ولاه قضاء البصرة عمر بن عبد العزيز وحسبك بمن يختاره مثل عمر لهذا المنصب (وذكر) الخطيب فى تاريخ بغداد أن يحيى بن أكثم ولى قضاء البصرة وسنه عشرون سنة أو نحوها فاستصغروه فقالوا كم سن القاضى فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذى وجهه به النبى صلى الله عليه وسلم قاضيا على مكة يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذى وجهه به النبى صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن وأنا أكبر من كعب بن سوار الذى وجهه به عمر ابن الخطاب قاضيا على البصرة فجعل جوابه احتجاجا وقد جمع بعضهم مجلدا فى ذكاء اياس بن معاوية ويقال انه نظر الى نسوة ثلاث فزعن من شئ فقال هذه حامل وهذه مرضع وهذه بكر فسئلن فكان الامر على ما ذكر فقيل له من أين لك ذلك قال لما فزعن وضعت احداهن يدها على بطنها والاخرى على ثديها والاخرى على فرجها (ونظر) يوما الى رجل غريب لم يره قط فقال هذا رجل غريب واسطى معلم كتاب هرب له غلام فسئل فوجد الامر كما ذكر فقيل له من أين لك ذلك قال رأيته يمشى ويلتفت فعلمت انه غريب ورأيت على ثوبه حمرة تراب واسط ورأيته يمر بالصبيان ويسلم عليهم ويدع الرجال واذا مر بذى هيئة لم يلتفت اليه واذا مر باسود ذى أسمال يتأمله وأين هذه من فراسة أبى الحرث جعير وقد أنشد بين يديه قول العباس بن الاحنف

قلبى الى ماضر نى داعى * يكثر أسقامى وأوجاعى
كيف احتراسى من عدوى اذا * كان عدوى بين أضلاعى
ان دام لى هجرك مع كل ذا * يوشك أن ينعانى الناعى

فبكى وقال هذا رجل جائع يصف جارية طباخة فجيء له من أين لك هذا فقال لانه بدأ فقال قلبى الى ماضر نى داعى وكذلك الانسان تدعوه شهوته وقلبه الى ما يضره من الطعام والشراب فيأكل فتكثر عليه أوجاعه وهذا تعريض ثم صرح فقال كيف احتراسى البيت وليس للانسان عدو بين اضلاعه الا معدته فهى تتلف ماله وهى سبب أسقامه ومفتاح كل بلاء عليه ثم قال ان دام لى هجرك البيت فعلمت ان الطباخة كانت صديقته وهجرته ففقدها

أفضلنا وبقية أبنا آدم عليه السلام ولا بد من تقديمك علينا وتفويض أمورنا اليك فاخذ عليهم العهود والمواثيق على السمع والطاعة ووضع التاج على رأسه تمييزا له وهو أول من لبسه ثم خطب بالسريانية وهو لسان آدم عليه السلام ويقال لو ترك كل أحد من بنى آدم لتكلم بالسريانية بالطبع فتكلم بكلام معناه الشكر والدعاء والمعونة والهداية وأقام مدة طويلة يدبر الملك وتوفى وملك بعده أوشهنج وملوك الفرس تنسب اليه وللفرس مبالغات عظيمة فى وصف كيومرث ومنهم من يزعم أنه آدم نفسه وانه خلق من الرياس وعاش ألف سنة
* وكسرى يقال بفتح الكاف وكسرها وجمع جمعين على غير قياس الاكاسرة والاكاسر وذلك أن حد الافاعلة أن يكون جمع الافعال مثل اسكاف واساكفة وأما الاكاسر فانه جمع بتقدير طرح الالف مثل جذع وجذوع قال الاعشى

انه كائن أبا للاكاسر

والمراد ههنا كسرى أنوشروان فانه أشهر ملوك الفرس وأحسنهم سيرة وأخبارا وهو كسرى أنوشروان ابن قباذ بن فيروز وفى أيامه ولد النبى صلى الله عليه وسلم وقال ولدت فى زمن الملك

العادل يعني كسرى وكان ملكا
جليلا محببا للرعايا تام التدبير
فتح الامصار العظيمة فى
الشرق واطاعته الملوك
وتزوج ابنة خاقان ملك الترك
وقتل مردك واصحابه وذلك
ان اباذ قباذ قد بايع رجلا
زنديقا يسمى مردك أحدث
مقالات فى اباحة الفروج
والاموال وقال انما الناس
فيها سواء وكان لا يسفك الدم
ولا يأكل اللحم وانه دخل يوما
على قباذ وعنده زوجته أم
كسرى وكانت من أحسن
النساء وعليها حلى عظيم
فأعجبته فقال لقباذ انى أريد
أن أنكحها الان فى صلبي نبيا
يكون منها فأطاعه قباذ لقوله
بمقالته فلما هم مردك بها وكان
كسرى صغيرا قبل قدميه
وتضرع له فى أن لا يفعل
فوهبها له فاول ما ولى
كسرى بعد موت أبيه قتل
مردك واصحابه فعظم فى عين
الفرس وأحبوه وسلك سيرة
أردشير وتوطدت مملكته
وبنى المباني المشهورة منها
السور العظيم الباقي الذكر
على جبل الفتح عند باب
الابواب واقام الحرس وحسم
المادة من فساد من خلفه
ومنها المدينة التي سماها
باسم رومية ومنها الايوان
العظيم الباقي الذكر وليس
هو المبتدئ لبنيانه وانما
المبتدئ له سابور وهو الذى

وفقد الطعام ولو دام عليه لمات جوعا ونعى (أخبرنى) الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى قال أخبرنى الحكيم علم الدين عبد الرحيم بن أبى خليفة رئيس الاطباء عن والده الحكيم الرشيد أبى خليفة رئيس الاطباء بمصر زمن الملك الكامل انه أتت اليه امرأة من الريف ومعها ولدها وهو مصفر فاحل فوضع يده فى نبضه وقال للغلام ناولنى الفرجية فتغير النبض تحت يده فى الحال فقال لها هذا الغلام عاشق واحدة اسمها فرجية فقالت اى والله يا مولاى وقد عجزت فى عذله فعجب الحاضرون من ذلك (أقول) ان الحكيم الرشيد انما اهتدى الى ذلك من كلام الشيخ أبى على بن سينا فى القانون حيث ذكر العشق فانه قال ومما يتوصل به الى معرفة المعشوق اذا كتمه العاشق ان يضع يده على نبض العاشق زمانا ويذكر أسماء وصنائع فتى اختلف النبض اختلافا شديدا واضطرب دفعة عند ذكر واحد منها فهو المعشوق ولو قال الشيخ بدل قوله وصنائع وصفات لكان أجمل والمعنى حاصل (يقال) أصدق الناس فراسة ثلاثة العزيز فى قوله لامرأته عن يوسف عليه السلام أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا وابنة شعيب التى قالت لابيها يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وأبو بكر فى الوصية بالخلافة لعمر (رجع القول الى ذكر حلية الفضل) قال الشريف الرضى

ان يبل ثوبى فانى اكتسى حسبى * أو ترد خيلى فانى راكب منى
لقد تقدم بى فضلى بلا قدم * أعظم بامر على ذى السن قدمنى

وتولى قضاء المعرة القاضي أبو على عبد الباقى بن أبى حصين وهو ابن خمس وعشرين سنة واقام فى الحكم خمس سنين فقال

وليت الحكم خمسا وهى خمس * لعمرى والصبا فى العنفوان
فلم تضع الاعادى قد رشانى * ولا قالوا فلان قد رشانى

ولقاضي القضاة ابن حجة

يا أيها السلطان لا تستمع * فى حق قاضيك كلام الوشاه
والله لم يسمع بان امرأ * أهدى له شيأ ولا قد رشاه

(وقال بعضهم)

قد قال قوم أعطه لقديمه * جهلوا ولكن أعطنى لتقدمه
فانا ابن نفسى لا ابن عرضى أحتذى * بالفضل لا برفات تلك الاعظم

(وقال آخر)

ان الامير هو الذى * يضحى أميرا يوم عزله
ان زال سلطان الولا * يه لم يزل سلطان فضله

أنشدنى لنفسه اجازة القاضي زين الدين عمر بن مظفر بن عمر الوردى

خلعت ثوب القضاء عمدا * ولم أكن فيه بالظلوم
ان زال جاه القضاء عنى * كان لى الجاه بالعلوم

لما تولى الشيخ الامام العلامة كمال الدين محمد بن على الزملكانى قضاء حلب عامل أهلها بالتشديد فقال له نائب السلطنة الامير علاء الدين ٣ لطفا يا قاضي لاى شئ لم تعاملنا كما كان

القاضى

القاضي زين الدين يعاملنا فقال ذاك كان يخاف على منصبه ليتكثر به وأنا لو عزلتموني اليوم لاصبح على بابي من الطلبة والتلاميذ والمستفيدين مثل ما على بابي اليوم في الحكم فقال له صدقت وكذا كان رحمه الله يعملون عليه ويعزلونه من الوظائف والرياسة العلمية فيه لا تزول وفي بيت الطغرائي من البديع نوعان وهما الموازنة في صانتني وزانتني وفيهما الترصيع والنوع الثاني لزوم ما لا يلزم فانه التزم الطاء في الخظل والعطل

(مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع * والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل)

(اللغة) المجد لغة الكرم والمجيد الكريم وقد مجد بالضم فهو مجيد وماجد قال ابن السكيت الشرف والمجد انما يكونان بالآباء يقال رجل شريف ماجد له آباء متقدمون في الشرف قال والحسب والكرم يكونان في الرجل وان لم يكن لآبائه شرف اه قلت قول امرئ القيس

ولو ان ما أسعى لادنى معيشة * كفاني ولم أطلب قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

يؤيد ما ذهب اليه ابن السكيت لان المجد المؤثل هو الموروث ويحتمل ان يكون المجد مما يكتسبه الرجل بنفسه بدليل قوله أسعى والسعي انما يكون لتحصيل ما لم يكن للانسان والوراثة لا يسعى لها لانها حاصلة هذا ان قلنا ان اللام هنا للتعليل وان قلنا انها الشبيه الملك فيترجح قول ابن السكيت وقد ذهب كثير من النحاة الى ان قوله كفاني ولم أطلب قليل من المال من باب التنازع في العمل منهم أبو علي الفارسي على جلالة قدره وليس منه قال ابن الحاجب رحمه الله لان أطلب منفي بلم والنفي في سياق لو اثبات لانه صرف امتناع والامتناع نفي ونفي النفي اثبات فاذا امتنع النفي صار ثبوتا واذا كان كذلك فيكون طلب القليل ثابتا وطلب القليل هو السعي لادنى معيشة فيكون قد أثبت بلو غير ما نفى بلم لان قوله ولم أطلب معطوف على كفاني وهو جواب والمعطوف في حكم المعطوف عليه واذا تقرر ذلك تعين ان قوله قليل لم يتوجه له من العاملين غير كفاني وانتفى ان يتوجه اليه اطلب ولو توجه اليه لفسد المعنى لتوارد النفي والاثبات على شيء واحد وان كان الطلب ثابتا تعين أن يكون معموله غير القليل لان امرأ القيس انما طلب الملك وقد ذكره في البيت الثاني قال ابن ايازي في المطارحة قال الجرمي أراد كفاني قليل من المال ولم أطلب ولو اعمل لم أطلب في قليل لاستحالة المعنى (أخيرا) أي آخرا والآخر ضد الاول (شرع) أي سواء يتحرك ويسكن ويستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع ومنه قولهم الناس في هذا الامر شرع أي سواء (رأد الضحى) الضحى شروق الشمس بعد طلوعها والرأد ارتفاعها وقد سمت العرب ساعات النهار باسماء فالاولى الدرور ثم البزوغ ثم الضحى ثم الغزالة ثم الهاجرة ثم الزوال ثم الذلوك ثم العصر ثم الاصيل ثم الصبوب ثم الحدور ثم الغروب ويقال فيها أيضا البكور ثم الشروق ثم الاشراق ثم الرأد ثم الضحى ثم المتوع ثم الزوال ثم الهاجرة ثم الاصيل ثم العصر ثم الطفل ثم الغروب (الطفل) بتحريك الفاء بعد العصر اذا طفلت الشمس للغروب فعلى هذا الطفل آخر النهار والرأد أوله فهما طرفا النهار تقول أتيته طفلا (الاعراب) مجدي مبتدأ وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الدال لان الياء لا يكون ما قبلها الا من جنسها أي مكسورا والياء في موضع جر بالاضافة لانه ضمير المتكلم والضمائر كلها مبنية وسيأتي الكلام على ذلك (أخيرا)

رفعه وأتقنه حتى صار من عجائب الدنيا وكان اتساق مثله من المعجزات النبوية والخصائص المحمدية يروى أن الرشيد هرون أراد هدمه فاستشار يحيى بن خالد البرمكي فنهاه وقال في بقائه معجزة باقية فقال الرشيد بل أبيت الا تعصبا لآبائك يعني الفرس فأمر بهدمه فصرف على هدم شرافة واحدة مالا كثيرا فكف عنه فقال يحيى أرى الآن أن تهدمه لئلا يتحدث عنك أنك عجزت عن هدم ما بناه غيرك فتغافل عن قوله وتركه (وحكى) عن بعض رسل الملوك انه دخل على كسرى فرأى في الايوان اعوجاجا فسأله عنه فقيل له انه بيت لعجوز فقيرة سألها الملك بيعه فامتنعت فارغبها في مال كثير فلم تفعل فتركها وبنى الايوان على ما هو عليه فقال الرسول هذا الاعوجاج أحسن من الاستواء ويروى أن العجوز بعد بناء الايوان نزلت للملك عن البيت وقالت انما أردت بامتناعي أولا أن يتحدث الناس بعدلك وتكون لك هذه المأثرة الظاهرة ثم صنع كسرى في الايوان سلسلة عظيمة ذات أجراس وجعل لها طرفا خارجا عن القبة وأمر مناديه من

منصوب على انه ظرف زمان وكذلك قوله أولا والظرف ينتصب بالمعنى فالعامل فيه معنى الاستقرار ومجدى الثانى معطوف على الاول وشرع خبرهما كقولك زيد وعمرو كريمان فكريمان خبر عن المبتدأين (والشمس) هذه الواو هى واو الابتداء والشمس مبتدأ (رأد الضحى) منصوب على انه ظرف زمان والضحى مضاف اليه علامة جره كسرة مقدرة على الالف لانه مقصور والالف حرف هوائى أى عمالا يقبل الحركة (كالشمس) الكاف تجىء فى الكلام لمعان منها ان تكون للتعليل كقوله تعالى واذكروه كما هداكم وزائدة كقوله تعالى ليس كمثله شئ لانه يلزم من عدم زيادتها اثبات المثل لله تعالى الله عن ذلك هكذا أعربها الجمهور من النحاة قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله فى التعليقة على المقرب قال أكثر الناس هى زائدة للتوكيد والمعنى والله اعلم ليس مثله شئ وقال جماعة من المحققين ليست بزائدة وانما هى على بابها ومعنى الكلام والله أعلم نفى مثل المثل ويلزم من ذلك نفى المثل ضرورة وجوده سبحانه فان قيل لم توصل الى نفى المثل بنفى مثل المثل وهلا نفى المثل من أول وهلة فالجواب ان نفى المثل بنفى مثل المثل أبلغ وأفخم من قولنا أنت لاتفعل هذا لانه نفى الشئ بذكر دليله فهو أبلغ من نفى الشئ بغير ذكر دليله اه (قلت) وقد قال بعضهم انها ليست زائدة ولم يعول على هذا الدليل بل قال مثل ومثل ساكنا ومتحركا سواء فى اللغة كشبه وشبه فمثل ههنا بمعنى مثل قال الله تعالى ولله المثل الأعلى ويكون المعنى ليس مثل مثله شئ وهو صحيح ومن أمثلة زيادتها قول رؤبة بن العجاج * لواحق الاقراب فيها كالمقق * وهو النحول وما أحلى قول ابن قلاقس يمدح الحافظ الدنى

كالبحر والكاف ان أنصفت زائدة * فيه فلا تحسبنها كاف تشبيه

وقد أخذه من أبى الطيب حيث قال

كفاتك ودخول الكاف منقصة * كالشمس قلت وما للشمس أمثال

وتخرج الكاف من الحرفية الى الاسمية فتكون فاعلا كقول الشاعر

أتنتهون ولن ينهى ذوى شطط * كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وتكون مبتدأ كقول الشاعر

أبدا كالغراء فوق ذراها * حين يطوى المسامع الطرر

وتكون مجرورة كقوله * وصاليات كما يؤثفين * وقوله * يضحكن عن كالبرد المنهم (المعنى) مجدى فى الاول ومجدى فى الآخر سواء لاتفاضل فيه كما ان الشمس استوت حالتاها فى أول النهار وآخره ومن الكلم النوابغ التاجر مجده فى كيسه والعالم مجده فى كراريسه ومنها أيضا من أخطأته المناقب لم تنفعه المناسب وفى خبر شمر بن عبس الحميرى أحد ملوك اليمن فى خبر طويل انه سأل أولاده قبل الوفاة فقال ما المجد فقالوا ابتناء المكارم وحمل المغارم والاصطلاح بالعظائم وكف النفس عن ركوب المظالم ويحتمل بيت الطغرائى أنه أراد بمجد أسلافى ومجدى واحد أى انى ورثت المجد عن آبائى الكرام وسدت كما سادوا وقد أخذ الطغرائى هذا المعنى من قول أبى العلاء المعرى حيث قال

واقفتهم فى اختلاف من زمانكم * والبدر فى الوهن مثل البدر فى السحر

كان مظلوما فانحرك السلسلة ليعلم به الملك فيزيل ظلامته قال العسكرى وهذا هو الاصل فى قول الناس حرك فلان على فلان السلسلة اذا وشى به (وحكى) انه كان جالسا بالايوان واذا بحية قد دنت من عش حمامة فى بعض شقوق الايوان لتأكل فراخها فرمى الحية بسهم أو بندقة فقتلها فقال هكذا تفعل بعدو من استجار بنا فلما كان بعد أيام جاءت الحمامة بحب فى منقارها فألقته اليه فأخذه وقال ازرعوه فزرعوه فنبت ريحانا لم يكن يعرفونه فقال نعم ما كافأتنا به الحمامة تسأل الله الذى ألهمها ان يلهمنا الاحسان الى رعيته والشكر على نعمه وخص كسرى بأشياء لم تكن لغيره من الملوك على ما ذكره كثير من الرواة منها الفيل الابيض لركوبه طوله اثنا عشر ذراعا وقطعة الياقوت المسمى لسان الثور تضىء بالليل أكثر من السراج والفلهيد المغنى واضع العود الخراسانى على اثنى عشر وترا كل من ضرب به خرج الاهواء وكان يعمل له كل يوم مع طعامه مهرمن الخيل وعناق زرقاء مغذاة بلبان الدجاج يذبحان بسكين من ذهب ويبخر التنور بالعود ويسط بالخز المغلى ويطلى بالمسك والملح ويعلق

فهذا

فهذا هذا خلا أن ذاك في الشمس وهذا في القمر ولكن قول المعري ألطف عبارة وأحسن اشارة لان الصغرائي أغرب في لفظتي رأد والطفل وعذوبة الالفاظ أمر مهم في البلاغة وكلا المعنيين يشبه قول الحريري

وطالما أصلى الياقوت جمرغضا * ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت

كتب نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقي الى الامام الناصر يعرض بالوزير القمي وكان يدعي انه شريف علوي

خليلي قولا للخليفة أحمد * توق وقيت الشر ما أنت صانع
وزيرك هذا بين أمرين فيهما * صنيعك ياخير البرية ضائع
فان كان حقا من سلالة أحمد * فهذا وزير في الخلافة طامع
وان كان فيما يدعي غير صادق * فاضيع ما كانت لديه الصنائع

فلما وقف الناصر عليها كانت سبب تغيره عليه وأمر فخرج اليه عملوكان مسرعين فهجما على الوزير في داره وضرباه بدواتيه على رأسه وحملاه الى المطبق فكتب الى الخليفة

ألقني في لظى فان غيرتني * فتيقن أن لست بالياقوت
عرف النسج كل من حاك لكن * ليس داود فيه كالعنكبوت

فكتب اليه الخليفة الجواب

نسج داود يفضد صاحب الغا * روكان الغار للعنكبوت
وبقاء السمند في لهب النا * ر دليل فضيلة الياقوت

اختبرناك فصرفناك واختبرناك فصرفناك والسلام ومن هنا أخذ المعنى ناصر الدين حسن ابن النقيب

ودود القزان نسجت حريرا * يجعل لبسه في كل شي
فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبي

وعلى ذكر العنكبوت ودود القز ذكرت قول محمد بن أبي الحسن المعروف بالاردخل

أقول اذا قالوا ترا لك مقطبا * اذا ما ادعى دين الهوى غير أهله
يحق لدود القز يقتل نفسه * اذا جاء بيت العنكبوت بمثله

وقول الاخرو هو أبو محمد بن القاسم بن عمر بن منصور الواسطي شارح المقامات

حق دود القز يبني * فوقه ثم يموت
بعد ما سدى وقد صا * ر سدى العنكبوت

قال صاحب الصحاح والسرفة دويبة تتخذ لنفسها بيتا ربما من دقاق العيدان تضم بعضها الى بعض يلعابها على مثل النساووس ثم تدخل فيه فتموت يقال في المثل أضيع من سرفة اه ما قاله صاحب الصحاح (قلت) هي بضم السين المهملة وبعدها راء ساكنة ثم فاء مفتوحة وآخرها هاء على وزن غرفة واختلفوا في نعتها فقال اليزيدي هي دويبة صغيرة تنقب الشجر وتبني فيه بيتا وقال أبو عمرو بن العلاء هي دويبة مثل نصف عدسة تنقب الشجر ثم تبني فيه بيتا من عيدان تجمعها مثل غزل العنكبوت مخرطا من أسفله الى أعلاه كأن زواياه قومت على مخط وله في احدى صفائحه باب مربع قد الزمت أطراف عيدانه من كل صفيحة أطراف

في سفود من ذهب ونار بين من ذهب فاذا برد حمل فوضع على خوان من ذهب فيقدم اليه فيأكل أكثره ويتحف بالبقية من أحب من ندمائه ويكسر التنور ويجدد كل يوم مثله واجتمع على بابه سبعون ملكا وله حكايات حسنة مذكورة في سيره * فمنها أن عاملا له على ناحية كتب اليه يعلمه بجودة الريع ويستأذنه في الزيادة على الرسم فامسك عن اجابته فعاوده العامل في ذلك فكتب اليه قد كان في ترك اجابتك عن كتابك ما حسبتك تزجر به عن تكلف مالم تؤمر به فاذ قد أبيت الانقياد باسوء الادب فاقطع احدى أذنيك واكفف عما ليس من شأنك فقطع العامل أذنه وسكت عن ذلك الامر * ومنها أن رجلا على عهده كان يقول من يشتري ثلاث كلمات بألف دينار فقطير منه الناس الى أن وصل الى كسرى فأحضره وسأله عنها فقال ليس في الناس كلهم خير فقال كسرى هذا صحيح ثم ماذا قال ولابد منهم قال صدقت ثم ماذا قال فالبسهم على قدر ذلك فقال كسرى قد استوجبت المال فخذه قال لاحاجة لي به وانما أردت أن أدري من يشتري الحكمة بالمال * ويروى انه

عيدان الصفيحة الاخرى كانها مغروزة وقال محمد بن حبيب هى دويبة تنسج على نفسها بيتا فهو ناووسها حقا والدليل على ذلك انه اذا نقض هذا البيت لم توجد الدودة فيه حية أصلا وزاد بعض رواة الاخبار على ابن حبيب زيادة فزعم ان الناس فى أول الدهر حين كانوا يتعلمون الحيل من أفعال البهائم تعلموا من السرفة احداث بناء الناووس على موتاهم وانه فى خط وشكل بيت السرفة ويقال وادسرف وأرض مسرفة وسرفت الشجرة اذا أصابتها السرفة ومن هذه المادة قول القائل

اذا شوركت فى أمر بدون * فلا يلحقك عار أو نفور
ففى الحيوان يشتركا اضطرارا * ارسطاليس والكلب العقور

قلت هذا معنى قول أرباب المنطق فى كل نوع حصة من جنسه يعنون بذلك أن كل فرد فرد من أشخاص الجسم النامى المتحرك بالارادة من الناطق والصاهل والمفترس والسابع والنابح وغير ذلك فيه حصة من الحيوانية التى هى جنسه وهى الجسمية والنمو والتحرك بالارادة والنوعية هى التى امتاز بها كل نوع عن غيره وهى الفصل مثل الناطقية أو الافتراسية أو السابحية أو النابحية وقد رأيت الشيخ الامام الفاضل ركن الدين محمد بن القريع غير مرة ينكر على من يضرب كلبا أو بهيمة ويقول له بحق لا أى شئ تفعل به هذا وهو شريكك فى الحيوانية وما أحسن قول القائل

وللزنبور والبازى جميعا * لدى الطيران أجنحة وخفق
ولكن بين ما يصطاد باز * وما يصطاده الزنبور فرق

والياقوت هو سيد الاحجار التى لا تذوب ولا تتكلس بالنار زعموا انه يتكون فى كهوف الجبال وخلال الرمال ويتم نضجه فى عشر سنين وعلة تكوينه ان مياه الامطار التى ترسخ فى المغارات والكهوف متى لم يخالطها شئ من الترابية والطينية وطال وقوفها هناك ازدادت صفاء وثقلا وغلظا بتسلط حرارة المعدن على تجفيفها وطبخها فانعقدت وصارت حجارة صلبة شفافة وتكون ألوانها وخفتها وثقلها بحسب أنوار الكواكب المستولية على ذلك الجنس من الجواهر وعلى تلك البقاع على ما زعم أصحاب الكلام فى أحكام النجوم فانهم يقولون السواد لزحل والحمرة للمريخ والخضرة للمشترى والصفرة للشمس والزرقة للزهرة والملون لعطارد والبياض للقمر وأصحاب الكلام فى الطبائع يقولون سبب اختلاف الالوان اختلاف بقاع الارض التى يتكون فيها ذلك لان الماء اذا وقع عليها وغاض فيها ودام تغير بما النحل فيه من يبس الارض واسخان الشمس له فعلى قدر حرارته يتكون فان اشتدت حرارته وأفرطت واستولى عليها اليبس عرض له السواد وظهر على أعلاه وبطنت الحمرة التى هى عن الحرارة المعتدلة فى باطنه وربما طرحت الحمرة نورها الى خارج مع ظهور السواد فقام بينهما اللون الاسمانجونى وان كانت الحرارة معتدلة انعقد أحمر وهو أجود الياقوت وان قصرت الحرارة بغالبة الرطوبة لها انعقد أصفر وان أفرطت الرطوبة واستولت على الحرارة انعقد أبيض صافيا والاسمانجونى والاصفر اذا وضعا على النار أبيضا ولا يتغيران عن البياض فهذه الالوان الاربعة يشملها جنس الياقوت والاحمر منها ينقسم الى أربعة أصناف البهرمانى وهو أشدها حمرة وأكثرها صفاء ويوجد منه ما وزنه اثنا عشر مثقالا الثم الوردى وهو وارد أنواع الاحمر ويوجد منه ما وزنه

اول من جعل لندمائه أمارة ينصرفون بها من مجلسه اذا أراد انصرافهم وذلك انه كان يدر جله فيعرفون انه يريد قيامهم فينصرفون وتبعه الملوك وكان فيروز الاصغر كذلك يعرك عينه وكان بهرام يرفع رأسه الى السماء وكان فى الاسلام معاوية يقول العزة لله وعبد الملك بن مروان يلقى المخصرة من يده وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يدعو وحدث بهذا الحديث عند بعض الخلفاء وسئل ما أمارته قال اذا قلت ياغلام هات الطعام * ومن كلام كسرى القلوب تحتاج الى أقواتها من الحكمة كما تحتاج الابدان الى أقواتها من الغذاء ووقع فى قصة مرافع ان الملوك اذا دبرت ملكها بمال رعيتها كانت بمنزلة من يعمر سطح بيته بما ينقضه من أساسه وكتب بالتؤدة على مائدة من الذهب ليهنه طعام من أكله من حله وعاد على ذوى الحاجات من فضله ما أكلته وأنت مشتهيه فقد أكلته وما أكلته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك وقيل ما أعظم الكنوز قدرا وأنفعها عند الحاجة اليها فقال معروف أودعته عند الاحرار وعلم أورثته الاعقاب وقال احذروا صولة الكريم

ثلاثون مثقالا ثم الخمرى وأردؤه ماقرب الى البياض ثم الاحمر العصفرى وأردؤه ماقرب من لون الورس وأما الاصفر فمنه الرقيق الكثير الماء ثم الخلوقى وهو أشبع صفرة من الاول ثم الجلنارى وهو أشبع صفرة من الثانى وأشدها عاوأ كثرها ماء وهو أكثر أنواع الاصفر ويوجد من هذه الاصناف ماوزنه أربعون مثقالا وأما الاسمانجونى فمنه الازرق واللازوردى والنيلى والكحلى ويسمى الزيتى وهو أردؤها ويوجد منه ماوزنه أربعون مثقالا وأما الابيض فمنه المهاوى وهو أشدها بياضا وأكثرها ماء وأقواها شعاعا ومنه الذكر وهو أردأ أصناف الياقوت ﴿قرأت على العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى كتابه الذى وضعه ووسمه بنخب الذخائر فى أحوال الجواهر قال فى ذكر الياقوت فالرمانى أعلاها وهو الشبيه بحب الرمان الغض الخالص الحمرة الشديد الصبغ الكثير الماء ويؤخذ لونه بان يقطر على صفيحة فضة مجلوة قطرة دم قرمزى أعنى من عرق ضارب فلون تلك القطرة على تلك الصفيحة هو الرمانى ثم قال فيما بعد وذكر القدماء ان قيمة المثقال الفائق من الياقوت الاحمر ثلاثة آلاف دينار وأما فى الدولة العباسية فان الغالب من قيمته أن الجيد منه اذا كان وزن طسوج يساوى خمسة دنانير وضعفه عشرين دينارا وسدس مثقال ثلاثين دينارا وثلث مثقال مائة وعشرين دينارا ونصف مثقال أربعمائة دينار والمثقال بألف دينار والمثقال ونصف بألفى دينار هذا ما تقرر فى زمن المأمون مع كثرة الجواهر فى ذلك الزمان والمثقال من البهرمانى بثمانمائة دينار ومن الارجوانى بخمسمائة دينار ومن الجلنارى بمائتى دينار ومن اللعمى بمائة دينار والبنفسجى بقاربه والوردى دون ذلك وكان فى خزانة الامير يمين الدولة محمود ياقوتة شكلها شكل حبة العنب وزنها اثنا عشر مثقالا قومت بعشرين ألف دينار وكان للمعتضم فص يسمى ورقة الآس لانه كان على شكلها وزنه مثقالان الاشعريتين اشتراه بستين ألف درهم ثم قال قال ابن سينا ان خاصية الياقوت التفريح وتقوية القلب ومقاومة السموم وقال ابن زهر شرب سحيقه ينفع الجذام والتختم به يدفع حدوث الصرع انتهى (قلت) ومن خواص الياقوت انه يقطع جميع الحجارة الا الالماس فانه يقطعه لصلابته وقلة مائه وشدة الشعاع والثقل والملاسة والصبر على النار وهو لا يجلى الا على صفيحة نحاس بتكلس الجزع اليمانى وهو ان يحرق حتى يصير كالنورة ثم يسحق بالماء حتى يعود كالغراء ثم يجلى به الياقوت لانه يخرج من معدنه وظاهره مظلم فيحتاج الى الجلاء وربما وجد فى باطن الحجر بعد جلائه طين أو ماء قصرت عنه حرارة المعدن فى الطبخ فيطين ويجفف بعد ان يثقب بالالماس ثم يلقى فى النار ويوقد عليه بالحطب الجزل بقدر معلوم فانه ينقى فان كان لونه اسمانجونيا أو أصفر لم يدخل النار الا ان كان فى الاسمانجونى صفرة فيدخل قليلا بقدر ما تغسل عنه فان زيد فى حميه انسلخت لونيته وابيض وصار كالبلور وما أحسن قول البلخى رحمه الله تعالى

أقبلت لى قيمة مذ صرت تلحظنى * شمس الكفاءة تغنينى عن النظر
كذا اليواقيت فيما قد سمعت به * من حسن تأثير عين الشمس فى الحجر

قال بعضهم فى مليح اسمه ياقوت

ياقوت ياقوت قلب المستهام به * من المروءة أن لا يمنع القوت
سكنت قلبى وما تخشى تلهبه * وكيف يخشى لهيب النار ياقوت

اذا جاع واللئيم اذا شبع

(وقيصر رعى ماشيتك)

(قيصر) اسم لملوك الروم وسموا الروم لانهم ينتسبون الى روم بن العيص بن اسحق عليه السلام وقيل انهم ينتسبون الى رومية والصحيح الاول لان رومية بنيت بعد ظهورهم بكثير وكان يقال لها رماس فلما سكنوها نسبت اليهم وقال ابن الكلبى ولد لاسحق ثلاثون ولدا منهم الروم وكان أصفر اللون فقيل لولده بنو الاصفر وقيل أغارت عليهم الحبشة فولدلهم بنات أخذن من بياض الروم وسواد الحبشة فكن صفرا لعسا فنسبوا اليهن وأول من سمى منهم قيصر قيصر بن انطرطس وسمى قيصر لان أمه كانت حاملا به فقصرت ولادتها فشق بطنها فخرج وكان يفتخر على الناس بأن النساء لم تلده وانما خرج كرها وسمى قيسر ثم قيل قيصر وصار هذا اللقب سمة لملوك الروم بعده وكان جبارا عاتيا وهو أول من جمع مملكة الروم واليونان وذلك أن أباه انطرطس لما بلغه أن ملوك اليونان قد انقرضوا ولم يبق منهم غير امرأة وهى قبلا بطره أرسل اليها يخطبها وكان قد ملك طرفا من أطراف بلادهم حين انقرضوا يقول قصدى أن تصير

الملكان واحدة وأقرب منك لفضلك وعقلك فعلمت أنها مغلوبة معه فأجابته وقالت تقيم في مكانك الى يوم عينته فقامت وأفكرت في حيلة تحتال بها عليه فرأت انها تهلك نفسها وتهلكه معها ولا يمكن منها فعمدت الى حية تكون في الرمل تضرب الانسان فيهلك في لحظة فجعلتها في اناء من زجاج وزينت قصرها وفرشت مجلسها بالرياحين ولبست تاجها وجلست على سريرها واستدعت به فلما وصل الى باب القصر أخرجت الحية فضربته فمات وانسابت الحية في رياحين حولها فدخل انطرطس الى السرير ولم يشك انها في عافية فخاص الى جانبها فعبثت في الرياحين فضربته الحية فمات وكان ابنه مع جيشه فسمع بموتهما فاستولى على بلاد الروم واليونان وكان اذا أراد أن يستشير أحدا من عقلاء دولته أرسل اليه نفقة سنته ليتوفر ذهنه على ما يشير به ومن بعده اختلفت الروم فتقاسموا البلدان والاطراف الى ظهور الاسلام وقيصر هذا أعظم ملوكهم ومن كلامه ما الحيلة فيما أعيا الا الكف عنه ولا الرأي فيما لا ينال الا اليأس منه

وأما السمندل فاخبرني العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري قال أخبرني عز الدين بن عبد العزيز الحلبي المعروف بالكومي أن السمندل شيء يشبه غبار القطن ونسج العنكبوت يتكون في شقوق من سقفان تعلو أنهارا عذبة بارض الهند وانه قليل جدا لا يظفر منه الا باليسير انتهى (وأخبرني) الشيخ الامام العلامة صلاح الدين محمد بن البرهان من لفظه ان البادزهر يوجد في بعضه تجويف وفيه شيء يشبه الصوف اذا وضع في النار لم يحترق منه شيء البتة (وأخبرني) الشيخ شمس الدين أيضا انه عاين عند الامير علاء الدين علي بن البزواتاه بالديار المصرية منشفة طولها قدر أربعة أشبار وعرضها دون ذلك يمسح بها الوجه واليدان فاذا تدنست تلقى في النار فتنقى وذكروا انها من السمندل لم يذكر أهو حيوان أو غيره وحكى لي وله انسان يظن به الصدق انه رأى عند شخص يعمل الشاب بين القصرين بالقاهرة ريشة بيضاء شككت أنا في طولها هل قال ذراع أو أقل وأنها يوضع عليها الزيت وتلقى في النار الى ان تفنى مادة الزيت ثم يخرج بها وهي سليمة بيضاء نقية (وأخبرني) الشيخ شمس الدين أيضا انه رأى عند شرف الدين بن زنبور شخصا مغربيا يعرف بزيد الصائغ دهن لحيته بدهن كان معه ووضع السراج فيها فاشتعلت ذقنه الى ان نفدت مادة الدهن فضرب بيده ذقنه فطفئت ولم يحترق منها شيء قلت أنا ولعل الريشة التي ذكرها الناذلك الرجل تدهن بذلك الدهن وهو معروف عند أصحاب الملح فالخصوصية للدهن لا للريشة والله أعلم بالصواب وان كانت هذه الريشة من طائر وله هذه الخصوصية فقول هذا يؤيد حجة الاشاعرة في دعواهم ان الله يخلق الاحراق في النار عند قربها من الاجسام وليس الاحراق لنفس النار ويخلق الشبع عند تناول الخبز وليس الشبع بالخبز ويخلق الري عقيب شرب الماء وليس الري لنفس الماء فقد رأينا من يفرط في أكل الخبز ولم يشبع وفي شرب الماء ولم يرو وما ورد في الاخبار الصحيحة من بقاء الحيات والعقارب وعظم مقاديرهن في نار جهنم وهي حيوانات وليس هذا ممتنع على الفاعل المختار سبحانه وتعالى وهذا الطائر يمكن أن يتولد في النار كما يتولد في كور الزجاجين الحيوان المسمى بالسمندل وهو أشبه شيء بسام أبرص لا يزال حيا مادام في النار وهي مضطرمة فاذا طفئت وبرد المكان مات وقال ارسطو لا يبعد أن يكون في كل عنصر حيوان يتولد فيه كما يحكى أن في بلاد الترك بزاة بيضا اذا حصل لها مرض معروف عندهم حلقت في الهواء ونزلت ومعها حية بيضاء قدر شبر فتأكلها فتبرأ مما تشتكوه ثم ذكر ارسطو أيضا السمندل المذكور تأييدا لما ادعاه (أخبرني) العالم مفتي المسلمين شرف الدين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ فتح الدين بن أبي الحسن علي بن ابراهيم الانصاري القمي من لفظه بثغر الاسكندرية قال أخبرني الشيخ نجيب الدين عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي الحراني أخبرنا أبو حامد وعبد الله بن مسلم بن جوالق قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا منصور بن أبي غالب القزاز أخبرنا الحافظ أبو بكر احمد بن علي الخطيب أخبرنا الحسن بن أبي بكر بن شاذان حدثنا أبو الحسين عبد الرحمن بن نصر المصري الشاعر املاء من حفظه حدثنا أبو عمر الانسي بمصر قال حدثنا دينار مولى أنس بن مالك قال صنع أنس لاصحابه طعاما فلما طعموا قال ياجارية هاتي المنديل فجاءت بمنديل درم فقال اسجري التنور واطرحيه فيه ففعلت فابيض فسألناه عنه فقال ان هذا كان للنبي صلى الله عليه وسلم وان النار لا تحرق شيأ كان للنبي صلى الله عليه وسلم أو مسته يد الانبياء دينار بن

عبد الله ضعيف واه قاله أبو أحمد بن عدى (رجع القول الى بيت الطغرائى) ولتعنت أن يقول ليس كون الشمس فى أول النهار مثل كونها فى آخره لان حالة الاقبال حالة ابتداء وتمكن وحالة الادبار حالة انتهاء وزوال ولهذا قال المنجمون ان السعى فى الحوائج قبل الزوال انجح منه فيما بعد الزوال ويكرهون الحركة آخر النهار قال الشاعر

بكر اصاحبى قبل الهجير * ان ذاك النجاح فى التبكير

وأول النهار شباب وقوة وآخره مشيب وهرم فجواب المتعنت انه ما أراد الا ذات الشمس من حيث هى من غير نظر الى ما يطرأ عليها من حركة فلكها الان هذه الحالة فى الابكار والعشى انما هى خير وشر بالنسبة الينا لان فلك الشمس لا يزال دائرا وحركة الفلك واحدة لا تتغير أبدا اذ الكرة لا فوق لها ولا تحت فالشمس فى جرمها واحدة لم تتغير أبدا وهى هى أبدا ما زالت ولا طرأ عليها شئ نعم كان هذا يرد أن لو كان كل يوم الشمس تخصه كما ذهب اليه بعضهم وليس بشئ ولهذا قال المعرى رحمه الله تعالى

وما البدر الا واحد غير أنه * يغيب ويأتى بالضياء المجدد

فلا تحسب الاقمار خلقا كثيرة * فجملتها من نير متردد

اذا ثبت ذلك فالشمس من حيث هى هى واحدة فى ذاتها لا تتغير فى نورها وعظمها وعلوها وهبوطها لم يزدها ولم ينقصها شيأ قال ابراهيم الغزى

أما ترى البدر يكسو ناظريك سنى * فيستوى فيه اقبال وادبار

وقد بالغ الطغرائى وضرب لفخره ومجده مثلا حسنا بالشمس فانه مثل بما لا يخفى على ذى عقل فضله ولا يسعه انكاره

وليس يصح فى الاذهان شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

ومن أحسن ما حضرنى فى الافتخار قول بشار بن برد رحمه الله

اذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو تقطر الدما

اذا ما أعرنا سيدا من قبيلة * ذرى منبر صلى علينا وسلما

وقول عبد المطلب

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة * ولو تسلت أسلناها على الاسل

لا ينزل المجد الا فى منازلنا * كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

(وقول الآخر)

حملت بروج المجد منى كوكبا * لا يهتدى لسوى سناه السارى

وعلى الرياح أزمتى وأعنتى * ومن النجوم أسنتى وشفارى

وقول الشريف أبى الحسن العقيلى

نحن الذين غدت رحى أحسابهم * ولها على قطب الفخار مدار

قوم لفضل نداهم من رفدهم * ورق ومن معروفهم أعمار

من كل وضاح الجبين كأنه * روض خلا تقه له أزهار

وقول الشريف الرضى يخاطب الطائع

مهلا أمير المؤمنين فاننا * فى دوحة العلياء لا نتفرق

(والاسكندر قتل دارا فى طاعتك)

هو الاسكندر بن فيليبش اليونانى واختلف فى أصل اليونان فقال ابن الكلبى هو يونان بن يقيثة ونسبه الى اسحق وقال يعقوب الكندى يونان أخو قحطان من العرب من ولد عابر خرج من اليمن ونزل ديار المغرب وأقام فيها واستعجم لسانه وتكلم بلغة من هنالك من الروم وقال الرقاشى وهو الاشهر ان يونان بن يافث بن نوح وليس من العرب ولا من الروم وانما جاور الروم على ساحل البحر الرومى وكان وسيما حسن العقل كبير الهمة فأقام هنالك حتى كثر ولده فخرج يطلب مكانا يسكنه فانتهى الى مدينة بالمغرب يقال لها اقتينة فبنى بها قصورا وأقام وكثر نسله ولما احتضر أوصى الى ولده الاكبر وصية حسنة ثم مات فاستولى ولده على بلاد المغرب من ناحية افرنجة والصقالبة ومن جاورهم ولما ظهر بختنصر على مصر دخل المغرب ووصل الى بلاد اليونان وقرر عليهم أن يؤدوا الخراج الى ملوك فارس واستقر ذلك الى أيام الاسكندر * وأما الاسكندر فاختلف فى نسبه فقيل انه الاسكندر بن فيليبش من ولد يونان وهو الاصح

ما بينفاوم الفخار تفاوت * أبدا كلانا في السيادة معرق
الا الخلافة ميزتك فانني * أنا عاطل منها وأنت مطوق

قيل ان الخليفة لما بلغه ذلك قال على رغم أنف الرضى وقيل انه كان يوما عنده وهو يعبث بلحيته ويرفعها الى أنفه فقال له الطائع أظنك تشم منها رائحة الخلافة قال بل رائحة النبوة

وقول الرضى أيضا

رمت المعالى فامتنعن ولم يزل * أبدا يمانع عاشقا معشوق
وصبرت حتى نلتهن ولم أقل * منجرا دواء الفارك التطليق

وقول اسحق بن ابراهيم الموصلي

اذا مضر الحمراء كانت أرومتي * وقام بنصري حازم وابن حازم
عطفت بانف شامخ وتناولت * بداي الثريا قاعدا غير قائم

انما ذكر حازما لانه مولى خزيمة بن حازم التميمي وانما نزل أبوه الموصل فنسب اليه وخزيمة هو الذي يقول فيه أبو نواس

خزيمة خير بني حازم * وحازم خير بني دارم
ودارم خير تميم وما * مثل تميم في بني آدم

(وقال الآخر)

قريش خيار بني آدم * وخير قريش بنو هاشم
وخير بني هاشم أحمد * رسول الاله الى العالم

ومن رسالة ابن عرسية

لله ما قدري صفوة * وصفوة الخلق بنو هاشم
وصفوة الصفوة من بينهم * محمد النور أبو القاسم

أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري

محمد خير بني هاشم * فمن تميم وبنو دارم
وهاشم خير قريش وما * مثل قريش في بني آدم

ومن الاول أخذ مسلم بن الوليد قوله

فاخر فمالك في شيبان من مثل * كذاك مالبني شيبان من مثل

وذكر صاحب الاغاني ان مروان بن أبي حفصة دخل يوما على ابراهيم الموصلي فجعلا يتحادثان الى أن أنشد اسحق بن ابراهيم قوله اذا مضر الحمراء البيتين قال وجعل ابراهيم يحدث مروان وهو ساه عنه مشغول فقال مالك لا تجيبني قال انك لا تدري ما أفرغ اينك في أذني ومن الافتخار قول أبي تمام الطائي رحمه الله تعالى

أنا ابن الذين استرضع الجد فيهم * وسمى منهم وهو كهل ويافع
مضوا وكأن المكرمات لديهم * لكثرة ما وصوا بهن شرائع
فأي يد في المجد مدت ولم يكن * لها راحة من مجدهم وأصابع
هم استودعوا المعروف محفوظ مالنا * فضاع وما ضاعت لدينا الودائع

وقيل هو الاسكندر بن الصعب كان أبوه نساجا واسم أمه هيلانة وكان يتيما في حجر وسمعت أمه ببيت الصنائع وهو بيت وضعته اليونان في القسطنطينية وصورت فيه الصنائع لتعرض على الصبيان فمن تاقت نفسه لصنعة اشتغل بها فحملته أمه فشاهد صور الاشياء فوضع يده على تاج الملك فهتفته أمه مرارا فلم يلتفت فنظرت اليها متولي بيت الصنائع وقال أنت هيلانة قالت نعم قال وهذا ابنك قالت نعم فقال له أبشر فانت الملك الذي يسحب ذيله في البلاد وهذا قول مردود لبعد ما بين حمير واليونان ولان القسطنطينية بنيت بعد رفع عيسى عليه السلام بزمان وانما انقرضت دولة اليونان عند ظهور عيسى والصحيح أنه الاسكندر ابن فيليبش وسمي ذا القرنين تشبيها بذي القرنين المذكور في الكتاب العزيز لبلوغ ملكه قرني الشمس من المشرق والمغرب وهو صاحب ارسطاطاليس الحكيم كان أبوه أسلمه اليه فأقام عنده خمس سنين يتعلم منه الحكمة والادب فنال منه مالم ينل أحد من تلامذته ومرض أبوه فخاف على الملك فاسترده وعهد اليه * وأما دارا فهو دارا الاصغر

وقوله أيضا رحمه الله

جرى حاتم فى حلبة منه لو جرى * بها القطر قال الناس أيهما القطر
فتى ذخر الدنيا الناس ولم يزل * لها باذلا فانظر لمن بقى الذكر
فمن شاء فليفخر بما شاء من ندى * فليس لحى غير ذاك الفخر
جمعنا العلا بالجود بعد افتراقها * الينا كما الايام يجمعها الشهر

وعند أكثر الناس ان أبا تمام كان أبوه نصرانيا يقال له سدوس العطار من جاسم قرية من قرى حوران بالشام فغير اسم أبيه واندس فى بنى طيئ (وذكر) صاحب الاغانى أن رجلا قال لجرير من أشعر الناس قال قم حتى أعرفك الجواب فأخذ بيده وجاء الى أبيه عطية وقد أخذ عنزا فاعتقلها وجعل يمتص ضرعها فصاح به اخرج يا أبت فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته فقال ترى هذا قال نعم قال أو تعرفه قال لا قال هذا أبى افتدرى لم كان يشرب من ضرع العنز قال لا قال مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه ثم قال أشعر الناس من فاخر بهذا الاب ثمانين شاعرا وقارعهم فغلبهم جميعا (قلت) ما هذه الاوقاحة عظيمة من جرير فى مفاخرته أوائل الشعراء وهذا أبوه لكنه تغتفر له هذه الوقاحة باعترافه لذلك الرجل واظهاره بخل أبيه (وعكس) هذه القضية هجاء دعبل الخزاعى للمأمون حيث يقول فيه

انى من القوم الذين سيوفهم * قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
شادوا الذكر بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الأوهد

يشير دعبل الى واقعة طاهر بن الحسين الخزاعى مع الامين يقال ان المأمون كان اذا أنشد هذين البيتين قال قبح الله دعبلا ما أوقعه كيف يقول عنى هذا وقد ولدت فى حجر الخلافة ورضعت ثديها وربيت فى مهدها (سمع) المأمون يوما بعض الكنافين يقول وهو مار فى موكبه لقد سقط هذا من عينى من حين غدر بأخيه فقال من يشفع لى الى هذا الرئيس لارتفع الى عينه بعد سقوطى (نقلت) من بعض مجاميع القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان قال أنشدنى بعض الادباء بيتا فى الجمال أبى الحسين الجزار وما عرفت قائله ولا بقية الابيات المضافة اليه فقلت لابى الحسين ذلك وقلت ان كنت تعرف ذلك فانشدنى اياه وعرفنى قائله فقال وما البيت فانشدته

فليس يرجوه غير كلب * وليس يخشاه غير تيس

فاستحسن ذلك وجاءنى ثانى يوم فقال قد عملت فى ذلك المعنى أبياتا وأنشد

ألا قل للذى يسأ * ل عن قومى وعن أهلى
لقد تسأل عن قوم * كرام الفرع والاصل
يريقون دم الأنعا * م فى حزن وفى سهل
ومازالوا لما يبدو * ن من بأس ومن بذل
يرجيهم بنو كلب * ويخشاهم بنو عجل

انتهى ما نقلت قلت وهذه الابيات تنظر الى قول الآخر فى الحكاية المشهورة قال بعضهم كنت ليلة جالسا عند بعض ولاة الطوف وقد جاءه غلمانه برجلين فقال لاحدهما من أبوك

ابن دارا الاكبر بن أردشير أحد ملوك الفرس العظماء المشهورين كانت له قطيعة على أبى الاسكندر فى كل سنة ألف بيضة من الذهب فى كل بيضة ألف مثقال على عادة آبائهم فلما ملك الاسكندر أخر ارسال القطيعة فكتب اليه دارا يتهدده ويتوعده حيث أخر الاتاوة وبعث اليه بكرة وصولجان وخرقة فيها سمسم وقال أنت صبى فالعب بهذه الكرة فان أديت الاتاوة والا بعثت اليك بجنود عدد هذا السمسم وأتيت بك فى الاوثاق فكتب اليه الاسكندر أما بعد فقد تيمنت بالكرة والصولجان فان الدنيا مثل الكرة وسألعب بها وأضيف ملكك الى ملكى وأما السمسم فقد تيمنت أيضا به لانه بعيد عن الحرافة والمرارة وأما الدجاجة التى كانت تبيض ذلك البيض فقد ذبحتها وأكلت لحمها فغضب دارا وسار اليه بجموعه وسار الاسكندر بجموعه والتقيا على نصيبين الجزيرة فلما هم دارا بالقتال بعث اليه الاسكندر يقول له أيها الملك لا تفعل فان دماء الملوك لا تجوز اراقتها وهدم البيوت القديمة غير محمود والبغى ذميم العقبى والحرب غير مأمون

فقال أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا على باب داره * فهم قيام حولها وقعود

فقال الوالى ما كان أبوه هذا الا كريما ثم قال للآخر من أبوك فقال

أنا ابن من ذلت الرقاب له * ما بين مخزومها وهاشمها
خاضعة أذعنت لطاعته * يأخذ من مالها ومن دمها

فقال الوالى ما كان أبوه هذا الا شجاعا وأطلقهما فلما انصرفا قالت للوالى أما الاول فكان أبوه يبيع الباقلاء المطبوقة وأما الثانى فكان أبوه حجاما فقال الوالى عند ذلك

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك مضمونه عن النسب
ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

انتهى (والاصل فى هذا) قول عتبة الاعور يهجو أبا اسحق بن ابراهيم بن شبابة الثقفى مولاهم الكوفى كاتب المهدى وكان أبوه حجاما

أبوك أوهى التجاد عاتقه * كم من كمى أودى ومن بطل
يأخذ من ماله ومن دمه * لم يمس من ثاره على وجل
له رقاب الملوك خاضعة * من بين حاف وبين منتعل

وهذا من التهكم فى غاية الحسن (وقال) بعضهم وجدت على قبر مكتوبا أنا ابن من كانت الريح طوع أمره يحبسها اذا شاء ويطلقها اذا شاء قال فعظم فى عينى مصرعه ثم التفت الى قبر آخر قبالته وعليه مكتوب لا يغترن أحد بقوله فما كان أبوه الا من بعض الحدادين يحبس الريح فى كيره ويتصرف فيها قال فعجبت منهما ينا بان ميتين (قلت) وقبل البيت الذى أورده ابن خلكان فى أبى الحسين الجزار

ان تأجزارك عليكم * بغطنة فى الورى وكيس

وهما لجاهد الخياط وله فيه عدة مقاطيع يهجوه بها وقد عبث الناس بأبى الحسين الجزار وهجاه من أهل عصره خلق كثير بالشعر والازجال وما كان فيمن هجاه من يقاربه فى رتبة النظم ولابى الحسين الجزار وهو فى غاية الحسن

انى لمن معشر سفك الدماء لهم * دأب وسل عنهم ان رمت تصديقى
تضىء بالدم اشراقا عراصهم * فكل أيامهم أيام تشريق

(عاد الكلام الى الفخر بالجدود دون الهزل) فأقول أبيات الحماسة التى للسموءل ابن عادياء اليهودى فى غاية الحسن وهى مشهورة فلهذا لم أثبتها (جرى) بين عبد الله بن الزبير وبين معاوية كلام فيه طول لكن فى آخره فقال ابن الزبير ما مثلى يهارش به ولكن عندك من قريش والانصار ومن ساكنى الحجون والاطام من اذا سألته حملك على محجة أبين من ظهر الخفين قال ومن ذلك قال هذا يعنى أبا الجهم بن حذيفة فقال معاوية تكلم يا أبا الجهم فقال اعفنى فقال عزمت عليك لتقولن قال نعم قال قل قال أمك هند وأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق وأسماء خير من هند وأبوك أبو سفيان وأبوه الزبير ومعاذ الله ان يكون أبو سفيان مثل الزبير وأما الدنيا فلك وأما الآخرة فله ان شاء الله تعالى (ومثل) هذا ما حكى ان معاوية كان عنده عمرو بن العاص وجماعة من الاشراف فقال معاوية من أكرم الناس أبا وأما وجدا وجدة وعما وعمة وخالا وخالة

العاقبة وأصحابك قد ملوك وكرهوك لسوء سيرتك فارجع فانك تحمد قولى فلم يلتفت اليه دارا وأقاما يتحاربان مدة ثم ان الاسكندر دبر حيلة وهو انه لما وقع المال بين الفريقين برز منادى الاسكندر فقال يا معشر الفرس قد علمتم ما كان من مكاتبتكم لنا ومكاتبتنا لكم من الامان وقد طال القتال فمن كان منكم على غير قتال فلم نزل له الوفاء بالعهد فاتهمت الفرس بعضها بعضا واضطربوا فكان من أسباب خذلان دارا ثم وثب على دارا رجلان من أصحابه فطعناه من خلفه فوقع وكان الاسكندر نادى من ظفر بدارا فلا يقتله فجاءه الرجلان الى الاسكندر فقالا قد قتلنا دارا فجاء فنزل عن فرسه وقعد عند رأسه وبه رمق فقال والله ما هممت بقتلك ولقد نهيت عنه ولقد يعز على مصابك فاسألنى حوائجك فقال تقتل فلانا وفلانا اللذين قتلانى فانى كنت محسنا لهما وتتزوج ابنتى روشنك فقال سمعا وطاعة وأحضر الرجلين فقتلهما وقال هذا جزاء من يتجرأ على ملكه وتفرق ملك فارس ثم سار الاسكندر الى بابل وجلس على سرير دارا واستولى على خزائنه

فقال النعمان بن عجلان الزرقي بعدما أخذ بيد الحسن هذا أبوه علي بن أبي طالب وامه فاطمة وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدته خديجة وعمه جعفر وعمته ام هانئ ابنة ابي طالب وخاله القاسم وخالته زينب (وكان) لخالد بن يزيد بن معاوية أخ فجاءه يوما فقال ان الوليد ابن عبد الملك يعبث بي ويحتقرني فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده فقال يا أمير المؤمنين ان الوليد قد احتقر ابن عمه عبد الله واستصغره وعبد الملك مطرق فرفع رأسه وقال ان الملوك اذا دخلوا قرية الآية فقال خالد واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا الآية فقال عبد الملك أفي عبد الله تكلمني وقد دخل علي فأقام لسانه فجعل يتمتم فقال خالد أفعلى الوليد تعول فقال عبد الملك ان كان الوليد يلحن فان أخاه سليمان فقال خالد وان كان عبد الله يلحن فان أخاه خالد فقال له الوليد اسكت يا خالد فوالله ما تعد في العير ولا في النفير فقال خالد اسمع يا أمير المؤمنين والتفت الى الوليد وقال ويحك ومن يعد في العير والنفير غيري جدي أبو سفيان صاحب العير وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير فهذا المثل نحن أصله ولكن لو قلت غنيمات وجميلات والطائف ورحم الله عثمان لقلنا صدقت (قلت) يريد بالعير عير قريش التي أقبل بها أبو سفيان من الشام وخرج اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغنمها فبلغ الخبر أهل مكة فنفر عتبة بن ربيعة بأهل مكة وكان مقدم القوم فلما وصلوا الى المسلمين كانت وقعة بدر وأما الغنيمات والجميلات والطائف فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نفى الحكم بن أبي العاص الى الطائف وهو جد عبد الملك لم يزل هناك يرعى أغنامها حتى ولي الخلافة عثمان فرده وكان الحكم عمه واحتج عثمان في رده بأنه كان قد أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم في رده متى ولي الامر (وحكى) أبو حاتم عن العتبي عن أبيه قال ابتنى معاوية بالابطح مجلسا فجلس فيه وابنه قرظة معه فاذا هو بجماعة على رحال لهم واذا شاب منهم قد رفع عقيرته يتغنى

من يساجلني يساجل ماجدا * أخضر الجلدة في بيت العرب

قال من هذا فقالوا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال خلوا له الطريق فليذهب فاذا هو بجماعة فيهم غلام يتغنى

بينما يذكرني أبصرني * دون قيد الميل يسعى بي الاغر
قلن تعرفن الفتى قلن نعم * قد عرفناه وهل يخفى القمر

قال من هذا قالوا عمر بن أبي ربيعة قال خلوا له الطريق فليذهب فاذا هو بجماعة وفيهم رجل يسئل يقال له رميت قبل ان أحلق وحلقت قبل ان أرمي لاشياء أشكلت عليهم من مناسك الحج فقال من هذا فقالوا عبد الله بن عمر فالتفت الى ابنه قرظة وقال هذا وأبيك الشرف في الدنيا والآخرة (وروى) أنه قال هذا الشرف لا ما نحن فيه وروي انه قال كاد العلماء أن يكونوا أربابا (ويحكى) قول الشيخ أبي نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي رحمه الله تعالى

أخي خل حيز ذي باطل * وكن بالحقائق في حيز
فما الدار دار مقام لنا * ولا المرء في الارض بالمعتز
يناقس هذا لهذا على * أقل من الكلم الموجز
وهل نحن الا خطوط وقعن * على نقطة وقع مستوفز

وجواهره وسلاحه وتزوج ابنته روشنك وقيل انها كانت زوجة دارا وهي ابنته ولم يكن في زمانها أحسن منها وقيل ان الاسكندر لم يجتمع بها وقال أخشى أن أكون غلبت دارا فتغلبني روشنك ولما استولى على ملك فارس عرض جيشه وجيش الفرس فكانوا ألف الف وقيل أكثر وشرع في هدم بيوت النيران وقتل الموابذة وكتب الى أرسطاطاليس يستشيره فيمن بقي من علماء الفرس بهذا الكتاب أما بعد فان دوائر الاسباب ومواقع الفلك وان كانت أسعدتنا بالامور التي أصبح لبابها الناس دائنين فانا مضطرون الى حكمتك وغير جاحدين لفضلك والاجتباء لرأيك لما بلونا من جدا ذلك علينا وذقنا من جنى منفعته حتى صار ذلك بتجرعه فينا وترشيحه لعقولنا كالغذاء لنا فانا نتفكك نعول عليه ونستمده استمداد الجداول من البحار وقوة الاشكال بالاشكال وقد كان عماسيق الينا من النصر وبلغناه من النكاية في العدو مما يعجز القول عن وصفه والشكر على الانعام به وكان من ذلك أنا جاوزنا أرض الجزيرة وبابل الى أرض فارس فلما نزلنا

محيط العوالم أولى بنا * فما ذا التزاحم فى المركز

هكذا فلتكن الهمة والى هذه الغاية فليجر من أمسك لواء الفخر وبهذه الحال فليتقمص من ارتدى المجد ولكن كيف وأنى يظفر بالحقيقة من أفنى الليالى سهرا ولم يحصل له الطيف أنشدنى العالم الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اجازة وفى غالب الظن سماعا قال أنشدنى لنفسه الشيخ الامام العلامة القدوة تقى الدين أبو الفتح محمد ابن الامام مجد الدين أبى الحسن على بن وهب بن مطيع بن أبى الطاعة القشيرى المعروف بابن دقيق العيد رحمه الله تعالى

أتعبت نفسك بين ذلة كادح * طلب الحياة وبين حرص مؤمل
وأضعت عمرك لاخلاعة ماجن * حصلت فيه ولا وقار مبجل
وتركت حظ النفس فى الدنيا وفى الـ * ـاخرى ورحت عن الجميع بمعزل

وأنشدنى بالسند المذكور اجازة له دوبيت

الجسم تذيبه حقوق الخدمه * والنفس هلاكها علو الهمه
والعمر بذاك ينقضى فى تعب * والراحة ماتت فعليها الرحمه

واذا كان مثل الشيخ تقى الدين يقول هذا فما ظنك بغيره من أهل اللعب (أخبرنى) مولانا قاضى القضاة تقى الدين أبو الحسن على بن عبد الكافى السبكى الشافعى عن الشيخ تقى الدين السنباطى قال ان الشيخ تقى الدين قال لى عشرون سنة ما أعرف أن كاتب الشمال كتب على فيها شيأ قال فسألته عن هذا فقال أظن ذلك أو كما قال (قال) الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى فى تاريخه الكبير وقد رويته عنه بقراءتى له عليه جميع المغازى ومن أول الترجمة النبوية الى آخر أيام الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه متواليا وجميع الحوادث الى آخر سنة سبعمائة فى ترجمة ابن سريج فى سنة ست وثلثمائة قال الحاكم سمعت حسان بن محمد الفقيه يقول كنا فى مجلس ابن سريج فى سنة ثلاث وثلثمائة فقام شيخ من أهل العلم فقال ابشر أيها القاضى فان الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد للامة دينها وان الله بعث على راس المائة عمر بن عبد العزيز وعلى رأس المائتين الشافعى ثم قال

اثنان قد مضيا فبورك فيهما * عمر الخليفة ثم حلف السودد
الشافعى الالمعى محمد * ارث النبوة وابن عم محمد
أبشر أبا العباس أنك ثالث * من بعدهم سقيا لتربة أحمد

فصاح ابن سريج وبكى وقال لقد نعى الى نفسى قال الشيخ شمس الدين الذهبى وكان على رأس الاربعمائة أبو حامد الاسفرايينى وعلى رأس الخمسمائة الغزالى وعلى رأس الستمائة الحافظ عبد الغنى وعلى رأس السبعمائة شيخنا ابن دقيق العيد نسأل الله التوفيق للرشاد والاستعداد ليوم المعاد (رجع) واذا رجعت الى الصحيح فبم يفخر الانسان ولم يطلق فى التفاضل عنان اللسان وعلام يمرح فى الكبر مرح الجياد فى الميدان والكمية فى الارسان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله عز وجل الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنيهما ادخلته النار وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء قال الفقيه منصور المصرى

يا أهلها لم يكن الارشما تلقانا
نفران منهم بقتل ملكهم
طلبا للحظوة عندنا فأمرنا
بصلبهما التجريها وقلة
وفائهما ثم أمرنا بجمع من هالك
من أبناء ملوكهم وذوى
الشرف منهم فرأينا رجالا
عظيمة أجسامهم وأحلامهم
يدل ما ظهر من رؤيتهم على
أن وراءه من قوة بأسهم
ما لم يكن معه سبيل الى غلبتهم
لولا أن القضاء أدالنا منهم
ولم نر بعيدا من الرأى أن
نستأصل شأفتهم ونلحقهم
بمن مضى من أسلافهم لتسكن
بذلك القلوب الى الامن من
جرائرهم ورأينا أن لا نعجل
بمبادرة الرأى فى قتلهم دون
الاستظهار بمشورتك فيهم
فارفع الينا رأيك فيما استشرناك
بعد صحته عندك وتقليبه على
نظرك على عادة آرائك
المسعفة والسلام على أهل
السلام فليكن عليك وعلينا
فكتب اليه ارسطاطاليس
الى الاسكندر المؤيد المهدى
له الظفر من أصغر خوله
ارسطاطاليس أما بعد فقد
تقرر عندى من مقدمات
فضل الملك ويمن تقيته
وبر وزشأوه وما أدى الى
حاسة بصرى صورة شخصه ووقع
فى فكرى على تعقب رأيه
أيام كنت أؤدى اليه من
تعليمى اياه ما أصبحت قاضيا
على نفسى بالحاجة الى تعلمه

قلت للمعجب لما * قال مثلي لا يراجع
يا قريب العهد بالخـ * ـرج لم تتواضع

وقال أيضا

تيه وجسمك من نطفة * وأنت وعاء لما تعلم

أخذ هذا من الكلام المنسوب الى الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ابن آدم أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة (نظر) مطرف بن عبد الله بن الشخير الى يزيد بن المهلب وهو يمشي في حلة يسحبها فقال له ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله فقال يزيد اما تعرفني فقال بلى أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك حامل العذرة وقد نظمه الشاعر فقال

عجبت من معجب بصورته * وكان من قبل نطفة مذره
وفي غد بعد حسن صورته * يصير في الارض جيفة قذره
وهو على عجبه ونخوته * ما بين جنبيه يحمل العذره

(وقال) آخر أظنه ابراهيم الحصري

أرى أولاد آدم أبطرتهم * حظوظهم من الدنيا الدنيه
فلم بطروا وأولهم مني * اذا افتخروا وآخرهم منيه

(وقال) الارجاني رحمه الله تعالى

ملأت لنا الاسماع داعية الردى * وكأنما أنا صخرة صماء
ومساحب الاذيال أجداث لنا * فسلوا اذا ما هذه الخيلاء

(وقال) بعض الحكماء كيف يستقر الكبر فيمن خلق من تراب وطوى على القذر وجرى مجرى البول (وقال) أبو مسلم ما تاه الا وضيع ولا فاخر الا سقيط ولا تعصب الا دخيل (قال) مدني لرجل من أنت فقال من قريش والحمد لله فقال بأبي ان التحميد ههنا رية

*(فيم الاقامة بالزوراء لا سكني * بها ولا ناقتي فيها ولا جملي)*

(اللغة) فيم أصله فيما وسيأتي الكلام عليه في الاعراب (الاقامة) مصدر أقام اقامة اذا لازم مكانا لا يفارقه (الزوراء) بغداد سميت بذلك لانحراف قبلتها وفي بغداد لغات بغداذ بذال معجمة أخيرة وبذالين معجمتين وبدالين مهملتين وبغدان بنون بدل الدال الاخيرة ومن أسمائها دار السلام وفي تسميتها بذلك قولان أحدهما ان السلام اسم لدجلة والا خر انه يسلم فيها على الخلفاء ويقال ان اسمها بك دار ومعنى بك بالتركية الرب ودار العادل فكأنهم قالوا الله العادل ويقال غير ذلك وهي بلدة أحدثها المنصور من بني العباس سنة أربعين ومائة ونزلها في سنة ست وأربعين وفي سنة تسع وأربعين تم جميع بنائها وهي بغداد القديمة التي بالجانب الغربي على دجلة وهي بين الفرات ودجلة كما جاء في الحديث وبغداد الثانية هي الجديدة التي في الجانب الشرقي وفيها دور الخلفاء وبغداد عبارة عن سبع محلات لا تفتقر محلة منها الى غيرها على شاطئ دجلة من الجانب الشرقي فالاولى الرصافة بناها المهدي بن المنصور حين ضاقت بالرعية والجند سنة احدى وخمسين وهي مدينة مسورة والثانية مشهد أبي حنيفة مسورة والثالثة جامع السلطان غير مسورة

منه وقد ورد كتاب الملك بما رسم لي فيه وأنا فيما أشير به على الملك حد الطاقة معه كالعدم مع الوجود ولكن غير ممتنع من اجابته فأقول ان لكل تربة لا محالة قسما من كل فضيلة وان لفارس قسمتها من النجدة والقوة وانك ان تقتل أشرافهم تخلف الوضعاء منهم وترث سفلتهم منازل عليتهم وتغلب أدناؤهم على مراتب ذوي أخطارهم ولم تبتل الملوك قط ببلاء هو أعظم عليهم من غلبة السفلة وذل الوجوه واحذر الحذر كله أن تمكن تلك الطبقة من العلية فان نجم منهم ناجم على جندك وأهل بلادك وهمهم مالا روية فيه ولا منفعة معه فانصرف عن هذا الرأي الى غيره واعمد الى من قبلك من العظماء والاحرار فوزع بينهم مملكتهم وألزم اسم الملك كل من وليته منهم ناحية واعقد التاج على رأسه وان صغر ملكه فان التسمي بالملك لازم لاسمه والمنعقد له بالتاج لا يخضع لغيره ولا يلبث ذلك أن يوقع بين كل ملك منهم وبين صاحبه تدابر او تغالبا على الملك وتفاخرا بالمال حتى ينسوا بذلك أضغانهم عليك ويعود بذلك حربهم لك حربا بينهم ثم لا يزدادوا في ذلك

والرابعة مدينة المنصور في الجانب الغربي وتسمى باب البصرة وكان بها ثلاثون ألف مسجد وخمسة آلاف حمام والخامسة مشهد موسى بن جعفر مسورة والسادسة الكرخ مسورة والسابعة دار القز مسورة يقال ان المنصور سأل راهبا كان في صومعة في مكان ببغداد عند ما أراد أن يختطها أريد أن أبني ههنا مدينة فقال انما ينبغي لملك يقال له أبو الدوانيق فضحك وقال أنا هو وقيل انما قال له ينبغي لملك يقال له مقلاص فقال له انا كنت أدعى بذلك فاختطها وكان المنصور على جلالته يحاسب على الدوانق فسمي الدوانيقي (قرأت) على الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي بدمشق في ترجمة سنة ست وأربعين ومائة من تاريخه الكبير قال قال المدائني حدثني الفضل بن الربيع أن المنصور لما فرغ من بناء قصره بالمدينة طاف به فاعجبه لكنه استكثر النفقة فقال لي أحضر لنا بناءها فاحضرت فقال كيف عملت لنا في هذا القصر وكم أخذت لكل ألف آجرة فبقي البناء لا يقدر أن يرد عليه مخافة من الذي كان على العمل فقال ما لك سا كتا قال لا علم لي قال ويحك قل وأنت آمن فقال والله لا أقف عليه ولا أدريه فاخذ بيده وقال تعال لا علمك الله خبرا وأدخله الحجرة التي استحسنها وقال ابن لي ما قايكون شبيها بالبيت لا يدخل فيه الخشب قال نعم فاقبل على البناء واخذ يحصي جميع ما يدخل في الطاق من الآجر والجص ففرغ له في يومين ودعا المستعمر الذي كان على العمل وقال ادفع له الاجرة على حساب ما عمل معك فدفع له خمسة دراهم فاستكثر ذلك المنصور وقال لا أرضى بذلك ولم يزل حتى نقصه درهما ثم انه آخذ الوكلاء والمستعمر بحساب ما أنفقوا على نسبة ذلك حتى فضل ستة آلاف درهم (السكن) ما يسكن اليه الانسان من زوج وغيره وبقية البيت مثل من أمثال العرب والاصل فيه ان الصدوف العدوية كانت تحت زيد بن الاخنس العدوي وله بنت من غيرها تسمى الفارعة كانت تسكن بمعزل عنها في خباء آخر فغاب زيد عنها غيبة فلهج بالفارعة رجل عذري يسمى شبيبا وطاوعته فكانت تركب كل عشية جملا لابيها وتنطلق معه الى ثنية يبيتان فيها ورجع زيد من وجهته فعرج على كاهنة اسمها طريفة فاخبرته بريبة في أهله فاقبل سائر الليلوى على احد وانما تخوف على امرأته حتى دخل عليها فلما رأته عرفت الشر في وجهه فقالت لا تعجل واقف الاثر * لاناقة لي في هذا ولا جمل * فصار ذلك مثلا يضرب في التبرى عن الشئ قال الراعي

وما هجرتك حتى قلت معلنة * لاناقة لي في هذا ولا جمل

(الاعراب) فيم اصله فيما حذفوا الالف منها لوجوه الاول قال الجرجاني اذا وصلوا ما في الاستفهام حذفوا ألفها تفرقة بينها وبين ان تكون حرفا الثاني انهم حذفوا الالف لاتصالها بحرف الجر حتى صارت كأنها جزء منه لتنبئ عن شدة الاتصال الثالث طلبا للتخفيف في هذا الحرف اعني مالانه يقع كثيرا في الكلام وابقوا الفتحة لتدل على ان المحذوف من جنسها كما فعلوا في علام والام وحتام وعم ويم والاصل على ماذا والى متى وحتى متى وعما ذا تسأل وبماذا تعتذر وهذه اللغة الفصحى أعني الحذف هي لغة القرآن قال الله تعالى عم يتساءلون وقرأ عكرمة في الشاذ عما يتسألون باثبات الالف رجوعا الى الاصل قال ابن جني في المحتسب روينا عن قطرب لحسان رضي الله عنه

على ما قام يشتمني لئيم * كخنزير تمرغ في دمان

(قيل)

بصيرة الا أحدثوا هنالك استقامة بك فان دنوت منهم كانوا لك وان نأيت عنهم تعززوا بك حتى يثب كل منهم على جاره باسمك وفي ذلك شاغل لهم عنك وأمان لاحداثهم بعدك ولا أمان للدهر وقد أديت للملك ما رأيته حظا وعلى حقا والملك ابعد رؤية وأعلى عينا فيما استعان بي عليه والسلام الابدي فليكن على الملك * قال المؤلف ولما ورد كتاب ارسطاطاليس على الاسكندر تأمله وعرف الحق وفرق القوم في الممالك كما ذكرناه ملوك الطوائف وسار الاسكندر الى الشرق فدانت له الملوك وبنى مدينة أصبهان وهراة وسمرقند ولما وصل الى الهند خرج اليه ملكها في ألف فيل عليها المقاتلة وفي خراطيمها السيوف الهندية فلم تثبت خيل الاسكندر فصنع الاسكندر فيلة من نحاس مجوفة وربط خيله فيها حتى ألفتها ولا هانفطا وكبر يتاثم ألبسها السلاح ووجهها على الحمل الى ناحية العدو وبينها الرجال فلما شبت الحرب أمر باشعال النار في أجوافها فلما اشتعلت تنحى الرجال عنها وغشيها فيلة الهند فضربتها بخراطيمها فاحرقت الرجال

(قيل) ان بعض العوام سأل بعض الفضلاء فقال له بما توصيني فقال بتقوى الله واسقاط الالف من ما فأصل فيم فيما في حرف جر وما اسم استفهام وموضعه رفع على انه خبر مقدم والمبتدا هو قوله الاقامة وانما تقدم الخبر لان الاستفهام له صدر الكلام تقول أين زيد وكيف هو ومتى نصر الله كائنة قال الاقامة بالزوراء فيما اذا (بالزوراء) الباء تكون للظرفية في الزمان كقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل وللظرفية في المكان كهذه ومجيئها للمكان أكثر منها في الزمان وتكون للسببية كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا وللاستعانة نحو كتبت بالقلم وذبحت بالسكين وللتعدية كقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم وللالصاق نحو مررت بزيد وللمصاحبة نحو بعتك الدار بأثاثها ومنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وبمعنى من التي للتبعيض كقول الشاعر

فلثمت فاها آخذا بقرونها * شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

ذكر ذلك الفارسي في تذكرته وحكى مثله عن الاصمعي في قول الشاعر

شربن بماء البحر ثم ترفعت * متى لجج خضر لهن نئيج

هذا كلام الشيخ بدر الدين محمد بن جمال الدين بن مالك وفيه تأييد لمذهب الشافعي في مسح بعض الرأس وخالفه مالك رحمه الله تعالى وجماعة من أهل العربية وأنكروا ذلك منهم محب الدين أبو البقاء العكبري فانه قال في قوله تعالى برؤسكم الباء زائدة وقال من لا خبرة له بالعربية ان الباء في مثل هذا للتبعيض وليس بشئ يعرفه أهل العلم ووجه دخولها انها تدل على الصاق المسح بالرأس ذكر ذلك في اعرابه (قلت) قال الشيخ شهاب الدين القرافي اذا قلت مسحت بالمنديل وكتبت بالقلم وطفت بالبيت فمن المعلوم انك ما مسحت بكل المنديل ولا كتبت بكل القلم ولا طفت بكل البيت علوا وسفلا وباطنا وظاهرا وانما مسحت ببعض ذا وكتبت ببعض ذا وطفت بظاهر ذا * وقال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره قال الشافعي في مسح الرأس الواجب فيه أقل شئ يسمى مسحا للرأس وقال مالك يجب مسح الكل وقال أبو حنيفة يجب مسح قدر ربع الرأس وحجة الشافعي انه لو قال مسحت بالمنديل فهذا لا يصدق الا عند مسحه بكله اما لو قال مسحت يدي بالمنديل فهذا يكفي في مسح اليد بجزء من أجزاء ذلك المنديل اذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى وامسحوا برؤسكم يكفي في العمل به مسح اليد بجزء من أجزاء الرأس ثم ذلك الجزء غير مقدر في الآية فان أوجبنا تقديره بمقدار معين لم يكن ذلك القدر الا بدليل مغاير لهذه الآية فيلزمكم ضرورة ان تقولوا ان الآية مجملة وهو خلاف الاصل فان قلنا انه يكفي في ايقاع المسح على أي جزء كان من أجزاء الرأس كانت الآية مبينة مقيدة ومعلوم أن حمل الآية على مجمل تبقى الآية معه مقيدة أولى من حمله على مجمل تبقى الآية معه غير مقيدة فكان المصير الى ما قلناه أولى وهذا استنباط حسن من الآية انتهى (قلت) هذا بحث مع مالك رضي الله عنه في ايجابه مسح كل الرأس ومع أبي حنيفة رضي الله عنه في تقدير الربع وأما منع من قال بزيادتها فقد قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله تعالى لا تزاد الباء بالقياس الا في الخبر المنصوب مع ما وليس وكان اذا ولیت النفي وفي فاعل كفى وفي فاعل التعجب نحو وأحسن بزيد على رأي البصريين وما عدا ذلك فليس بقياس بل هو مسموع كزيادتها في المبتدا نحو بحسبك أن تفعل لا غير ومع الفاعل نحو قول امرئ القيس

واحترقت فمن سلم ولى هاربا
فكانت الدائرة على ملك
الهند ولما وصل الاسكندر
الى المانكير وهو من ملوك
الصين خرج اليه الملك
وارسل اليه يقول علام تفنى
العالم ابرز الى فان قتلتني
كنت أنت الملك وان قتلتك
كنت أنا الملك فتيمن
الاسكندر بكونه بدأ بنفسه
في ذكر القتل فبرز اليه فقتله
الاسكندر ثم توغل في بلاد
الصين الى مقر ملكها الاكبر
وجرت لهما اخبار طويلة
اصطلحا فيها على معاهدات
ومهاداة فبينما هو في بعض
الليالي جالس نصف الليل
اذ بالحاجب قد دخل فقال
رسول من ملك الصين بالباب
فأذن له فدخل فقال له قل
فقال الامر الذي جئت فيه
لا يحتمل الا الخلوة فأمر
بتفتيشه فلم يجد معه حديدا
فأخلى المجلس وبقي هو واياه
فقال له قل فقال أنا ملك
الصين قال وما الذي أمنك
مني قال ليس بيني وبينك
عداوة ولا دخل وبلغني انك
رجل حكيم عاقل حليم ولو
قتلتني لم تظفر بطائل مني
فانهم يقيمون غيري وتنسب
الى الغدر فاخبرني ما الذي
تريد مني قال ارتفاع ملكك
ثلاث سنين آجلا ونصف
ارتفاعها عاجلا قال لقد أجحفت
فما زال ينقصه حتى اقتصر

الا هل أتاها والحوادث جمة * بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا

أى أقام بالحضر وترك البادية وما كان مثله ومع المفعول نحو قرأت بالسورة وألقى بيده ونحو ذلك ومع خبر المبتدا فى الاثبات عند الاخفش وأعرب عليه قوله تعالى جزاء سيئة مثلها وانما قال ابن عصفور فى قوله تعالى أليس ذلك بقادر انه نادر وان كان فى خبر ليس لأن ليس هنالك بدخول الهمزة عليها الم يبق معناها النفى وصار الكلام تقريرا ويعنى بقوله نادر أى فى صحة القياس لا فى الاستعمال وعلى هذا يخرج كل ما جاء فى الكتاب العزيز (رجع القول الى تقسيم الباء) وتأتى بمعنى عن كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام (بالزوراء) موضعه نصب على انه ظرف للاقامة (لا سكنى) هذه لا التى لنفى الجنس وسيأتى الكلام عليها عند قوله * فلا صديق اليه مشتكى حزنى * وسكنى منصوب والاصل سكنا لى وانما نصب لانه اسم لا واضيف الى ياء المتكلم والفتحة مقدرة على النون (بها) الباء للظرفية وها ضمير يرجع الى الزوراء وعلامة الجر لا تظهر لان المضمرات مبنيات (ولا) الواو عاطفة ولا هى التى لنفى الجنس (ناقتى) اسم لا وقد أضيف الى ياء المتكلم والفتحة مقدرة على التاء (فيها) فى هنا ظرفية والضمير راجع الى الزوراء (ولا جملى) اعرابه كما تقدم (المعنى) اقامتى فى بغداد لا شئ ولا سكن لى بها ولا علاقة لى فيها بدليل ما ضربه من المثل فى قوله ولا ناقتى فيها ولا جملى فقد تبرم من المقام فيها كل التبرم لما استفهم استفهام منكر على نفسه وموبخ لها على المقام فيها واذا كان كذلك فرحيله عنها متعين

وان صريح الحزم والرأى لامرئ * اذا بلغته الشمس ان يتحولا

وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة شرفها الله تعالى وهى أحب البقاع اليه وهاجر الى طيبة لما نبا المقام به وكان من أمره ما كان وعاد اليها بعد مدة وفتحها الله عليه وهو فى عشرة آلاف بعد ما خرج منها هو وأبو بكر متفردين ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قال اللهم انك أخرجتنى من أحب البقاع الى فأسكنى فى أحب البقاع اليك وبهذا تمسك من فضل المدينة على مكة شرفها الله تعالى وأما البقعة التى احتوت على جسده الكريم ولمت أجزاء جسمه الجسيم فلا خلاف فى انها أشرف بقاع الارض وقد قال صلى الله عليه وسلم ان المدينة لتنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد وبه تمسك مالك فى تقديم اجماع فقهاء المدينة على الحديث ولم يركب مالك فى المدينة ظهر دابة قط وكان يقول أستحى ان أطأ بحافر دابة أرضا فيها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما أشرف أبو الفضل الجوهرى على المدينة نزل عن راحلته وأنشد قول أبى الطيب

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا * فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا

نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة * لمن بان فيه أن نلم به ركبا

هدم فيه موضعين الاول وكيف عرفنا والثانى لمن بان عنه لانه لو تركها ما لاقاها بالمقام وينهدم معنى بان أيضا لانه فى الاصل من البين وهو الفراق وفى حالة الاستشهاد يكون من البيان وهو الظهور وهذا يجرى أيضا فى قول أبى الطيب

روح تردد فى مثل الخلال اذا * أطارت الريح عنه الثوب لم يبن

فيحتمل المعنيين لم يبن من الظهور أى لم يظهر ولم يبن من الفراق أى لم يتخلف عن الطيران من

السقم

على سدس الارتفاع ثم قام مسرعا فخرج وبات الاسكندر ليلته يفكر فى أمره فلما طلع الصباح اذا بملك الصين قد أقبل فى جيش طبق الارض وعليه تاجه وبين يديه الامم فركب الاسكندر واستعد للقتال ثم ناداه يا ملك الصين أغدرا فانفرد عن أصحابه وقال لا ولكن أردت ان أعرفك انى لم أطلعك عن قلة وضعف وما غاب عنك من جنودى أكثر ولكن رأيت العالم الاكبر مقبلا عليك ممكنا لك ممن هو أقوى منك وأكثر عددا ومن حارب العالم الكبير غلب ثم ترجل وقبل الارض فنزل الاسكندر عن فرسه وجلس على سريره فقال له الاسكندر ليس مثلك من يؤخذ منه خراج وقد أعفيتك فقال الملك أما اذ قد فعلت فلا بد من حسن المكافأة ثم بعث اليه بضعف ما قرره عليه وعاد الاسكندر وقد دانت له الملوك ودوخ له البلاد فأقام بشهرزور أياما واحتضر بها وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة واختلف فى عمره فقيل ست وثلاثون سنة وقيل أكثر وبين وفاته وبين الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ستمائة سنة وقيل غير ذلك ومن أراد تحرير التاريخ فليأخذه من المختصر فى تاريخ

السقم بل يلزم الثوب ولم يبن عنه وهذا الثانى أدق معنى وألطف من الاول قال ابن خفاجة الاندلسى ولقال أبو الطيب

نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة * لاهلية ان نغشى رسومهم ركبا

فجاء البيت تام الجزالة لكن أبا الطيب انما كان يتمثل بالمعانى ولا يبالى بالالفاظ وربما قال قائل لفظة بان عنه تعطى معنى الرسوم لان المنزل اذا بان عنه ساكنه أقوى فالالفاظ ان متساويان فيقال له هذا أصرح من ذلك وأنت تجد قولك لقيت من ضرب زيدا قد نزل عن قولك الذى ضرب زيدا وكان ذلك انما ينزل فى النفس عن مرتبة الجلالة فى اللفظ لا فى المعنى وقال ابن خفاجة عقب ذلك

وتلذذت نحو الحمى بى نظرة * عذرية ثنت العنان الى الحمى
فلويت أعناق المطى معرجا * ونزلت أعتنق الاراك مسلما
فى منزل ما أوطأته حافرا * عرب الجياد ولا المطا بامنسما

قلت الذى أورده ابن خفاجة حسن ولكنه أتى بمعنى أبى الطيب فى ثلاثة أبيات وقد لمحت أنا الى قول ابن خفاجة فنظمته وزدت فيه مع الاستعارة حسن التعليل وهو

أضحى نسيم دمشق حياها الحيا * يمشى الهوينى فى ظلال حماها
فكأنه من مائها وهضابها * ماداس الا أعينا وجباها

وقال ابن بسام فى الذخيرة أول من بكى الربع واستبكى ووقف واستوقف الملك الضليل حيث يقول * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * ثم جاء أبو الطيب فنزل وترجل ومشى فى آثار الديار حيث يقول * نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة * البيت وما قبله ثم جاء المعرى أبو العلاء فلم يقنع بهذه الكرامة حتى خشع وسجد حيث يقول

تحية كسرى فى الثناء وتبع * لربعك لا أرضى تحية أربع

وما أحسن قول ابن الساعاتى بهاء الدين على من أبيات يصف المطر

سرى راكبا ظهر الغمام كرامة * فلما تراءى هضب نجد ترجلا

انظر الى هذا المعنى فانه رحمه الله من كلام أبى الطيب ولكن نقله نقلا حسنا قرأت على الشيخ الامام الاديب الكاتب القاضى شهاب الدين أبى الثناء محمود بن زين الدين سليمان بن فهد الحلبى بدمشق مجلدة من نظمه فى مدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماها بأسنى المنائح فى أهنى المدائح من ذلك فى أثناء قصيدة

الا حبذا سرى الركاب وقد رأت * لها معلما عند الثنية معلما
وقد نزل الركبان عنها وعفروا * سجودا على الارض الوجوه لتكرما
ولاح الحمى والصبح فى طرة الدجا * فلم يدر ما شق الخمائل منهما
وقد أشرقت تلك القباب وأشرقت * وجوه زهاها الحسن ان تتلثما

ومن شعره أيضا فى الكتاب المذكور

كأنى بكم والبيد تطوى لديكم * وقد فزتم دون المتيم باللقا
ولاحت لكم بين النخيل أشعة * أضاءت لها الاكوان غربا ومشرقا
وقد عفتم الاكوار لما علمتم * بها أن تلك الارض أشرف مرتقى

الشهرة ألف مولانا السلطان الملك المؤيد ولما حضرت الاسكندر الوفاة كتب الى أمه كتابا يسألها فيه أن تصنع وليمة وتدعو نساء أهل المملكة ولا تأذن الا لمن لم تصب بفقد عزيز من أهلها ففعلت ذلك فلم يرد عليها أحد فعلمت انه مات وان ذلك تعزية لها ثم أوصى أن يوضع فى تابوت من ذهب ويطلى بالاطلية الممسكة ويحمل الى أمه بالاسكندرية فلما فعل ذلك جمع ارسطاطاليس الحكماء وأمرهم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا كما فعل بالاسكندر الاول وكانوا عشرة فقال الاول أصبح مستأسر الاسرى أسيرا وقال الثانى هذا الاسكندر طوى الارض العريضة وهو اليوم يطوى منها فى ذراعين وقال الثالث العجب أن القوى قد غلب والضعفاء لاهون وقال الرابع فاسافر الاسكندر سفرا طويلا الا الآله سوى سفره هذا وقال الخامس سيلحق بك من سرهم موتك كما لحقت بمن سرك موته وقال السادس كان يحكم على الرعية فصارت الرعية تحكم عليه وقال السابع كنت تأمرنا بالحركة فها بالك ساكنا وقال الثامن رب حريص على سكوتك وهو واليوم حريص على كلامك وقال التاسع كم أمات من فى

وسابقتم أقدامكم بوجوهكم * لشرف خدظل بالترب ماصفا

وما أحسن قوله سابقتم أقدامكم بوجوهكم وأما عجز البيت الرابع من القطعة الاولى فهو مضمن من قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي

فلما توافينا وسلمت أشرقت * وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا

كانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله لا تستر وجهها بشئ فلما دخل بها مصعب بن الزبير كلمها في ذلك فقالت ان الله عز وجل قد وسمني بوسم جمال فأحببت ان يراه الناس والله ما في وصمة استتر لها (ذكرت) بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قول جمال الدين بن مطروح

لا تنكرن لاهل مكة قسوة * والبيت فيهم والحطيم وزمزم

آذوا رسول الله وهو نبيهم * حتى حتمه أهل طيبة منهم

رأف الاله على الذي قد جاءه * سلبا فلا يأتيه الا محرم

(رجع القول الى طالب خروج الطغرائي من بغداد) وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العباد عباد الله والبلاد بلاد الله فأينما وجدت الخير فأقم واتق الله قال المتنبي

وكل أمر يولي الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

والمقادير عجائب وفوائد قوم عند قوم مصائب هذا يقول في بغداد هذه المقالة والعكوك يقول لما كره عنها ارتحاله

لهفي على بغداد من بلدة * كانت من الاسقام لي جنه

كأنني عند فراقي لها * آدم لما فارق الجنه

وأبو العلاء المعري يقول

بت الزمان حبالي من حبالكم * أعزز علي بكون الوصل مبتوتا

ذم الوليد ولم أذمم جواركم * فقال ما أنصفت بغداد حوشيتا

يشير الى قول البحتري رحمه الله

ما أنصفت بغداد حين توحشت * لنزيلها وهي المحل الآنس

وابن الرومي قال يشوق الى بغداد

بلد صحبت بها الشبيبة والصبا * ولبست ثوب العيش وهو جديد

فاذا تمثل في الضمير رأيته * وعليه أغصان الشباب تميد

وأما الشريف الرضي فانه قال فيها

مالي لا أرغب عن بلدة * يكثر فيها الدهر حسادي

ما الرزق في الكرخ مقيما ولا * طوق العلا في جيد بغداد

(وقال)

أبغداد مالي فيك نهلة شارب * من العيش الا والخطوب مزاجها

لما نزلت بغداد بالقاضي عبد الوهاب المالكي خرج منها طالبا مصر فشيعه من أكابر أهلها وفضلائها جماعة موفورة فقال لهم لما ودعهم لو وجدت بين ظهرانيكم كل غداة وعشية رغيفين ما فارقتها ومن شعره فيها

بغداد دار لاهل المال طيبة * وللمفاليس دار الضنك والضيق

هذا الصندوق لئلا يموت فمات وقال العاشر كان الاسكندر يعظنا بنطقه وهو اليوم يعظنا بسكوته وقالت أمه مما يسلى عنه المعرفة بالمعروف به وقالت روشنك ما كنت أظن ان غالب دارا يغلب * قلت ومن كلام الاسكندر السعيد من لا يعرفنا ولا نعرفه فانا اذا عرفناه اطلنا يومه وأطرنا نومه وقيل له انك عظمت معلمك أكثر من تعظيم والدك فقال لان أبي سبب حياتي الفانية ومعلمي سبب حياتي الباقية وقال سلطان العقل على باطن العاقل أشد من سلطان السيف على ظاهر الاحمق وقال النظر في المرآة يري رسم الوجه وفي أقاويل الحكماء يرى رسم النفس وقيل له ان فلانا يثلبك فلو عاقبته فقال هو بعد العقاب أعذر وتحاكم اليه اثنان فقال الحكيم يرضى أحدكما ويسخط الآخر فاستعملا الحق ليرضيكما جميعا وأحضر بين يديه لص فأمر بصلبه فقال أيها الملك اني فعلت ما قد فعلت وأنا كاره فقال تصلب أيضا وأنت كاره وغضب على بعض شعرائه فأقصاه وفرق ماله في أصحابه فقيل له في ذلك فقال اما اقصائي له فلجرمه وأما تفريق ماله في أصحابه فلئلا يشفعوا فيه وجلس يوما

أقمت فيها مضاعا بين ساكنها * كأنني مصحف في بيت زنديق

وواقعة القاضي عبد الوهاب تشبه واقعة النضر بن شميل النحوي فانه لما ضاقت معيشته بالبصرة خرج يريد خراسان فشيعه من أهلها نحو ثلاثة آلاف رجل ما فيهم الا محدث أو نحوي أو عروضي أو اخباري أو لغوي فلما صار بالمربد قال يا أهل البصرة يعز علي فراقكم والله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلا ما فارقتكم فلم يكن فيهم من يتكلف له ذلك ذكر ذلك أبو عبيدة في مثالب أهل البصرة وقال ابراهيم الغزي

مالي ولملكث في الزور ايجحف بي * من ألقح العجز لم يفرح بما نتجا
قلبي أظن هو المعدي مساكنها * بنار لوعته لما ارتقى درجا
فالدور محترقات والجسير بها * يساعد الهجر فيما يسبك المهجا

وقال التهامي

بعض التفرق أدنى للقاء وكم * رأيت شملا بشمل غير ملتئم
كيف المقام بأرض لا يخاف بها * ولا يرجى شباب محي ولا قلمي

وقال شرف الدين القيرواني

وصير الارض دارا لو الورى رجلا * حتى ترى مقبلا في الناس مقبولا

وهو مأخوذ من قوله

شرق وغرب تجد من غادر بدلا * فالارض من تربة والناس من رجل

وقال أبو العرب مصعب الصقلي

اذا كان أصلي من تراب فكلها * بلادي وكل العالمين أقاربي

وقال أبو فراس

من كان مثلي فالدنيا له وطن * وكل قوم غدا فيهم عشائره
وما تعدل الاطناب في بلد * الا تضعضع باديه وحاضره

وقال مسلم بن الوليد

فان الفتى ما عاش رهن تقلب * مزال بصرف دهره المتحول
وقد عجمت مني الخطوب ابن حرة * متى ما تريه منزل الوعر يرحل

وقال أبو الطيب

اذا صديق تنكرت جانبه * لم تعيني في فراقه الحيل
في سعة الخافقين مضطرب * وفي بلاد من أختها بدل

(وقال أيضا)

ولم أر مثل جيراني ومثلي * لمثلي عند مثلهم مقام
بأرض ما اشتهيت رأيت فيها * فليس يعودها الا الكرام

وقال أبو تمام

وما ربع القطيعة لي بربع * ولا نادي الاذى مني بنادي

وقال ابن سنا الملك

لم لا أهين صغارهم * وكبارهم تيها وكبرا

مجلسا عاما فلم يسئل فيه حاجة فقال والله ما أعد هذا اليوم من ملكي قيل ولم أيها الملك قال لانه لا توجد لذة الملك الا باسعاف الراغبين واغاثة الملهوفين ومكافأة المحسنين وقال من انتجعك فقد أسلفك حسن الظن بك وله حكم لا تحصى وأقوال لا تستقصى أضربت عن ذكرها خوف الاطالة

(وأردشير جاهد ملوك الطوائف بخروجهم عن جماعتك)

هو أردشير بن بابك من ولد بهمن الملك أبي دارا الاكبر وكان بهمن قد تزوج ابنته خماني على عادتهم فحملت منه بدارا الاكبر وسألته أن يعقد التاج على بطنها لولدها ففعل وكان له ولد يسمى ساسان من امراة أخرى فلما مات بهمن تنسك ساسان وساح في الجبال وعهد الى بنيه أنه من ملك منهم فليقتل من قدر عليه من نسل دارا وكان أردشير هذا من ولد ساسان على ما ذكر بعض الرواة وهو أول الفرس الثانية ومعنى الثانية أن الاسكندر لما قتل دارا آخر ملوك الفرس وفرق من بقي منهم وسماهم ملوك الطوائف صارت المملكة لليونان فلما توفي الاسكندر وتقاصر ملك اليونان بعد

ما النيل من ماء الحيا * ولا جميع الارض مصرا

هذا يشبه قول الشريف الرضي ما الرزق في الكرخ البيتين وقد تقدما والاصل فيه قول ابن أخي أبي دلف العجلي

دعيني أجوب الارض في طلب الغنى * فما الكرخ الدنيا ولا الناس قاسم

يعني عمه أبا دلف الذي قال فيه العكوك رحمة الله عليهما

انما الدنيا أبو دلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

وقال الغزي

من ظن ان القوافي لا تثور لها * فليذكر القاسم العجلي والكرخا

وما أحسن قول الجزار يمدح موسى بن يعمور

لما توالى حكمه قلناله * مما رأينا أنت موسى الكاظم
اني وان كنت حبيبا عنده * فانه للرزق عندي قاسم

يريد بقوله حبيبا أبا تمام الطائي وبقوله قاسم أبا دلف العجلي لان أبا تمام له فيه مدائح كثيرة مشهورة ويعجبني أبيات ابن حديس الصقلي وهي

ذكرت صقلية والاسى * يهيج للنفس تذكارها
فان كنت أخرجت من جنة * فاني أحدث أخبارها
ولولا ملوحة ماء البكا * حسبت دموعي أنهارها

وقال ابن اللبانة في صاحب المرية

جناب ابن معن بجنبته * فلم يرضني بعده العالم
وكانت مدينته جنتي * فجئت بما جاءه آدم

ومما اتفق لي نظمه بالرحبة

وبلدة قدرمتني * بكل داء عنادا
ولو رجعت لاهلي * كانت بلادي بلادا

وقلت فيها أيضا

بالرحبة انهدركني * وذاب عظمي وجلدي
لصيغها حر * وللشتا برد برد

وقلت فيها أيضا

عدمت بالرحبة اكتسابي * فلا قريض ولا اقتراضه
وكل طرفي بها وفكري * فلا رياض ولا رياضه

وقلت

تبالها من بلدة لا أرى * فيها مقامي واضح النهج
لانها في وجه سكانها * وأهلها تبصق بالثلج

وما أعرف أحدا ضمن هذا المثل أعني لا ناقة لي في هذا ولا جمل أمكن ولا أحسن من قول الشهاب أبي الثناء محمود أنشدني لنفسه اجازة من قصيدة

مده محرك أردشير وكان أحد أبنا ملوك الطوائف على اصطخر وخرج طالبا للملك وأوهم انه يطلب بثار ابن عمه دارا وجمع الجموع وكاتب ملوك الطوائف بكتاب طويل أوله من أردشير بن بابك المستأثر دونه المتغلب على تراث آبائه الداعي الى الله المستنصر به فانه وعد المظلوم الظفر والعاقبة سلام عليكم بقدر ما تستوجبون من معرفة الحق وانكار الباطل ثم ذكر كلاما طويلا معناه الحث على المعاونة فمنهم من أطاعه ومنهم من تأخر عنه فخرج بعساكره فقتل المتأخر ثم عطف على بقيتهم فقتلهم وفاما عاهد به جده ساسان الى بنيه ورزقه الله الظفر والنصر وقتل ملك الاردوان مبارزة ووطئ رأسه بقدميه وتسمى من ذلك اليوم شاهنشاه الاعظم ومعناه ملك الملوك ثم قام خطيبا فقال الحمد لله الذي خصنا بنعمه وخولنا من فضله ومهد لنا البلاد وها نحن شارعون في اقامة العدل وادرار الفضل والاقبال على الرافة والرحمة وانصاف الضعيف من القوي وسترون في أيامنا ما يصدق مقالة النابغة الذبياني ثم ساس الرعية ورتب الممالك وبه اقتدى الخلفاء والملوك بعده فانه رتب الناس على

استغفر الله أين الغيث منفصلا * من بره وهو طول الدهر متصل
من حاتم عد عنه واطرح فيه * في الجود لا بسواه يضرب المثل
أين الذي بره الآلاف يتبعها * كرائم الخيل من بره الابل
لو مثل الجود سرحا قال حاتمهم * لا ناقتي في هذا ولا جمل

انظر الى قلقه في بيت الظعائن لانه عطف الناقة والجمل على السكن ولو عطف ما يناسب ذلك من أهل وولد لكان أحسن وأوقع في النفس وانظر الى وروده في أبيات الشهاب محمود فانه جاء في مكانه منسجم التركيب ثابتا في معناه حتى كانه ما برز الى الوجود الا في هذا المكان ولا ظهر الا في هذا القالب ولست أنكر ان الناس قد ضمنوه كثيرا في أغراض مختلفة طلبا للتبري مما ينتفي الانسان عنه ولكن كلما كان الكلام أكثر اربا طا وتعلقا في أجزائه كان أحسن ألا ترى الى قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني ومن خطه نقلت

وعيون أمرضن جسمي وأضره * حسن بقلبي لواعج البلبال
وخدود مثل الرياض زواه * ما لايام حسنها من زوال
لم أكن من جناتها علم اللـ * ـه واني لحرها اليوم صالي

ما أحلاه وأرشقه وكيف خدمته لفظة جناتها فصارت من الجنى لا من الجناية وقد ضمن المتأخرون والمتقدمون هذا البيت وما رأيت عقده الفريد على أحسن من هذا الجيد وقوله أيضا رحمه الله

هذا الذي أنا قد سمعت بحبه * كرما بلؤلؤ دمعي المتنظم
لا تحرموني ضم أسمر قده * ليس الكريم على القنا بمحرم

كله حسن الا قوله المتنظم فان لؤلؤ الدمع منثور على ما هو المشهور وانظر الى قوله رحمه الله تعالى

أيسعدني يا طلعة البدر طالع * ومن شقوتي خط بخدك نازل
نعم قد تناهى في الجفاء تطاولا * وعند التناهي يقصر المتطاول

والى قول الشهاب أحمد بن جلنك في أقطع

وأقطع قد أضحى يجود بماله * ومن فضله في الناس ما رد سائل
تناهت يداه فاستطال عطاؤها * وعند التناهي يقصر المتطاول

فأي هذين يروق لقلبك ويليق بلبك لقد جر ابن جلنك ذيل الفخار عليه وتناهى الى رتبة مشت فيها المحاسن بين يديه ولم أورد هذين التضمينين واحدهما في الحسن كالقمر والآخر قد خوب على الاول ماشاد وعمر الا ليدوك الفرق بين تمكين التضمين وقلقه وعلى ذكر الاقطع قال ابن دانيال رحمه الله

وأقطع قلت له * هل أنت لص أو حد
فقال هذي صنعة * لم يبق لي فيها يد

وما أحلى قول ابن قلاقس رحمه الله

كانت يداك عند عبـ * ـدا أنت وحدك سيده
فقطعتها ويعز عنـ * ـدي قولهم قطعت يده

طبقات فالطبقة الاولى الحكماء والفضلاء وكان مجلسهم عن يمينه وهم بطانته والطبقة الثانية الملوك وأبناؤهم وسماهم الخواص ومجلسهم عن يساره والطبقة الثالثة الاصحاب هدية والمرازبة وهم بين يديه ولم يكن فيهم وضيع ولا دنيء الاصل ثم زادهم طبقات أخر من الوزراء والقضاة ورتب لكل ربع من أرباع الدنيا قوما ينفردون بتدبيره وتحريره ودانت له الدنيا وتمكن من الارض وكان من الشجعان المشهورين في الفرس يلقى وحده رجالا كثيرة ويشبه في قوته وشكله باردشير الاول الذي كان يدعى طويل الباع وفي أيامه بنيت المدن المشهورة كابلة واستراباذ وكرخ ميستان وغيرها ووضع له النرد تنبيها على انه لا حيلة للانسان مع القضاء والقدر وهو أول من لعب به فقيل نردشير وقيل انه هو الذي وضعه وشبه به تقلب الدنيا بأهلها فجعل بيوت النرد اثني عشر بيتا بعدد شهور السنة وعدد كلابها ثلاثين بعدد أيام الشهر وجعل الفصين مثالا للقضاء والقدر وتقلبهما بأهل الدنيا وأن الانسان يلعب به فيبلغ باسعاف القدر ما يريده وان اللاعب الفطن يتأتى له ما لا يتأتى لغيره اذا أسعده

(رجع) قول الطغرائي فيم الاقامة البيت هذا النوع تسميه أرباب البديع عتاب المرء نفسه وهو من ايراد ابن المعتز ولم ينشد فيه سوى بيتين وهما

عصاني قومي والرشاد الذي به * أمرت ومن يعص المحرب يندم
فصبرا بني بكر على الموت انني * أرى عارضا ينهل بالموت والدم

والشاهد في هذه التسمية قول القائل

فقد تلك من نفس شعاعا وانني * نهيتك عن هذا وأنت جميع

ومن التضمين الملبح قول زكي الدين بن أبي الاصبع لانه نقل الحماسة الى الغزل

له من وادي ملء كفيه صافيا * ولي منه ما ضمت عليه الانامل

ومن قده الزاهي ونبت عذاره * صدور رماح أشرعت وسلاسل

ومن أجاد في التضمين وبلغ الغاية مجير الدين محمد بن تميم فانه قال

وطرف تخط الارض رجلاي فوقه * اذا ما مشى ضاقت على المنافس
وما أنا الا راجل فوق ظهره * ولكنني فيما ترى العين فارس

نقله من الفراسة الى الفروسية وقال

لو كنت في الحمام والحنا على * أعطافه وبجسمه لآلاء
لرأيت ما يسبيك منه بقامة * سال النضار بها وقام الماء

وكتب مع وردة أهداها

سبقت اليك من الحدائق وردة * وأتتك قبل أوانها تطفيلا
طمعت بثغرك اذ رأتك فخمعت * فهي اليك كطالب تقبيلا

وقال في زهر اللوز

أزهر اللوز أنت لكل زهر * من الازهار يأتينا امام
لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك في فم الدنيا ابتسام

رفع امام على انه خبر لانت وقال

اذا هجرتني الصهباء يوما * أرى للنار في كبدي اشتعالا
كأن الهم مشغوف بقلبي * فساعة هجرها يجد الوصالا

وقال

وجيران ألفتهم زمانا * فأبعدهم نوى الحدثان عني
أثاروا عيسهم فجرت دموعي * كأن العيس كانت فوق جفني

وقال

قيان ملاهيها يذم سماعها * ويطربنا منهن عود ومزهر
وأكثر ما ينشى لنا الشكر بينها * أنابيب في أجوافها الريح تصفر

وكتب مع قدح أهداه

أهديته قدحا فان أنصفته * أوسعته بجماله تقبيلا
نظمت به الصهباء درجابها * حتى يصير لرأسها اكليلا

وقال يرثي قدحا

القدر فعارضتهم حكماء الهند بالشطرنج وأقام في الملك خمس عشرة سنة ثم فوضه الى ابنه سابور وانقطع في بيوت العبادات ثلاث سنين الى أن توفي بعد مولد المسيح عليه السلام * ومن كلامه الدين أساس والملك حارس ومالم يكن له أساس فمهدوم ومالم يكن له حارس فضائع * وقال لاشئ أضر على الملك أو على الرئيس من معاشرة وضيع أو مداناة سفيه وذلك أن النفس كما تصطلي بمعاشرة الشريف فكذا تفسد بمخالطة السخيف حتى يقدح ذلك فيها كما ان الريح اذا مرت بالطيب حملت منه رائحة طيبة تنعش النفوس وتقوى بها الجوارح فكذا اذا مرت بالنتن فحملت منه الروائح الكريهة آلمت النفس وأضرت بها وكان الفساد اليها أسرع من الصلاح وقال ان للاذان محنة وللقلوب ملالا ففرقوا بين الحكمتين يكون ذلك استحماما * وكتب اليه جماعة من بطانته يشكون سوء حالهم فوقع ما أنصفكم من أحوجكم الى الشكوى يعني نفسه ثم فرق فيهم مالا * وكتب اليه متنصح ان قوما اجتمعوا على سبك فوقع عليها ان كانوا نطقوا بألسنتي فقد جمعت ما قالوه في ورقتك

إياقدحا قدصدّع الدهر شمله * وأصبح بعد الراح قد جاور التربا
سأبكيك في وقت الصبوح وانني * سأكثر في وقت الغبوق لك الندبا
وان قطبت شمس المدام فحفها * لانك كنت الشرق للشمس والغربا

وقال في مليح يشرب بفيه

أفدي الذي أهوى بفيه شاربا * من بركة طابت وراقت مشربا
أبدت لعيني وجهه وخياله * فأرتني القمرين في وقت معا

وقال في مليح ينظر في مرآة

سقيا لمرآة الحبيب فانها * جليت بكف مثل غصن أينعا
واستقبلت قمر السما بوجهها * فأرتني القمرين في وقت معا

(وقال رحمه الله)

عاينت في الحمام أسود واثبا * من فوق أبيض كالهلال المسفر
فكأنما هو زورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

(وقال أيضا)

تعبت حتى جوادي لاحراك به * يكاد من هزه بالركض يخذم
فلا يغرنك منه شبه غاطا * ان الجواد على علاته هرم

(وقال أيضا)

وأهيف مثل البدر غصن قوامه * عليه قلوب العاشقين تطير
يدور عذاراه لتقبيل وجنة * على مثليا كان الخصيب يدور

وعلى الجملة فمحاسنه في التضمين كثيرة الى الغاية وأكثر ما أجاد في التشبيه والتورية والتضمين وقال في كثرة تضمينه وكل ما أوردته له نقلته من خطه

أطالع كل ديوان أراه * ولم أزجر عن التضمين طيري
أضمن كل بيت فيه معنى * فشعري نصفه من شعر غيري

ونقلت من خط سراج الدين عمر الوراق له

توارت من الواشي بليل ذوائب * له من جبين واضح تحته فجر
فدل عليها شعرها بظلامه * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ونقلت له منه في بخيل صفع

وباخل يشنأ الأضياف حل به * ضيف من الصفع نزال على القمم
سألته ما الذي تشكو فقاوبني * ضيف ألم برأسي غير محتشم

ونقلت منه له مما قاله في شخص غرا بيلي

مالي وما للغرابيلي يبسط في * عرضي لسانا كثير اللغو والهذر
فهل توهم جهلا أن سيجمعنا * بيت من الشعر أو بيت من الشعر

ونقلت منه له أيضا

اذا ما جعلتم جفنة الصلح سكرا * فقد جئتم الامر الذي كان أصلحا
وأنتم أحق الناس أن تنشدونا * لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى

فرحك أعجب ولسانك أكذب

(والضحاك استدعى مسالمتك)

اختلف في نسب الضحاك فقال قوم انه الضحاك بن الاهبوب بن عوج بن طهمورث ابن آدم وزمنه بعد الطوفان وهو ابن أخت جمشيد بن أوشهنج ملك الاقاليم وقال قوم هو الضحاك بن علوان أول الفراعنة وهو الذي ولي أخاه سنانا مصر على عهد ابراهيم الخليل عليه السلام وقال قوم هو من العرب من قحطان واليمانية تدعيه وفي ذلك يقول أبو نواس

وكان منا الضحاك يحذره الـ
ـحابل والوحش في مسارحها

والقول الاول أكثر وكان من سيرته أن جمشيد ومعناه سيد الشعاع ملك الاقاليم السبعة وهو أول من عمل السلاح واستخرج الابريسم والقز وألزم أهل الفساد الاعمال الشاقة في قطع الصخور واستخراج المعادن وطال عمره وتجبر وادعى الربوبية فخرج عليه الضحاك هذا وتبعه خلق كثير لبغضهم في جمشيد فهرب جمشيد بين يديه فظفر به وأمر بنشره بمنشار وقال ان كنت الها فادفع عن نفسك ثم ملك الضحاك وطغى وتجبر وبخر ودان بدين البراهمة وهو أول من

ونقلت منه له فى العفة

نشطت اسريتى فانثنى * متماعى من بعدما قد عزم
فقلت تنام ولى مقلة * مسهدة من بهذا احكم
فقال أما قال بشاركم * فنبه لها عمرا ثم نم

وله ولم أره بخطه

وسقيم الجفون أودعه الله بذاك السقام سرا خفيا
غلبت مقلتاه قلبى عشقا * وضعيفان يغلبان قويا

أنشدنى لنفسه المولى صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى اجازة

ياضعيف الجفون أضعفت قلبا * كان قبل الهوى قويا مليا
لاتحارب بناظريك فؤادى * فضعيفان يغلبان قويا

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

ومليح قد أخجل الغصن واليد * رقوامارطبا ووجها جليا
غلب الصبر فى لقاناظريه * وضعيفان يغلبان قويا

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه الامير علاء الدين الطنبغا الجاولى

ردفه زاد فى النقالة حتى * أقعد الخصر والقوام السويا
نهض الخصر والقوام وقاما * وضعيفان يغلبان قويا

(وأنشدنى) لنفسه المرحوم القاضى شهاب الدين أبو الثناء محمود اجازة

قل لى عن الحمام كيف دخلتها * ياما لكى لتسر خلا مشفقا
أدخلتها وأولئك الاقوام قد * شدوا المآزر فوق كثبان النقا

(ومما اتفق) لى نظمه

قل للرقيب ليسترح من رصدى * ماأصبح المعشوق عندى يشتهى
وارتد قلبى عن سيوف جفونه * وكل شئ بلغ الحد انتهى

(وقلت) وقد عدت مليحا أرمد

أيقظته من كراه بعدما رمدت * عيناه لامسه من بعدها الم
قد زرته وسيوف الهند مغمدة * وقد نظرت اليه والسيوف دم

(وقلت) أيضا فى بكاء المحبوب

تقلة محبوبى دموع تحدرت * دلالا على صب غداوهو مغرم
فشبهت عينيه سيوفا وقد غدت * من التيه فى أغمادها تتبسم

(وقلت) فى الاتراك الذين يحلقون ذوائبهم

لقد زان أصداغ المماليك نبتها * وماشانهم فى الحسن حلق الذوائب
فمابال من بهواهم عندما التقى * عضاض الافاعى نام فوق العقارب

(وقلت) فى مليح أحب أسود

أيا من تكلف حب العبيد ذلك فى العقل لايجعل
فلو بتما عند قدريكما * لبت وأعلاك ما الاسفل

(وقلت)

غنى له وضرب الدنانير والدراهم ولبس التاج ووضع العشور وكان على كتفيه سلعتان يحركهما اذا شاء وادعى انهما حيتان يهول بهما على الضعفاء وذكر انهما يضربان عليه فلا يسكنان حتى يطلبهما بدماغى انسانين يذبحان له فى كل يوم وكان له وزير صالح فكان يستحيى أحدهما ويضع مكان دماغه دماغ كبش ويأمر الرجل باللحوق بالجبال وان لايأوى الامصار فيقال ان الاكراد من تلك القوم لتردهم الى الجبال ثم كثر فساد الضحاك وطالت مدته فاجتمع الناس على افريدون ابن جمشيد وكان قد ترعرع فاستعد لقتال الضحاك وكان باصبهان رجل حداد يقال له كابى قتل له الضحاك ولدين فاجتمع عليه خلق كثير وكانت له قطعة جلد يتقى بها حر النار فرفعها على رمح وجعلها علما وسار الى الضحاك والناس معه فخرج اليه فلما رأى ذلك العلم ألقى الله تعالى فى قلبه الرعب فانهزم وأراد الناس أن يملكوا كابى فأبى وقال لست من بيت الملك فملكوا افريدون بن جمشيد وصار كابى عونا له وقتل الضحاك وقيل مات منهزما وعظم علم كابى ورصعته الملوك بالدر

(وقلت) فيمن يتهم بحاله مع معشوقه

يقول له المعشوق وهو يلومه * لعلك تحظى بعد ذا التمام
فقال وهل فى العيش للناس لذة * اذا لم يكن تحت الكرام كرام

(وقلت) فى تفضيل بياض الشيب على سواد الشباب

أرى فضل المشيب على شبابى * يخالف فيه بعض الاغبياء
وهبنى قلت هذا الصبح ليل * أيعمى العالمون عن الضياء

(وقلت أيضا)

قالوا حلا وصف العذار من الورى * فى كل ما نلقاه من أبياته
فأجبتهم لم لا يرى حلوا وقد * قطف الرجال القول عند نباته

(وقلت) فى تفضيل مملوك على خادم

يا من يرجح وجها كالظلام على * وجه كصبح تبدى فى بشائره
ان كان مملوك هذا مثل خادم ذا * فانتفاع أخى الدنيا بناظره

(وقلت أيضا)

ظبى من الاتراك يحمى خده * حسن النقى من النبات المعتدى
قال الجمال لخده المبيض قد * خلت الديار فسدت غير مسود

(وقلت أيضا)

كلفت بوجه فيه بعض سماجة * رجاء بان يحلوا ذا هو عذرا
وغير بعيد أن يزان بلحية * فقد ينبت المرعى على دمن الثرى

(وقلت) مضمنا قول المعرى فى فرند السيف

ما كنت أحسب لو لا نبت عارضه * أن ينبت الآس وسط الجمر فى النهر
ولا ظننت صغار النمل يمكنها * مشيا على اللج أو سعيا على السعر

(وقلت) فى شيب عذار الحبيب

قال الحبيب وقد وصفت مشيبه * والناس قد وصفوه لما عذرا
قطف الرجال القول عند نباته * وقطفت أنت القول لما نورا

(وقلت) أيضا مضمنا قول المعرى

وأشقر نبت عارضه تراه * كأن شعاع وجنته تلالا
ودبت فوقه حمر المنايا * ولكن بعد ما مسخت غمالا

(وقلت أيضا فى مقياس نيل مصر)

يقول لنا المقياس والنيل هابط * ليقطع أوصال المنى والمطامع
ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

(وقلت أيضا)

ألا فاسقنى من ريقة لذ طعمها * بقبلك ولا تبخل وقل لى هى الخمر
وحط لثاما جب اللثم عن فمى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

والبواقيت وكانوا يقدمونه أمام الجيوش وقت الحرب فينصرون به وكان عندهم كالتابوت فى بنى اسرائيل ويعرف هذا العلم بدرقش كابيان ولم يزل فى خزائنهم يتوارثونه الى زمن يزدجرد بن شهريار فأخذه المسلمون فى وقعة القادسية وحمل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقسم جواهره فى الناس * ومما اتفق من الحكايات المستظرفة فى أيام الضحاك انه لما طالت مدته وفساده اجتمع الناس على بابه وكانى الحداد معهم فلما دخل وكان جريا قال له اسلم عليك سلام من يملك الاقاليم كلها أم سلام من يملك هذا الاقليم قال بل سلام من يملك الاقاليم كلها فقال له اذا كنت تملك الاقاليم كلها فلم خصصت هذا الاقليم بنوائبك ومؤنتك وهلا انتقلت الى الاقاليم وساويت بينه وبينهم ثم عدد عليه أشياء فصدقه الضحاك ووعد الناس بما يحبون فانصرفوا وكانت له أم جبارة سمعت ما جرى فلما خرجوا أنكرت عليه وقالت لقد جرأتهم عليك هلا قتلتهم فقال لها مع عتوه وتجبره ان القوم بدهونى بالحق فلما هممت بالسطوة بهم وقف الحق

تقول دمشق اذ تفاخر غيرها * بجامعها الزاهي البديع المشيد
جرى لبياهي حسنه كل جامع * وماقصبات السبق الا لمعبدي

(وقلت) في ملبج أعور

أفديه أعور طرفه الشباقي يقول وما تعدى
قد غار من حسني أخي * وبقيت مثل السيف فردا

(وكتبت) على مجلد قديم قدرث

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما أحد في دهره يخلد
اذا عاينت كتبي الجديدة حاله * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

ذكرت هنا ما أخبرني به الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان من لفظه وأنا أقرأ عليه الاشعار السبعة عند قول طرفة وقوفا بها صحبي عليّ البيت قال ان بعض وزراء العرب ذكره لي ونسيته أنا أمر بضرب بعض العمال مائة سوط فقال اذا أهلك وكسر اللام فقال الوزير وأنت من أجل أهلك الحق بأهلك ومما يتعلق بهذا ما ذكره ابن وكيع في المنصف عن علي ابن بسام انه دعاه صديق له مع نحوي متشدق فثقل على علي بن بسام ثم دعي معه في يوم آخر فتخلف عنه فلقيه النحوي فعاتبه على تخلفه فقال له ما يمنعك من زيارتنا فقال يمنعني ما يمنعك يريد ثقل الاعراب في يمنعك

*(ناء من الاهل صفر الكف منفرد * كالسيف عرى متناه عن الخلل)*

اللغة نأى ينأى نأيا فهو ناء اذا بعد (الاهل) أهل الرجل فهو اسم جمع لا واحد له من لفظه مثل رهط وقوم ولا بأس بمعرفة الجمع واسم الجمع واسم الجنس فانه من المهمات وقد خبط الناس في ذلك قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك الاسم الدال على أكثر من اثنين بشهادة التأمل اما أن يكون موضوعا للآحاد المجتمعة دالا عليها دلالة تكرار الواحد بالعطف واما أن يكون موضوعا لمجموع الآحاد دالا عليها دلالة المفرد على جملة أجزائه مسماه واما أن يكون موضوعا للحقيقة مأخوذا فيه اعتبار الفردية الا أن الواحد ينتفي بنفيه فالموضوع للآحاد المجتمعة هو الجمع سواء كان من لفظه واحد مستعمل كرجال وأسود أو لم يكن كأبابيل والموضوع لمجموع الآحاد هو اسم الجمع سواء كان له واحد من لفظه كركب وصحب أو لم يكن كرهط وقوم والموضوع للحقيقة بالمعنى المذكور هو اسم الجنس وهو غالبا يفرق بينه وبين واحده بالتاء كتمرة وتمر وعكسه كأمة وجبأة ومما يعرف به الجمع كونه على وزن لم تبن عليه الآحاد كأبابيل وغلبة التأنيث عليه ولذلك حكم على نحو تخم انه جمع تخمة مع أن نظيره من نحو رطب ورطبة محكوم عليه انه اسم جنس لان تخما غلب عليه التأنيث يقال هذه تخم ولا يقال هذا تخم فعلم انه في معنى جماعة وليس مسلوكا به طريق رطب ونحوه ومما يعرف به اسم الجمع كونه على وزن الآحاد وليس له واحد من لفظه كقوم ورهط وكونه مساويا للواحد في تذكيره والنسب اليه ولذلك حكم على نحو غزى انه اسم جمع لغاز وان كان نحو كليب جمعا للكلاب لان غزيا مذكر وكليبا مؤنث وحكم أيضا على نحو ركاب انه اسم جمع ركوبة لانهم نسبوا اليه زيت ركابي والجموع لا ينسب اليها الا اذا غلبت كأنصاري اه (صفر) الصفر الخالي يقال بيت صفر من المتاع ورجل صفر اليدين وفي الحديث ان أصفر البيوت من الخير البيت الصفر

بيني وبينهم كالجبل فقال بيني وبين ما أردت ثم كان من أمره بعد ذلك ما كان مع كابي كامر

(وجذيمة الابرش ثمني منادمتك)

هو جذيمة بن مالك بن عامر التنوخي وقيل الازدي أول من قاد العرب وملك على قضاعة وكانت منازله الحيرة والانبار وولايته من قبل اردشير بن بابك وكان أبرص فعدل عن هذا الاسم فقيل الابرش والوضاح وزعم بعضهم انه كان يأنف من اسم الابرص ولذلك كني عنه بالابرش وفي العرب من يفتخر بذلك قال الراجز يمدح أبرص

أبرص فياض اليدين أكاف

والابرص ادرى باللها وأعرف

وهو أول من صنع له الشمع وأدخل من الملوك وكان ذا رأي وهمة وتيه مفرط ويقال له نديم الفرقدين كان اذا شرب قدح صب لهما قدحين ولا ينادم غيرهما وكان سبب ذلك فيما زعموا انه كان تكهن واتخذ صنمين يقال لهما الغريان يستسقى بهما وينتصر على أعدائه وكانت اياد قد خرج قوم منهم من الحجاز وانتشروا فيما بين

من كتاب الله عزوجل وقد صفر الرجل بالكسر وأصفر فهو مصفر أى افتقر والصفاريت الفقراء والواحد صفريت قال ذو الرمة ولا خور صفاريت (الكف) معروف وفى الانسان من أعضائه عشرة أول كل عضو منها كاف وهى الكف والكوع والكرسوع والكتف والكاهل والكبد والكتد والكلية والكمرة والكعب (يحكى) ان بعض أشياخ اللغة طلب منه عدها فعد تسعة أعضاء ونسى الكمرة فلما قام الى بيت الخلاء ذكرها وقد كان قبل قد ذكر الكرش فقيل له ليس للانسان كرش انما هى الاعفاج ويقال ان ابن خالويه وضع مسئلة سماها الانطاكية اشتملت على ثلثمائة عضو من أعضاء الانسان أول كل كلمة منها كاف وقد رأيت أنا مجلدا ولم أعرف اسم مصنفه قد جمع فيه أسماء أعضاء الرجال والنساء على حروف المعجم وهذا اطلاع كبير فرأيت فيه زيادة فى حرف الكاف على ما ذكرته هنا الكذوب النفس والكعبرة عقدة مكبلة حائدة عن الرأس والكشفة بفتح الكاف والشين دائرة من شعر تكون عند الناصية تنبت صعدا والكرشمة الوجه ولكن لا يقال الا فى الشتم والكرد أصل العنق والكراديس ما شخص من عظام البدن كالمنكبين والمرفقين والكعاس عظام السلامى والكائبة من الانسان والبهيمة ما بين الكتفين الى أصل العنق والكاكل الصدر والكشح الجنب وهو من لدن الورك الى الخصر والكفل العجز والكاذة لحم مؤخر الفخذ والكراع من الانسان ما دون الركبة والكوشلة الذكر والكظر ركب المرأة والكلثوم الكعب وهو الفرج والكين لحم باطن الفرج والكراض حلق الرحم وأما الكس فليس بعربى على الصحيح واذكر انى وقفت على فصل فيه تسمية اعضاء الانسان باسماء حروف المعجم من أولها الى آخرها * وأما تشبيه أعضاء الانسان بالحروف فقد أكثر الشعراء من ذلك فشبهوا الحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم بالميم والصاد والثنايا بالسين والقامة بالالف والطرة بالشين فمن ذلك قول بعضهم

لا تقولى لاف مكتوب على * وجهك الاشرق نورا نعم
بحروف خلقت من قدرة * ما جرى قط عليها قلم
نونها الحاجب والعين بها * طرفك الفتان والميم الفم

وقلت أنا من أبيات

علقتها من بنات الترك قد غنيت * بدمع عاشقها عن منة الشنف
يا للهوى عينها عين وحاجبها * نون وتم العنا من قدها الالف

وقال محاسن الشواء

أرسل فرعاولوى هاجرى * صدغا فأعيا بهما واصفه
نفاث ذا من خلفه حية * تسعى وهذا عقرب واقفه
ذى ألف ليست لوصل وذى * واو ولكن ليست العاطفه

وقال جمال الدين يحيى بن مطروح

قالت لنا ألف العذار بخده * فى ميم مبسمه شفاء الصادى

وقال الآخر

كأن عذاره المسكى لام * ومبسم ثغره الدرى صاد

البصرة والكوفة وتمكنوا على ما يلى الحيرة وكثروا بعين اباغ فخرج جذيمة غازيا وكان فى اياد رجل يقال له عدى بن نصر وكان له ظرف وجمال واليه تنسب الملوك من آل نصر فنزل جذيمة بساحتهم فبعث اياد قوما منهم الى صنمى جذيمة فسقوا سدنتهما الخمر وسرقوهما فأصبحوا بهما فى اياد فبعثت اياد الى جذيمة تقول ان صنميك قد أصبحا عندنا زهدا فيك ورغبة فينا فان عاهدتنا على أن لا تغزونا رددناهما اليك فقال جذيمة وتعطونى أيضا عدى بن نصر يكون عندى ففعلوا وانصرف عنهم وضم عديا الى نفسه وولاه شرابه وأمر مجلسه وكان لجذيمة أخت تسمى رقاش وهى بكر فأحبت عديا وأحبها فسألته أن يخطبها من جذيمة اذا سكر ففعل ذلك وزوجه بها وأشهد عليه من حضر فلما أصبح دخل عليه بثياب العرس وكان قد دخل بها تلك الليلة فقال جذيمة ما هذه الآثار يا عدى فقال آثار عرس رقاش فقال من زوجكها ويحك قال الملك فأكب على الارض مفكرا وهرب عدى فلم يعرف له أثر ولا خبر وأرسل جذيمة الى أخته يقول

ومسبل شعره ليل بهيم * فلا عجب اذا سرق الرقاد

وقال ابن نقادة

صنم الجمال فصاده من عينها * والنون حاجبها بخال تنقط
والميم فوها فالحروف تألفت * مكتوبة والصبر عنها يكشط

وما أحسن قول القائل

ياسين طرتها وصاد عيونها * انى أعوذها بسورة طه

(وقلت)

سين الثنايا حوتها ميم مبسمه * طوبى لمن ذاق منها كاس تسنيم
ومن عجائب وجدى أن بى سقما * ما برؤه غير تلك السين والميم

(وقال آخر)

تالله ما لمعذبى فى حسنه * شبه فاى حشا عليه لم تهم
لام العذار وميم مبسمه على * ما أدعى من حسنه برهان لم

قلت البرهان اللمى عند أرباب المعقول أشرف من البرهان الانى لان اللمى يعطى العلة المستلزمة للوجود والانى يعطى الوجود فقط لانك اذا قلت الخشبة ممسوسة النار وكل ممسوس النار محترق فالخشبة محترقة لزم من هذا الاستدلال بالمؤثر على الاثر لان الحد الاوسط علة لثبوت الحد الاكبر للاصغر فعلة الاحتراق من مماسة النار فهذا هو البرهان اللمى وأما البرهان الانى فان الحد الاوسط فيه معلول الاكبر كقولك الخشبة محترقة وكل محترق ممسوس النار فالخشبة ممسوس النار فلزم من ذلك الاستدلال بالاثر الذى هو محترق على المؤثر الذى هو ممسوس النار وتنزيل ماقاله هذا الشاعر على هذه القاعدة وترتيبه أن يقال معذبى له عذار يشبه اللام وفم يشبه الميم وكل ذى عذار لامى وفم ميمى فهو حسن فمعذبى حسن فالبرهان على حسنه لمى والقضية الصغرى ثابتة بالمشاهدة والكبرى مشهورة فالنتيجة صادقة (كالسيف عرى) أى جرد (متناه) المتن الظهر مكتنفا الصلب عن يمين وشمال وهما هنا جانبا السيف (الخال) جمع واحده خلة بالخاء المعجمة والخلال بطائن كانت تغشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب وغيره (الاعراب) ناء اسم فاعل من نأى وأصله نائئ مثل جائئ فلما اجتمع همزتان فى الكلمة الواحدة قلبوا الثانية ياء لانكسار ماقبلها فصار من باب قاض وأما قول الشاعر

* يشجج رأسه بالفهر واجى * أصله وأجيء مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره أنا ناء ولم يظهر فيه الرفع لانه منقوص مثل قاض فلا يظهر فيه الا النصب فقط تقول هذا ناء ورأيت نائيا ومررت بناء فان قلت هلا رفعته على انه مبتدا قلت لا لانه اسم فاعل واسم الفاعل لا يكون مبتدأ حتى يعتمد على الاستفهام أو النفى أو معنى النفى لانهما يقربانه مما له صدر الكلام كقول الشاعر

أقاطن قوم سلمى أم نووا ظعنا * ان يظعنوا فعجيب عيش من قطنا

وكما فى قول الآخر

خليلى ماواف بعهدى أنتما * اذا لم تكونا لى على من أقاطع

ألا ترى أن قاطنا لما اعتمد على الاستفهام كان مبتدأ وأن وافيا لما اعتمد على النفى جاز الابتداء

خبرينى رقاش لا تكذبينى
أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد فأنت أهل العبد
أم بدون فانت أهل لدون
قالت بل أنت زوجتى امرأ
غريبا ولم تشاورنى فى نفسى
فكففت عنها وآليت أن لا
يندم الا الفرقدين وحملت
رقاش فولدت غلاما وسمته
عمرا فلما ترعرع ألبسته
وعطرته ودخلت به على
خاله فلما رآه أحبه وجعله مع
ولده وخرج جذيمة متبديا
بأهله فى سنة خصبة فأقام فى
روضة ذات زهر ونهر فخرج
ولده وعمرو معهم يجتنون
الكمأة فكانوا اذا أصابوا
كمأة جيدة أكلوها واذا
أصابها عمرو خبأها وانصرفوا
الى جذيمة يتعادون وعمرو
يقول هذا جناى وخياره فيه
وكل جان يده الى فيه فضمه
جذيمة الى صدره وسر بقوله
وحلاه بطوق من ذهب
فكان اول عربى لبس
الطوق ثم ان الجن استطارته
فطلبه جذيمة فى الآفاق زمانا
فلم يقدر عليه ثم أقبل رجلان
من قضاعة يقال لهما مالك
وعقيل ابنا فارج من الشام
يريدان جذيمة وأهديا له
طرفا فبينما هما يأكلان اذ
أقبل فتى عريان قد تلبد
شعره فسألاه عن نسبه
فعرفهما نفسه فنهضا وغسلا
رأسه وأصلحا أمره والبساه

به وقولى أو معنى النفى ليدخل فيه قول الشاعر

غير مأسوف على زمن * ينقضى بالهم والحزن

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان هذا البيت سأل أبا الفتح بن جنى ابنه عن اعرابه فارتبك فيه ولابى عمرو بن الحاجب فيه كلام طويل وخرجه ابن جنى وتبعه ابن الحاجب على حذف المبتدا واقامة صفته مقامه وايقاع الظاهر موقع المضمر بحذف الظاهر المبتدا والتقدير زمان ينقضى بالهم والحزن غير مأسوف عليه وقال الشيخ بهاء الدين بن النحاس قولهم حسبك بزيد مبتدأ لاخبراه على أحد الوجهين لكونه بمعنى اكتف وكذلك قول الشاعر غير مأسوف البيت ومثله قول الآخر

غير لاه عداك فاطرح اللهـ * ـو ولا تغترر بعارض سلم

فغير فى البيتين مبتدأ لاخبراه على أحد الوجهين لانه محمول على ما كانه قيل ما يؤسف على زمن كما فى قولهم ما قائم اخواك اه (قلت) فغير مبتدأ وعلى زمن جار ومجرور فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله لما أسوف لانه صيغة اسم المفعول وقد سد الجار والمجرور مسد الخبر كقولك ما مضروب الرجلان فتقرر بهذا ان نائبا لا يجوز ان يكون مبتدأ لعدم اعتماده على شئ من المسوغات له (عن الاهل) عن تقدم الكلام على تقسيم مجيئها فى الكلام وهى هنا للمجاوزة والمجاز والمجرور فى موضع النصب باسم الفاعل (صفر الكف منفرد) خبران ايضا مثل ناعية فهى ثلاثة اخبار لمبتدا واحد قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك قد يتعدد الخبر فيكون للمبتدا الواحد خبران فصاعدا وذلك فى الكلام على ثلاثة اضرب قسم يجب فيه العطف وقسم يجب فيه ترك العطف وقسم يستوى فيه الامران فالاول ما تعدد لتعدد ما هو له اما حقيقة نحو بنوك كاتب وشاعر وفقيه قال الشاعر

بذا ك يدخيرها يرتجى * واخرى لاعدائها غائظه

واما حكما كقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد والثانى ما تعدد لفظا ومعنى دون تعدد ما هو له فهذا يجوز فيه الوجهان نحو قوله تعالى وهو الغفور الودود الآية وقال الشاعر

ينام باحدى مقلتيه ويتقى * باخرى الاعادى فهو يقظان هاجع

ونحو قوله تعالى صم وبكم فى الظلمات اه قلت قوله وهو سهو لان أبا على توهم انه تعدد فى اللفظ دون المعنى وليس كذلك لانه فى اللفظ والمعنى متعدد وذلك ان لقمان بن عاد كانت له اخت محققة فقالت لاحدى نسائها خبريها هذه الليلة ظهرى وهى ليلتك فدعينى انام فى مضجعك فان لقمان رجل منجب فعسى ان يقع على فانجب فوقع على اخته فحملت منه بلقيم فلذلك قال النمر بن تولب

لقيم بن لقمان من اخته * فكان ابن اخت له وابنما

ثيابا وقالا ما كنا نهدى جذيمة انفس من ابن أخته وخرجا به الى جذيمة فمر به ورأى الطوق فقال شب عمرو عن الطوق فذهبت مثلا وقال لمالك وعقيل حكمنا كما قالا منادمتنا ما بقينا وبقيت فكنهما من ذلك وهما نديما جذيمة اللذان يضرب بهما المثل واياهما عنى متمم بن نويرة بقوله فى رثاء أخيه وكنا كندمانى جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا وقيل انما عنى الفرقدين * ويحكى أن جذيمة سكر مرة أخرى فقتلهما فلما أصبح ندم وبنى عليهما الغريين ونادم الفرقدين وقيل ان صاحب الغريين المنذر الاكبر ثم ان جذيمة أرسل يخطب الزباء ملكة الحضر الحاجز بين الفرس والروم وكان لها وتر عنده فأجابته واستدعته اليها فاستشار أصحابه فأشاروا عليه بالمضى لفا الفهم قصير ابن سعد وكان لبيبا وقال ان النساء يهدين الى الازواج فعصاه وسار حتى اذا كان بمكان يدعى بقة استشارهم فأشاروا عليه لما يعلمون من رأيه فيها فقال قصير انصرف ودمك فى وجهك فأبى وظعن جذيمة حتى اذا عاين الكتائب قد استقبلته قال لقصير ما الرأى قال تركت الرأى ببقة ثم ركب

ليالى حق فاستضنت * اليه فغربها مظلما
فأحلها رجل محكم * فجاءت به رجلا محكما

فعلى هذا اذا كان الانسان ابن اخت ابيه كان له معنيان هما أن اباه خاله وان خاله ابوه فهو ابن أبيه وابن خاله واذا صح هذا فهو متعدد فى اللفظ والمعنى وحينئذ يستوى فيه العطف وعدمه فلك أن تقول فلان ابن أخته وابنه وان تقول فلان ابن أخته ابنه واما قول حميد الهلالى ينام باحدى مقلتيه البيت فالعرب تزعم ان الذئب اذا نام زاوج بين عينيه فيفتح احداهما لتكون حارسة له قال العسكرى وهذا محال لان النوم ياخذ جملة الحى قال ابن الجوزى والذى اراد وابذلك انه يغمض عينا عند بداية النوم ويفتح عينا الى ان يغلبه النوم فيكون فى صورة الهاجع ويكون الكلام صحيحا (قلت) ماخلص ابن الجوزى من كلام العسكرى لان الشاعر قال فهو يقظان هاجع والحيوان لا يكون فى حالة النوم يقظان ويزعمون ان الأرنب ينام وعيناه مفتوحتان قال ابو الطيب

ارانب غير أنهم ملوك * مفتحة عيونهم نيام

اه فعلى ماقرره الشيخ بدر الدين محمد بن مالك يكون ناء عن الاهل صفر الكف منفردا اخبارا تعددت فى اللفظ والمعنى دون المبتدا لانه واحد متصف بهذه الصفات فيجوز ان تسرد الاخبار هنا معطوفة وغير معطوفة كقوله تعالى وهو الغفور الودود (كالسيف) تقدم الكلام على تقسيم الكاف وهى هنا اسم بمعنى مثل وهو وضعيا الرفع ان قدرت فأنا مفرد مثل السيف أو النصب على الحال أو على أنها صفة لمصدر محذوف تقديره منفردا انفرادا مثل انفراد السيف (عرى متناه) عرى فعل مغير لما لم يسم فاعله قالوا فى ضم أول الفعل المغير انه دلالة على ان المحذوف مرفوع ولا يرد هنا قيل وبيع وبابه فان الاصل قول وبيع بضم الاول فلما كان ثقيلا كسر لانه لا يكون قبل الياء الا ما هو من جنسها وكسر ما قبل آخره اعتنوا بامره ليصوغوا له هيئة لا يشاركه فيها غيره من المفاعيل الخمسة وهذا تعليل عليل (ذكرت) هنا نادرة وهى ان أبا الصقر قبل وزارته دخل على صاعد بن مخلد وهو وزير وفى المجلس أبو العباس بن ثوابة فسال الوزير عن رجل فقال أبو الصقر أنفى فقال ابن ثوابة فى الحر افتضاحك به أهل المجلس فقال أبو الصقر مثلك يحتاج أن يشد ويحد فقال وهذا من جهلك من يحد لا يشد فخرج أبو الصقر مغضبا (قلت) قد غلط أبو الصقر وابن ثوابة أيضا لان نفى لا يقال فيه أنفى لانه ثلاثى تقول نفيت الشئ والأنف لا يكون الا بفتح الهمزة وانما الكامل فى مثل هذا التنذير ما أنشده الشيخ الامام الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس بالقاهرة سنة سبعمائة وثمان وعشرين قال أنشدنى ابن المتيتى نائب دار العدل بمصر لنفسه يخاطب زين الدين خالدا الاشعرى

قلت للزين كيف لا تثبت البعث وتنفى انكارهم للحشر
قال أثبت فقلت ذا قلت فى استى * قال أنفى فقلت فى وسط جرى

قلت الصحيح انهما للنور الاسعردى وهو ماخوذ من قول الآخر

جاء فلان الدين فى وجهه * أنفه كاد يواريه
قلت له ماذا القضا قال لى * ذا منخرى قلت أنا فيه

قصير فرسا لجذيمة تسمى العصا فجاؤا بجذيمة فلما ادخل على الزباء أمرت برواهشه فقطعت والرواهش عروق اليد واستنزفته حتى مات فى خبر طويل مشهور وكانت مدة ملكه ستين سنة وله أشعار حسنة مشهورة فمنها

أضحى جذيمة فى بيرين منزله * قد حازما جمعت من قبله عاد
مستعمل الخير لا تفنى زيادته * فى كل يوم وأهل الخير تزداد

(وبيرين قد نافست بوران فيك)

هى شيرين زوجة أبرويز بن هرمز من ولد كسرى أنوشروان وكانت يتيمة فى حجر رجل من أشراف المدائن وكان أبرويز صغيرا يدخل منزل ذلك الرجل فيلاعب شيرين وتلاعبه فأخذت من قلبه موضعا فهاها عنه ذلك الرجل فلم تنته فرآها وقد أخذت فى بعض الايام من أبرويز خاتما فقال لبعض خواصه اذهب بها الى الدجلة فغرقها فأخذها ومضى فقالت له وما الذى ينفعك من تغريقى فقال قد حلفت لمولاى فقالت اقذفنى فى مكان رقيق فان نجوت لم أظهر وبرت يمينك ففعل وتوارت فى الماء حتى غاب وصعدت الى دير فترهبت فيه وأحسن اليها الرهبان

ومثل هذا ما نقلته من خط علاء الدين علي بن مظفر الكندي المعروف بالوداعي لنفسه

وذي دلال أهيف أحور * أصبح في عقد الهوى شرطي
طاف على القوم بكاساته * وقال ساقي قلت في وسطي

(رجع القول الى الاعراب) متناه مرفوع لانه مفعول ما لم يسم فاعله وهو عرى وعلامة رفعه الالف لانه مثنى تثنية متن وحذفت نون التثنية لاضافته الى الضمير والموجب لحذف الفاعل أمور منها الجهل به أو عكسه أو الحقارة أو عكسها أو ايثار غرض السامع لذلك أو للابهام عليه أو للاختصار أو للتفعيل كما في قول الشاعر

ان التي زعمت فؤادك ملها * خلقت هواك كما خلقت هوى لها

فلو قال خلقها الله لم يصح التفعيل في تقطيع البيت أو للتوافق كقوله

وما المال والاهلون الا ودائع * ولابد يوما أن ترد الودائع

فلو ذكر الفاعل لنصب الودائع والقصيدة مرفوعة أو للتقارب في السجع كقوله كثر النضال وقتل الرجال فلو ذكر الفاعل طالت القرينة ولا رباب المعاني في التسعة الموجبة المذكورة كلام طويل على كل منها اضربت عنه خوفا من التطويل فحذف الفاعل هنا يحتمل ان يكون طلبا للتفعيل لانه لو ذكره لم يصح التفعيل في تقطيع البيت ويحتمل ان يكون طلبا للابهام على السامع ويحتمل ان يكون للجهل به لان الذي عرى السيف لا يعلم ويحتمل غير ذلك وانما أعطى المفعول في مثل هذا الرفع اهتماما بامره لان الرفع هو العمدة في الكلام فاخذ منه النصب وهو دونه وأعطى الرفع وهو خير منه ولان الفاعل الذي عدم لم يعرف بوجد المفعول قد قام به الفعل فكانه الذي أوجده كما تقول مات زيد وانهدم الحائط وهما لم يفعلا ذلك من ذاتيهما وانما قام بهما الفعل فنسبا الى الفاعلية والفعل لا يوجد الا بوجود الفاعل وهو في غنية عن المفعول في اكثر المواطن ويحتمل ان يذكر للمناسبة وجوه أخر غير هذه (من الخلال) سوف يأتي الكلام على من وتقسيمها وهي هنا للبيان الجنس لانه يحتمل ان يعرى من الخلال التي تغشى بها الجفون وان يعرى من الجفون وان يعرى من الصقل والرونق والمضاء وغير ذلك فنص على ان السيف عرى من الخلال لا من غيرها وهذه الجملة أعني عرى وما بعدها في موضع الجر على الصفة للسيف ومن الخلال متعلق بعرى (المعنى) هذا البيت متعلق بما قبله كانه قال لاي شئ أقيم في بغداد وأنا لا سكن لي بها ولا ناقة لي فيها ولا جمل وانا غني عن الاهل فقير لا أملك شيئا من المال في كفي منفرد عن الناس كالسيف الذي جرد من حليته فما تنظره العيون وهو المطلوب في نفسه عند الحاجة لا الاجفان ولا الحمائل ولا الحلية والسيف عند الشجاع غير مراد منه هذه الاشياء وانما المراد مضاؤه وفريه ونفوذه في الضرب اذ الغاية المطلوبة منه هي هذه وأما الجفن والحلية والحمائل فلا اعتبار بوجودها ولا عدمها

وما الحلي الا حيلة من تقيصة * وما أحسن ما كشف المعري هذا المعنى بقوله

وان كان في لبس الفتى شرف له * فما السيف الا غمده والحمائل

وقال البحتري يعزي بولد

تعزفان السيف يمضي وان وهت * حمائله عنه وخلاه قائمه

وقال النمر بن تولب

فلما تقرر الملك لابرويز بعد أبيه هرمز مر بذلك الدير رسل قيصر الى أبرويز فدفعت الخاتم الى رئيسهم وقالت ابعث به الى أبرويز لتحظى عنده فأرسله وعرفه مكان شيرين فسر سرورا عظيما فأرسل اليها فأحضرها وكانت من أجمل النساء وأظرفهن ففوض اليها أمره وهجر نساءه وجواريه وعاهدها ان لا يمكن منها أحدا بعده وبنى لها القصر المعروف بقصر شيرين بالعراق فلما قتل شيرويه أباه أبرويز راودها عن نفسها فامتنعت فضيق عليها واستاصلها ورماها بالزنى وتهددها بالقتل ان لم تفعل فقالت أفعل على ثلاث شرائط قال ما هي قالت تسلم الى قتلة زوجي أقتلهم وتصعد المنبر وتبرئني مما قذفتني به وتفتح لي ناووس أبيك فان له عندي وديعة عاهدني ان تزوجت بعده رددتها اليه فدفع اليها قتلة أبيه فقتلتهم وبرأها مما قال وفتح لها ناووس أبيه وبعث الخادم معها فجاءت الى أبرويز فعانقته ومصت فصاصيمومها كان معها فحانت من وقتها وأبطأت على الخدم فصاحوا فلم تكلمهم فدخلوا فوجدوها معانقة لابرويز ميتة * وأما بوران فهي ابنة أبرويز المذكور وكانت أحسن من

فان تك أثوابي تمزقن عن فتى * فاني كنصل السيف في خلق الغمد

وقال لبيد بن ربيعة

فأصبحت مثل السيف أخلق غمده * تقادم عهد القين والنصل قاطع

ولهذا قال الطغرائي ماقاله يعني انني في بغداد بهذه الحالة من الفقر واجتناب الناس لمخلوذات يدي وأنا من الفضل والعلم والادوات بمحل أسنى ومع ذلك لا يعبأ بي ولا ينظر الى ذاتي من حيث هي كالسيف المعرى من الحلية وانما المرء باصغريه قلبه ولسانه اذهما ذات والمال عرض زائل قال الشاعر

تسل عن كل شئ بالحياة فقد * يهون عند بقاء الجوهر العرض

وقال أبو الطيب في معنى عدم الالتفات الى غير الانسانية

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له * اذا لم يكن في فعله والخلائق

وقال الشريف الرضي

لا تجعلن دليل المرء صورته * كم مخبر سمج في منظر حسن

وغيره

ان الصفائح لا يغرك باطنها * نقش الطوابع موسوم على الطين

وقال التهامي

حسن الرجال بحسناهم وفخرهم * بطولهم في المعالي لا بطولهم

وقال الغزي

لا يحطن رتبتي سوء حالي * آية الحسن في الجفون السقام

انا كالنار أطفأ النطر منها * ولها بعد أن تفحت احتدام

ومما حسن قول ابن حديس

أصبحت مثل السيف أبلى غمده * طول اعتلاق نجاده بالمنكب

ان يعله صدأ فكم من صفحة * مصقولة بالماء تحت الطحلب

وقال ابن قلاقس الاسكندري

ولئن ارادتني الخطوب بمرها * فالرمح يزلق عن ثمانيا منعج

أورحت في سمل الثياب فانني * كالعضب يفري وهو رث المنسج

وقال أيضا في عكس المعنى

قالوا الثواب عن الاثواب قلت لهم * خذوا ثوابي وردوني لأثوابي

واصيغة العضب لا جفن يصان به * وأي جفن لماضي الحد قرطاب

وقال أبو الطيب في عكس هذا المعنى

لا يجبن مضيما حسن برته * وهل يروق دفينا جودة الكفن

ومن قول أبي العلاء المعري في معنى قول الطغرائي

وأنت السيف ان يعدم حليا * فلم يعدم فرندك والغرار

وليس يزيد في حرى المذاكي * وكاب ذوقه ذهب عيار

ورب مطوق بالتبر كعبو * بفارسه وللرمح اعتبار

نشا بين الترك والفرس من الناس وملكت الناس بعد شهريار بن أبرويز واصلحت القناطر والجسور ولما جلست على السرير قالت ليس ببطش الرجال تدوخ البلاد ولا بمكايدهم ينال الظفر وانما ذلك بعون الله وقدرته واقامت سبعة أشهر ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أمرها قال لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ويقال ان فيروز بن رستم صاحب خراسان خطبها فقالت لا ينبغي للملكة أن تتزوج علانية وواعدته أن يقدم عليها سرا في ليلة عينتها له فجاءها في تلك الليلة فقتلته فسار اليها أبوه رستم فقتلها وقيل ان هذه الواقعة مع أردمي دخت

(وبلقيس غايرت الزباء عليك)

بلقيس ابنة الحرث بن سبا ويلقب أبوها بالهدهاد وقيل بنت الشمصبان ملكت بلاد سبا المذكورة في الكتاب العزيز وروي عن ابن عباس انه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبا أرجل هو أم امرأة أم أرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو رجل ولد عشرة سكن منهم اليمن ستة والشام أربعة فاليمانيون مذحج وكندة والانمار والازد والاشعريون وحمير واما الشام فلخم وجذام

وزند عاطل يزهى بمدح * ويحرمه الذى فيه السوار

ويعجبنى قول القائل

ليس الخمول بعار * على امرئ ذى جلال
فليلة القدر تخفى * وتلك خير الليالى

(قلت) الحكمة فى اخفاء ليلة القدر لها موجبات منها ان يحصل الاجتهاد فى الظفر بها فكل شخص يجتهد فى أمرها فيحصل له الاجر فى اجتهاده لان من اجتهد وأصاب فله اجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد تفضلا من الله ورحمة لئلا يحرم العامل أجرا (مسئلة) كل مجتهد مصيب فى الفروع لا فى الاصول هذا هو الصحيح ومن قال ان كل مجتهد مصيب مطلقا فلا حجة معه بدليل قوله كل مجتهد مصيب وهذا البحث فيه دقة لانه يأخذ حجة خصمه فيجعلها دليلا على مطلوبه فيقول بعين ما قلت يلزمك ما أقول اذ أنت أثبت ان كل من اجتهد أصاب وأنا قد اجتهدت فأدى اجتهادى الى ان كل مجتهد لم يصب اللهم الا فى الفروع وما أحلى قول شمس الدين محمد بن التلمسانى ومن خطه نقلت

قضاة الحسن ما صنعى بطرف * تمنى مثله الرشأ الربيب
رمى فاصاب قلبى باجتهاد * صدقتم كل مجتهد مصيب

(رجع ما انقطع) وقد تعبدنا الله عز وجل بأشياء لا ندرى معناها وأخفاها علينا لمضاعفة الاجور انا فى الايمان بها والاجتهاد فى معرفتها ومثل ليلة القدر الساعة التى فى يوم الجمعة التى يجاب فيها الدعاء * قال ابن حزم فى مراتب الاجماع واجمعوا على ان ليلة القدر حق وهى فى السنة ليلة واحدة اه ومنهم من قال هى فى مجموع رمضان ومنهم من قال هى فى أفراد العشر الاواخر ومنهم من قال فى السابع والعشرين وهو قول ابن عباس لان قوله تعالى لليلة القدر هى تمام سبع وعشرين لفظة من السورة وليلة القدر تسعة أحرف وهى مذكورة ثلاث مرات فتكون سبعة وعشرين حرفا ومنهم من قال هى فى مجموع السنة لا يختص بها رمضان ولا غيره روى ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه قال من يقم الحول يصبها ومنهم من قال رفعت بعد النبى صلى الله عليه وسلم اذ كان فضلها النزول القرآن فالذين قالوا انها فى مجموع رمضان اختلفوا فى تعيينها على ثمانية أقوال قال ابن رزين هى الليلة الاولى وقال الحسن البصرى هى السابعة عشر وعن أنس مرفوعا انها التاسعة عشر وقال محمد بن اسحق هى الحادية والعشرون وقال ابن عباس الثالثة والعشرون وقال ابن مسعود الرابعة والعشرون وقال أبو ذر الغفارى الخامسة والعشرون وقال أبى بن كعب وجماعة من الصحابة السابعة والعشرون ومن قال انها لا تختص رمضان يلزمه اذا قال لزوجته أنت طالق لزوجته أنت طالق ليلة القدر أنها لا تطلق حتى يحول عليها الحول لانها تكون قد مرت بيقين لان النكاح أمر متيقن لا يزول الا بمثله وكونها فى رمضان أمر مظنون وفى هذا التفقه نظر لان الاحاديث الصحيحة دلت على أنها فى العشر الاواخر من رمضان ووقوع الطلاق حكم شرعى والحكم الشرعى يثبت بخبر الآحاد لان خبر الآحاد يوجب العمل ولا يفيد العلم قال الرافعى لو قال لزوجته أنت طالق ليلة القدر قال أصحابنا ان قاله قبل رمضان أو فيه قبل مضى أول ليالى العشر طلقت بانقضاء ليالى العشر وان قاله بعد مضى ليالى العشر لم تطلق الى مضى سنة كاملة قال الشيخ محيى الدين النووى قوله طلقت بانقضاء ليالى العشر فيه تجوز وتابع فيه

وعاملة وغسان وكانت بلقيس من أحسن نساء العالمين ويقال ان أحد ابويها كان جنيا وقال ابن الكلبى كان أبوها من عظماء الملوك وولده ملوك اليمن كلها وكان يقول ليس فى ملوك اليمن من يدانينى فتزوج امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس وتسمى بلقمة ويقال ان مؤخر قدميها كان مثل حافر الدابة ولذلك اتخذ سليمان عليه السلام الصرح الممرد من القوارير وكان بيتا من زجاج يخيل للرائى أنه ماء يضطرب فلما رأته كشفت عن ساقيها فلم ير غير شعر خفيف ولذلك أمر باحضار عرشها ليختبر عقلها ثم أسلمت وعزم سليمان على تزوجها فأمر الشياطين فاتخذوا الحمام والنورة وهو أول من اتخذ ذلك وطلوا بالنورة ساقيها فصارت كالفضة فتزوجها وأرادت منه ردها الى ملكها ففعل ذلك وأمر الشياطين فبنوا لها باليمن الحصون التى لم ير مثلها وهى غمدان وبينون وغيرهما وأبقاها على ملكها وكان يزورها فى كل شهر مرة من الشام على البساط والريح وبقى ملكها الى أن توفى فزال بموته * وأما الزباء فهى ابنة ملیح بن البراء كان أبوها ملكا على الحضر وهو

صاحب المهذب وغيره وحقيقته طلقت فى أول الليلة الاخيرة من العشر وكذا قوله ان قال بعد مضى ليال لم تطلق الى مضى سنة فيه تجوز وذلك انه قد يقول لها فى آخر اليوم الحادى والعشرين فلا يقف وقوع الطلاق على مضى سنة كاملة بل يقع فى أول ليلة الحادى والعشرين (قلت) وهذا تحقيق من الشيخ محيى الدين وعجيب من الرافعى كيف غفل عن هذا * وقيل فى تسميتها بليلة القدر وجوه أحدها انها ليلة تقدير الامور والاحكام قال عطاء عن ابن عباس ان الله تعالى قدر ما يكون فى تلك السنة فيها من رزق واحياء واماتة الى مثل هذه الليلة وقيل القدر الضيق لان الارض تضيق على الملائكة فيها وقيل القدر للفاعل متى أتى فيها بالطاعة كان ذا قدر وشرف وقيل نزل فيها كتاب ذو قدر وشرف عظيم وقيل غير ذلك * واعلم ان الله لا يحدث تقديره فى هذه الليلة لانه تعالى قدر المقادير قبل خلق السموات والارض فى الازل ولكن المراد اظهار تلك المقادير للملائكة فى تلك الليلة لتكتبها فى اللوح المحفوظ وهذا الذى ينبغى أن يعتقد فى قول ابن عباس رضى الله عنهما (رجع القول الى معنى قول الشاعر وتلك خير الليالى) يعنى قول القائل

وليس قبيح المكان عما * يقدح فى منصبى ودينى
فالشمس علوية ومع ذا * تغرب فى حمأة وطين

(قلت) يشير الى قوله تعالى وجدها تغرب فى عين حمئة الآية وهذه الآية الكريمة ظاهرها مشكل وهو معمز للزنادقة لانهم يقولون ان البرهان قد ثبت فى المجسطى ان الشمس قدر الارض مائة وستين مرة وكسورا فكيف تدخل مع هذا القدر العظيم فى عين من عيونها والجواب ان فى هنا ليست ظرفية وأنها على ما ذهب اليه ابن قتيبة بمعنى عند لانها قد ترد بمعنى عند وبمعنى مع قال الشاعر * حتى اذا ألقت يدا فى كافر * معناه عند كافر (وقال الشاعر)

وفى الشر نجاة حسين لا يجيل احسان

معناه ومع الشر وقد تكون فى الآية بمعنى على كقوله تعالى ولأصلبنكم فى جذوع النخل أى على جذوع النخل وقال عنترة * يطل كأن ثيابه فى سرحة * أى على سرحة وكما ان فى تقع موقع على كذلك تعكس القضية كقول الشاعر * ولقد سريت على الظلام بمعشر * أى فى الظلام هذا اذا لم نفتح باب تأويل المعنى ونقول ان الخطاب جاء على حكم الحس فى رأى العين لان من وقف على شاطئ البحر المحيط أو قريبا من جبل عال رأى الشمس عند الغروب كأنها تدلت فى نفس البحر أو خلف الجبل قال الله تعالى حتى توارت بالحجاب أى وراء الجبل ولولا ان اللفظ جاء على حكم الحس فى الظاهر لما قال الله تعالى وجد عندها قوما ومن المعلوم عقلا ان القوم لا يجلسون فى قرن الشمس ولا هم عندها ولكن لما كان ذو القرنين قد توغل فى جوب الارض حتى انتهى الى البحر المحيط من جهة الغرب كان الناظر يخيل اليه أن الشمس تغرب هناك (فان قلت) ما معنى قوله تعالى تغرب فى عين حمئة (قلت) قد قرئ حامية بثبوت الالف وهى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائى وأبى بكر بن عاصم فعلى هذا أقصى البحر الغربى يكون كثير السخونة حاميا ومن قرأ حمئة أراد بها كثيرة السواد من الحمأة وهو الطين فعلى هذا الخطاب ورد على حكم الحس فى الظاهر والحس قد يكذب فيرى الصغير كبيرا وعكسه ويرى النقطة خطا ودائرة كما فى القطرة الممتدة من السماء الى الارض والنقطة على الرحى

الذى ذكره عدى بن زيد بقوله

وأخو الحضر اذ بناه واذ دجـ ـلة تجبى اليه والخابور

فقتله جذيمة الابرش وطرد الزباء الى الشام فلحقت بالروم وكانت عربية اللسان كبيرة الهمة قال ابن الكلبى وما رؤى فى نساء زمانها أجمل منها وكان اسمها فارعة وكان لها شعر اذا مشت سحبته وراءها واذا نشرته جللها فسميت الزباء والازب الكثير الشعر وبلغ من همتها أن جمعت الرجال وبذلت الاموال وعادت الى ديار أبيها وملكته فأزالت جذيمة عنها وبنت على الفرات مدينتين متقابلتين وجعلت بينهما أنفاقا تحت الارض وتحصنت وكانت قد اعتزلت عن الرجال فهى عذراء بتول وهادنت جذيمة مدة ثم خطبها فاستدعته وقتلته كما تقدم فى ترجمته فلما قتلها فان قصير لما فارق جذيمة وعاد الى بلاده تحيل على قتلها فخدع أنفسه وضرب جسده ورحل اليها زاعما أن عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة صنع به ذلك وانه لجأ اليها هاربا منه واستجار بها ولم يزل يتلطف لها بطريق التجارة وكسب الاموال الى أن وثقت به وعلم خفايا قصرها وأنفاقه ثم وضع رجالا من

التى تدور سريعا وكما اذا غمز الانسان عينيه ونظر الى القمر فيراه اثنين ولا بأس بتعليل هذا فأقول زعموا انه اذا حدث الهواء الحدقة بسبب ارتخاء عضلها أو تحويل الرطوبة الجلدية عن وضعها فى احدى الجهتين دون الاخرى تبقى الجهة التى قد تحول وضعها تطبع الصورة المنتقلة من رطوبتها الجلدية لا فى الفصل المشترك بل فى موضع آخر بسبب الغمز الذى حدث منه التحويل كما اذا أشرقت الشمس على ما فى البيت فانه يشرق منه نور فى السقف فلو تغير موضع الماء تغير موضع انطباعه فى السقف كذلك تغيير وضع الحدقة يوجب انتقال موضع انطباع ما فى الجلدية فتبقى الصورة صورتين فيرى الواحد اثنين (حكى) ان بعضهم ادعى هذه الدعوى وقال ان كل أحول يرى الشئ شيئين وكان لابن أحول فقال يا أبت ليس هذا بصحيح لانه يلزم من هذا انى كنت أرى القمرين أربعة * قال الامام فخر الدين الرازى فى المباحث المشرقية واعلم ان أصحاب الاشباح يذكرون أسبابا أخر منها حركة الروح الباصر وتوجهه يمنة ويسرة فيرتسم الشبح فى بعض الاجزاء قبل تقاطع الخروطين فيرى شبحين وهو مثل الشبح المرتسم فى الماء الساكن مرة واحدة والمرتسم فى الماء المتحرك المتموج مرارا كثيرة ومنها حركة الروح الذى وراء تقاطع العصبتين الى قدام وحده حتى يكون لها حركتان متضادتان واحدة الى الحس المشترك والاخرى الى ملتقى العصبتين فيتأدى اليهما صورة المحسوس قبل ان ينمحى ما تأدى الى الحس المشترك مثلا لو ارتسمت فى الروح المؤدى صورة تنقلها الى الحس المشترك وكل مرتسم زمان ثابت قبل ان ينمحى فلما زال القابل الاول عن موضعه خلفه جزء آخر فقبل تلك الصورة بعينها قبل انمحائها فحينئذ يحصل فى كل واحدة صورة مرئية وذكر قبل ذلك تعاليل أخر * قال الشيخ الامام العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى قولهم ان الاحول يرى الشئ شيئين ليس على اطلاقه بل انما يرى الشئ شيئين اذا كان حوله انما هو اختلاف احدى الحدقتين بالارتفاع والانخفاض ولم يستقر زمانا يألف به المرئيات أما ان كان الحول بسبب اختلاف المقلتين يمنة ويسرة أو بسبب الارتفاع والانخفاض ودام وألف فلا وما يؤيد ذلك أن الانسان اذا غمز احدى حدقتيه حتى تخالف الاخرى يمنة أو يسرة فانه يرى الشئ شيئين ويوجد فى الناس غير واحد ممن حوله بالارتفاع والانخفاض قد ألف تلك الحال فلا يرى الشئ شيئين والحق ان الذى يغمز احدى عينيه حتى ترتفع أو تنخفض عن أختها انما يرى الشئ شيئين لانه يرى الشئ المرئى باحدى العينين قبل الاخرى فصل الى التقاطع الصليبى شبح تلو هذا الشبح فيرى الواحد اثنين فقط ولولا ذلك لرأى هذا الرائى الشئ الواحد متكثرا لتغير نهاية على نسبة زوج الزوج كما فى تضعيف رقعة الشطرنج اه كلامه املاء على من فيه وقد لهج الشعراء بذكر الحول فقال ابن الحلاوى فى مشرف مطبخ وهو أحول

يجئ الينا بالقليل يظنه * كثيرا وليس الذنب الا لعينه
ومن سوء حظى ان رزقى مقدر * براحة شخص يبصر الشئ مثليه

وقال النور الاسعردى فى أحول لائط

يا ظريفا يكاد يقطر من عطـ * ـفيه ماء اللواط فى كل وادى
عش هنيأ فان عينيك يغنى * حول فيهما عن القواد

أنشدنى الشيخ الامام العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بصرسنة سبعمائة وثمان

قوم عمرو بن عدى فى غرائر وعليهم السلاح وحملهم على الابل على انها قافلة متجر الى أن دخل مدينتها فحلوا الغرائر وأخذوا بقصرها وقتلها قبل أن تصل الى منتهاها فى حكاية مشهورة وذلك بعد مبعث المسيح عليه السلام

(وأن مالك بن نويرة انما أردف لك)

هو مالك بن نويرة بن شداد اليربوعى التميمى فارس ذى الخمار وذو الخمار فرسه ويلقب بالجفول لكثرة شعره وكان من فرسان العرب وشجعانهم وذوى الرداقة فى الجاهلية وكانت لبنى يربوع أيام آل المنذر ومعنى الردف أن يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه فاذا شرب الملك شرب الردف بعده واذا غاب جلس الردف مكانه وللردف اتاوة تؤخذ مع اتاوة الملك وفى ذلك يقول الراجز

ومن ينافر آل يربوع يخب
الجالس الايمن والردف النجب

وأدرك مالك بن نويرة الاسلام وأسلم وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه من بنى يربوع فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخر الصدقة وقيل ارتد وبعث أبو بكر رضى الله عنه خالد ابن الوليد رضى الله عنه لقتال أهل الردة فكان اذا صبح

وعشرين قال أنشدني لنفسه محمد بن أحمد بن حسن بن عامر التجيبي في مليح له رقيب أحول

يأبى رشا يحوي مع الاحسان * ملكيه موضوعها انساني
أحوى الجفون له رقيب أحول * الشئ في ادراكه شيئان
يا ليته ترك الذي أنا مبصر * وهو المخبر في الغزال الثاني

(وما أحلى) قول نجم الدين بن اسرائيل دوبيت

قد بالغ في حديثه بالعين * من قال رأيت مثله بالعين
ما يبصر مثله سوى ذي حول * من حيث يرى الواحد كالاثنين

(وقال) بعض الشعراء

وأحول العين تعشقته * ما فيه من عيب ولا شين
يشكر ما أوليه من فاقتي * حتى يرى لي الشئ شيئين

(وقال الآخر) وهو مشهور

نظرت اليها والرقيب يظنني * نظرت اليه فاستحت من العذر
شكرت الهي اذ بلاني بحبها * على حول أغنى عن النظر الشزر

(وقال الآخر) في مليح أحول

قالوا اشغفت بأحول فأجبتهم * قد زدتم والله في أوصافه
لا تحسبوا حولا به لكنه * من زهوه يرنو الى أعطافه

(وقال الشيخ) صدر الدين محمد بن الوكيل

يقولون لي لما كلفت باحول * يقلب بالزوجين قلت لهم عذرا
رأت كل عين حسن أوصاف أختها * فعادت طوال الدهر تنظرها شزرا

(وقال) العلوي البصري فأحسن

ونظرة عين تعلتها * خلاسا كما نظر الأحول
تقسمها بين وجه الحبيب * وبين الرقيب متى يغفل

(وتبعه الآخر فقال)

أرى مستقيم الطرف ما دمت عندكم * فان زال طرفي عنكم فهو أحول

(رجع القول الى كذب الحس وغلطه) وقد يرى القمر السائر تحت السحاب متحركا الى غير جهته التي يتحرك اليها بالذات وترى النار البعيدة كبيرة وهي صغيرة والجبال وغيرها في السراب طوالا ويرى الخاتم اذا وضعه على عينه وحلقته كالسوار ويرى الشمس عند الشروق والغروب أكبر مما هي عند الزوال ويرى العنبة في الماء كالاجاصة فأما رؤية القمر متحركا الى غير جهته فعلى رأي القائلين بالشعاع ان المتحرك انما هو الشعاع وفيه كلام طويل فعلى رأي القائلين بالانطباع والشعاع اما ان المنطبع تكيف بكيفية المنطبع فيه واما لان الشعاع حين خالط الاجسام الرطبة غلظ فانعكس من ذلك المرئي غليظا فرأى ذلك المرئي غليظا وأما الشمس فسببها ان ناحيتي المشرق والمغرب فيهما رطوبات كثيرة تصاعد من الارض فينعقد شفافا على ما هو مشاهد بالحس فلهذا ترى الشمس كبيرة بسبب الرطوبات وغلط الحس كثير أتيت منه بهذا القدر (وما أحسن) قول أبي العلاء المعري

قوما تسمع الاذان فان سمعه
كف عنهم وان لم يسمعه
فانهم الى ان مر بالبطاح وبه
مالك وأصحابه فقيل انهم لم
يسمعوا أذانا فقاتلهم وأتى
بمالك بن نويرة أسيرا فأمر
خالد ضرار بن الازور بقتله
فقتله واحتج قوم لخالد في
قتله وطعن عليه آخرون
فأما من احتج فيزعم أن مالكا
قتل مرتدا وانه لما وقف بين
يدي خالد كان يقول في
مخاطبته قال صاحبك وتوفي
صاحبك يعني النبي صلى
الله عليه وسلم فقال له خالد أو
ليس هو بصاحبك أيضا
يا عدو الله ثم قتله ويحتجون
أيضا بقول أخيه متمم وذلك
ان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه لما سمع متمما ينشد رثاء
أخيه مالك قال وددت لو رثيت
أخي زيدا بمثل ما رثيت به
أخاك قال والله لو علمت ان
أخي صار الى ما صار اليه
أخوك لم أرثه ولم أحزن عليه
وأما الطاعنون فذكروا ان
خالدا لما احتج على مالك
بارتداده أنكر مالك ذلك
وقال أنا على الاسلام والله
ما غيرت ولا بدلت وشهد
قتادة وعبد الله بن عمر ثم ان
خالدا أمر بقتله فجاءت امرأته
ليلى بنت سنان وكانت شفة
وجهها وكانت من الحسان
فألقت نفسها عليه فقال لها
أنت قتلتني يعني انها أعجبت

والنجم تستصغر الابصار رؤيته * والذنب للطرف لا النجم فى الصغر

(وقال) الخفاجى الحلبى

ولا ينال كسوف الشمس طلعتها * وانما هو فيما يزعم البصر

وعلم المناظر علم طريف الى الغاية ولابن الهيثم فيه كتاب جليل رأيته فى سبع مجلدات ولشهاب الدين العراقى كراريس أودعها خمسين مسئلة من المناظر سماها الاستبصار فيما تدركه الابصار قرأتها بعدما كتبتها على الشيخ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى (ومما) يخطر فى غلط الحس ما قرأته على الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله الذهبى فى المغازى التى له قال ابن وهب حدثنى أسامة بن زيد الليثى قال حدثنى نافع قال كانت لابن رواحة امرأة وكان يتقيها وكانت له جارية فوقع عليها فقالت له أظنك قد فعلت وفرقت أن يكون قد فعل فقال سبحان الله فقالت اقرأ على اذا شيأ من القرآن فقال

شهدت باذن الله أن محمدا * رسول الذى فوق السموات من عل

وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما * لدى الله من ارباب منزلة قبل

وقال ابن وهب عن عبد الرحمن بن سليمان بن الهادى ان امرأة عبد الله بن رواحة رأته على جارية له فجحدها فقالت له اقرأ فقال

شهدت بان وعد الله حق * وان النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمينا

وتحمله ملائكة كرام * ملائكة الاله مقربينا

فقالت آمنت بالله وكذبت البصر فحدث ابن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فضحك (جاء) بعضهم الى قاض فاشتكى ابنه وقال أيها القاضى ان ابنى لا يصلى فقال له القاضى ما تقول فيما يقول والدك فقال كذب فانى أصلى فقال أبوه أيها القاضى ان كان صادقا فاقهره أن يقرأ شيأ من القرآن فقال له القاضى اقرأ فقال

علق القلب الربابا * بعدما شابت وشابا

ان دين الله حق * لا أرى فيه ارتيابا

فنهرهما القاضى وقال ويحكما تقرآن القرآن ولا تعملان به (ومما يتعلق) بكذب الحس أن بعض النساء الفواجر كان لها ميل الى رجل تحبه غير زوجها فاقترح عليها يوما ان يكون فعله أمام زوجها فقالت له اذا كان الغد فامض الى البستان الفلانى وكن بين الشجر فلما أصبحا أخذت زوجها وتوجهت به الى ذلك المتنزه الذى عينته ودخلا اليه فلما اطمأن بهما الجلوس صعدت الى شجرة هناك على انها تلتقط من ثمرها فلما صارت بأعلاها جعلت تصيح بأعلى صوتها ويلك ألك أن تفعل مثل هذا بحضرتى وتأتى بهذه القحبة الى هنا وتجامعها وأنا أنظر وأخذت فى مثل هذا زمانا ثم انها نزلت بناء على انها تمضى الى الحاكم فتشكوه فاخذ يتبرم من هذا الفعل ويتبرأ وهى لا تنفك ولا تبرح فقال لها عسى ان يكون هذا من خاصية هذه الشجرة حتى ارتك عيناك ما لا حقيقة له دعينى أطلع أنا اليها وأبصر حقيقة ذلك فلما صعد الشجرة دعت عشيقها وأخذ فى العمل فلما رآها الزوج قال لها لو أنى قليل العقل مثلك لكنت أقول ان رجلا قد علاك وهو يفعل كيت وكيت (رجع القول الى قول الشاعر وليس قبح

خالدا وانه يريد قتله ويتزوجها وقام ضرار بن الازور فضرب عنقه وجعل رأسه أثفية للقدر ووجهه مما يلى النار فنظرته امرأة من قومه وهو على تلك الحال فقالت اصرفوا وجهه مما لك عن النار فانه والله كان غضيض الطرف عن المحارات حديد النظر فى الغارات لا يشبع ليلة يضاف ولا ينام ليلة يخاف ثم بلغ عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ما صنع خالد فعرض عليه أبا بكر رضى الله عنه وقال انه قتل مسلما وزنى فارجمه ووافقه على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال أبو بكر انه تأول فأخطأ وما كنت لاشيم سيفا سله رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى أغمده وما زال عمر حاقدا على خالد بهذه الواقعة حتى عزله عن جيش الاسلام وقال والله لا ولى عاملا فى أيامى وكان متمم بن نويرة منقطعا الى مالك مكفى المؤنة فلما قتل حزن عليه حزنا شديدا ورثاه بقصائد مشهورة وحضر حين بلغه ذلك الى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الصبح خلف أبى بكر فلما فرغ من صلاته وانفتل قام متمم فاتكأ على قوسه وهو واقف مع الناس ثم أنشد يقول

المكان البيتين) قال أبو بكر الخالدى

ياهذه ان رحت فى * سمل فما فى ذاك عار
هذى المدام هى الحيا * ة فقيصها خزف وقار

وعلى ذكر اللباس فانى ذكرا بيات لأبى الحسين الجزار من ياس وهى

لى نصفة تعدد من العمر سنينا غسلتها ألف غسله
لا تسلنى عن مشتراها فقيها * منذ فصلتها نشا بجمله
نسف الريح صدرها بالاراتب فباتت تشكو هواه ونزله
كل يوم تكابد العصر والدق مرارا وما تقر بعمله
قال لى الناس حين أطنبت فيها * بس أكثرت جلها وهى بغله

فى هذه الابيات عدة تورياتٍ لا يخفى حسن موقعها من السمع وقال أيضا

أشكر مولانا ونصفيتى * تشكره أكثر من شكرى
أراحها جدواه من كل ما * تشكوه من دق ومن عصر
كم مرة كادت مع الماء اذ * يغسلها غسالها تجرى
تموت فى الماء لولا النشا * يبعثها فى ساعة النشر

ونقلت من خط السراج الوراق له

هذا وجوخى الزرقا تحسبها * من نسج داود فى سرد واتقان
قلبتها فعدت اذ ذاك قائلة * سبحان ربى بلا قلبى وابلانى
ان النفاق لشئ لست أعرفه * فكيف يطلب منى اليوم وجهان
لو أن صاحبنا الجزار أبصرها * على أبصر لبدا فوق جربان

وهذه من أبيات فى الجوخة طويلة عدتها ستة وعشرون بيتا كلها بديعة ولكن اقتصرت منها على هذا القدر خوف التطويل * وعلى ذكر التعرى فما ألطف قول شمس الدين محمد بن دانيال

ما عاينت عيناى فى عطلتى * أقبح من حظى ومن بختى
قد بعت عبدى وحمارى وقد * أصبحت لا فوقى ولا تحتى

وان كان قد أخذه من قول مجير الدين محمد بن تميم حيث قال

اننى الجمرة الشهاب ترهو * بحسن جل عن وصفى ونعتى
وأرجو أن رسم الصوم يأتى * ليسعدنى هما حظى وبختى
فأليسه وأركبها جميعا * فيصبح جود كم فوقى وتحتى

(وقال آخر) ولعله السابق

قالوا غلام القوصى وبغلته * راحا جميعا منه على بغته
قلت لقد ربح الزمان به * لم يبق لا فوقه ولا تحته

(ونقلت) من خط السراج الوراق له

بعت خفى فى أرضكم من حراف * حفنى أو أصارنى للتحفى
ثم أتبعته ندامة نفس * أحوجتنى لأكل خفى وكفى

وقال أبو الحسين الجزار

نم القتيل اذا الرياح تناوحت
خلف البيوت فقلت يا ابن
الازور
ثم أومأ الى أبى بكر رضى الله
عنه وقال
أدعوته بالله ثم غدرته
لو هو دعاك بذمة لم يغدر
فقال أبو بكر رضى الله عنه
والله ما دعوته ولا غدرته
ذا أنشد بقية أبياته المشهورة
وانحط على قوسه وكان أعور
فما زال يبكى حتى دمعت
عينه العوراء فقام اليه عمر بن
الخطاب رضى الله عنه
فقال وددت لو رثيت أخى
زيدا فأجابه بما تقدم ثم رثى
زيدا فلم يجد فسئل عن ذلك
فقال والله انه ليحركنى لاخى
مالا يحركنى لزيد وسأله عمر
عن حزنه فقال والله انى لا
أنام الليل وما رأيت نارا رفعت
بليل الا ظننت أن نفسى
ستخرج أذكرها نار أخى انه
كان يا مر بالنار فتوقد حتى
يصبح مخافة أن يبيت ضيفه
قريبا منه فتى رأى النار باتى
الى الرحل وهو باتى بالسيف
مجتهدا أسر من القوم يقدم
عليهم القادم من السفر
البعيد فقال عمر رضى الله
عنه أكرم به * وقال له عمر يوما
حدثنا عن أخيك فقال
أسرت مرة فى حى عظيم من
أحياء العرب فاقبل أخى
فاهوالا أن طلع على الحاضر
فما كان أحد قاعدا الا قام

بت وأثوابى كمكتسب مزقتها الارضه
فعورتى مكشوفة * وسترتى مقرضه

وأما معنى الفقر ففيه لابى العلاء المعرى

وان الغنى والفقر فى مذهب الفتى * لسيان بل أغنى من الثروة العدم
وما نلت مالا قسط الا ومال بى * ولا درهما الا ودربه الهم

أنشدنى الامام الحافظ أبو حيان قال أنشدنى لنفسه ناصر الدين حسن بن النقيب الفقيسى

وما بين كفى والدراهم عامر * وليست لها دون الورى بخليل
وما استوطنتها قط يوما وانما * تمر عليها عابرات سبيل

وأنشدنى الشيخ الامام الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس قال أنشدنى لنفسه الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد

أهل المراتب فى الدنيا ورفعتها * أهل الفضائل مرذولون عندهم
فالهم من توقى ضرنا نظر * ولا لهم فى ترقى قدرنا هممم
قد أنزلونا لأنا غير جنسهم * منازل الوحش فى الاهمال بينهم
فليتنا لو قدرنا أن نعرفهم * مقدارهم عندنا أو لو درووهم
لهم مريحان من جهل وفرط غنى * وعندنا المتعبان العلم والعدم

(قلت) هذه القطعة ساقطة النظم عن طبقة الشيخ تقى الدين وانما أثبتها طلبا لبركته

(وأنشدنى) لنفسه اجازة الشيخ زين الدين عمر بن مظفر بن عمر الوردى رحمه الله

ما الاغنياء الا بياجة * يكفيك أن القوم جهال
رضيت ما يقسم ربنا * لنا علوم ولهم مال

وأنشدنى جمال الدين أبو بكر محمد بن نباتة قال أنشدنى لنفسه اجازة الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد

لعمرى لقد قاسيت بالفقر شدة * وقعت بها فى حيرة وشتات
فان بحت بالشكوى هتكت مروتى * وان لم أبح بالضر خفت مماتى
فاعظم به من نازل بملمة * يزيل حياتى أو يزيل حياتى

وقول الطغرائى رحمه الله مأخوذ من قول مسلم بن الوليد

وباينت حتى صرت للبين راكبا * قوى العزم فردا مثل ما انفرد النصل

(وما أحسن) قول ابن الساعاتى

اهتز فى هذا الخمول الى العلا * مثل اهتزاز المشرفى القاضب

(وقال) أبو بكر بن اللبانة من قصيدة

حليف نوى لا يستقر وان نوى * اقامة رد الطرف أزعجها الخطب
نحيل معرى أشعث الفرع صارم * مضى حليه مع غمده وبقى الغرب

(وقال ابن سنا الملك) يرثى جماعة من أبيات

تلك قبور بنيت بعدى * لم تبن الا بى ولم تسنى
مناظر كما رأيت تعمى * وعشت من بعدهم برغمى

ولا بقيت مرآة حتى تطلعت
من خلال البيوت فانزل
عن جله حتى تلقوه بى فى ذمتى
فلما فقال عمر ان هذا هو
الشرف ثم قال له يوما يا متمم
انك لجزل فكيف كان
منك أخولك فقال كان والله
أحمى فى الليلة الباردة ذات
الازيز والصرير ير كب الجمل
الثقال ويجنب الفرس
المحرون وفى يده الرمح الثقيل
وعليه الشملة الغلوت وهو
بين المزادتين حتى يصبح
وهو يتبسم * ومن جيد مراثى
متمم له قوله من أبيات
وقالوا أتبكى كل قبر رأيته
لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت لهم ان الاسى يبعث الاسى
دعونى فهذا كله قبر مالك
ومن جيد شعر مالك قوله
ولقد علمت ولا محالة أننى
للحادثات فهل ترينى أجزع
أفنين عادا ثم آل محرق
تركتهم بددا وما قد جمعوا
وعددت آبائى الى عرق الثرى
فدعوتهم وعلمت أن لم يسمعوا
ذهبوا فلم أدركهم ودهتهم
غول الليالى والطريق المهيع
وقوله أيضا
وقالوا الى استأسر فانك آمن
فقلت ان استأسرت انى لخائن
علام تركت المشرفى معانجى
ومطرد انيه المنايا كوامن
فان تقتلونى بعد ذاك فانى
أموت بعقدار وتبقى الضغائن

كالسيف في الوحدة لا كالسهم * في فقـــر صوفي وذل ذمي

*(ولا صديق اليه مشتكى حزني * ولا أنيس اليه منتهى جذلي)*

(اللغة) الصديق هو الصادق في المودة والخلالة فالرجل صديق والمرأة صديقة والجمع أصدقاء وقد يقال للواحد والجمع والمؤنث صديق قال الشاعر

نصبن الهوى ثم ارتمين قلوبنا * باعين أعداء وهن صديق

ومن هنا اختلس أبو نواس معناه في قوله

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

قال هرون الرشيد لو وصفت الدنيا نفسها بشيء لما عدت عن قول أبي نواس اذا امتحن الدنيا لبيب البيت وأخذه أبو الوليد أحمد بن زيدون فقال من قصيدته البائية

أضحت منك دعوى البراءة شاهدا * أنت العدو فلم دعيت حبيبا

وأخذه الآخر (فقال)

أحبابه لم تفعلون بقلبه * ما ليس يفعله به أعداؤه

(وقال الآخر)

يا ليتني قلبي بكم كل ساعة * اذا أفلس المديون لج المطالب

ويشتاقكم شوق الذي مسه الظما * وقد منعت ظلما عليه المشارب

اذا رمتم قتلي وأنتم أحبتي * اذا فالأعادي واحد والحبائب

(وقال الارجاني)

أحبابنا كم تجرحون بهجركم * فؤادا بيت الدهر بالهم مكمدا

اذا رمتم قتلي وأنتم أحبتي * فماذا الذي أخشى اذا كنتم عدا

ولفظة عدو وحبيب وصديق كلها يخبر بها عن الواحد والجمع والمؤنث تقول هم عدو قال الله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو وقال تعالى فانهم عدو لي وهم صديق وحبيب (مشتكى) مصدر اشتكى (حزني) الحزن بالتحريك والسكون خلاف السرور وحزن الرجل بالكسر فهو حزين وحزين (أنيس) فعيل من الانس وهو ضد الوحش الذي يوجد منه الانس ويركن اليه ولا يستوحش منه (منتهى) مصدر انتهى الشيء اذا بلغ الغاية قال الله تعالى وأن الى ربك المنتهى وقال ابن دريد * وكل شيء بلغ الحد انتهى * (جذلي) الجذل بالجيم والذال المعجمة ضد الحزن ورأيت بعض الناس كتب ذلك بالدال وصحفه وهو غلط وانما هو بالذال المعجمة ليقابل الحزن بضده وهو الفرح (الاعراب) فلا صديق الفاء للصاحبة ولا هذه هي التي تنفي الجنس قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك الاصل في لا النافية أن لا تعمل لانها غير مختصة بالاسماء (قلت) اما القاعدة عند أهل العربية ان الحرف اذا كان مختصا عمل كحروف الجر لما اختصت بالاسماء ومثل كان وأخواتها وان وأخواتها وظن وأخواتها ومثل لم ولما وعوامل الجزم وعوامل النصب في الافعال مثل أن وبابها لما اختصت بالافعال عملت فيها واذا كان الحرف غير مختص كحروف الاستفهام والنفي والعطف لم يعمل شيئا لاشتراكه في الدخول على الاسماء والافعال وفي قول الشيخ جمال الدين بن مالك في الخلاصة

* سواهما الحرف كهل وفي ولم * نكتة لطيفة وهي انه قدم هل لاشتراكها في الدخول على الاسم

والفعل

(وعروة بن جعفر انما رحل اليك)

هو عروة بن عتبة بن جعفر من بني عامر بن صعصعة وأهل بيته ينتسبون الى جعفر فيقال الجعفريون ولذلك قال ابن زيدون عروة بن جعفر ولم يقل ابن عتبة وكان يعرف بعروة الرحال لرحلته الى الملوك وكان من ذوي العقل والشهامة وهو من أرداف الملوك وللعرب مبالغة في وصفه فيزعمون أنه رحل الى معاوية بن الجون الكندي فغزا معاوية بني حنظلة قومه من بني عامر واستصحبه معه فلما كان بواردات قال لمعاوية ان لي حق صحبة ورحلة وأريد أن أنذر قومي من ههنا وبينه وبينهم مسيرة ليلة فعجب معاوية منه فاذن له فصاح باصباحاه ثلاث مرات فسمعه قومه من الشعب فاستعدوا وبسببه مقتله قامت حرب الفجار وذلك أن النعمان كان يبعث لسوق عكاظ في كل عام لطيمة في جوار رجل شريف من أشراف العرب يجيزها له من أحياء العرب حتى يبيعها هناك ويشتري له بثمنها من أدم الطائف وغيره مما يحتاج اليه وكان سوق عكاظ يقوم في كل يوم من ذي القعدة الحرام فيتسوقون الى حضور

والفعل ثم ذكر فى لانها تدخل على الاسم ثم ذكر لم لانها تدخل على الفعل اه قال الشيخ بدر الدين وقد أخرجوا من هنا لا فاعملوها فى النكرات عمل ليس تارة وعمل ان أخرى فاذا قصد بالنكرة بعدها استغراق الجنس صح فيها أن تحمل على ان فى العمل لانها التوكيد النفى وان لتوكيد الايجاب فهى ضدها والشئ يحمل على ضده كما يحمل على نظيره لان الوهم ينزل الضدين منزلة النظيرين ولذلك تجد الضد أقرب حضورا فى البال مع الضد قال الشيخ شهاب الدين بن النحاس هذا الذى تقوله النحاة هنا وعندى ان أحسن من هذه العبارة ما قاله شيخنا ابن عمرون وابن الخشاب وهو أن ان للاثبات كما قيل ولا للنفى والنفى والاثبات طرفان فاشتركا فى الطرفية فحملت لا على ان لاشتراكهما فيما ذكرناه اه (قلت) هذا تعليل حسن لانهما يعودان من باب واحد وهنالك يكونان متضادين والحمل على الاشتراك أولى وبعد ففيه نظر يبطله من رأس قال الشيخ بدر الدين فاما اعمالها عمل ان فشروط بان تكون نافية للجنس واسمها نكرة متصلة سواء كانت موحدة نحو لا غلام رجل ظريف أو مكررة نحو لا حول ولا قوة الا بالله فلو كانت منفصلة وجب الالغاء كقوله تعالى لا فيها غول ويجوز الغاؤها مع الاتصال وذلك اذا كررت شبهوها اذ ذاك بحالها مع المعرفة نحو لا حول ولا قوة ثم اسم لا اما أن يكون مضافا أو شبيها به أو مفردا وهو ما عداهما فان كان مضافا نصب نحو لا صاحب برحمقوت وكذلك ان كان شبيها بالمضاف وهو ما بعده شئ هو من تمام معناه نحو لا قبيحا فعله محبوب ولا خيرا من زيد فيها ولا ثلاثة وثلاثين لك وأما المفرد فيبنى لتركيبه مع لا تركيب خمسة عشر ولتضمنه معنى من الجنسية بدليل ظهورها فى قول الشاعر

فقام يذود الناس عنها بسيفه * وقال ألا لا من سبيل الى هند

فيلزم الفتح بلا تنوين ان لم يكن مثنى أو جمع تصحيح وذلك نحو قوله لا بخيل محمود ولا حول ولا قوة الا بالله اه (قلت) ولهم فى اعراب لا حول ولا قوة الا بالله واعراب أشباه ذلك خمسة أوجه (الاول) فتحهما تقول لا حول ولا قوة مثل لا لغو فيها ولا تأثيم (الثانى) نصب الثانى تقول لا حول ولا قوة مثل * لا نسب اليوم ولا خلة * (الثالث) رفع الثانى تقول لا حول ولا قوة مثل لا أم لى ان كان ذاك ولا أب * (الرابع) رفعهما تقول لا حول ولا قوة مثل لا بيع ولا خلة (الخامس) رفع الاول وفتح الثانى تقول لا حول ولا قوة مثل * فلا لغو ولا تأثيم فيها * وقد اضربت عن التعليل لهذه الاوجه خوفا من التطويل (ذكرت) لا حول ولا قوة قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

أرى القوة قد حالت * فلا حول ولا قوه
اذا وقع الفتى فى الشيب فهو بذاك فى هوه

(وحكى) لى من لفظه المولى جمال الدين محمد بن نباته بدمشق المحروسة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة قال أنشدت فلانا سماه لى وهو بعض مشايخ أهل عصرنا ولم أذكره أنا فانه من العلم بمحل لم يشركه فيه غيره قولى فى مرثية فى ابن له توفى وعمره دون سنة وهو

يا راحلا عنى وكانت به * مخايل للفضل مرجوه
لم تكتمل حولا وأورثتنى * ضعفا فلا حول ولا قوه

فأعجباه وكتبهما بخطه وكتب الثانى فلا حول ولا قوة الا بالله فقلت يا مولانا ان كنت أردت

الحج ثم يحجون وكانت الاشهر الحرم أربعة أشهر ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وكانت العرب من ذى القعدة يتهيؤن للحج ويأمن بعضهم بعضا فجهز النعمان غير اللطيمة ثم قال من يجيزها فقال البراض بن قيس أنا أجيزها على بنى كنانة فقال النعمان ما أريد الا من يجيزها على أهل نجد وتهامة فقال عروة الرحال وهو يومئذ رحل هوزان أهذا الكلب يجيزها لك أنا أجيزها على أهل نجد وتهامة فقال البراض أعلى بنى كنانة تجيزها يا عروة فقال وعلى الناس كلهم فدفعها النعمان الى عروة فخرج بها وتبعه البراض وكان فاتكا غيارا وعروة لا يحس منه شيأ لانه كان بين ظهرانى قومه من غطفان فنزل بأرض يقال لها أوارة فشرب الخمر وغنته قينة ونام فجاء اليه البراض فدخل عليه وأيقظه فناشده عروة وقال كانت منى زلة فقتله وخرج وهو يرتجز

قد كانت الفعلة منى ضله
هلا على غيرى جعلت الزله

وهرب فضربت العرب المثل بقتلة البراض له وقامت حروب عظيمة بسببه ومن شعر عروة

أتعجب منى أم حسان اذ رأت
نهارا وليلا لا بليانى فأسرعا

بقولك الا بالله البركة فكمت أتممت ذلك بالعلى العظيم وان كان غير ذلك فقد فسد المعنى والوزن على (قلت) وهذان البيتان فى غاية الحسن (رجع القول الى لا التى لنفى الجنس) تقرر ان عملها فى اسمها وانه يبنى معها على الفتح وهنا سؤال وهو ان العامل فى اسمها هو لا وقلتم انه ترکب معها وهما بمنزلة الكلمة الواحدة فحينئذ لا جزء منها والجزء لا يعمل فى الجزء الآخر شيأ والجواب نعم الجزء يعمل فى جزئه ألا ترى قولك أعجبنى أن تقوم فان تقوم جملة وقعت موقع المفرد تقديره قيامك وقد علمت أن فى تقوم النصب وأن جزء على هذا التقدير اه وترفع الخبر تقول لا رجل ظريف قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك يجب ذكر خبر لا اذا لم يعلم كقول حاتم

ورد جازرهم حرفا مصرمة * ولا كريم من الولدان مصبوح

وان علم التزم حذفه عند بنى تميم والطائيين وأجاز حذفه واثباته الحجازيون ومجاهد محذوفا قوله تعالى قالوا لا ضير ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وقد رحذف الاسم وابقاء الخبر كقولهم لا عليك أى لا جناح عليك أو لا باس اه (قلت) ومن حذف الخبر قولك لا اله الا الله فاله اسمها والخبر محذوف قدره النحاة فى الوجود أو لنا هكذا أعربوه وأورد الامام فخر الدين الرازى فى المحرر اشكالا على هذا الاعراب فقال هذا النفى عام مستغرق وتقييده بالوجود تخصيص له ولنا أكثر تخصيصا واذا كان كذلك لم يبق النفى عاما وحينئذ لا يكون هذا القول اقرارا بالوحدانية على الاطلاق والجواب انا لا نسلم أن تقييده بالوجود اذا كان تخصيصا لا يبقى على العموم المراد من النفى لان المراد نفى الالهة فى الخارج الا الله تعالى على معنى أن نفى وجودها مستلزم لنفى ذاتها حتى كانه قال لا اله يوجد الا الله وعلى هذا يبقى النفى عاما بالمعنى المراد منه (رجع الى اعراب البيت) قوله لا هى هنا النفى الجنس وصديق اسمها وهو مبنى على الفتح معها والخبر محذوف تقديره فيها أى فى بغداد أو تقديره لى وأنا اختار أن يكون صديق هنا مبنيا على الفتح ورأيت جماعة من الفضلاء كتبوا القصيدة بخطهم ورفعوا صديقا ونونوه وعلى هذا تكون لا بمعنى ليس والفرق بين لا و بين ليس أن ليس تنفى الواحد ولا تنفى الجنس لانك اذا قلت لا رجل فى الدار بالفتح فمعناه ليس فى هذه الدار هذا الجنس فلا يكون فيها واحد ولا اثنان ولا أكثر واذا قلت لا رجل بالضم والتنوين كان معناه نفى الرجل الواحد وقد يكون فيها اثنان وثلاثة وأكثر واذا تقرر هذا فمن رفع كان المعنى أن الطغرائى ما كان له صديق واحد وقد يكون له أكثر وهذا يناقض قوله لانه فى مقام تهويل وتعظيم من أنه منفرد عن الاهل والوطن والاصحاب وكلما كان أبلغ فى الشدة والانفراد كان الكلام أبلغ واشعر وأكثر أخذا بجامع القلوب فى التوجع له والتعطف عليه اه (اليه) جار ومجرور وسيأتى الكلام على الى وتقسيمها والجار والمجرور فى موضع الخبر المقدم (مشتكى) هذه الصيغة يشترك فيها أربعة أشياء المصدر واسم المفعول واسم الزمان واسم المكان لان الاربع صيغ لا تختلف فى مثل هذا وهذه الصيغة هنا للمصدر خاصة وهو فى موضع رفع على الابتداء ولم يظهر الاعراب فيه لانه مقصور (حزنى) الحزن مضاف الى الياء وهو ضمير المتكلم فى موضع جر ومشتكى مضاف الى الحزن والجملة من المبتدا والخبر فى موضع نصب على أنها صفة لاسم لا كأن التقدير فلا صديق سامعا شكوى حزنى اليه موجود والنصف الثانى اعرابه كاعراب الاول (المعنى) ما أجد

صديقا

وقد صار اخوانى كأن عليهم
ثياب المنايا والنعام المنزعا

من أبيات وقد قيل انها لعروة الرحال بالجيم وهو رجل من بنى أسد

(وكليب بن ربيعة انما حمى
المرعى بعزتك وجساسا انما
قتله بأنفتك)

كليب بن ربيعة بن الحرث الوائلى الذى يضرب به المثل فيقال أعز من حمى كليب فانه رئيس الحيين من بكر وتغلب ابنى وائل وقاد معدا كلها يوم خزاز وفض جموع القوم فاجتمعت عليه معد وجعلوا له قسم الملك وتاجه وطاعته فعبر بذلك حينا ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه بما هو فيه من عز وأثقلهم بانقياد معد له حتى بلغ من بغيه وعتوه انه كان يحمى مواقع السحاب فلا يرعى حماه ويقول وحش كذا وكذا فى جوارى فلا تهاج ولا يورد أحد مع ابله ولا توقد نار مع ناره ولا يحتبى فى مجلسه ولا يتكلم الا باذنه وفى ذلك يقول أخوه بعد قتله

نبئت ان النار بعدك أوقدت
واستب بعدك يا كليب المجلس
وتكلموا فى أمر كل عظيمة
لو كنت حاضر أمرهم لم يتبسوا

وقيل انه كان اذا مر بمرعى فذف فيه جروا فيحموى فلا يرعى أحد من ذلك الكلا ولذلك قيل حمى كليب وائل

صديقا يكون اليه مشتكى حزني ولا أرى أنيسا يكون اليه منتهى فرحي وهذه حالة تشق على من تلبس بها ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة ما خرج الا وأبو بكر رضي الله عنه معه ليكون له انيسا في الوحدة ورفيقا في الغربة يركن اليه في المشورة ويأنس به اذا خلا وقد علمت ما كان عليه معه في الغار من الذب عنه ومواساته من الاذى وتلقي الاذى عنه وموسى صلوات الله عليه لما أمره الله تعالى بالرسالة الى فرعون ليدعوه الى الايمان سأل الله تعالى ان يكون أخوه هرون معه قال الله تعالى واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بالملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان نوى خيرا أعانه وان أراد شرا كفه عنه وكان أنوشروان يقول لا يستغني أجود السيوف عن الصقل ولا أكرم الدواب عن السوط ولا أعلم الملوك عن الوزير (قلت) ولو لم يكن في الوزير والصاحب الا المشورة لكان كافيا قال تعالى فيما أدب به رسوله صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر وما أحسن قول الشاعر

اذا عن أمر فاستشر للك صاحبا * وان كنت ذا رأي تشير على الصحب
فاني رأيت العين تجهل نفسها * وتدرك ما قد حل في موضع الشهب

وقلت أنا في المشورة

لا تسع في امر ولا تعمل به * ما لم يزنه لديك عقل ثاني
فالشعر معتدل بوزن عروضه * وكذا اعتدال الشمس بالميزان

(وقال الارجاني)

شاور رسولك اذا نابتك نائبة * يوما وان كنت من أهل المشورات
فالعين تلقى كفاحا ما دنا ونأى * ولا ترى نفسها الا بمرآة

(وقال ايضا)

اقرن برأيك رأي غيرك واستشر * فالحق لا يخفى على اثنين
فالمرء مرآة تريه وجهه * ويرى قفاه بجمع مرآتين

قال اصحاب علم المناظر يمكن ان الانسان يرى قفاه بطريق وهو ان يجعل مرآة بين يديه ومرآة خلفه تقابلها بحيث ان تكون احداهما كما يرى لو كان فيها انسان رأى الصغيرة واما الصغيرتان اللتان تحجب كل منهما الاخرى فلا يتأتى معهما مطلوب فاذا نظر الى التي بين يديه اتصل شعاع بصره بها ثم انعكس طالبا الجهة التي جاء منها لان المرآة في المقابلة فتتصل بالوجه وما وراءه فيجد وراءه مرآة أخرى فينطبع فيها ما انطبع في الاولى لان الصورة تجري في الشعاع كما تقدم فينطبع فيها وجهه فيكون له وجهان أحدهما في التي هي أمام والآخر في التي هي وراء يجد شعاع هذه المرآة التي في وجهه خلف لانها صقيلة لا يمكنه الثبوت عليها فيرجع الى الجهة التي تقابله فيجد القفا فيتعلق به كما يتعلق بالوجه من التي هي امامه فيؤل الامر الى ان طرف الشعاع متصل بقفاه فتجري صورته في الشعاع حتى ينطبع في المرآة التي هي وراءه وتؤدي المرآة التي فيها الى التي تقابلها فينطبع القفا في التي هي امامه فيرى لنفسه وجهين ويرى قفاه (وجمع القول) الى طالب الصاحب وهذا امر مقصود عند العقلاء لانه لا بد من خل تسكن اليه فتشكو اليه حزنك وتنتصر به على من ظلمك وتتخذه عونا على ما نابك وتتوصل

يعنون الكلب ويضيفونه الى وائل وهو اسم الملك ثم غلب هذا القول حتى ظنوه اسمه ومر يوما بمرعى فيه حمرة وهي طائر صغير وقيل قبرة وقد باضت فلما رأته صرصرت وخفقت بجناحيها فقال أمن روعك أنت في ذمتي ثم أنشد يا للناس من قبرة بمعمر * خلا لك الجو فبيضي واصفري ونقري ما شئت أن تنقري

فاجتاز صاحب بعير يدخل ذلك المرعى * وأما جساس فهو ابن مرة بن ذهل كانت أخته تحت كليب وكان بنو جشم وشيبان في دار واحدة فبيناني كليب وجساس وكانت لجساس خالة من بني سعد تسمى البسوس جاورت بني مرة فنزلت على ابن أختها جساس ومعها ابن لها ولها ناقة خوارة من نعم بني سعد ولها فصيل فندت الناقة ذات يوم فدخلت في ابل كليب ترعى في حماه فنظر اليها فانكرها فرماها بسهم في ضرعها فولت حتى بركت بفناء صاحبتها وضرعها يشخب دما ولبنا فلما نظرت اليها برزت صارخة ويداها على رأسها وهي تصيح واذلاه فلما سمع جساس قولها سكتها وقال والله ليقتلن غدا جمل هو أعظم قدرا من ناقتك يعني كليبا ثم انتجع الحمى فمروا

به الى ماشق عليك بلوغه بمفردك كان الكندى يقول الصديق انسان هو انت الا أنه غيرك وكان يقول الاخوان على ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه أبدا وطبقة كالدواء يحتاج اليه حينا دون حين وطبقة كالداء لا يحتاج اليه أبدا قيل لعبد الحميد الكاتب أيما أحب اليك أخوك أم صديقك قال انما أحب أخى اذا كان صديقى وفى المثل رب أخ لم تلده أمك (وقال) أكثم بن صيفى القرابة تحتاج الى مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة (ومما) أنشده الوزير عون الدين بن هبيرة من شعر أمير المؤمنين المستنجد بالله

كن عدوا مبرزا صفحته * أو فدانى اذا لم تك قرنى
فى اشتباه الناس وبينهم * ومساواة اليها سوء ظنى
كم عدو لى من ظهر أبى * وصديق أمه ما ولدتنى

(قلت) الاول من قول القائل

فاما أن تكون أخى بصدق * فأعرف منك غثى من سمينى
والا فاطرحنى واتخذنى * عدوا أتقيك وتتقينى

(وقال بعضهم)

أخ لا يذقنى الله فقدان مثله * وأين له مثل وأين المقارب
تجاوزت القربى المودة بيننا * فأصبح أدنى ما تعد المناسب

(وما أحسن) قول من قال

كانت مودة سلمان له رحما * ولم يكن بين نوح وابنه رحم

(وقال) بعض الحكماء ينبغى للعاقل أن يتخذ صديقا ينبهه على عيوبه فان الانسان لا يرى عيب نفسه (رأيت) فى بعض المجاميع الأدبية ان السلطان صلاح الدين قال يوما للقاضى الفاضل لنا مدة لم نر فيها العماد الكاتب فلعله ضعف امض اليه وتفقد أحواله فلما دخل القاضى الفاضل الى دار العماد وجد أشياء أنكرها فى نفسه مثل آثار مجلس أنس وطيبه ورائحة خمر وآلات طرب (فأنشده)

ما ناصحتك خبايا الود من رجل * ما لم ينلك بمكروه من العذل
محبتى فيك تأبى أن تسامحنى * بأن أراك على شئ من الزلل

فلما قام من عنده خرج العماد عن كل ما كان فيه ولم يعد الى ذلك البتة (قلت) واقل الاصدقاء حالة من تشكو اليه ولم يكن عنده غير سماع الشكوى والاصغاء اليها الان سماع الشكوى وبثها فيه تخفيف عن المكروب والنفس تستروح اليه ولهذا قال الشاعر

ولا بد من شكوى الى ذى مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

لان المشكو اليه اما أن يواسيك فى همك وهذه الرتبة العليا وهو الصديق الكريم ذو المروءة واما أن يسليك وهى الرتبة الوسطى وهو الصديق الحكيم المهذب ذو التجارب الذى حلب أشطر الدهر واما أن يتوجع وهذه الرتبة السفلى وهو الصديق العاجز فان خلا الصديق من احدى هذه الرتب كان وجوده وعدمه سواء بل عدمه خير من وجوده (قال الشاعر)

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا * ولا أنت ذو دين فترجوك للدين
ولا أنت ممن يرتجى لكريهة * عملناك مثلا لا مثل شخصك من طين

(قلت)

على نهر يقال له شبيب فنهاهم كليب عنه وقال لا ترد منه قطرة ثم مروا على نهر آخر يقال له الاخص فنهاهم عنه فضوا حتى أتوا الذنائب ونزلوا فرجاس يكلب وهو واقف على غدير الذنائب منفردا فقال طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشا فقال كليب ما منعناهم من ماء الا ونحن له شاغلون فقال له جساس هذا كفعلك بناقة خالتى فقال وقد ذكرتها أما انى لو وجدتها فى غير ابلى مرة أخرى لاستحللت تلك الابل فعطف عليه جساس بفرسه فطعنه بالرمح فأرداه ووجد الموت فقال يا جساس اسقنى فقال هيهات تجاوزت الاخص وشبيبا ثم عطف المزدلف فاجهز عليه ثم ان جساسا لما فرغ من قتل كليب أمال يده بالفرس حتى انتهى الى أهله فقالت أخته لابيها ان لجساس شأنا قد جاءنا خار جار كبتيه ٣ قال والله ما خرجت ركبتاه الا لامر عظيم يعنى انه كان بركبتيه وضح لا يظهره فلما جاء قال ما وراءك يا بنى قال ورائى

٣ قوله خار جار كبتيه هكذا فى النسخ ولعل الصواب خار جا ركبتاه بدليل ما بعده فليتأمل ويحرر اه من هامش الاصل

(قلت) لو كان لي في هذين البيتين حكم لهدمت القافية وقلت

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا * ولا أنت ذو جود فترجوك للقرى

ولا أنت ممن يرتجى لكريهة * عملنا مثالا مثل شخصك من خرا

فاني لا أرى أن أضيع الطين في تمثاله وما أحلى قول الغزي يهجو رجلا اسمه أبو طالب

ابليس قام عمل من الخرا قالب * ثم انفسد جا منو أبو طالب

(قلت) ما ألطف هذا وأظرفه اذ جعل ابليس الصانع أخزاه الله تعالى والمادة والصورة مع ما في قوله ثم انفسد من التكميل * ثلاثة كلها تجرى على نسق * ومن شواهد العربية قول الشاعر

اذا كنت لم تنفع فضر فانما * يرجى الفتى كيما يضر وينفع

كفت ما كي عن عمل النصب ومن هنا اختلس المعنى محمد بن شرف القيرواني فقال

أعني باطماع كذوب على النوى * اذا لم تقاتل يا جبان فشجع

(رجع القول الى قوله ولا بد من شكوى البيت) رأيت بخط السراج الوراق رحمه الله تعالى بيتا قد زاده على هذا البيت وجعله ثانيا له حيث قال

وان كان من وصف المروءة خاليا * يراثيك أو يبكيك أو ليس يسمع

(قلت) ليس في هذا زيادة لانه اذا رآه تفقدوا ساه في الظاهر واذا بكاه فقد توجع واذا لم يسمع فلا حاجة اليه وقد توهم انه أتى بزيادة على الاول وما زاد شيئا نعم أكد ما قاله الاول وأتى بذلك المعنى من غير زيادة ولكن غير الالفاظ فان الرثاء من المواساة والبكاء من التوجع وعدم السماع من عدم المروءة فهو هو مع نقص فيه وما أحلى قول القائل

كأننا والماء من حولنا * قوم جلوس حولهم ماء

(وقال ابن خاقان في الحمام)

لله قوم بحمام نعمت بها * والماء من حوضها ما بيننا جارى

كأنه فوق شفات الرخام ضحى * أوائل الماء في أثواب قصار

(وقال ابن الرومي)

وشاعر أوقد الطبع الذكاء له * فكاد يحرقه من فرط اذكاه

أقام يجهد أياما قريحته * وفسر الماء بعد الجهد بالماء

ذكرت هنا ما أنشدنيه لنفسه شهاب الدين الحاجبي بالقاهرة من أهل العصر

أقول شبيه لناجسم الرشا ترفا * يا مدعي الفضل في وصف وانشاء

فراح يفكر فيما قلته زمنا * وشبه الماء بعد الجهد بالماء

وقول الشاعر ولا بد من شكوى هذا البيت وأمثاله يسميه أرباب البديع صحة التقسيم وأوردوا فيه قول البحتري

قف مشوقا او مسعدا أو حزينا * أو معينا أو عاذرا أو عذولا

قال ابن الاثير الجزري في المثل السائر هذا من فساد التقسيم فان المشوق قد يكون حزينا والمسعد قد يكون معينا وكذلك قد يكون المسعد عاذرا (قلت) فيما ادعاه ابن الاثير نظر اذ ليس كل مشوق حزينا لان المحزون قد يكون غير مشتاق لانه قد يكون الحبيب عنده غير

أني ولعنت طعنة لتشتغلن بها شيوخ وائل زمنا قال أقتلت كليبا قال نعم قال وددت أنك وأخوتك متم قبل هذا ما بي الا ان تسأمني أبناء وائل ثم نظر جساس الى أخته نضلة فقال

واني قد جنيت عليك حربا * تغص الشيخ بالماء القراح

مذكرة متى ما يصح منها * فتى شدت لآخر غير صاحي

فأجابته نضلة تطيب نفسه

وان تك قد جنيت على حربا * فلاواه ولارث السلاح

ثم هرب جساس ووقعت بين الحيين حرب البسوس المشهورة قيل أقامت أربعين سنة * واختلف في قتل جساس فقيل ان أبا النويرة قتله هاربا على طريق الشام بعد حين وقيل ان ابن أخته هبرس ابن كليب كان عند أمه وأخواله بعد الفتن فلما بلغ مبلغ الرجال وعرف أن خاله جساسا قاتل أبيه ركب فرسه وأخذ رمحه وأتى نادي قومه وجساس خاله في النادي مع جماعة فقال ورمحي ونصليه وسيفي وزريه وفرسي وأذنيه لا يتركك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ولحق بعمومته

(ومهلهل انما طلب ثاره بهمتك)

هو مهلهل بن ربيعة بن الحرث أخو كليب المقدم ذكره واسمه عدي ولقب مهلهلا بقوله

غائب عن عيانه ولكنه معرض عنه غير ملتفت اليه فهنا الحزن موجود من غير شوق ولا يرد هنا قول القائل

وكدت وهو ضجيعي أن أقول له * من شدة الشوق قد أبعدت فاقترب

فان هذا من المبالغة في الحب الذي لا يشفيه قرب ولا يبل غليله دنو وأبلغ من هذا قول الآخر وهو في غاية الرقة

سريت اليه والظلام كانه * صريع كرى والنجم في الافق شاهد

فلو أن روحي ما زجت ثم روحه * لقلت ادن مني أيها المتباعد

ومن هذه المادة قول ابن سنا الملك

لو جدت لي بالنفس منك لقلت من * شره المحبة انه لبخيل

والكل من ابن الرومي أخذوا ومن أغراضه نفذوا فانه قال فاطاب وان أطال

أعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق تدانى

وألثم فاه كي تزول حرارتي * فيشتد ما ألقى من الهيمان

ولم يك مقدار الذي بي من الجوى * ليشفيه ما ترشف الشفتان

كأن فؤادي ليس يشفي غليله * سوى أن يرى الروحين يمتزجان

(رجع) ولا كل مسعد عاذرا فان الانسان قد يساعد صاحب البلية وهو غير عاذر له وانما يفعل ذلك رحمة وشفقة ورقة فبطل ما اعترض به ابن الاثير على البحتري الفعل واما صحة التقسيم فيحكى عن ابن عمر رضي الله عنهما انه سمع قول زهير

فان الحق مقطعه ثلاث * يمين أو نفار أو جلاء

قال لو أدركت زهيرا الولية القضاء ومن أبيات هذا النوع المسمى بصحة التقسيم قول أبي الطيب

للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

(وما أحسن) قول أبي الحسين الجزار

وزير ما تقلد قط وزرا * ولا داناه في مشوى أثام

وجل فعاله صادات بر * صلات أو صلاة أو صيام

(وقال) شيخ الشيوخ بحماة شرف الدين عبد العزيز رحمه الله

لنا ملك واجدما اشتهى * ولكنه لم يجد مثله

ملاذي به ومثولي لديه ميلي اليه ومدحي له

(وقال الآخر)

كتبت وشبنات حالي غلبن * الى سيد جل عن مشبه

فشوقي اليه وشكري له * وشعري فيه وشغلي به

(وكتبت أنا) الى بعض الاصحاب

كتبت لمولى نأت داره * وسنات حالي وقف لديه

فسعي اليه سموي به * سؤالي عنه سلامي عليه

(وقلت أيضا)

لما توغل في الكراع هجينهم
هلهلت أثأر ما لكا أو صنبلا
يعني قاربت وقيل لقب مهلهل لانه أول من هلهل نسج الشعر أي أرقه وهو أول من قصد القصائد وقال فيها الغزل وغنى بالتشبيب من شعره وهو خال امرئ القيس بن حجر ومنه ورث اجادة الشعر وكان أيضا كثير المحادثة للنساء حتى كان أخوه كليب يسميه زير النساء ولذلك يقول بعد قتل كليب وطلب ثاره

فلو نبش المقابر عن كليب
ليعلم بالذنائب أي زير

وكان من خبره في هذه الواقعة وطلب الثار والثار بالثاء المثلثة طلب الدم وأصله الهمز أن جساسا لما قتل كليبا وفر هاربا كان همام بن مرة أخو جساس ينادم مهلهل بن ربيعة أخا كليب وكان قد صادقه وآخاه وعاهده أن لا يكتم عنه شيأ فجاءت اليه أمه فاسرت اليه قتل جساس كليبا فقال له مهلهل ما قالت لك فلم يخبره فذكره العهد فقال أخبرت ان أخي قتل أخاك فقال لست أخيك أضيق من ذلك فسكت همام وأقبلا على شرابهما فجعل مهلهل يشرب شرب الآمن وهمام يشرب شرب الخائف فلم تلبث الخمرة أن

كتبت ودالات حالى كما * تراها الى سيدلم أخنه
دعانى ودمعى ودأبى دوائى * له وعليه وفيه ومنه
(وقلت فى المجون)
ملكت غلاما جيبى له * وخذ خبرى فيه أخبرك عنه
فدبى عليه ودأبى له * ودخلى فيه وخرجى منه

(رجع) الى قوله ولابد من شكوى البيت والعاقل من كتم أمره ولم يشك الى أحد عملا بقول القائل

لاتظهرن لعاذر أوعاذل * حالىك فى السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين حرارة * فى القلب مثل شماتة الاعداء

فقد يكون بعض الاصحاب مثل ما قال الارجانى

أعيالك اسعافى فصرت معنفى * ليت الذى عدم الجميل تحملا
مالى شكوت اليك نار جوانحى * لتكون مطفئها فكنت المشعلا

(وقال) أبو بكر عبادة بن ماء السماء الاندلسى

لاتشكون اذا عثرت * الى خليط سوء حالك
فيريك ألوانا من الاذلال لم تخطر ببالك

والعلم المشهور فى هذا قول أبى الطيب

لاتشكون الى خلق فتشمتهم * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وأما الانفراد فنقلت من خط السراج الوراق له

أفردتنى الايام عن كل خل * وأنيس وصاحب وصديق
فلوانى مشيت فى شهر آب * لأبى الظل ان يكون رفيقى

(ونقلت) من خطه له أيضا

أفردتنى الايام عن كل خدن * وأنيس وصاحب وخليل
فترانى فى شمس آب ولا ظل لشخصى مع الضحى والاصيل

(وقلت) أنا فى الوحدة

لزمت بيتى كلزوم البنا * فى الفعل والحرف على الاصل
واستوحشت نفسى حتى لقد * نفرت لو أمكن من ظلى

(وقلت أيضا)

وجدت فى عشرة صحبى أذى * لما لزمت البيت فى الوقت زال
ياعجبا من أشعرى غدا * يحمد رأى الناس فى الاعتزال

(وقلت أيضا)

كففت عن الانام فمى وكفى * كأنى بت فى خرس ورعشه
وكنت متيما فى كل شخص * فعندى من خيالى اليوم وحشه

(رجع القول) الى بيت الطغرائى لعمرى اذا كان الانسان فى بلد بهذه المثابة لا المثوبة فحقه أن يفارقها ولهذا قال أبو الطيب

صرعت مهلهل فانسل همام وأتى قومه وقد توضوا الخيم وجمعوا الخيل والنعم ورحلوا فرحل معهم فظهر أمر قتل كليب وأفاق مهلهل فصح الخبر واجتمعت اليه وجوه قومه فقالوا لا تعجلوا على قومكم حتى تعذروا بينكم وبينهم فانطلق رهط من أشرافهم حتى أتوا مرة بن ذهل فعظموا ما بينهم وبينه وقالوا اخترمنا خصالا اما ان تدفع الينا جساسا فنقتله بصاحبنا فلم يظلم من قتل قاتله واما أن تدفع الينا هماما فنقتله واما ان تفدينا من نفسك فسكت وقد حضرته وجوه بكر فقالوا تكلم غير مخذول فقال أما جساس فانه غلام حدث السن ركب رأسه فهرب حين خاف ولا علم لى به وأما أخوه همام فأخو عشرة وأبو عشرة ولو دفعته لكم ليصيح بنوه فى وجهى وقالوا دفعت أبانا يقتل عن نار غيره وأما أنا فلا أتعجل الموت وهل تريد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل ولكن هل لكم فى غير ذلك هؤلاء بنى فدونكم فخذوا أحدهم فشدوا نسعه فى رقبته فاقتلوه وان شئتم فلكم الف ناقة ففضبوا وقالوا انا لم نأتك لتبذل لنا بنيك أو لتسومنا اللبن فتفرقوا

شر البلاد بلادا لا أنيس بها * وشر ما يكسب الانسان ما يضم

وأين هذه البلدة التي وصفها الطغرائي من البلدة التي وصفها الحريري في قوله

وجدت بها ما يملأ العين قرة * ويسلي عن الاوطان كل غريب

وأين هؤلاء القوم الذين عاصرهم الطغرائي وعاشرهم من آل المهلب الذين وصفهم الشاعر (فقال)

نزلت على آل المهلب شاتيا * غريبا عن الاوطان في زمن المحل

فما زال بي احسانهم وجميلهم * وبرهم حتى حسبتهم أهلي

وزاد عليه القاضي الرشيد بن الزبير فقال

ولما نزلنا في ظلال بيوتهم * أمنا ونلنا الخصب في زمن المحل

ولم يزد احسانهم وجميلهم * على البر من أهلي حسبتهم أهلي

*(طال اغترابي حنت ناقتي * ورحلها وقري العسالة الذبل)*

(اللغة) الاغتراب افتعال من الغربة تغرب واغترب بمعنى فهو غريب ومغترب وغرب بضم الغين والراء أيضا والجمع غرباء والغرباء الاباعد واغترب اذا تزوج غير أقاربه وفي الحديث اغتربوا لا تضووا معناه تزوجوا الاباعد دون الاقارب لئلا يحصل الحياء من القرابة فيجيء الولد ضئيلا نحيفا لعدم التمكن من الزوجة (حن) حنين الناقة صوتها في نزاعها الى ولدها والحنين من الآدمي الشوق (راحلتي) الراحلة الناقة التي تصلح لان ترحل أي يوضع عليها الرحل (ورحلها) الرحل رحل البعير وهو أصغر من القتب والجمع رحال وثلاثة أرحل (وقري) القارية من السنان أعلاه (العسالة) الرماح واحدها عسال وعسل الرمح اهتز واضطرب وعسل الذئب يعسل عسلا وعسلانا اذا أعنق وأسرع وكذلك الانسان وفي الحديث عليك بالعسل أي عليك بسرعة المشي (وما أحلى) قول القائل في رمح

عجبت منه الى المران نسبته * جنسا وينعت في الهيجا بعسال

(الذبل) جمع ذابل وهو من صفات الرمح كانه يصف الرماح بالخفة والدقة وقد عيب على أبي الطيب في قوله

ان تريني أدمت بعد بياضي * فخميدي من القناة الذبول

قالوا ما الآخر منطبق على الاول وكان ينبغي أن يقول فخميدي من القناة السمرة لان الادمة هي الحمرة بسوادوهو يقول ان تريني حصل لي أدمة من الاسفار لمقابلة الشمس بعد بياضي فمن الواجب أن يقول فخميدي من القناة السمرة وهو ايراد متوجه وقد أجاب ابن جني عنه بأشياء طول فيها وليست بطائلة (قلت) ويمكن أن يجاب عنه بأن الذبول يعطي السمرة لان الانسان اذا هزل اسمر واذا سمن ابيض (الاعراب) طال فعل ماض اغترابي فاعله ولم يظهر لانه مضاف الى الياء التي هي ضمير المتكلم فالرفع بضمة مقدرة على الياء الموحدة أما حنى فقال الشيخ بدر الدين بن مالك دلالة حتى والى على انتهاء الغاية كثير بخلاف الى أمكن في ذلك وما أطال الكلام في حتى فعدات الى كلام غيره قال الشيخ النحاس اعلم ان حتى في الكلام على أربعة اضرب تكون لانتهاء الغاية فتجر الى وتكون عاطفة كالواو ويبتدأ بعدها الكلام وتضمر بعدها أن

فتنصب

فقام مهلهل وشمر للعرب
وبدا القتل واستمر بين
الفريقين الى أن كان يوم
واردات وقد عظم القتل في
بكر فاجتمعوا الى الحرث بن
عباد بن مالك وكان قد اعتزل
الحرب وقال لا ناقة لي فيها
ولا جمل فذهبت مثلا فقالوا
له قد فني قومك فأرسل ابنه
بجيرا وقيل ابن أخته الى
مهلهل وقال له قل له أبو بجير
يقرؤك السلام ويقول لك
قد علمت أني قد اعتزلت
قومي لانهم ظلموك وخليتك
واياهم وقد أدركت ثارك
وقتلت قومك فأتى بجير
مهلهلا وهو في قومه فقال
له خالي يقرؤك السلام فقال
له من خالك يا غلام ونزا نحوه
بالرمح فقال له امرؤ القيس
ابن أبان التغلبي مهلا
يا مهلهل فان أهل بيت هذا
قد اعتزلوا حربنا ووالله لئن
قتلته ليقتلن به رجل لا يسأل
عن خاله فلم يلتفت مهلهل
الى قوله وشد عليه فقتله
وقال بؤ بشسع نعل كليب
فقال الغلام ان رضيت
بنو تغلب رضيت و
الحرث بن عباد فقتل
الغلام أصلح بين
وبايع بكليب فلما
الحرث قالوا ان مهل
بؤ بشسع نعل كليب
الحرث ونهض للقتال و
الحروب بين الحيين

فتنصب أما ان كانت عاطفة فشرطها أن يكون ما بعدها آخر جزء مما قبلها نحو أكلت السمكة حتى رأسها أو يكون فيه معنى التعظيم كقولك مات الناس حتى الانبياء أو التحقير كاجترأ على السفلة حتى الزبالون (قلت) ينبغي ان يزاد هنا أو التعجب ليدخل فيه مثل قول أبي الطيب

* وما قتلا حتى أتت عمن أفارق * (رجع) الى كلام بهاء الدين قال وان كانت جارة فلابد أيضا أن يكون ما بعدها آخر جزء مما قبلها نحو أكلت السمكة حتى رأسها أو ملاقي آخر جزء كنمت البارحة حتى الصباح وان كانت حرف ابتداء بمعنى انه تقع بعدها الجمل الاسمية أو الفعلية كما تقع في ابتداء الكلام نحو قول الشاعر

سريت بهم حتى تكل مطيهم * وحتى الجياد ما يقدن بارسان

فلابد أن يكون ما بعدها داخلا في حكم ما قبلها في جميع الاحوال الا ان دلت قرينة على خروجه نحو صمت الايام حتى يوم الفطر (قلت) حملت حتى على الواو لان الاصل في حتى أن تكون غائية واذا كانت غائية كان ما بعدها داخلا فيما قبلها نقول جاء القوم حتى زيد فزيد داخل في الذين جاؤا وهذا معنى الواو تقول جاء القوم وزيد لكنها تفارق الواو في أن الواو لا يجب أن يكون ما بعدها من جنس ما قبلها الان حتى للغاية والدلالة على آخر طرف في الشيء فلا يتصور في طرف الشيء أن يكون من غيره فلو قلت جاء الرجال حتى النساء لكان النساء غاية للرجال وهو محال (مسئلة) تقول أكلت السمكة حتى رأسها برفع السين ونصبها وجرها فالرفع على ان تجعل حتى حرف ابتداء والخبر محذوف دل عليه أكلت تقديره ورأسها مأكول والنصب على أن تكون حتى عاطفة فالرأس مأكول أيضا وذكر لحقارته والجر على ان حتى جارة فالرأس غير مأكول ومثله قول الشاعر

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله * والزاد حتى نعله ألقاها

كان الفراء يقول أموت وفي قلبي من حتى لانها ترفع وتنصب وتجر (رجع) الى اعراب البيت حتى هنا بمعنى الى فهي هنا دخلت على جملة فعلية (حثن) فعل ماض أصله حثن فاجتمع مثلان سكن أحدهما وأدغم في الآخر وحذف تاء التانيث ضرورة كما قال الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها * ولا أرض أبقل ابقالها

كان ينبغي أن يقول أبقلت لان الارض مؤنثة ولكن اضطره الوزن الى ذلك فعنى بالارض المكان وهو مذكر وكذلك الطغرائي عنى بالراحلة الجمل وهو مذكر (راحلتي) فاعل حثن والضمة مقدرة على التاء لاتصالها بضمير المتكلم والياء في موضع جر على الاضافة (ورحلها) الواو حرف عطف وقد تقدم الكلام على الواو وتقسيمها في أول القصيدة رحلها معطوف على راحلتي ولهذا ضمت اللام والهاء والالف ضمير يعود على الراحلة وهو في موضع جر بالاضافة (وقري) الواو عاطفة قري معطوف على ما قبله فهو مرفوع ولكن لم يظهر الرفع لانه مقصور وسمي مقصورا لانه محبوس عن الحركات الثلاث (العسالة) مجرور على اضافته الى قري (الذبل) مجرور على أنه صفة للمجرور وهو العسالة والصفة لها شروط وهي أن يكون فيها أربعة من عشرة وهي الافراد والتثنية والجمع والتذكير والتانيث والتعريف والتنكير والرفع والنصب والجر فالذبل فيها أربعة من هذه العشرة وهي الجمع لانه جمع ذابل والتعريف والتأنيث والجر وانما قلنا التانيث لانه جمع وكل جمع مؤنث وما أحلى قول

طويلا وفي معظمهم وقتل هما مام وغيره الى أن قام في الصلح الحرث بن عوف المري كما سيأتي عند قوله وأن الصلح بين بكر وتغلب تم برسالة الحرث وآل أمر مهلهل الى أن رحل الى أخواله من بني يشكر فريدا وحيدا وأقام بين أظهرهم الى أن مات وقيل قتل وكان سبب قتله كما ذكر ابن الكلبي انه أسن وخرف وكان له عبدان يخدمانه فملا منه وخرج بهما يريد سفرا فاناخا به في بعض الفلوات وعزما على قتله فلما عرف ذلك كتب بسكين على رحل ناقته هذا البيت وقيل في بعض الروايات انه أوصاهما أن يقولا لولديه

من مبلغ الحيين أن مهلهلا
لله در كما ودر أبيكما

ثم قتلاه ورجعا الى قومه فقالا مات وأنشداهما قوله ففكر بعض ولده وقال ان مهلهلا لا يقول هذا الشعر الذي لا معنى له وانما أراد أن يقول

من مبلغ الحيين أن مهلهلا
أمسى قتيلا في الفلاة مجندلا
لله در كما ودر أبيكما
لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فضربوا العبدين فأقرا بقتله فقتلا به وشعر مهلهل من أعلى طبقات المتقدمين ومن ذلك قوله

القائل

قلت لما تجمعوا * وبقتلى تحدثوا
لا أبالي بجمعهم * كل جمع مؤنث

وحن فعل يتعدى الى المفعول بحرف الجر تقول حننت الى كذا وانما حذف هنا النوع من البلاغة يعرفه أرباب المعاني لانه لو قال حن راحلتي الى الفها وذكر المفعول وقفت نفس السامع عند الغاية المذكورة ولما حذف ذلك تشعبت الظنون وتفرقت في كل وجهة وظن بكل ما يوجد الحنين اليه وهذا مما يعطف عليه القلوب ويزيد في توجعها له (المعنى) طال اغترابي وامتد سفري الى ان حنت راحلتي وحن رحلها وحنت إعالي رماحي الى الدعة والسكون والاستقرار بدلا من الاضطراب والحركة والتنقل وقد حثت السنة على العود الى الوطن ووصفت الاسفار بالمشقة قال صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب فاذا قضى أحدكم نهمته فليعجل الرجوع الى أهله قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر زاد بعضهم في هذا الحديث السفر قطعة من العذاب فاقطعوه بالدلجة ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما موت الغريب شهادة (أقول) هذا مما يؤكد مشقة الغربة لان النبي صلى الله عليه وسلم أدخله في مشقة الشهداء كالقتيل في سبيل الله عز وجل والمبطون والمطعون والغريق والميت عشقا والميتة في الطلق والمراد بتسمية هؤلاء المذكورين خلا المقتول في سبيل الله ان لكل منهم أجر شهيد وليس يجري عليه أحكام الشهيد في أنه لا يغسل ولا يصلى عليه وانما هذا في حق من مات بقتال من الكفار قبل انقضاء الحرب سواء قتله كافر أم أصابه سلاح مسلم خطأ أو عاد اليه سلاحه أو سقط عن فرسه متقطرا أو رمحته دابة فمات أو وجد قتيلا عند انكشاف الحرب ولم يعلم سبب موته سواء كان عليه أثر دم أم لا وسواء كان جنبا أم لا أما اذا مات حتف أنفه أو باغتيال أو بقتال الكفرة بعده أو البغاة فقولان في مذهب الشافعي فان جرح في الحرب وبقيت فيه بعد انقضاء الحرب حياة مستقرة فقولان أظهرهما أنه ليس بشهيد وقيل ان مات عن قريب فقولان وان بقي أياما فليس بشهيد قطعا أما اذا انقضت الحرب وليس فيه الا حركة مذبوح فشهيد بلا خلاف وان انقضت وهو متوقع البقاء فليس بشهيد وحكمه أن لا يغسل لقوله صلى الله عليه وسلم زملوهم في ثيابهم الحديث ولا يصلى عليه لانه مقطوع له بالجنة والصلاة انما هي شفاعة بالدعاء من المؤمنين له بالمغفرة ودخول الجنة ولقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية وفيه نظر لان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم مقطوع لهم بالجنة وقد صلى على النبي صلى الله عليه وسلم وصلى هو صلى الله عليه وسلم على حمزة عمه رضي الله عنه يوم أحد سبعين مرة كلما قدموا ميتا صلى عليه معه (وما أحسن) قول ابن عنين في موسوس

وبارد النية عاينته * يكرر الرعدة والهزه
مكبرا سبعين في مرة * كأنما صلى على حمزه

وبه قالت الحنفية مستشهدين بالصلاة على حمزة وخالفوا الشافعية في الصغير الذي يقتل في المعركة فقالوا يغسل لانه لم يجب عليه فرض القتال وخالفوهم أيضا في الصلاة على الباغي المقتول فقالوا يمنع الصلاة عليه لان عليا رضي الله عنه أوجب محاربتهم والصحيح الذي قاله

الاشاعرة

يكره قلوبنا يا آل بكر
تعاديكم بمرهفة النصال
لها لون من الهامات جون
وان كانت تعادي بالصقال
ونبكي حين نذكركم عليكم
ونقتلكم كأنا لا نبالي

وهذه الابيات هي أصل ما اعتمدت عليه الشعراء في هذا المعنى وأميرهم البحتري في قصيدته العينية * ومن ذلك قوله أعني مهلهلا

إليك بني جشم أنيري
اذا أنت انقضيت فلا تحوري
فان يك بالذنائب طال ليلي
فقد أبكي من الليل القصير
وأنقذني بياض الصبح منها
لقد أنقذت من شر كثير
كأن كواكب الجوزاء عود
معلقة على ربع كسير
كأن الفرقدين يدا بغيض
الح على افاضته فقيري
فلو نبش المقابر عن كليب
لخبر بالذنائب أي زير
وانى قد تركت بوا ردات
بحيرا في دم مثل العبير
هتكت به بيوت بني عباد
وبعض الغنم أشفى للصدور
على أن ليس عدلا من كليب
اذا ما ضيم جيران المجير
على أن ليس عدلا من كليب
اذا برزت مخبأة الحدور

ومنها بعد أن كرر قوله على أن ليس عدلا من كليب في أبيات كثيرة على عادة العرب في تكرار القول في الامور العظيمة وتقريرها وبهذه

الاشاعرة ان القاتل والمقتول فى حرب على كرم الله وجهه ومعاوية من أهل الجنة لان كلا منهم اجتهد ولكن أصحاب على رضى الله عنه أصابوا وأصحاب معاوية أخطؤا وخالفوهم أيضا فى غسل الجنب الشهيد قائلين ان القتال لا يزيل الجنابة وقال الشافعية انما الغسل لاداء الفرائض ولا فرض فالشهيد بالشروط المذكورة هو أعلى رتب الشهادة و بعض الفقهاء اشترط فى الميت عشقا الكتمان والعفاف لقوله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد ورأيت الشيخ النووى فى الروضة قد أطلق ولم يشترط شيأ بل قال والميت عشقا والميتة طلقا وهذا عجيب منه كيف تساهل فى هذا الموضع وما هى طريقته وقد جزم بتحريم النظر الى الامرد بشهوة وغير شهوة وما أظن للفقهاء دليلا فى أن الميت عشقا شهيد غير حديث من عشق فعف وقد رواه الدارمى فى جزئه وفى طريقه سويد بن سعيد الحدثانى وهو من شيوخ مسلم الا أن يحيى بن معين ضعفه وقال فيه كلاما معناه لو ملكت فرسا ورمحا لقاتلته بسبب هذا الحديث قال شيخنا شمس الدين الذهبى هذا الرجل ممن لم يتورع ابن معين فى تضعيفه اه (قلت) جاء انه قال فيه حلال الدم وقد روى عن سويد المذكور مسلم وابن ماجه وتوفى فى حدود الاربعين والمائتين وقد روى هذا الحديث أيضا الدارقطنى عن المخنيقى فتابع سويدا ورأيت بعضهم يقول انما سمى نور الدين الشهيد شهيدا لانه أحب مملوكا وعف عنه فاكده الحب فقتله وهذا ليس بشئ فى سبب موته فانه مات بعلة الخوانيق وأشار عليه الاطباء بالفصد فامتنع وكان مهيبا فخار وجمع فمات بقلعة دمشق فان كان مقصده بتركه الفصد العمل بقول النبى صلى الله عليه وسلم سبعون ألفا من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين لا يستطبون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فقد تصدق عليه هذه التسمية وما أظنها الا غلبت عليه كقول الناس فى سلاطينهم فلان الشهيد وان كان قد مات على فراشه تفاؤلا فى حقهم فان قلت فكيف بقى هذا الاسم عليه ولم يبق على غيره قلت لانه ليس كغيره من الملوك لفتوحاته وغزواته وأوقافه وورعه وزهده وسائر أوصافه المحمودة وما تسمى غازان ملك التتار بمحمود الا تشبها به زاعما انه يسلك طريقه فى العدل قال الشاعر

خليلى هل أبصرتما أو سمعتما * بأن قتيل الغانيات شهيد

(وما أحلى) قول ابن رواحة الحموى

لاموا عليك وما درروا * أن الهوى سبب السعاده
ان كان وصل فالمنى * أو كان هجر فالشهاده

وعكسه أيضا فقال

ياقلب دع عنك الهوى قسرا * ما أنت منه بحامد أمرا
أضعت دنياك بهجرانه * ان نلت وصلا ضاعت الاخرى

ومن هذه المادة قول ابن التعاويذى

أفنيت شطر العمر فى مدحكم * ظنا بكم أنكم أهله
وعدت أفنيه هجاء لكم * فضاع عمرى فيكم كله

(وقال أيضا)

ولقد مدحتكم على جهل بكم * فظننت فيكم للصنيعة موضعا

الابيات استشهد بعض المفسرين لقوله تعالى فى سورة الرحمن فبأى آلاء ربكما تكذبان وتكرير هذه الآية الشريفة كأنا غدوة وبنى أبينا

بجنب عنيزة رحيا مدير * كأن رماحنا أشطان بئر

بعيد بن طالبها حرور * تظل الخيل عاكفة عليهم

كأن الخيل تنهض فى غدير * فلولا الريح أسمع من بحجر

صليل البيض تقرع بالذكور

يقال ان هذا أول كذب ورد فى الشعر وأبلغه فان بين الذئاب وحجر سبع ليال ومن ذلك قوله

قتلوا كليبا ثم قالوا الاتئب * كلا ورب البيت ذى الاحرام

حتى يعض الشيخ بعد حجية * مما يرى جزعا على الابهام

وتحول ربات الخدور حواسرا * يبدين عرض ذوائب الايتام

وقوله

طفلة شثنة المخلخل بيضا * ء لعوب لذيذة فى العناق

ضربت صدرها الى وقالت * يا عديا لقد وقتك الاواقى

ومنها يرثى كليبا

ان تحت الاحجار حزما وعزما * وخصيما الدذا مغلاق

حية فى الوعاء أربد لا ينـ * ـفع منه السليم نفثة راقى

قوله ذا مغلاق يروى بالعين وهو الرجل الكثير الخصومة الشديد كأنه يغلق بخصمه ويروى بالغين كأنه يغلق على

ورجعت بعد الاختبار اذمكم * فأضعت فى الحالين عمرى أجمعا

(نرجع الى الغربة) نقل عن أبى اسحق ابراهيم الغزى الشاعر أنه لما مرض ببلاد خراسان وأشرف على الموت قال أرجو أن الله يغفر لى لثلاثة أشياء لكونى من بلاد الامام الشافعى وكونى شيخا كبيرا وكونى غريبا وقد استعار الطغرائى الحنين للرحل كما استعاره لصدور الأسنة من الرماح طلبا للمبالغة لانه اذا كانت الاشياء التى لا تعقل ولا تدرك تحصل لها الحنين فالعاقل الدراك بطريق الاولى وهذه فائدة الاستعارة وقال الشاعر فى التغرب

تتقاذف الاهوال بى فكأننى * وليت أمر مساحة الآفاق

(وقال أبو الطيب)

يخيل لى أن البلاد مسامع * وأنى فيها ما تقول العواذل

معناه ان العاذل ماله كلمة مستقرة فى الاذن عند المحب والكلمة اذا صادفت موقعا من الخاطر قبلها السامع وثبتت فى الذهن فالسامع لها دائما يتذكرها ويستحضرها كأنها رنخت واستقرت فى سمعه وهذا من تشبيهاته الحسنة وقال الآخر

ولى سنة لم أدر ماسنة الكرى * كأن جفونى مسمعى والكرى العذل

يعنى أن الكرى ما دخل عينيه كالعذل الذى لم يجر فى مسمعه وهذا أبلغ من قول أبى الطيب أولا وما أحسن قول ابن سهل المغربى فيما أظن

كأن القلب والسلوان ذهن * يحوم عليه معنى مستحيل

وهو مأخوذ من قول أبى تمام الطائى

وكنت أعز عزاما من قنوع * تعوضه صفوح عن جهول

فصرت أذل من معنى دقيق * به فقرا الى فهم جليل

وقال أبو الطيب فى الغربة

غنى من الاوطان لا يستفزنى * الى بلد سافرت عنه اياب

(وقال أيضا)

أخو هم رحالة لا تزال فى * نوى تقطع البيداء أو قطع العمرا

ومن كان عزمى بين جنبيه حثه * وخيل طول الارض فى عينه شبرا

(قلت) ما زال أبو الطيب يقطع البيد حتى انقطع منه الوريد فان فاتك بن أبى جهل الاسدى تتبعه الى دير عاقول وقتله هناك وقتل ابنه محمدا وغلامه مفلحا وقال فى كثرة الاسفار

كريشة بهب الريح ساقطة * لا تستقر على حال من القلق

(وقال) القاضى عبد الوهاب

أطال بين الديار ترحالى * قصور مالى وطول آمالى

ان بت فى بلدة مشيت الى * أخرى فما تستقر أجمالى

كأننى فكرة الموسوس ما * تبقى مدى ساعة على حال

(وقال أبو تمام)

بالشأم قومى وبغداد الهوى وأنا * بالرقتين وبالفسطاط جيرانى

وما أظن النوى تلقى مراسيها * حتى تبلغ بى أقصى خراسان

خصمه القول وجميع شعره فى هذه الغاية من التمكن والقوة

(والسموأل انما وفى عن عهدك) هو السموأل بن عادياء من يهود يثرب الذى يضرب به المثل فى الوفاء فيقال أوفى من السموأل وسبب ذلك أن امرأ القيس بن حجر الكندى لما قتل أبوه وكان ملكا فى كندة خرج يستنجد ملك الروم كما سيأتى ذكره فلما مر على تيماء وبها حصن السموأل المسمى بالابلق المذكور فى شعره أودع السموأل مائة درع وسلاحا ومضى فسمع الحرث ابن ظالم وقيل الحرث بن أبى شمر الغسانى بها فجاءها ليأخذها منه فأبى السموأل وتحصن بحصنه فأخذ الحرث ابنا للسموأل وناداه وقال له ان لم تسلم الادراع والاقتلت ابنك فأبى أن يسلم له الادراع فضرب وسط الغلام بسيف فقطعه وأبوه يراه وطرحه وانصرف فقال السموأل فى ذلك قصيدته المشهورة أولها

أعاذلتى الا تعذلينى * فكم من أمر عاذلة عصيت

وفيت بأدرع الكندى انى * اذا ما ذم أقوام وفيت

وأوصى عاديا يوما بأن لا * تهدم بالسموأل ما بنيت

(وقال)

(وقال) النور الاسعردى

أقول لقلبي حين جد به الأسى * لك الله من قلب صبور على الوجد
أفي حلب جسمي وقلبي ببغداد وأهلي بأسعرد

يقال انه ما رأى أحد قبورا خوة أكثر تباعدا من قبور بني العباس رضي الله عنهم قبر عبد الله بالطائف وقبر عبيد الله بالمدينة وقبر قثم بسمرقند وقبر عبد الرحمن بالشام وقبره عبد بافريقية (اتفاق عجيب لا بأس بذكره) كان يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة والياعلى أفريقية وأخوه روح والياعلى السند فلما توفي يزيد بافريقية قال الناس ما أبعد ما يكون ما بين قبرى هذين الاخوين فاتفق ان الرشيد عزل روحا عن السند وجهزه والياعلى مكان أخيه فدخل افريقية ولم يزل واليا الى أن مات بها ودفن مع أخيه في قبر واحد رحمهما الله تعالى

وقال الارجاني

وأخوالليالي مايزال مراوحا * مابين أدهم خيلها والاشهب
فالارض لي كرة أواصل ضربها * وصوالجي أيدي المطايا اللغب

(وقال الآخر)

ومشت العزمات لا يأوي الى * سكن ولا أهل ولا جيران
ألف النوى حتى كأن رحيله * للبين رحلته الى الاوطان

(وقال) ابن عنين

فالى متى أنا بالسفار مضيع الايام بين الشد والايضاع
بينا أصبح بالسلام محلة * حتى أمسي أهلها بوداع

(وما أحسن قوله)

وحتام لا أنفك في ظهر سبسب * أهجر أوفي بطن دوية تقفر
أشقق قلب الشرق حتى كأنني * افتش في سوداته عن سنى الفجر

(وقال) ابن القيسراني ومن خطه نقلت

أشتاق قوما بدمشق وفي * بغداد حظ القلب والعين
فمن لقائي ذا فسراقي لذا * قل لي متى أخلو من البين

(وقال) أبو الحسين الجزار

والارض قد ثقلت عليها وطأتي * اذ عمها الادبار والاقبال
حتام أمسحها فلولا أنني * عينين قال الناس ذا الدجال

(وقال ابن اللبانة)

كأنما الارض عني غير راضية * فليس لي وطن فيها ولا وطر

وبالغ شهاب الدين أحمد المناوي في قوله

ان عشت عشت بلا أهل ولا وطن * وان قضيت فلا قبر ولا كفن
أظن قبري بطون الوحش ترحل بي * بعد الممات ففي الحالين لي ظعن

(أنشدني) من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة

دعيني وارشدي ان كنت أغوى
ولا تغوى زعمت كما غويت
ومات امرؤ القيس قبل أن يعود الى تميم ومنع السموأل الادراع الى أن مات هو أيضا فضرب به المثل وفي ذلك يقول الاعشى

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به
في جحفل كسواد الليل جرار
فقال غدرو ثكل أنت بينهما
فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له
اقتل أسيرك اني مانع جاري

والسموأل هذا من شعراء الجاهلية المجيدين وله في الحماسة اللامية المشهورة عند أرباب البديع أولها يقول

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس الى حسن الثناء سبيل
تعيرنا أنا قليل عديدنا
فقلت لها ان الكرام قليل
فما ضرنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجار الاكثرين ذليل

وله أيضا

اني اذا ما المرء بين شكله
وبدت عواقبه لمن يتأمل
وتبرأ الضعفاء من اخوانهم
وألح من حر الصميم الكلكل

ليت شعري الى متى أتشكى * سفرا ماله ولوت آخر
بطن سارى الوحوش قبرى فما أبـ * ـرح فى الموت والحياة مسافر

والمناوى أخذ المعنى من قول أبى بكر بن العطار اليابسى حيث قال فى القتلى

وقد عوضتهم من قبور حواصلا * فيا من رأى ميتا يطير به القبر

ومن هذا المعنى قول أبى العلاء المعرى

لعل انا ممن يعمل مرة * فيأكل فيه من يشاء ويشرب

وينقل من أرض لاخرى ومادرى * فيا عجبا بعد البلى يتغرب

وهما من لزومياته وقوله

رب لحد قد صار لحدا مرارا * ضاحكا من تزاحم الاضداد

(وقال) أبو الحسين ابن الامام الغرناطى

ياليت شعرى والامانى كلها * برق يغرك أو سراب يلمع
هل ترتمن ركائبى فى بلدة * أم هكذا خلقت تخب وتوضع
فى كل يوم منزل وأحبة * كالظل يلبس للقيل ويخلع

(وقال) سيف الدين بن قزل المشد

ان الذين عهدتهم سكنوا الحمى * رحلوا وما عطفوا عليك ودعوا
جدوا المسير فلا الحداة لظعنهم * تجفو السهاد ولا المطايا تهجع
لا تستقر بهم عراص خيامهم * ما قيل تضرب أو تراها تقلع
أقوت ربوعهم فشأن بيوتهم * بيتان ينصب ذا وهذا يرفع

(وقال) أبو الحسن على بن زريق البغدادى من قصيدته المشهورة

يكفيك من روعة التفنيد أن له * من النوى كل يوم ما يروعه
ما آب من سفر الا وأزعجه * رأى الى سفر بالرغم يزمعه
تأبى المطالب الا أن تجشمه * للرزق كدحا وكم من يودعه
كأنما هو من حل ومرتحل * موكل بفضاء الارض يذرعه
اذا الزماع أراه فى الرحيل غنى * ولو الى السند أضحى وهو مربعه
وما مجاهدة الانسان موصلة * رزقا ولا دعة الانسان تقطعه
قد وزع الله بين الناس رزقهم * لم يخلق الله من خلق يضيعه
لكنهم كلفوا رزقا فلست ترى * مسترزقا وسوى الغايات تقنعه
والحرص فى الرزق والارزاق قد قسمت * بغى الا ان بغى المرء يصرعه
والدهر يعطى الفتى من حيث يمنعه * ارباويمنعه من حيث يطمعه

قال الحافظ أبو عبد الله الحميدى من تختم بالعقيق وقرأ لابى عمرو وتفقه للشافعى وحفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل الظرف قاله أبو محمد على بن أحمد بن حزم (قلت) وبعضهم قال ولبس البياض وروى قصيدة ابن زيدون بدلا من قصيدة ابن زريق وما أرق قول العباس ابن الاحنف

كان رحيلى من أرضكم عجبا * أو حادثا من حوادث الزمن

أدع التى هى أرفق الحالات بى
عند الحفيظة التى هى أجل
وله أيضا
ياليت شعرى حين أندبها الكا
ماذا تؤبنى به أنواحى
أيقال لا تبعد فرب كريهة
فرجتها بشجاعة وسماح
ولقد أخذت الحق غير مخاصم
ولقد بذلت الحق غير ملاحى
(والاحنف انما احتبى فى
بردتك)
هو الاحنف المضروب به
المثل فى الحلم والسيادة واسمه
الضحاك وقيل صخر بن قيس
ابن معاوية بن حصن السعدى
ويكنى أبا بحر أدرك النبى
صلى الله عليه وسلم ولم يره
ودعاله حدث الاحنف قال
بينما أنا أطوف بالبيت فى
زمن عمر بن الخطاب رضى الله
عنه اذ لقينى رجل أعرفه
فاخذ بيدى فقال ألا أبشرك
قلت بلى قال أما تذكر اذ بعثنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى قومك فى بنى سعد أدعوهم
الى الاسلام فجعلت أدعوهم
وأعرض عليهم فقلت أنت
انه يدعو كم الى خير ولا أسمع
الا حسنا فانى رجعت الى
النبى صلى الله عليه وسلم
فأخبرته بعقالتك فقال اللهم
اغفر للاحنف فما شئ أرجى
لى منها * وسمى الاحنف
لان أمه كانت ترقصه وهو
طفل وتقول
والله لولا احنف فى رجله

من قبل أن أعرض الفراق على * قلبي وأن أستعد للحزن

(وأحسن) ماقيل في بغتة الرحيل قول محمد بن وهيب وقيل مالك بن أسماء بن خارجة

بيناهم سكن مجاورهم * ذكروا الفراق فأصبحوا سفرا
فظللت ذاوله يعاتبني * من لايرى أمرى له أمرا

يقال ان أبا السائب لما سمع الاول قال ما أسرع هذا وأبغته أما قد موا راكبا أما أو كوا سقاء أما ودعوا صديقا وقال الزبير بن بكار رحم الله أبا السائب فكيف به لو سمع قول العباس ابن الاحنف

سألونا عن حالنا كيف أنتم * فقرنا وداعهم بالسؤال
ماحللنا حتى ارتحلنا فما يفـ * ـرق بين النزول والترحال

ومن هنا أخذ ابن الساعاتي قوله

ماضحكنا للقرب حتى بكينا * للبعاد الرسوم والآثارا

(وقال) ابن عنين في مرثية على لسان الناصر في أخيه وقد توفي صغيرا من أبيات

خانتني الايام فيك فقربت * يوم الردى من ليلة الميلاد

وأحسن ما في هذا الباب قول شهاب الدين العزازي

عجبا لمولود قضى من قبل أن * يقضي لايام الصبا ميقاتا
هجر الحياة وطلق الدنيا وقد * وافت بزخرفها اليه بتاتا
فكأنه من نسكه وصلاحه * وهب الحياة لوالديه وماتا

وقريب منه قول ابن النبيه

الناس للموت كخيل الطراد * فالسابق السابق منها الجواد
والموت نقاد على كفه * جواهر يختار منها الجياد
والله لايدعو الى داره * الا الذي استصلح من ذي العباد

(وما أحسن) قول التهامي في ولده

يا كوكبا ما كان أقصر عمره * وكذاك عمر كواكب الاسحار

والمشهور في البغتة قول العكوك

رصد الخلوة حتى أمكنت * ورعى السامر حتى هجعا
كابد الاهوال في زورته * ثم ماسلم حتى ودعا

(وقال) الحسين بن الضحاك

بأبي زور تلفت له * فتنفست عليه الصعدا
بينما أضحك مسروراً به * اذ تقنعت عليه كمدا

وقريب من هذه المعاني ماروى أن اعرابيا لقيه رجل لم يكن يعرفه قبل ذلك فقال له كيف كنت بعدي فقال له الاعرابي ما بعد ما لاقبل له وأما قول شرف الدين بن الفارض

حديثي قديم في هواها ومالـه * كما عامت بعد وليس له قبل

فامر خارج عن العقل لان العقل لايمكن أن يتصور شيئا لاقبل له ولا بعد الا واجب الوجود ولكن الصوفية يحيلون مثل هذه الاشياء على الذوق ويقولون في مثل هذه الامور انها من وراء

ما كان في فتيانكم من مثله
تقول تحانف الرجل في مشيته وهو أن تقبل الرجل بالابهام على الاخرى * وقال عبد الملك بن عمير وفد علينا الاحنف مع مصعب بن الزبير الكوفة فما رأيت منظرا يذم الا رأيته فيه كان ضئيلا أصلع الرأس متراكب الاسنان باخق العينين وكان اذا تكلم جلا عن نفسه وقال الشعبي أوفد أبو موسى الاشعري وفد البصرة الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيهم الاحنف بن قيس فلما قدموا على عمر تكلم كل رجل منهم في حاجة نفسه وكان الاحنف في آخر القوم فحمد الله تعالى وصلى على نبيه ثم قال أما بعد يا أمير المؤمنين فان أهل مصر نزلوا منازل فرعون وأصحابه وأهل الشام نزلوا منازل قيصر وأهل الكوفة نزلوا منازل كسرى ومصانعه في الانهار العذبة والجنان المخصبة وفي مثل عين البعير وكالحوار في السلى تأتيهم ثمارهم قبل أن تتغير وان أهل البصرة نزلوا في أرض سبخة زعقة نشاشة طرفها في ملح أجاج والطرف الآخر في الفلاة لا يأتيها الجلب الا في مثل حلق القوم النعامة فارفع خسيستنا وانعش وكيستنا واعدل لنا قفيزنا ودرهمنا ومرنا بنهر

العـقل (أخبرنى) الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى قال حضر يوما الشيخ كريم الدين عبد الكريم الايكى شيخ خانقاه سعيد السعداء عند الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد رحمه الله وأخذ يتكلم فى طريقهم وأحوالهم ويتحدث على العرفان زمانا والشيخ تقى الدين ساكت لا يفوه بكلمة فلما قام من عندهم قال الشيخ تقى الدين للحاضرين هل فيكم من فهم تراكيب كلامه فانى ما فهمت غير مفرداته اه (قلت) وهؤلاء القوم يسلم لهم حالهم فانهم قد جاء منهم علماء كبار مثل الشيخ محيى الدين بن عربى وقطب الدين بن معين وفى كلامهم من هذا النوع كثير وأما قول شرف الدين بن الفارض

شربنا على ذكر الحبيب مدامة * سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

فيمكن فهم معناه بالتاويل (أنشدنى) من لفظه الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى قال أنشدنى من لفظه لنفسه خالى فخر الدين حسن بن على ابن مكزون السنجارى قصيدة تائية طويلة فى وزن تائية ابن الفارض حط فيها عليه منها

ولست كمن أمسى على الحب كاذبا * مضلا لارباب العقول السخيفة
يمن على الجهال من عصبة الهوى * بنسبته فى الحب من غير نسبة
فيزعم طورا أنه عين عينها * ويزعم طورا أنها فيه حلت
ويجمع ما بين النقيضين قوله * وذاك محال فى العقول السليمة

وما أحسن قول أمين الدين الحوبانى فى تهتكه

مت فى عشقى ومعشوقى أنا * ففؤادى من فراقى فى عنا
غبت عنى فى فنى أجمعنى * أنا من وجدى منى فى فنا
أيها السامع تدرى ما الذى * قلته والله لا أدرى أنا

وقد بالغ الشعراء فى وصف الخمرة بالقدم من ذلك قول ابن سنا الملك

عمروها طينا وآدم طين * سبخة فى حشا الزمان جنين
قبل أن تغرس الكروم وتلتف عليها الاوراق والزرجون
وثريا السماء ماهى عنقو * دولا آنية الدجا عرجون

ومثل هذه المعانى من الشعراء تحمل على المبالغة مجازا فى القدم لانهم يزعمون ان الخمرة كلما قدم زمانها كان تأثيرها فى الاسكار أكثر فاما كلام الصوفية فامر آخر وراء هذا كله وما لغات الشعراء والكتاب لا مدخل لها فى هذا الباب وما ألطف ما أنشدنيه الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس من جملة قصيدة مدح بها النبى صلى الله عليه وسلم

محبة ما عرفت الدهر سلوتها * تسرى الى النفس أو تجرى مع النفس
ومالها آخر لكن أولها * تعارف سابق فى حضرة القدس
فى عالم الذر ناجانى البشير بها * أهلا بمنتها طهرا من الدنس
أشهى الى القلب من أمن على وجل * ومن مجال القرى فى أعين النعس

وعلى ذكر الصوفية حضرت يوما فى صفد سنة ست وعشرين وسبعمائة مجلس الشيخ الامام أبى الحسن على بن الصباد الفاسى وقد عمل درسا عاما تكلم فيه على سورة والضحى واستطرد الكلام الى قوله صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه

استعذب منه الماء فقال عمر رضى الله عنه أعجزتم أن تكونوا مثل هذا السيد هذا والله السيد فازلت أسمعها منه ثم حدث عنه سنة ثم قال يا أحنف انى بلوتك فاعجبتنى وانما حبستك لاعلم علمك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول احذروا المنافق العالم واشفقت عليك منه فوجدتك بريا مما تخوفت عليك وسرحه وأحسن جائزته ولم يزل يشرف حتى مات وساد بعقله وحلمه حتى يكاد يجرد لامره مائة ألف سيف وكان أمراء الانصار يلجئون اليه فى المهمات وكان اذا أراد حربا قال الناس قد غضبت زبراء فصار مثلا وزبراء جاريته كان مطيعا لها فكانوا يكنون عن غضبه فى الحرب بغضبها * وكان يقول كنا نختلف الى قيس ابن عاصم نتعلم منه الحلم كما نختلف الى العالم نتعلم منه العلم * وحكى خالد بن صفوان قال كنت بالرصافة عند هشام بن عبد الملك فقدم عليه العباس بن الوليد فغشيته الناس فدخلت عليه فقال حدثنى عن تسويدكم الاحنف وانقيادكم له فقلت ان شئت حدثتك عنه بواحدة تسود وان شئت باثنتين وان شئت بثلاث

براك فقال ذهب بعض الصوفية الى أن معنى فان لم تكن تراه ان غبت عن وجود لك ولم تكن رأيته وحسن ذلك واستحسنه من حضر فقلت اناهذا حسن لو ساعد الاعراب عليه فان هذا شرط وجوابه وهما مجزومان ويكون اللفظ الصحيح فان لم تكن تره حتى يصح المعنى فاعترف بذلك ووقفت على كلام ابن أبي جمرة في شرح الاحاديث التي انتقاها من البخاري وقد تكلم على الاستواء فقال ذهب بعض الصوفية في معنى هذا اللفظ الى شئ وهو حسن لولا مافيه من جهة العربية فقال الرحمن على ووقف هنا ثم قال العرش استوى اه (قلت) هذا حسن ولكن لا يوافقه رسم المصحف على ذلك فانه اذا وقف على على لا ينبغي أن يكون من علا يعلو ولا يكتب على من العلو الا بالالف لانه من علوت ولم يكتب على هنا في المصحف الا بالياء لانها حرف جر ومما يكاد يلحق بكلام الصوفية وليس منه ماذكره الشيخ شهاب الدين أحمد بن ادريس القرافي رحمه الله في أنوار البروق قال أنشدني بعض الفضلاء

مايقول الفقيه أيده الله ولازال عنده الاحسان
في فتى علق الطلاق بشهر * قبل مابعد قبله رمضان

ثم انه بعد ذلك ذكر قريبا من كراسة من كلام شيخنا جمال الدين بن الحاجب ومن كلام نفسه وقال ان البيت الثاني ينشد على ثمانية أوجه بالتقديم والتأخير والتغيير مع استعمال اللفظ في الحقائق دون المجاز وصحة الوزن وكل بيت منها يشتمل على مسئلة من الفقه في التعاليق الشرعية والالفاظ اللغوية وتلك المسئلة تشتمل على سبعمائة وعشرين مسئلة من المسائل الفقهية والتعاليق اللغوية بشرط التزام المجاز في الالفاظ وطرح الحقائق وعدم الوزن ثم ذكر من كلام ابن الحاجب كيفية انشاد البيت الثاني على ثمانية أوجه بأن مابعد ما قد يكون قبلين أو بعدين أو مختلفين فهذه أربعة أوجه كل منها قد يكون قبله قبل وقد يكون قبله بعد فصارت ثمانية أوجه وذكر قاعدة يبنى عليها تغيير الجميع وهي انه كلما كان قبل وبعد فألغهما لان كل شهر حاصل قبل ماهو بعده وحاصل بعده ماهو قبله فلا يبقى حينئذ الا بعده رمضان فيكون شعبان أو قبله رمضان فيكون شوالا فلم يبق الا ماجميعه قبل أو جميعه بعد والاول هو الشهر الرابع من رمضان وهو ذو الحجة والثاني هو الرابع ولكن على العكس وذلك جمادى الآخرة اه ملخصته من أنوار البروق (قلت) وقد أطال الكلام في تقسيم ذلك وتقريره فاذا نظر الواقف عليه في ذلك تشعب ذهنه من كثرة التقسيم وتردده وقد وضعت أنا لذلك شجرة لان الاشياء اذا برزت الى الخارج زاد وضوحها وزال غموضها وصورة تلك الشجرة في الصحيفة التي تلي هذه فتدبرها مع مراعاة القاعدة التي ذكرها الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله تعالى يظهر لك صحة ذلك ومثل البيتين المتقدمين فيما ذكر قول بعضهم

وعدت في الخميس وصلا ولكن * شاهدت حولنا العدا كالخميس
أخلفت وعدها وجاءت الينا * قبل مابعد قبل يوم الخميس

وان شئت حدثتك عشيتك
حتى تنقضي ولم تشعر
بصومك وكان صائما يوم
خميس فقال هات الاولى
فقلت كان أعظم من رأينا
أو سمعنا سلطانا على نفسه
فيما أراد حملها عليه ودفعها
عنه ثم أدركني ذهني فقلت
غير الخلفاء فقال لقد ذكرتها
لجلاء كافية فما الثانية قلت
قد يكون الرجل عظيم
السلطان على نفسه ولا يكون
بصيرا بالمحاسن والمساوى
ولا نسمع باحد أبصر منه
بالمجلس في المساوى والمحاسن
فلا يحمل السلطنة الا على
حسن ولا يكفها الا عن قبيح
فقال قد حشت بصلة الاولى
لا تصلح الا بها فما الثالثة قلت
قد يكون الرجل عظيم
السلطان على نفسه بصيرا
بالمحاسن والمساوى ولا يكون
حظيظا ولا ينشر له ذكر وكان
الاحنف عند الناس مشهورا
فقال وأبيك لقد وصلت
الا ثنتين فما بقيت مايقطع
عني الصوم قلت أيامه السالفة
مثل فتح خراسان اجتمعت
عليه الاعاجم بمروالروذ
فجاءه مالا قبل له به وهو في
مثل مضيعة وقد بلغ به الامر
فصلى العشاء الاخرة ودعا
وتضرع الى الله تعالى أن
يوفقه ثم خرج يمشي في العسكر
مثل المكروب متنكرا
يسمع مايقول الناس فربعد

يعجن وهو يقول لصاحب
له انجب لاميرنا يقيم بالمسلمين
فى منزل مضيعة وقد اطاف
بهم العدو من نواحيهم
واتخذوهم غرضا وله متحول
فجعل الاحنف يقول اللهم
وفق اللهم سدد فقال العبد
للعبد فما الحيلة قال أن ينادى
الساعة بالرحيل وانما بينه
وبين الغيضة فرسخ فيجعلها
خلف ظهره فيمنعه الله بها
فاذا امتنع ظهره بها بعث
بجنيبتيه اليمنى واليسرى
فيمنع الله تعالى بهما ناحيته
ويلقى عدوه فى جانب واحد
فسجد الاحنف ثم نادى
بالرحيل من مكانه حتى أتى
الغيضة فنزل فى قبليها
فاصبح فاتاه العدو فلم يجدوا
سبيلا الا من وجه واحد
وهو لوا بطبول أربعة وركب
الاحنف وأخذ اللواء وحمل
بنفسه على طبل فشقه وقتل
صاحبه وهو يقول
ان على كل رئيس حقا
أن يخضب الصعدة أو ينشقا
وشق بقية الطبول فلما فقد
الاعاجم أصوات طبولهم
انهزموا وركب المسلمون
أكتافهم وكان الفتح ثم عدد
حاله بقية ايامه الى أن انقضى
النهار * وللاحنف حكايات
حسنة وألفاظ محكمة
ومؤاخذات معدودة عليه
* فمن حكاياته ما حدث بعض
غلمانه قال كان الاحنف يكثر

ومن

ومن المسائل العجيبة فى بيت يتفرع الى ألوف من الصور فى تقديم ألفاظه وتأخيرها ما حكاه الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى انه سئل أول قدومه الى القاهرة عن غاية ما يمكن فى البيت الواحد من وجوه العدد بتقديم الاجزاء وتأخيرها بعضها عن بعض فأجاب بان هذا انما يتأتى فى بحرين من العروض خاصة وهما المتقارب والمتدارك لان ما عداهذين البحرين اما أن تكون تفاعيله متفقة فتكون سباعية كالكامل والرجز ونحوهما وهذا لا يتأتى نظمه من كلمات سباعية واما ان تكون تفاعيله مختلفة من سباعية وخماسية كالطويل والبسيط ونحوهما فلا يحفظ نظامه فى تبديل الاجزاء لاختلاف مقاديرها فتعين أحد البحرين المذكورين لان كل واحد منهما مركب من أجزاء خماسية يمكن أن تكون كلمات لا يختلف وزن البيت بتقديمها وتأخيرها ولاجل هذا المعنى يمكن أن تكون من الصفات الواردة فى الغزل والمديح ونحوهما ولما كان البيت من الشعر العربى لا يتجاوز مقداره ثمانية أجزاء فنهاية ما يمكن التعدد فى صورة البيت الواحد على شريطة أن لا يزاد فيه ولا ينقص منه ولا يختلف عروضه ولا ضربه أربعون ألفا وثلثمائة وعشرون بيان ذلك ان البيت المفروض انما يفرض على صورة تامة فاذا جعل الجزء الاول ثانيا والثانى أولا حدثت صورة ثانية فاذا أبدلنا الجزء الثالث تارة بأول وتارة بثان على الصورة الاولى حدث فى كل من الصورتين ثلاث صور فيكون المجموع الحاصل بتبديل الجزء الثالث وما قبله ست صور وعلى هذا القياس تضرب هذه الست صور فى أربعة فيحصل أربعة وعشرون أخرى بتبديل الجزء الرابع ثم تضرب هذا العدد فى خمسة فيبلغ مائة وعشرين عدد الصور الحاصلة عن تبديل الجزء الخامس وما قبله ثم تضرب هذا العدد فى ستة فيبلغ سبعمائة وعشرين وهو عدد الصور الحاصلة عن تبديل الجزء السادس وما قبله ثم تضرب هذا العدد فى سبعة فيبلغ خمسة آلاف وأربعين وهو عدد الصور الحاصلة عن تبديل الجزء السابع وما قبله ثم تضرب هذا العدد فى ثمانية فيبلغ أربعين ألفا وثلثمائة وعشرين وهو عدد الصور الحاصلة عن تبديل الجزء الثامن وما قبله أعنى جميع أجزاء البيت فأخبره السائل ان الشيخ شهاب الدين القرافى رحمه الله ذكر بيتا من بحر المتقارب من العروض وهو

حبيب بقلبى مليح جميل * بديع ظريف رشيق عزيز

وذكر انه يتفرع منه هذا العدد ولم يذكر كيفية تفريعه ولا ذكر المتدارك اه

---

*(وضج من لغب نضوى وعج لما * ألقى ركابى وج الركب فى عذلى)*

(اللغة) (وضج) صاح والضجيج الصياح والضجوج من النوق هى التى تضج اذا حلبت (لغب) اللغب بالغين المعجمة هو اللغوب وهو الاعياء والتعب وفى القرآن الكريم ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب قال بعض المفسرين هذا رد على اليهود لانهم قالوا بدأ الله خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه فى ستة أيام آخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على عرشه فقال تعالى ونحن منزهون من لغوب رد اعليهم فى انه استراح من التعب والاعياء اه وهذا من اليهود تحريف فى المعنى وذلك أن الاحد والاثنين أزمنة متميز بعضها عن بعض وهى أعراض لمقادير حركات الافلاك فلو كان خلق السموات والارض وما بينهما ابتدئ يوم الاحد لكان الزمان قبل الفلك والزمان لا ينفك عن الاجسام فيكون قبل

الصلاة بالليل وكان يجىء الى المصباح فيضع أصبعه فيه ثم يقول حس ويقول ما حملك على أن صنعت كذا فى يوم كذا *وشكا اليه رجل وجع ضرسه فقال لقد ذهب نور عينى منذ ثلاثين سنة فما علم بذلك أحد* وقال له عمر رضى الله تعالى عنه أى الطعام احب اليك قال الزبد والكماة قال عمر ما هما بأحب الطعام اليه ولكنه يحب الخصب للسامين يعنى أن الزبد والكماة لا يكونان الا فى الخصب *ونزل به رجل قبيح سباقبيحا فقام الاحنف وهو يتبعه فلما وصل الى قومه وقف وقال يا أخى ان كان قد بقى من قولك فضلة فقل الآن والا يسعك قومى فتؤذى *وقال له رجل يم سدت قومك ولست بأشرفهم فقال بتركى من أمرك ما لا يعنينى كما لم تترك من أمرى ما لا يعنيك *وقال له رجل لأشتمنك شتما يدخل معك قبرك فقال فى قبرك يدخل والله لا فى قبرى *وقيل له بم سدت قال لان الناس كرهوا الماء ما شربته *وقال يوما ما يسرنى اذا نزلت بداره مجزرة أنى ألبث فأسمنت قيل له يا أبا بحر وما يراد من دار الحورم غير هذا فقال انى أكره سوء العادة ووفد على معاوية مع أهل العراق فقال آذنه ان أمير

خلق الاجسام أجسام أخر فلزم القول بقدم العالم قال الامام فخر الدين الرازى ومن العجب ان بين الفلاسفة والمشبهة غاية الخلاف لان الفلسفى لا يثبت لله تعالى صفة أصلا ويقول انه تعالى لا يقبل صفة بل واحد من جميع الوجوه بعلمه وقدرته وصفاته باسرها هى حقيقته وذاته والمشبهى يثبت لله تعالى صفات الاجسام من الحركة والسكون والاستواء والجلوس والهبوط والصعود وهذا غاية المنافاة ثم ان اليهودى فى هذا الكلام جمع بين المتنافيين وأخذ مذهب الفيلسوفى فى المسئلة التى هى أخص المسائل بهم وهى القدم لانهم أثبتوا قبل خلق الاجسام أجساما معدودة وأزمنة محدودة وأخذ مذهب المشبهة فى المسئلة التى هى أخص المسائل بهم وهى الاستواء على العرش فأخطأوا وضلوا فى الزمان والمكان جميعا اه (قلت) وتفسير هذه الآية ان ذلك اشارة الى ستة أطوار لا المفهوم من اليوم اللغوى لانه عبارة عن بقاء الشمس على وجه الارض من الشروق الى الغروب ولا شمس هناك ولا قرار لكن اليوم يطلق ويراد به الوقت تقول أسوم يوم قدومك وأسر يوم يأتيك ولدك وقد يقدم ليلا ويأتيه ولده ليلا فلا يخرج هذا عن مرادك لانك أردت مجرد الوقت والحين فنزه الله تعالى ذاته المقدسة عن لواحق الاجسام اه (نضوى) النضو البعير المهزول والناقة نضوة (وعج) العجيج رفع الصوت وفى الحديث أفضل الحج العج والثج أى رفع الصوت بالتلبية والنحر (ركابى) الركاب الابل التى يسار عليها وقد تقدم الكلام على الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس (وئج) اللجاج واللجاجة مصدر لججت بالكسر تلج بالفتح وهو لجوج ولججت بالفتح تلج بالكسر لغة وهو البحث (الركب) أصحاب الابل فى السفر دون الدواب وهم العشرة فما فوقها واحده راكب وليس بتكسير لانه يصغر فيقال ركيب والجمع أركب (عذلى) العذل بالتحريك هو الاسم وبالسكون هو المصدر وهو الملامة ورجل معذل أى يعذل لافراطه (الاعراب) (ضج) فعل ماض أصله ضجج فاجتمع المثلان فسكن الاول وأدغم فى الثانى (من لغب) جار ومجرور وفى موضع النصب على انه مفعول لاجله قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب فى مقدمته المفعول له هو ما فعل لاجله فعل مذكور ثم قال وشرط نصبه تقدير اللام وانما يجوز حذفها اذا كان فعلا لفاعل الفعل المعلل اه (قلت) وقد نقضوه بمثل قعدت عن الحركة جبنا فان الجبن ليس فعلا لفاعل الفعل والجواب ان المراد بالفعل هنا أعم من ان يكون بالحواس الباطنة أو الظاهرة والجبن من فعل الحواس الباطنة ونقضوه أيضا بقوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا أجمعوا على انه منصوب بكونه مفعولا لاجله وليس فعلا لفاعل الفعل اذ الخوف والطمع مستحيلان فى حق الله عز وجل والجواب انه محمول على باب حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كانه قال تعالى هو الذى يريكم البرق لارادة خوفكم وطمعكم والمفعول لاجله الاصل فيه أن يقدر بلام العلة كقولك ارتحلت طلب العلم أصله لطلب العلم وجئتك رغبة فيك وأسلمت طمعا فى الجنة وقد يقوم مقام اللام من وفى كقوله تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم وقوله تعالى الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وقوله صلى الله عليه وسلم ان امرأة دخلت النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الارض والمفعول لاجله هو الباعث على ايجاد الفعل فاللغب هنا هو الباعث على الضجيج (نضوى) فاعل ضج وقد تقدم المفعول له عليه وهو جائز ولم يظهر الرفع فى الفاعل لاضافته الى ضمير المتكلم

المؤمنين يقسم عليكم أن لا يتكلم أحد منكم الا لنفسه فدخلوا فقال الاحنف لولا حرمة أمير المؤمنين لاخبرته ان ناقلة نزلت ونائبة نابت وكلهم به فاقة الى رفد أمير المؤمنين فقال حسبك يا أبا بحر فقد كفيت من غاب ومن شهد *وذكره معاوية يوما بمحبته لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه وأيام صفين فقال يا أمير المؤمنين القلوب التى أبغضتك بها بين جنوبنا والسيوف التى قاتلناك بها على عواتقنا وان شئت استصفيت كدرنا بحلمك فقال أجل *ومما عيب به وأخذ عليه أمر الزبير بن العوام رضى الله عنه وذلك انه لما ترك القتال يوم الجمل ورجع عن الحرب مر ببنى تميم ذاهبا الى دياره فأتى رجل الاحنف فقال هذا الزبير قد أتانا فقال ما أصنع به جمع بين غازين يقتل بعضهم بعضا ويريد أن يخلو الى أهله فتبعه ابن جرموز فقتله غدرا فقال الناس انما قتله الاحنف بكلامه ذلك وان ابن جرموز انما فعل عن رأيه *وحين أتاه كتاب الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما يستنصره فقال قد بلونا حسنا وآل حسن فلم نجد عندهم اياله الملك ولا صيانة المال ولا مكيدة الحرب ولم يجبه *وقوله للحباب بن المنذر

(وعج)

(وعج) فعل ماض مثل ضج (لما) جار ومجرور والجار اللام وما مجرور وهو اسم ناقص بمعنى الذى لا يتم الا بصلة وعائد ولم يظهر الجر فيه لانه مبنى لشبهه بالحرف فى الافتقار لان الحرف لا يدل على معنى فى نفسه لكن فى غيره وكذا الاسماء الموصولة لا تستقل بالدلالة على معنى بنفسها حتى يؤتى بالصلة والعائد فاشبهت الحروف من حيث الافتقار ووسموا الموصول بأنه ما افتقر الى الوصل بجملة معهودة مشتملة على ضمير لائق بالمعنى فلا يقال جاءنى الذى أكرمته الا والاكرام معهود عند المخاطب والا فالجملة التى وصل بها غير معهودة ولا يقال جاءنى الذى أكرمتهما الان العائد غير لائق بالمعنى فان التثنية لا تطابق الافراد وقد أورد بعضهم على هذا قوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى وغشيهم من اليم ما غشيهم واقض ما أنت قاض وهو كثير لانه لا عهد للمخاطب بهذه الصلة (قلت) الجواب عن هذا ان الاتيان بالصلات فى هذه المواطن غير معهودة من أعلى طبقات البلاغة لانها اذا أوردت هكذا أخذ الذهن يسلك فى كل مسلك ويسرى فى كل مسرى فلو قال تعالى فغشيهم من اليم ما أغرقهم لكان الذهن قد وقف على ذلك من أول وهلة ولم يهبط واديا من الهول ولم يرتفع رابية من الجزع وكذا فأوحى الى عبده ما أوحى لو قال تعالى فأوحى الى عبده ما أقر به عينه أو أفرح به قلبه أو ما يسره به من ان لا أحدا من الانبياء يدخل الجنة قبله ولا أمة من الامم تدخل الجنة قبل أمته لما كان له فى القلب هذا الموقع فان الذى يظن بعموم هذا اللفظ لا يتناهى فظهرت الفائدة فى مجىء الصلة مبهمة غير معهودة ما هى وقد اختلف المفسرون فى الضمير فى عبده من هو فمن قائل انه النبى عليه الصلاة والسلام ومن قائل انه جبريل ويكون التقدير فاوحى الى عبده جبريل ما أوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم * وعلى ذكر الصلة والعائد فما ألطف قول شرف الدين بن عنين لما كتب وهو ضعيف الى الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل رحمهم الله

انظر الى بعين مولى لم يزل * يولى الندى ويتلاف قبل تلافى
أنا كالذى احتاج ما يحتاجه * فاغنم ثوابى والثناء الوافى

فحضر اليه الملك المعظم بنفسه ومعه صرة فيها ثلثمائة دينار وقال أنت لذى وأنا العائد وهذه الصلة ولقد استخدم ابن عنين العائد والصلة استخداما حسنا وفهم الملك المعظم أحسن منه (ومن نوادر النحاة) أن رجلا قرع الباب على نحوى فقال من أنت قال الذى اشتريتم الاجر فقال له قال لا قال أمنه قال لا قال اذهب فانت فى صلة الذى شئ ويشبه هذه النادرة ما حكى أن بعض النحاة مر من تحت مئذنة والمؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله بنصب رسول فجعل النحوى يقول ماله ماله ما أتيت الى الآن بالخبر ومن هنا أخذ ابن سنا الملك قوله فى مدح الملك العادل

مكمل وسواه ناقص أبدا * كأنه ان قد جاءت بلا خبر

وأما قول ابن عنين فيما تقدم فمثله قول الامير أمين الدين على بن عثمان السليمانى

وانى الذى أضنيته وهجرته * فهل صلة أو عائد منك للذى

(وقول الآخر)

لا تهجروا من لا تعود هجركم * وهو الذى بلبان وصلكم وغذى

اسكت ما آذر وكان الحباب آذر * وطاعته لجاريته زرياب حتى سئل عن ذلك فقال كيف لا أطيع من لى اليه كل يوم حاجة * وأتاه رجل فلطمه فقال لم لطمتنى قال جعل لى جعل على ان ألطم سيد بنى تميم قال لست بسيدهم وانما سيدهم حارثة بن قدامة فمضى الرجل اليه فلطمه فقطع يده فقال الناس انما قطع يده الاحنف * وأرسل اليه عمرو ابن الاهتم رجلا يكايده فقال ما كان مال أبيك فقطن له الاحنف فقال صرمة يقرى منها ضيفه ويكفى عياله ولم يكن أهتم سلاحا فهذا ما حفظ من سقطاته * وقريب منها انه خاط عند رجل ثوبا ثم تقاضاه دهرا فلما ضجر أخذ بيد ولده وجاء الى الخياط فقال اذا مت فادفع الثوب الى هذا ومن كلامه لا خير فى لذة تعقب ندما ان يفتقر من زهد اقبلوا عذر من اعتذر ما أقبح القطيعة بعد الصلة أنصف من نفسك قبل ان ينتصف منك لا تكونن على الاساءة أقوى منك على الاحسان اعلم أن لك من دنياك ما أصلحت به مثواك أنفق فى حق ولا تكونن خازنا لغيرك لا راحة لحسود ولا مروءة لكذوب عجبت لمن يتكبر وقد خرج من مخرج البول مرتين * وقال يوما

ورفعتموه مقداره بالابتدا * حاشا كوأن تقطعوا صلة الذى

ومن كلام أبى العلاء المعرى * فقرى اليك كفقر الذى الى الصلة وبيت الشعر الى القافية المتصلة (رجع) الى اعراب البيت تقرر أن ما اسم ناقص فى موضع جر (ألقى) فعل مضارع مرفوع لانه عار عن الناصب والجازم ولم يظهر الرفع فيه لانه معتل الطرف بالالف فالضمة مقدرة فى آخره وهو الصلة للاسم الناقص وهو ما والعائد محذوف تقديره ألقاه وهو فى موضع النصب لانه مفعول وهذه الجملة من الجار والمجرور والصلة والعائد فى موضع نصب على انها مفعول لاجله (وخ) فعل ماض كما تقدم فى نظيره و (الركب) فاعله و (فى عذلى) جار ومجرور فى موضع النصب لتعلقه ببلغ كأنه قال أسرع الركب فى عذلى أى أعجلوا (المعنى) هذا البيت كالذى تقدم قبله أخذ بعد مشاقه ويكرر أصناف نكده حتى ان النوق تصيح من تحته والابل ترفع أصواتها والرفاق يلومونه ويعذلونه على مواصلة الاسفار ومحاولة الاخطار وفى قوله وضج من الغب نضوى غنية عن أن يقول فيما بعده وعج لما التى وكابى لان المعنى واحد فكل منهما يغنى عن ذكر الآخر فان ضجيج النوق هو عج الركاب وقد عيب على أبى الطيب المتنبى فى قوله

وأنت بالامس كنت محتلما * شيخ معد وأنت أمردها

قال ابن وكيع فى اخباره أنه كان محتلما ما يغنى عن قوله وأنت أمردها أو يكتفى بقوله وأنت أمردها عن ذكر محتلم وليس هذا من الحشو الحسن بل هو كقول أبى الغياث المذلى

ذكرت أخى فعاودنى * صداع الرأس والوصب

فذكر الرأس بعد الصداع حشو يستغنى عنه وكذلك قول ذلك الجن

فتنفست فى البيت اذ مزجت * بالماء واستلت سنى اللهب

كتنفس الريحان خالطه * من ورد جور ناضر الشعب

فذكر الماء بعد المزج فضل يستغنى عنه والبيتان يكفى عنهما قول أبى نواس بلا حشو

فتنفست فى البيت اذ مزجت * كتنفس الريحان فى الانف

اه كلامه (قلت) ومن تكرار الالفاظ الثقيلة قول أبى الطيب أيضا

ولم أر مثل جيرانى ومثلى * لمثلى عند مثلهم مقام

وكذا قوله

فقلت لها لهم الذى قد قتلت الحشا * قلا قل هم كلهن قلا قل

وكذا قوله

عظمت فلما لم تكلم مهابة * تواضعت وهو العظيم عظما على عظم

ولو سمى هذا البيت جبانة لكان لائقا به كما قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد ذكرت عنده قصيدة ابن الرومى التى أولها

أجنت لك الوجد أغصان وكثبان * فيهن لوعان تفاح ورمان

فقال هذه دار البطيخ فاقرؤا أنسيها تعلموا ذلك (قلت) وقد بالغ ابن الرومى فى غزلها واكثر من ذكر العناب والبان والنرجس وما شاكل ذلك وكذا قول أبى الطيب أيضا

أسد فرائسها الاسود يقودها * أسد تصيره الاسود ثعالبا

ما رددت عن حاجة قط فقيل له ولم قال لانى لا أطلب المحال * وقال ما نازعنى أحد الا وأخذت فى أمره بثلاث ان كان فوقى عرفت له فضله وان كان دونى رفعت قدرى عنه وان كان مثلى تفضلت عليه * وقال له رجل دلنى على المروءة فقال عليك بالخلق الفسيح والكف عن القبيح ثم قال الا أدلك على ادوا الداء قال بلى قال اكتساب الذم بلا منفعة * وقال يوما كانت المودة محضا فليتها اليوم مذقا * ومن كلامه فى النظم وشعره قوله

ولو مد سروى بمال كثير
لجدت وكنت له باذلا
فان المروءة لا تستطاع
اذا لم يكن مالها فاضلا

وكان يجالسه رجل كثير الصمت فأعجب به الاحنف ثم تكلم يوما فقال يا أبا بحر تقدر تمشى على شرف المسجد فقال يا أخى انى كبرت ولا أقدر على ذلك ثم أنشد يقول

وكائن ترى من صامت لك معجب
زيادته أو نقصه فى التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم

قرواها قوم له وقيل تمثل بها وهى لغيره فانها أرفع طبقة من شعره * ومات بالكوفة سنة تسع وستين

قال ابن رشيق ما أدرى كيف تخلص من هذه الغابة المملوءة أسودا وقال الاصمعى لمن أنشده

فما للنوى جذ النوى قطع النوى * كذلك النوى قطاعة لوصال

لوساط الله على هذا البيت شاة لاكلت هذا النوى كله وأما قول أبى نواس

أقنى بها يوما ويوما وثالثا * ويوما له يوم الترحل خامس

فقال ابن الاثير فى المثل السائر مراده من ذلك انهم أقاموا أربعة أيام وياعجبا لمن يأتى بمثل هذا البيت السخيف على المعنى الفاحش (قلت) أبو نواس أجل قدرا من ان يأتى بهذه العبارة لغير معنى طائل وهو له فى مثل هذه المسألة صدر جليلة يراعيها ومذاهب يسلكها ألا ترى الى ما حكى عنه من انه ذكر عند الرشيد قوله

فاسقنى البكر التى اعتجرت * بخمار الشيب فى الرحم

فقال الرشيد لمن حضر ما معناه فقال أحدهم ان الخمر اذا كانت فى دنها كان عليها شئ مثل الزبد فهو الشيب الذى أراده وكان الاصمعى حاضرا فقال يا أمير المؤمنين ان أباعلى أجل خطرا وان معانيه لخفية فاسألوه عن ذلك فأحضر وسئل فقال ان الكرم أول ما يخرج العنقود فى الزرجون يكون عليه شئ يشبه القطن فقال الاصمعى ألم أقل لكم ان أبا نواس أدق نظرا مما قلتم اه وأما معنى البيت الاول فان المفهوم منه ان المقام سبعة أيام لانه قال وثالثا ويوما أى آخره اليوم الذى رحلنا فيه خامس وابن الاثير لوامعن الفكر فى هذا ربما كان يظهر له وأما قول أبى الطيب

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابـ * ـن العارض الهتن ابن العارض الهتن

فقد عده بعضهم من التكرار الذى لا فائدة فيه وليس كذلك بل هو من باب قوله صلى الله عليه وسلم ذاك الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم وأما ابن الاثير فانه عاب ألفاظ البيت من حيث هى واستثقل لفظ العارض والهتن قال ولو قال بدل العارض السحاب أو ما يجرى مجراها لكان أرشق (قلت) ليس ذلك بشئ وافظ العارض والهتن فصيح عذب فى السمع وأما ابن وكيع فانه قال لولا انتهاء القافية لمضى فى العارض الهتن الى آدم عليه السلام وبانتهاء القافية أعلمنا ان نهاية عدد آبائه المتقين للمدح ثلاثة ثم يقف هذا الامر قال وأحسن من هذا قول البحترى

الفاعلون اذا الذنا بجدودهم * ما يفعل الغيث فى شؤبوبه الهتن

فجاء بالمعنى عاما بغير عدد متردد ولا لفظ مستبرد فهو أرجع كلاما وأحسن نظاما قال وما أشبه برد بيت أبى الطيب ببيت قاله امرؤ القيس

ألا انى بال على جمل بالى * يقود بنا بال ويتبعنا بالى

اه كلام ابن وكيع (قلت) كذا ذكره فى التنصيف وقد أخطأ فى هذا الكلام من عدة وجوه أولها انه قال لولا انتهاء القافية لمضى الى آدم ولو قال لولا انتهاء الوزن لكان أكثر تحقيقا لان القافية حصلت فى ربع البيت من أول ذكر الهتن وهذا كلام سبقه اليه عبد الملك بن مروان وقد أنشد قول دريد بن الصمة

قتلنا بعبد الله خير لداته * ذئاب بن أسماء بن زيد بن قارب

فقال لولا القافية لوصل به الى آدم وثانيها انه قال أعلمنا ان عدد آبائه الممدوحين ثلاثة كذا

وخرج مصعب بن الزبير فى جنازته ماشيا بغير ازار وهو أول أمير فعل ذلك فى جنازة كبير ولما وضع فى قبره قامت امرأته فقالت لله درك من مدرج فى كفن نسأل الله الذى ابتلانا بفقدك ان يوسع لحدك ويكون لك يوم حشرك أما والذى كنت من أمره الى مدة لقد عشت حميدا مودودا ومت شهيدا مفقودا ولقد كنت من الناس قريبا وفى الناس غريبا رحمنا الله وايالك فى الدنيا والآخرة وتوفانا بعدك مسلمين

(وحاتما انما جاد بوفرك ولقى الاضياف بشرك)

هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطائى وكنيته أبو سفانة وأبو عدى * وأجواد العرب فى الجاهلية ثلاثة حاتم الطائى وهرم بن سنان وكعب بن مامة وحاتم أشهرهم ذكرا أدرك مولد النبى صلى الله عليه وسلم ومات قبل مبعثه * وحكى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال يوما سبحان الله ما أزهد كثيرا من الناس فى خير عجبا لرجل يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا لكان ينبغى له أن يسارع الى مكارم الاخلاق فانها تدل على سبيل النجاح فقام اليه رجل فقال

قال والبيت يشتمل على أربعة اعداد ضرورة الوزن وأيضا فلا يلزم فى المديح أن يؤتى بجميع الآباء فى الذكر ويكفى من مدح أصيلا ان يقول أنت كريم وو الدك ووالده وقد مدح الشعراء بالنسب القصير قال أبو العلاء المعرى يرثى الشريف الطاهر الموسوى أبا الشريف الرضى

أنتم ذوو النسب القصير فطولكم * بادعلى الكبراء والاشراف

والراح ان قيل ابنة العنبا كتفت * بأب عن الاسماء والاوصاف

أراد بهذا ما حكاه الفرزدق قال خرجت من البصرة أريد العمرة فرأيت عسكرا فى البرية فقلت عسكر من هذا قالوا عسكر الحسين بن على قال فقلت لاقضين حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فأتيته فسلمت عليه فقال من الرجل فقلت الفرزدق بن غالب فقال هذا نسب قصير فقلت أنت أقصر منى نسبا أنت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أحسن قول الامير حظى الدولة أبى المناقب عبدا لباقى

لاتمدحنه بآباء له كرموا * وأحرزوا المجد الاقصى أبا فأبا

فالراح قد أكثر المداح وصفهم * لها ولم يذكروا مع وصفها العنبا

وثالثها انه مثل بيت البحترى وليس من الباب الذى حاوله ولفظة الفاعلون وشؤبوبه ثقيلتان على السمع ورابعها انه شبهه ببيت أبى القيس وليس منه وانما الجامع بينهما التكرار ولم يكن بيت أبى الطيب فى رد ذلك وقد تبع ابن النبيه أبا الطيب فقال

الطاهر النسب ابن الطاهر النسب ابن الطاهر النسب ابن الطاهر النسب

ومما يتعلق ببيت أبى الطيب ان الالف تثبت فى ابن فى سائر البيت لانه لم يقع بين علمين وقد تعنت الناس على الشعراء وشاحوهم كثيرا فى الالفاظ والمعانى الا ترى الى قول الحاجرى

وما اخضر ذاك الخد نبتا وانما * لكثرة ماشقت عليه المرائر

لما سمعه الناصر بن العزيز قال عسى ان هذا الخد كان مسلخا وقال على بن ظافر فى قول أبى عامر ابن شهيد فى قصيدته

طاردتهن بفتية * صبر على حرب المسالم

فكأننى فيهم لقيـ * ـط قادمن آساد دارم

غفل عن نفسه اذ شبهها بولد زنا قوادوان كان قصد لقيط بن زرارة الدارمى وقود الفرسان وقال فى قول ابن شهيد أيضا من هذه القصيدة

ذكر على ذكر يصو * ل وصارم يسطو بصارم

قد غفل أبو عامر عن نفسه غفلة شديدة فى قوله على ذكر وأساء من حيث ظن انه أحسن ولازلنا نستحسن الحكاية المروية عن المخنث الذى أنشد أبو بكر الخالدى بحضرته قصيدته فى سيف الدولة وقد تأنق فى معانيها وروق الفاظها ومكنها بقوافيها فكان من جملتها قوله

وأنكرت شيبة فى الرأس واحدة * فعاد يسخطها ماكان يرضيها

فقال له اخنث أما تستحى تخاطب الامير بان تقول له فى الرأس واحدة فخجل الخالدى والحاضرون تعجبا فقال له الخالدى فما أقول قال قل لائحة أو واضحة وكذا لم أزل أعجب من قول مهيار الديلمى على جلالة قدره واتقاد خاطره وحسن تخيله

وانك مذخور لاحياء دولة * اذا هى ماتت كان فى يدك النشر

يا أمير المؤمنين أسمعته من النبى صلى الله عليه وسلم قال نعم لما أتى بسبايا طيئ وقفت جارية عيطاء لعساء فلما رأيتها أعجبت بها وقلت لاطلبنها من النبى صلى الله عليه وسلم فلما تكلمت أنسيت جمالها بفصاحتها فقالت يا محمد ان رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فانى ابنة سيد قومى وان أبى كان يفك العانى ويشبع الجائع ويكسو العارى ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم الطائى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياجارية هذه صفة المؤمن ولو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق * وقال عدى بن حاتم قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ان أبى كان يطعم المساكين ويعتق الرقاب ويصل الرحم فهل له فى ذلك أجر قال ان أباك رام أمرا فأدركه يعنى الذكر * وأول ماظهر من جود حاتم أن أباه خلفه فى ابله وهو غلام فمر به جماعة من الشعراء فيهم عبيد بن الابرص وبشر بن أبى حازم والنابغة الذبيانى يريدون النعمان فقالوا لحاتم هل من قرى ولم يعرفهم فقال تسألونى القرى وقد رأيتم الابل والغنم انزلوا فنزلوا فنحر لكل واحد منهم وسألهم عن أسمائهم فاخبروه ففرق فيهم الابل

وكيف تفاءل لممدوحه بان تشريده وكذلك قوله يتغزل

في صدرها حجر وتحت صدارها * ما يشف وبانة تتعطف

فقوله في صدرها حجر من أبشع لفظ لما فيه من ايهام الدعاء وقد لحنه أبو القاسم الصيرفي في قوله النشر وقال انما استعمله مكان الانشار الذي هو الاحياء وهو خطأ من أبي القاسم فقد ورد النشر بمعنى الانشار وورد الفعل ثلاثيا ورباعيا نشر الميت وأنشره وقد قرئ في السبع أيضا وانظر الى العظام كيف ننشرها وكذلك أعجب من أبي الفتوح بن قلاقس على أنه في الفضل شمس علاء وعطارد ذكاء في قوله

بطلاقة أبدت بصفحة وجهه * وضح الصباح لمن له عينان

فيقال له كيف تجعل في وجه ممدوحك وضحا وهذا الباب انما يقع فيه كثيرا من وثق بذهنه وكبر مقدار علمه عنده نفسه واعتمد على ما ينجه خاطره من بنات فكره ويقرب من هذا وان كان دونه ما جرى لجرير لما أنشد عبد الملك بن مروان قوله * أطحوا أم قؤادك غير صاحي *

فقال عبد الملك بل قؤادك يا ابن الفاعلة كانه استثقل هذه المواجهة وكذلك لما أنشده ذو الرمة * ما بال عينيك منها الماء ينسكب * وكان بعين عبد الملك مرض لا تزال عينه تدمع منه فقال له وما شؤالك عن هذا يا جاهل وأمر باخراجه وكذلك فعل ابنه هشام بابي النجم لما أنشده

صفراء قد كادت ولما تفعل * كانها في الافق عين الاحول

وكان هشام يعرف بالاحول فظن أنه انما عرض به فامر باخراجه وطرده وكذلك ما وقع لابي نواس لما هنأ جعفر بن يحيى بانتقاله الى قصر جديد بناه بقصيدة أولها

أربع البلى ان الخشوع لبادي * عليك وانى لم أخنك ودادي

وختمها بقوله

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم * بني برمك من رائحين وغادي

فتطير يحيى واشمأز وقال نعيت الينا نفوسنا وبعد أيام أوقع بهم الرشيد وقد قيل ان أبا نواس قصد التشاؤم لهم وكان في نفسه من جعفر وأنشد أبو تمام أبا دلف قصيدته التي أولها

* على مثلها من أربع وملاعب * وفي المجلس رجل يشنؤه فقال لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وكانت في أبي تمام جسة شديدة فانقطع خجلا وأنشد ابن مقاتل أحد شعراء الجبل الداعي الى الحق العلوي السائر بطبرستان أبياتا في يوم المهرجان أولها

لا تقل بشرى ولكن بشريان * غرة الداعي ويوم المهرجان

فنفر منه وتطير به وقال غيره وأبدله بقولك * ان تقل بشرى فهذي بشريان * ولما أنشد الصاحب أبو القاسم بن عباد عضد الدولة قصيدته الملقبة باللامكنية لكثرة ما كرر فيها لكن وأولها

أشبب لكن بالمعالي أشبب * وانسب لكن بالمفاخر أنسب

ولي صبوة لكن الى حضرة العلا * وبي ظلما لكن من العز أشرب

فلما بلغ الى قوله منها

ضممت على أبناء تغلب تاءها * فتغلب ما كر الجديدان تغلب

قال عضد الدولة يكفي بالله تطيرا من قوله تغلب وروى ان شاعرا أنشد الشريف فخر الدولة

والغنم وجاء أبوه فقال ما فعلت قال طوقتك مجد الدهر تطويق الحمامة وعرفه فقال أبوه اذا لا أبالي * وحكي عن زوجته النوار قالت أصاب تنا سنة اقشعرت لها الارض وضنت المراضع على أولادها فوالله اني لفي ليلة صنبرة بعيدة ما بين الطرفين اذ تضاغى أولادنا عبد الله وعدي وسفانة فقام الى الصبيين وقمت الى الصبية فوالله ما سكتوا الا بعد هدأة من الليل ثم ناموا وغلبت أنا واياه فأقبل علي يعللني بالحديث فعرفت ما يريد فتناومت وما يأتيني نوم فقال مالها انامت فسكت ثم تبورت النجوم اذا شئ قد رفع كمر البيت فقال ما هذا قالت جارتك فلانة قال ما لك قالت الشر أتيتك من عند صبية يتعاوون عوى الذئاب من الجوع قال أعليهم فهبيت اليه فقلت ما ذا صنعت فوالله لقد تضاغى صبيتك من الجوع فما أصبت ما يعللهم فقال اسكتي وأقبلت المرأة تجعل اثنين ويمشي بجانبيها أربعة كانها نعامة حولها رئالها فقام الى فرسه فجلاب فنحره وكشط عن جلده ودفع المدية الى المرأة ثم قال ابعثي صبيانك فبعثتهم فاجتمعنا فقال تاكلون دون أهل الصوم ثم جعل يأتي بيتا بيتا ويقول دونكم النار

ابن أبي الحسن تقيب الطالبيين قصيدة يهنيه فيها بشهر رمضان وكان الشريف يتأذى بالصوم لمرض يجده فكان أولها * أيامنا بك كلها رمضان * فقال الشريف طوال والله مشؤمة مكروهة عندي منغصة على وحرمه ولم يعطه شيئا وروى أبو علي حسن بن سعيد الكاتب المعروف بالمسكر بل قال أنشدني أبو المناقب عيدة في الملك الافضل وأولها

* نهنيك كلا بل نهنئ بك الدهرا * فقلت له الا بتداء هكذا مما يتطير به وذكرت له خبر ابن مقاتل فوافقني على ما قلته وغير الابتداء * فقال نهنيك والاولى نهنئ بك الدهرا * ثم قال ابن ظافر أما أنا فاني صنعت بالشام سنة سبع وثمانين وخمسمائة قصيدة في الملك الافضل أبي الحسن علي ابن الملك الناصر نور الله ضريحه أولها

دعها ولا تحبس زمام المقود * تطوى بأيديها بساط الفدفد

وانشدتها لمن كان بالعسكر من اصحابنا المنتسبين الى الادب فما منهم الا من بذل جهده في نقدها ورمى بافلاذ كبده فيها فكرتها ثم حملتها الى حضرته فصادفت قبولا واتفق بعد ذلك ان أنشدتها لابن الاجل التكريتي فلما انشدته البيت الاول قال لي ما كان يؤمنك اذا اخذ مدرجها في يده وفقه فوجد أول ما فيها دعها أن يلقيها ويقول قد فعلت ألست كنت تقتضح قلت بلى والله ولكن قد وفى الله وهذا من غريب الانتقاد (قلت) قد نقلت كلام ابن ظافر من أوله الى آخره من خطه ولا تستطل أيها الواقف على هذا الفصل ما ذكرته فانه من فقه الادب ومثل هذه الاشياء ينبه طرف المتأدب ويلتفت الى ما يجاوزه في حالة غفلته اه (رجع القول الى بيت الطغرائي) أقول قد أخذ بيت الشريف الرضي برمته من قوله

ولقد مررت على منازلهم * وديارهم بيد البلى نهب
ووقفت حتى ضج من لغب * نضوي وملّ بعذلي الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت * عني الطلول تلفت القلب

وما لاحد أحسن من هذه الاستعارة في تلفت القلب ولا أرشق ولا أعذب وما أحسن قول أبي العلاء المعري

الى كم تشكاني الى ركائبي * وتكثر عتبي خفية وجهارا
أسير بها تحت المنايا وفوقها * فتسقط في شخص الحمام عثارا

وقول أبي تمام الطائي

يقول في قومس قومي وقد أخذت * منا السرى وخطا المهرية القود
أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الجود

والناس يستحسنون هذا ويعدونه من النادر الجيد لابي تمام وقد أخذه بلفظه من مسلم بن الوليد واجترأ عليه اجتراء السادة على العبيد لان مسلما هو البادي وأبا تمام هو العادي قال مسلم بن الوليد

يقول صحبي وقد جدوا على عجل * والخيل تستن بالركبان في اللجم
أمطلع الشمس تبغي ان تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الكرم

وهذا في غاية الحسن التي تكبو الفحول دون بلوغها ويعجز الشعراء عن الظفر بصوغها والتحلي بمصوغها فان عين السها تطيل النظر الى رفعتها وتتأمل ومطايا التخيل تكل عن

فاجتمعوا فالتفع بثوبه ناحية ينظر اليناو والله ما ذاق منها مزعة وانه لاحوجهم وأصبحنا وما على الارض الاعظم او حافر * وحكى ابن الاعرابي قال أسر حاتم في غزة فقالت له امرأة يوما قم فاقصد لنا هذه الناقة وكان القصد عندهم ان يقطع عرق من عروق الناقة ثم يجمع الدم فيشوى ويؤكل فقام حاتم الى الناقة فعقرها فاطمئنت المرأة فقال لو غير ذات سوار لطمتني فذهبت مثلا ثم قال له النسوة اغثنا فقد نا افصدها قال هذا فرزدي يعني انه فصدي وهي لغة طيئ * وحكى المدائني قال أقبل ركب من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان فلقوا حاتما فقالوا تركنا قومنا يثنون عليك خيرا وقد أرسلوا اليك رسالة قال وما هي فانشده الاسديون شعر النابغة فيه فلما أنشدوه قالوا انا نستحيي أن نسألك شيأ وان لنا الحاجة قال وما هي قالوا صاحب لنا قد رحل يعني فقد راحلته فقال حاتم خذوا فرسي هذه فاحملوه عليها فاخذوها وربطت الجارية فلوها بثوبها فأقبلت تتبع أمه واتبعته الجارية فصاح حاتم ما تبعكم فهرائكم فذهبوا بالفرس والفلو والجارية * ولحاتم أخبار كثيرة وشهرة زائدة

النهوض بعبئها فتحمل وما تحمل وقد أخذه أبو اسحق الغزي وسبكه فلبكه لما قال

تقول اذا احتثثناها وظلت * تناجينا بألسنة الكلال

الى أفق الهلال مسير ركبي * فقلنا بل الى أفق النوال

(قلت) فأين معاني الشمس ممن يحاول وأين الثريا من يد المتناول ولكن هذه الاشياء تتفق فما تعارض ولا تقارض (أخبرني) الشيخ الامام الاديب الكامل القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود قال قلت للشيخ نجم الدين بن اسرائيل لاي شئ قصر قولك

لكدت تشبه برقا من ثغورهم * يا درد معي لولا الظلم والشنب

عن قول شهاب الدين بن الخيمي

يا بارقا بأعالي الرقمتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

فقال لانه شاعر جيد تناول المعنى بكرا فأجاد فيه ولم يدع فضلة لغيره ثم قال شهاب الدين محمود ما من شاعر في الغالب الا وقد عارض الشريف الرضي في قصيدته التي أولها

يا ظبية البان ترعى في خمائله * ليهنك اليوم أن القلب مرعاك

وما منهم من رزق سعادته اه (قلت) والذين رزقوا السعادة في أشياء لم يات بعدهم من نالها جماعة كثيرة لا ياس بسردهم هنا وهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه في النسب فانه كان فرد زمانه علي بن أبي طالب رضي الله عنه في القضاء أبو عبيدة رضي الله عنه في الامانة أبو ذر رضي الله عنه في صدق اللهجة أبي بن كعب رضي الله عنه في القرآن زيد بن ثابت رضي الله عنه في الفرائض ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير القرآن الحسن البصري في التذكير وهب بن منبه في القصص ابن سيرين في التعبير نافع في القراءة أبو حنيفة في الفقه قياسا ابن اسحق في المغازي مقاتل في التأويل الكلبي في قصص القرآن ابن الكلبي الصغير في النسب أبو الحسن المدائني في الاخبار أبو عبيدة في الشعوبية محمد بن جرير الطبري في علوم الاثر الخليل في العروض فضيل بن عياض في العبادة مالك بن أنس في العلم الشافعي في فقه الحديث ابو عبيد في الغريب علي بن المدائني في علل الحديث يحيى بن معين في الرجال أحمد بن حنبل في السنة البخاري في نقد الصحيح الجنيد في التصوف محمد بن نصر المروزي في الاختلاف الجبائي في الاعتزال الاشعري في الكلام أبو القاسم الطبراني في العوالي عبد الرزاق في ارتحال الناس اليه ابن منده في سعة الرحلة أبو بكر الخطيب في سرعة القراءة ابن حزم في الظاهرية سيبويه في النحو أبو الحسن البكري في الصدق اياس في التفرس عبد الحميد في الكتابة والرقاشي أبو مسلم الخراساني في علو الهمة والحزم الموصلي النديم في الغناء أبو الفرج الاصبهاني في حسن المحاضرة أبو معشر في النجوم محمد بن زكريا الرازي في الطب عمارة بن حمزة في النسب الفضل بن يحيى في الجود جعفر بن يحيى في التوقيع ابن زيدون في سعة العبارة ابن القرية في البلاغة الجاحظ في الادب والبيان الحريري في المقامات البديع الهمداني في الحفظ أبو نواس في الجون والخلاعة ابن حجاج في سخف الالفاظ المتنبي في الحكم والامثال الزمخشري في تعاطي العربية النسفي في الجدل جرير في الهجاء الخبيث حماد الراوية في شعر العرب معاوية في الحلم المامون في حب العفو عمرو بن العاص في الدهاء عطاء السلمي في الخوف من الله

وكانت أمه أم عتب بنت عفيف امرأة لا تمسك شيأ وكان اخوتها يمنعونها فاتى بنو عتب فجبروا عليها سنة يطعمونها قوتها لعلها تكف عما تصنع ثم مكنوها من صرمة من ابلها وقالوا استمتعي بها فاتتها امرأة من هوازن فسألتها فقالت دونك الصرمة فقد والله ذقت من الفقر ما آليت أن لا أمنع سائلا شيأ * وحاتم من فحول الشعراء ومن محاسن شعره قوله رحمه الله ان شاء بكرمه

أعاذل ان المال غير مخلد
وان الغنى عارية فمزود
وكم من جواد يفقد اليوم جوده
وساوس قد ذكرنه الفقر في غد
وكم ليم آبائي فكف جودهم
ملام ومن أيديهم خلقت يدي

وقوله يخاطب امرأته

أماوي ان المال غاد ورائح
ويبقى من المال الاحاديث والذكر
أماوي ما يغني الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
أماوي ان يصبح صداي بقفرة
من الارض لا ماء لدي ولا خمر
ترى أن ما أهلكت لم يك ضرني
وأن يدي مما بخلت به صفر

تعالى الوليد فى شرب الخمر أبو موسى الاشعرى فى سلامة الباطن ابن البواب فى الكتابة والخط القاضى الفاضل فى الترسل العماد الكاتب فى الجناس ابن الجوزى فى الوعظ أشعب فى الطمع أبو نصر الفارابى فى نقل كلام القدماء ومعرفته وتفسيره حنين بن اسحق فى ترجمة اليونانى الى العربى ثابت بن قرة الصابى فى تهذيب ما نقل من الرياضى الى العربى ابن سينا فى الفلسفة وعلوم الاوائل الفخر الرازى فى الاطلاع على العلوم السيف الآمدى فى التحقيق والاصول النصير الطوسى فى المجسطى ابن الهيثم فى العلم الرياضى نجم الدين الكاتبى فى المنطق أبو العلاء المعرى فى الاطلاع على اللغة أبو العيناء فى الاجوبة المسكتة مزيد فى البخل القاضى أحمد بن أبى دواد فى المروءة وحسن التقاضى ابن المعتز فى التشبيه ابن الرومى فى التطير الصولى فى الشطرنج أبو حامد الغزالى فى الجمع بين المعقول والمنقول ابن رشد فى تلخيص كتب الاقدمين الفلسفية والطبية محيى الدين بن عربى فى التصوف اه أقول وقصيدة ابن الخيمى الباثية التى أولها

* يا مطلبا ليس لى فى غيره ارب * رويتها بقراءتى على الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس عن شهاب الدين محمد بن عبد المنعم بن الخيمى قال اجازة وفى غالب الظن سماعا منه (قلت) وقصته مع نجم الدين بن اسرائيل مشهورة وأنشدنى لنفسه الشيخ شهاب الدين أبو الثناء محمود قصيدة باثية عارض بها ابن الخيمى وهى فى غاية الحسن جاء منها فى ذلك المعنى قوله

يا بارق الثغر لو لاحت ثغورهم * وشمت بارقها ما فاتك الشنب

وقد جمعت ما اتفق لابن الخيمى وابن اسرائيل والشهاب محمود والعفيف التلمسانى وصدر الدين بن الوكيل ولى أنا فى معارضة هذه القصيدة وأودعته الجزء الاول من التذكرة التى جمعتها وجاء لى فى معنى البيت المذكور قولى

يا برق لا تبتسم من ثغره عجبا * قد فات معناك منه الظلم والشنب

ولقائل ان يقول لنا أجمعين * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب * ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم له

ان تاه ثغر الاقاحى فى تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عندما تلقاه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

(عاد القول الى ما يخرط فى سلك بيت الطغرائى) وقد أحسن أبو العلاء المعرى كل الاحسان حيث قال

مواصلة بها رحلى كأنى * من الدنيا أريد بها انفصالا
سألت فقلت مقصدنا سعيد * فكان اسم الامير لمن فالا

هذا مما يطلب محاققه فتحمل الجواد قوائمه ويسبى له من كل حسن كرائمه ويفتح له فى البديع نور والقلوب كمائمه ويحلى الاسماع من الدر بسمط لم يثقبه ناظمه وقد استعمل المعرى الفال فى شعره أيضا فقال

بدت حية قصرى فقلت لصاحبى * حياة وشر بشمازعم الفال

انما قال ذلك لان الحية موصوفة بالشر وطول العمر ولهذا سميت حية وقيل انها لا تموت حتف انفها ما لم يعرض لها شدخ رأسها أو قطعه وقال الآخر

وقد علم الاقوام لو أن حاتما
أراد ثراء المال كان له وفر
وانى لا آلو بما لى صنيعة
فاوله زاد وآخره ذخر
غنينا زمانا بالتصعلك والغنى
وكلا سقاناه بكاسيهما الدهر
فما زادنا بغيا على ذى قرابة
غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر
وقوله يصف طارقا
عراآ يساشبه الجنون وما به
جنون ولكن كيد أمر يحاوله
فاثقبت نارى ثم أبرزت ضوءها
وأخرجت كلبى وهو فى البيت داخله
وقلت له أهلا وسهلا ومرحبا
رشدت ولم أقعد اليه أسائله
وقمت الى البزل المهان أعدها
لوجبة حق نازل أنا فاعله
وقوله أيضا
حننت الى الاجبال أجبال طيئ
وحنت قلوصى أن رأت شوط أجرا
وانى لازجاء المطى على الوجى
وما أنا من خلائك ابنة مفزرا
فلا تسالينى واسالى بى فارس
اذا الخيل جالت فى قناقد تكسرا
فلا تسالينى واسالى بى صحابتى
اذا ما المطى فى الفلاة تضورا
رأتنى كاشلاء اللجام وان ترى
أخا الحرب الا ساهم الوجه أغبرا

فهو كالصل من بنات الافاعي * كلما طال عمره زاد شرا

ويعجبني قول ابن خفاجة الاندلسي من قصيدة يصف فيها الحية

وأزب يبرد من حشاه مكرع * خصر يسح وتلعسة مخضال
ما بين خطي جدولين كانما * بسطت يمين منهما وشمال
مثل الحباب بمخنساه ذؤابة * خفاقة حيث الربا كفال
ينساب ثاني معطفيه كانه * هميان نشوان هناك مذال
أو ظل أسمر بالاوى متأطر * عطفت جنوب متنه وشمال
لم أدر هل يزهو فيخطر نخوة * أم لاعبت اعطافه الجريال
فاذا استطار به النجاء فنيزك * واذا تهادى فالهلال هلال
زرت عليه جبيرة موشية * بقيت له أخت لها أسمال
مزق كما بقد في يوم الوغى * عن لبتي مستلئم سربال
ألقى به منها هنالك درعه * بطر وجرد وشيه مختال
بيد الهجيرة منه سوط خافق * وبساق ليلة صرصر خلخال

وما أحسن قول القاضي محيي الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر من جملة كتاب تروع المراعي والمراعي وتسمع منها السهام المنية فما فيها كيش الافاعي من كل صل يفترس افتراس الضيغم ويتملس املاس الجدول المفعم تنقض انقضاض السهام وتروع رائيها في المنام ومن جهتها يحم الحمام واذا انقبضت كانت للمنية عروة واذا انبسطت فهي للرزية حزام ماناتها بنوائبه ناب ولا لعابها في جده بالاتيان على النفوس بلعاب ذوات ألوان كالدنيا تروق وتروع وذات معاطف كالليالي والايام منذرة كالفتح للوقوع قد غدت للخيام أطنابا عوضا عن الاطناب ونابت عن العمد فيها شر منا ب فلو شاهدها بقراط لم ير أن غيرها الموت من العلل الخبائث والاسباب كم تصبحت الاعين منها بأسود ساخ وكم غدا مهري بسمها مهريا من الحريق فهو في كور على لغة العوام نافخ ومن عجب انها تمشي على بطنها ولا تأكل من نهشته بنابها النائب عن سنها تحترس وتفترس وترى لعينها في الظلام نارا لا يجد عليها هدى طرف المقتبس كم غدت لبعير عقالا وكم اعتقل الموت منها للطاعنة رماحا طوالا وأرسل نبالا وفي كلام العوام مما يتحاجون به قولهم حية ميتة وقاعدة قائمة وجارية واقفة وبيضاء حراء وسلم شماس وكثيرة قليلة ونقلت من خط السراج الوراق له في استعمال الفال

ومسائل عني يقو * ل وقد كفاه سوء حالي
كيف الزمان عليك قلـ * ـت على هذا منك فالي

ونقلت من خطه له أيضا يتقاضى علا من ابن العسال

قبل يد الشرف التي هي قبلة * أبدا لها تتوجه الآمال
واذكر له شوقا اليه يهزني * فكأنني متأود عسال
ولعل ذا فال جرى نطقي به * وأبوك يصدق في نداه الفال

وعلى ذكر الفال فقد حكي ان طاهر بن الحسين خرج لقتال عيسى بن ماهان وفي كمه دراهم يفرقها على الضعفاء ثم انه سها واسبل كمه فتبددت فتطير من ذلك فقام اليه شاعر وقال

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها
وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقوله أيضا

وعاذلتين هبتا بعد هجعة
تلومان متلافا مفيدا ملوما
لحا الله صعلوكا منا وهمه
من العيش أن يلقى لبوسا ومطعما
ولله صعلوك يساور همه
ويمضي على الاحداث والهول مقدما
اذا ما رأى يوما مكارم اعرضت
تيمم كبراهن ثم تمما

(وزيد بن مهلهل انما ركب بفخذيك)

هو زيد بن مهلهل بن زيدان الطائي فارس مظفر بعيد الصيت أدرك الاسلام وأسلم وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير وهو شاعر مفلق معدود من الشعراء والفرسان وانما سمي زيد الخيل لكثرة خيله فانه لم يكن لكثير من العرب غير الفرس والفرسين وكانت له خيل كثيرة منها المسماة المعروفة التي ذكرها في شعره مثل الهطال وكامل ودول ولاحق وكان زيد الخيل عظيم الخلقة طويلا جدا ويسمى مقبل الظعن لانه كان يقبل المرأة من الارض وهي في الهودج وكذلك أبو زيد الطائي وابن جندل الطعان كما ذكره

الرواة (وحكى) أبو عمرو الشيبانى قال وفد زيد الخيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زر بن سدوس وغيره من طيئ فاناخوا ركابهم بباب المسجد ودخلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس فلما رآهم قال انى خير لكم من العزى ومما حازت مناع من كل ضار غير نفاع ومن الجمل الاسود الذى تعبدونه من دون الله فقام زيد الخيل وكان من أتم الرجال يركب الفرس ورجلاه تخط فى الارض كانه على حمار فقال أشهد أن لا اله الا الله واشهد أنك رسول الله فقال ومن أنت قال زيد الخيل بن المهلهل قال بل أنت زيد الخير ثم قال الحمد لله الذى جاء بك من سهلك وجبلك ورقق قلبك على الاسلام يا زيد ما وصف لى رجل فرأيته الا كان دون ما وصف الا أنت فانك فوق ما قيل فيك وفى رواية أخرى ان فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الاناة والحلم فاما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى رجل ان سلم من آطام المدينة فاخذته الحمى فمكث سبعا ثم اشتملت به الحمى فخرج وقال لاصحابه جنبونى بلاد قيس فقد كانت بيننا حمالات فى الجاهلية ولا والله لا أقاتل مسلما حتى

هذا تبدد جمعهم لا غيره * وذهابه منا ذهاب الهم
شئ يكون الهم نصف حروفه * لا خير فى امساكه فى الكم

يقال ان ملوك مصر العبيديين قالوا فى أول دولتهم لبعض العلماء بمصر اكتب لنا فى ورقة ألقابا تصلح للخلفاء حتى اذا تولى منا أحد لقبناه بلقب منها فكتب لهم ألقابا كثيرة آخرها العاضد فاتفق ان آخر من ملك منهم العاضد وزالت فى أيامه دولتهم على يد السلطان صلاح الدين * قال بعضهم حضرت مجلس كافور الاخشيدى وقد دخل رجل فدعا له وقال فى دعائه أدام الله أيام مولانا وكبر الميم من أيام فتحدث جماعة من الحاضرين فى ذلك وعابوه فقام رجل من وسط الناس وأنشد مرتجلا

لا غرو ان لحن الداعى لسيدنا * أو غص من دهش بالريق أو حصر
فتلك هيبته حالت جلالتها * بين الاديب وبين الفتح بالحصر
وان يكن خفض الايام من غلط * فى موضع النصب لا عن قلة النظر
فقد تفاءلت من هذا لسيدنا * والفال نؤثره عن سيد البشر
بأن أيامه خفض بلا نصب * وان أوقاته صفو بلا كدر

يقال انه أقبل رجل على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال ما اسمك قال شهاب بن حرقة قال ممن قال من أهل حرة النار قال وأين مسكنك قال بذات لظى فقال أدرك أهلك فقد احترقوا رواه مالك فى الموطأ فكان كما قال عمر رضى الله عنه ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل برجل من الانصار فنادى الرجل بغلامه يا سالم يا يسار فقال صلى الله عليه وسلم سلمت لنا الدار فى يسر (وحكى) ان بعض العرب مر على قوم فقال لاحدهم ما اسمك قال منيع وسأل آخر فقال شديد وسأل آخر فقال وثيق وسأل آخر فقال ثابت فقال ما أظن الا ضفادع نقت وضعت الامن أسمائكم (وسأل) بعض العرب رجلا عن اسمه فقال بحر فقال ابن من قال ابن فياض قال فكنيتك قال أبو الندى فقال لا ينبغى لاحد أن يلقاك الا فى فلك أو شختور جاء اثنان الى بعض الشهود ليكتب لهما حجة بدين على احدهما فقال له ما اسمك قال رجال قال ابن من قال ابن سابق قال ابن من قال ابن مسافر فقال له يا أخى بالله لا تعامل هذا فى شئ فما أظنه الا يطير اذا فارقك ولا تظفر به وقال أبو العلاء المعرى

وقد سماه سيده عليا * وذلك من علو القدر فال

وهو مأخوذ من قول أبى الطيب

فى رتبة حجب الورى عن نيلها * وعلا فسموه على الحاجب

(وقال) ابن الرومى

كأن أباه حين سماه صاعدا * رأى كيف يرقى للمعالى ويصعد

لما سمع البحترى هذا قال أخذه من قولى

سماه أسرته العلاء واغا * قصدوا بذلك أن يتم علاه

(وقال آخر)

شم الانوف لذاك قد سموا بها * ومن المسمى تؤخذ الاسماء

وقال ابن سوار فى القاضى ابن حمدان

من معشر حمدوا فأحمد سعيهم * ولذاك قد سموا بني حمدان

وقال البحتري

سماه سعد الاتفاق باسمه * حتما لقد ألفاه سعد الذابحا

كان شهاب الدين القوصي يوما عند الملك الاشرف وقد دخل اليه سعد الدين الحكيم وكانت بينهما وحشة فقال الاشرف ما تقول يا شهاب الدين في سعد الدين فقال يا خوند اذا كان عندك فهو سعد السعود وعلى السماط سعد بلع وفي الخيام عن الضيوف سعد الاخبية وعند المرضى سعد الذابح * حدثني الشيخ المولى القاضي علاء الدين علي بن غانم قال عتبني يوما القاضي شهاب الدين محمود وقال قد بلغني أن جماعة ديوان الانشاء يذمونني وأنت حاضر ما ترد غيبتي فكتبت اليه

ومن قال ان القوم ذموك كاذب * وما منك الا الفضل يوجد والجود
وما أحد الا الفضلك حامد * وهل عيب بين الناس أو ذم محمود

فكتب الي أبياتا منها

علمت بأني لم أذم بمجلس * وفيه كريم القوم مثلك موجود
ولست أزكي النفس اذ ليس نافعي * اذا ذم مني الفعل والاسم محمود
وما يكره الانسان من أكل لحمه * وقد آن أن يبلى ويأكله الدود

فلم يبق بعد ذلك الا أيام قلائل وتوفي رحمه الله وأكله الدود (رجع القول) الى بيتي المعري اللذين فيهما * فكان اسم الامير لهن فالا * أخذ هذا الخلص من قول أبي تمام الطائي

اذا بعثت على أمل بعيد * فقد قربت من الامل البعيد
أبين فما يزرن سوى كريم * وحسبك أن يزرن أبا سعيد

ومن حسن التخلص قول أبي الطيب

نودعهم والبين فينا كأنه * قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيافي

وقال علي بن الجهم

وليلة كحلت بالنقس مقلتها * ألقت قناع الدجى في كل اخدود
قد كاد يغرقني أمواج ظلمتها * لولا اقتباسي سنى من وجه داود

وقال يذكر سحابة

أتتنا بها ريح الصبا فكأنها * فتاة ترجيها عجوز تقودها
فما برحت بغداد حتى تفجرت * بأودية ما تستفيق مدودها
فلما قضت حق العراق وأهله * أتاها من الريح الشمال بريدها
فرت تفوت الطرف سعيا كأنها * جنود عبيد الله ولت بنودها

يريد انصراف عبيد الله بن خاقان عن الجعفري الى سر من رأى عند قتل المتوكل وقال ديك الجن

وعزيز قضى بحكمين في الرا * ح يجور وفي الهوى بحمال
للقارد قسمه وللنحوط ما حمل اليناوجيده للغزال
فعلت مقلتاه بالصب ما تفـ * ـعل جدوى يديك بالاموال

ألقى الله عز وجل فنزل بماء لجرم يقال له فردة واشتدت به الحمى فقال

أرتحل صحبي المشارق غدوة * وأترك في بيت بفردة منجد
فليت اللواتي عدتني لم يعدنني * وليت اللواتي غبن عني عوّدي

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب معه لبني نبهان كتابا بفدك فمكث زيد الخيل بفردة سبعا ثم مات فاقام عليه قبيصة بن الاسود النياحة سبعا ثم بعث راحلته ورحله وفيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظرت امرأته وكانت على الشرك الى الراحلة وليس عليها زيد ضربتها بالنار. فاحترق الكتاب فيها احترق فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربها الراحلة بالنار واحتراق الكتاب قال ويل لبني نبهان (وحكى) الشيباني عن شيخ من بني عامر قال أصابتنا سنة ذهبت بالاموال فخرج رجل من القوم بعيالاته حتى أنزلهم الحميرة فقال لهم كونوا قريبا من الملك ليصيبكم من خيره حتى أرجع اليكم وآتي أليه لا يرجع حتى يكسبهم خيرا فتزود زادا ثم مشى سبعة أيام حتى انتهى الى عطن ابن مع تطفل الشمس فاذا خباء عظيم وفيه قبة من أدم قال فقلت في نفسي ما لهذا

وقال البحترى

كأن سناها بالعشى وصبحها * تبسم عيسى حين يلفظ بالوعد

وقال محمد بن هانئ المغربى

كأن لواء الشمس غرة جعفر * رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

وقال ابن الساعاتى

كم وقفنا فيها مع الغيث مثلين جفونا وكافة وغماما
أخفته ظباء البروق جراحا * مهرات سالت عليه ركاما
فكأن الغمام نقع وقد جرد فيه الملك المعز حساما

وقال أيضا

منعت ظباء المنحنى بأسوده * وأشد ما أشكوه قتل ظبائه
فعلت بنا وهى الصديق لحاظها * كظبا صلاح الدين فى أعدائه

وقال أيضا

أبكى العقيق بمثله وتهب أنـ * ـفاس الغضا بضرامه المتسعر
وجدى وان كنت الذليل بديه * وجد العزيز بكل لدن أسمر

وقال ابن سناء الملك

لا يرجع الكاف الذليل عن الهوى * أو يرجع الملك العزيز عن الندى

والاول أكمل وأحسن وقال أيضا

فالوجد لى وحدى دون الورى * والملك لله وللظاهر

وما أحسن قول أبى الحسين الجزار يمدح فخر القضاة نصر الله بن بطاقة

وكم ليلة قد بتها معسرا ولى * بزخرف آمالى كنوز من اليسر
أقول لقلبى كلما اشتقت للغنى * اذا جاء نصر الله بشر يدا الفقر

قلت انظر الى هذا الشاعر كيف تخلص ووثب الى المديح وما تربص وصدق نظمه فى الحسن وما تحرص فاحذ على مثاله ان كنت تحذو واغذ بلبان بيانه ان كنت تغذو (وقال) أيضا يمدح جمال الدين موسى بن يعمور

جسرت على لثم الشقيق بخده * ورشف رضاب لم أزل منه فى سكر
ولست أخاف السحر من لحظاتها * لانى بموسى قد أمنت من السحر

(وقال) النفيس القطرسى يمدح شجاع الدين جلدك

يا قلب من لانت معا * طفه علينا ما أشد لك
أتظن جلد الهوى * أو أن لى عزمات جلدك

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماة يمدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

غصن تقاحل عقد صبرى * بلين خصر يكاد يعقد
فمن رأى ذلك الوشاح الصائم صلى على محمد

قلت انظر الى حسن هذا التخلص ولطفه وجنى البيان وقطفه مع ما فيه من التورية الحسنة والبلاغة التى تبيت لها الجفون وسنة أنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن

الخباء بدمن أهل وما لهذا العطن بدمن ابل فنظرت فى الخباء فاذا شيخ قد اختلفت ترقوتاه كأنه نسر لخلست خافقه مختفيا فلما وجبت الشمس اذا بفارس قد أقبل لم أر قط فارسا أعظم منه ولا أجسم على فرس مشرف ومعه عبدان يمشيان بجنبيه واذا مائة من الابل مع فحالها فبرك الفحل وبركن معه وحوله فقال لاحد عبديه احلب فلانة ثم اسق الشيخ فحلب فى عس حتى ملأه ثم وضعه بين يدى الشيخ وتنحى فكرع الشيخ منه مرة أو مرتين ثم نزع فثرت اليه مختفيا فشربته فرجع العبد فقال يا مولاى قد أتى على آخر العس ففرح وقال له احلب فلانة فحلبها ثم وضع العس بين يدى الشيخ فكرع منه واحدة ثم نزع فثرت اليه فشربت نصفه وكرهت أن آتى على آخره فجاء العبد فأخذه ثم أمر مولاه بشاة فذبحها وشوى للشيخ منها ثم أكل هو وعبداه فأهمنت حتى اذا ناموا وسمعت الغطيط ثرت الى الفحل فحللت عقاله فاندفع وتبعته الابل فهمست ليلتى حتى الصباح فلما علا النهار اذا أنا بفارس قد أقبل واذا هو صاحبى فعقلت الفحل ونثلت كنانتى

نباتة رحمه الله يمدح الملك المؤيد صاحب حماة

كيف الخلاص لمطوى على شجن * وقد تمالت عليه أعين سحره
تغزولواحظه فى المسلمين كما * تغزو سيوف عماد الدين فى الكفره

وأنشدنى الشيخ الامام الحافظ أبو الفتح محمد بن سيد الناس قال أنشدنى لنفسه الشيخ العلامة تقى الدين بن دقيق العيد رحمه الله تعالى

كم ليلة فيك وصلنا السرى * لانعرف الغمض ولانستريح
واختلف الاصحاب ماذا الذى * يزيل من شكواهم أو يريح
فقيل لى تعريسهم ساعة * وقلت بل ذكراك وهو الصحيح

قلت انظر الى هذا النظم ما ألطف تركيب ألفاظه وأحلاه وكونه استعمل طريق الفقهاء فى البحث فى ذكر اختلاف الاصحاب وأنه قيل كذا وقيل كذا وقلت كذا وهو الصحيح كانه امام الحرمين وقد ألقى درسا فى مسئلة فيها خلاف بين الاصحاب وقد رجح ما رآه هو عنده من الدليل وما رأيت أحسن من هذا بينما هو يصف أحوالهم فى السرى ومشاقهم فى التعب وتشاورهم فيما بينهم وما أشار به كل منهم فى ازالة ما حصل لهم من العناء اذا به قد برز من بينهم برأى أدخل فيه ذكر الممدوح ونص على تصحيحه فكانه فى حلقة الدرس وقد شرع فى مسئلة خلافية ويحرم هذا النظم على غير الشيخ تقى الدين

فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

وما أحقه لو أنشد قول الارجانى

أنا أشعر الفقهاء غير مدافع * فى العصر لابل أفقه الشعراء

وليس هو كما قال الآخر فى بعض الناس

هو فى الفقه شاعر لايبارى * وهو فى الشعر أوحد الفقهاء
لاالى هؤلاء ان طلبوه * وجدوه ولاالى هؤلاء

والارجانى فيما تقدم أخذ قوله من قولهم كلام الملوك ملوك الكلام وأنشدنى لنفسه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود اجازة ما كتبه لصاحب اليمن جوابا عن هديه وردت منه قرين كتاب

أتانى كتابك والمكرمات * تسير لديه مسير السحب
لئن جاء فى موكب من ندالك * فكتب الملوك ملوك الكتب

ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم له

وليلة بتهامن تغرحيي * ومن كاسى الى فاق الصباح
أقبل أقعوانا من شقيق * وأشربها شقيقا من أقاح

ومن كلام الناس كتب الاحباب أحباب الكتب والعلم المشهور فى هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم جار الدار أحق بدار الجار ولما قصد أبو تمام عبد الله بن طاهر بن الحسين بخراسان وامتدحه بقصيدة أولها * أهن عوادى يوسف أم صواحبه * أنكر عليه أبو سعيد الضرير وأبو العميثل هذا الابتداء وقالا له لم لاتقول ما يفهم فقال لهما لم لا تفهمان ما يقال فاستحسن منه هذا الجواب على الفور (يقال) انه عرض على القاضى الفاضل رقعة باسم مؤذنين

ووقفت بينها وبين الابل فوقف بعيدا وقال احال عقالك فقلت كلا لقد تركت نسيات بالحيرة وآليت أن لا أرجع اليمن حتى أفيدهن خيرا أو أموت قال فانك ميت حل عقالك لا أبالك فقلت هو ما أقول لك انك لمغرور ثم قال انصب لى خطامه وفيه ثلاث عجر ففعلت فقال أين تحب أن أضع سهمى فقلت فى هذا الموضع فكأنما وضعه بيده ثم رمى الثلاثة صائبا فرددت نبلى ووقفت مستسلما فدنا منى فأخذ السيف والقوس ثم قال اركب وعرف أنى الذى شربت اللبن عنده فقال كيف ظنك بى قلت أحسن ظن قال وكيف قلت لما لقيت من تعب ليلتك وقد أظفرك الله بى فقال أترانى كنت أهيجك وقد بت تنادم مهلهلا قلت أزيد الخيل أنت قال نعم فقلت كن خيرا تخذ قال لا بأس عليك ومضى بى الى موضعه ثم قال أما لو كانت هذه الابل لى لسلمتها لك ولكنها لابنة مهلهل فأقم على فانى على شرف غارة فأقمت أياما ثم غار على بنى غير بالملح فاصاب أبلا فاعطانيها وبعث معى خفيرا من ماء الى ماء حتى وردت الحيرة (وحكى) الاصمعى قال أسر

يستخدمان اسم أحدهما مرتضى والآخر زيادة وقع على رأسها ألف زيادة فمرتضى وأما مرتضى فزيادة فاستخدم زيادة وصرف مرتضى وهذا فى غاية الحسن وهو من لطف القاضى الفاضل وما أحسن قول شمس الدين محمد بن التلمسانى ومن خطه نقلت

يا بأبى معاطف واعين * يصول منها رامح ونابل
فهذه ذوابل نواضر * وهذه نواظر ذوابل

هذا من أعلى طبقات هذا النوع لانه رد العجز على الصدر بالفاظه مع اختلاف المعنى وقلت انا فى مثل هذا النوع

اضاع نسكى عذار مسكى * فكيف تركى لحاظ تركى
قد شلك قلبى برمح قد * قد فؤادى بغير شلك

وقلت فى النوع الاول أيضا

قد فاق فى حسن التقاحبيى * واخجل البدر فى التمام
ذاك قوام بلا محيا * وذا محيا بلا قوام

وكان نجم الدين بن اسرائيل يقول أنا شاعر الفقراء بل وفقير الشعراء (وقال) بعضهم فى صاحب الشذور هو اما شاعر الحكماء أو حكيم الشعراء (وقال آخر) من رد الاعجاز على الصدور قبور الاحياء أحياء القبور (رجع القول) الى أبيات الشيخ تقى الدين رحمه الله وقد أخذ الشيخ كلامه من قول ذى الرمة

ونشوان من طول النعاس كأنه * بجابين من مشطونة يترجح
اذا مات فوق الرحل أحييت روحه * بذكر الوعيس المراسيل جنح

ولكنه أخذه جسدا فاوغاذا فزاده روحا وأوحى الى الاسماع أطيب ما يوحى ولابى نواس شئ من هذا المذهب فى الشعر يذكر البحث والجدل فى قوله

فاخرت كل شراب فمت * رتبة ليس يضاهيها شراب
لا تماريك على تحريمها * ان نقل ما حرمت طال الخطاب
حرمت ما حرمت بل حرمت * جاء فى التنزيل نهى واجتناب
قال هل أنتم فقلنا نحن لا * وسكتنا كلنا واستدباب

كان يقال أبو نواس فقيه غلب عليه الشعر والشافعى شاعر غلب عليه الفقه والشافعى والخليل ابن أحمد وأبو بكر بن دريد معدودون من العلماء الشعراء ومن شعر الشيخ تقى الدين ما أنشدنيه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين بن سيد الناس قال أنشدنى شيخنا تقى الدين لنفسه

قالوا فلان عالم فاضل * فأكرموه مثل ما يرتضى
فقلت لما لم يكن ذا تقى * تعارض المانع والمقتضى

وكل من عانى النظم وغلب عليه فن من الفنون مال به الى ذلك الفن وغلبت عليه قواعده واستعملها فى مقاصده الشعرية وتخيلات معانيه وظهر على ما يرومه اصطلاح ذلك الفن وأحكامه ألا ترى الى أبى الفتح البستى ومقاطيعه المشهورة فى الآداب والحكم كيف يغلب عليها ألفاظ المنجمين (حكى) ان بعض الاطباء كان فى خدمة بعض الملوك فى غزوة لم يكن معه وقت النصرة كاتب ترسل فأمر الطبيب أن يكتب للوزير يعلمه بذلك فكتب أما بعد فانا قد

زيد الخيل الحطيئة الشاعر وكعب بن زهير فى حرب فاما كعب ففداه قومه وأما الحطيئة الشاعر فشكا الحاجة فقال زيد أقول لعبدى جرول اذ أسرته أثبنى ولا يغرك أنك شاعر فقال الحطيئة ان لا يكن ما قال بأت فانى سيأتى ثنائى زيد بن مهلهل فما نالنا غدرا ولكن لقيتنا غداة التقينا فى المضيق بأخيل تفادى حماة الخيل من وقع رمحه تفادى ضعاف الطير من وقع اجدل فرضى عليه زيد ومن عليه فلما رجع الحطيئة الى قومه قام شاكرا لزيد ذاكرا لنعمته فلما أسرت طيئ بنى بدر طلبت فزارة الى شعراء العرب أن تهجو بنى لام وزيدا فتحاماهم الشعراء فصاروا الى الحطيئة فابى عليهم فقالوا نجعل لك مائة من الابل فقال لو جعلتموها ألفا ما فعلت ثم قال

كيف الهجاء وما تنفك صالحة * من آل لام بظهر الغيب تأتينى

ومن شعر زيد الخيل قوله

كتامع العدو في حلقة كدائرة البيمارستان حتى لو رميت بسبعة المواقع الاعلى قيفال فلم يكن الا كنبضة او نبضتين حتى لحق العدو بحران عظيم فهلك الجميع بسعادتك يا معتدل المزاج (قلت) ما رأيت أحسن من هذا ولا أوجز ولا أبلغ ولا أحسن ضرب مثل ولا أحسن تشبيها وهو في غاية الفصاحة ولما أنكر على القرش النقاش بسبب لوح البريد الذي نقشه لعز الدولة وطلب طلبا مزعجا اختفى مدة ثم كتب الى القاضي علاء الدين بن عبد الظاهر رقعة فيها يقبل الارض ويذكر ان له ثلث سنة محتفى وهو مختف في حواشي البيت خوفا من الاشعار فان المملوك يخشى الرفاع من صاحب الطومار والمملوك يسأل نسخ هذه القضية بحيث لا يقع عليه غبار فانه والله ما يحمل عود ريحان فأعجبه ذلك ولم يزل يتلطف له عند سلار والجاشنكير الى ان خمدت قضيته وسكنت (قلت) الكل مناسب الا قوله الاشعار فانه في الاصل بفتح الهمزة لانه الذي يكتب الاشعار والقرش رحمه الله استعمله بكسر الهمزة مصدر أشعر به اشعارا ولكنه لحن خفي خفيف على القلب والسمع * وقريب من هذا قول من كان يعرف الرياضي حين احتضر اللهم يا من يعلم قطر الدائرة ونهاية العدد والجذر الاصم اقبض الي الك على زاوية قائمة واحشرني على خط مستقيم قلت لا بأس بالكلام على ما يتعلق بهذا (قطر الدائرة) هو الخط الذي يمر بالمركز ويقطع الدائرة بنصفين وقيل هو أطول خط في الدائرة والخط قال أوقليدس في رسمه الخط طول لا عرض له قالوا في هذه العبارة تجوز لان الطول انما هو صفة الخط والخط هو المقدار المتصف بالطول فقط فالعبارة السديدة في ذلك أن يقال الخط هو ماله طول فقط لان الخط من مقولة الكم والطول من مقولة الكيف ويتصور وجود الخط في الحس اذا كان فصلا مشتركا بين لونين كالفصل المشترك بين الماء والزيت فأنت ترى طولا بلا عرض وهذا أحرى الامثلة له في الخارج والدائرة رسمها أوقليدس فقال كل شكل مسطح يحيط به خط واحد في داخله نقطة كل الخطوط المستقيمة الخارجة منها الى الخط المحيط متساوية وتسمى تلك النقطة مركز الدائرة قالوا أشار الى معنى ليس بموجود لانه ليس يوجد في الحس شكل على هذه الصفة أي على غاية الاستدارة وفي وسطه نقطة كل الخطوط الخارجة منها كما قال متساوية على غاية التساوي فالصفة مفهومة والعثور عليها غير موجود لان الحس كثير الغلط فما يوجد بالحس لا يوثق به ولان الاشياء المحسوسة مستحيلة كائنة فاسدة ليست ثابتة على صفة واحدة ولا آن واحد والجواب أنها متحققة في الذهن فهي معقولة فهي ثابتة الوجود هذا كلام الكركي وكأنه حاول اثبات الدائرة في الخارج فعجز عن ذلك فوقف عند اثباتها في الذهن وذهل عن القلك أنه موجود في الخارج وهو كرة صحيح الاستدارة بالاجماع من الرياضيين والطبيعيين حسبما تقتضيه البراهين من الفريقين ومتى وجدت الكرة وجدت الدائرة أقل ذلك منطقة الكرة فانها محيط دائرة بلا شك فعلى هذا قطر الدائرة خط مستقيم ومحيطها خط مستدير وهما متباينان بالنوع فلا نسبة بينهما فمتى كان محيط الدائرة معلوما كان القطر مجهولا لضرورة وانما قربه ارشميدوس بأن جعل القطر سبعة من اثنين وعشرين بأقرب تقريب فعلى هذا لا يعلم نسبة قطر الدائرة من محيطها تحقيقا الا الله تعالى وكذلك نهاية العدد لا يعلمها الا الله تعالى لان كل عدد نفرضه يمكن الزيادة عليه دائما فلا تقدر على تحصيل النهاية وكذلك الجذر الاصم لا يعلمه الا الله تعالى لان الجذر مقدار اذا

بني عامر هل تعرفون اذا غدا
أبو مكنف قد شد عقد الدوائر
بجيش تظل البلق في حجراته
ترى الاكم منه سجدا للحوافر
أبت عادة للورد أن تكره القنا
وحاجة رمحي في نمير وعامر
وقوله وقد غزا غزوة فطلع فارس من خيله فلم يتبع الخيل فاخذته بنو الصيداء
يا بني الصيداء ردوا فرسي
انما يصنع هذا بالذليل
لا تذيلوه فاني لم أكن
يا بني الصيداء مهري بالمذيل
عودوه بالذي عودته
دبج الليل واياه القتيل
وقوله أيضا
جلبنا الخيل من أجا وسلمى
تخب ترابها خبب الذئاب
ضربن بغمرة فخرجن منها
خروج الودق من خلل السحاب
وقد علموا بنو عبس وبدر
ومرة أنني شقب عقابي
(والسليك بن السلكة انما عدا على رجليك)
هو السليك بن عمرو بن يثربي أحد بني مقاعس وأمه السلكة جاهلي قديم وهو أحد صعاليك العرب ولصوصهم العدائين الذين كانوا لا يلحقون ولا تتعلق بهم الخيل (حكي) ابن شهاب قال كان السليك السعدي اذا

ضرب فى نفسه قام منه العدد وجذر الواحد مساوله لانه واحد وجذر العدد الصحيح أقل منه كالتسعة جذرها ثلاثة وجذر الكسر أكثر منه لان الربع جذره نصف والاعداد منها مالا جذر ويسمى المفتوح كالواحد والاربعة والتسعة والستة عشر وغير ذلك ومنها مالا جذر له معلوم وان كان لابد له من جذر فى نفس الامر كالعشرة ويسمى الاصم فانه أى كسر أضفناه الى الثلاثة وضربناه فى المجموع فى نفسه لابد ان يزيد عن العشرة أو ينقص عنها فلا نعلمه على التحقيق بوجه وهذا يحكى عن فلاسفة الهند انهم يقولون سبحان العالم بخارج الجذور الصم واما الزاوية القائمة فكل خط يقوم على خط قياما معتدلا لاميل فيه الى احدى الجهتين يسمى عمودا فان الزاويتين اللتين عن جنبتى العمود متساويتان فهما قائمتان وهذه صورته لانك اذا أقمت على خط اب عمود جد فالزاويتان اللتان عن جنبتى العمود متساويتان فهما قائمتان فلو كان العمود القائم على خط اب ما لا كانت زاوية اجد منفرجة وكانت زاوية دجب حادة فقوله اقبضى على زاوية قائمة أراد بذلك أنهما أعدل الزوايا وانه لاميل لواحد من خطيها على الآخر ولا عنه ولذلك ينسب اليها سائر الزوايا الحادة والمنفرجة كما تقول زاوية المثلث ثلاث زاوية قائمة وزاوية المسدس قائمة وثلث وكذلك الجميع وأما الخط المستقيم فقد رسمه أوقليدس بأن قال انه الموضوع على مقابلته أى النقط كانت عليه بعضها البعض ومراده بذلك أن تكون النقط كلها متقابلة فى سمت واحد أعنى ان لا يكون بعضها أرفع وبعضها أخفض كالقوس مثلا فانا اذا اعتبرناها من جهة الخدود كانت النقط المتوسطة أرفع من المتطرفات وان اعتبرناها من جهة المقعر كان الامر بالعكس بخلاف الخط المستقيم ورسمه ارشميدوس بأنه أقصر خط يصل بين نقطتين وهذا يرد عليه أنه غير شامل لانه انما حد من الخط المستقيم ما هو متناه بين نقطتين والمستقيم أعم من ذلك ورسمه أبو على بن الهيثم بأنه الذى اذا ثبت طرفاه وأدير دورة تامة لم يحدث من دورانه سطح ويرد عليه ما يرد على ارشميدوس وأنه استعمل فى رسمه الحركة وليست من موضوعات الهندسة وكأن القائل لم من هذا الصراط المستقيم (رجع الى قوله كل من قال الشعر غلب على معانيه ما يعانيه من الفنون) هذا الشيخ صدر الدين بن الوكيل لما كان الفقه يغلب على فنونه تجد كلامه فى الغالب اذا خلا من القواعد الفقهية يحط عن رتبة الحسن الا ترى ما أحسن قوله فى القصيدة البائية

ما الكاس عندى باطراف الانامل بل ... بالخمس تقبض لا يحلو لها الهرب

شججت بالماء منها الرأس موضحة ... لخد بن أعقلها بالخمس لا عجب

لا يخفى ما فى هذا الثانى من المحاسن التى تقف الافهام دون غايتها وتؤمن الاسماع بآيتها وتمتد كف الثريا الى رفع رايتها ولولا خوف الاطالة لاعطيت هذا المقام ما يستحقه ونبهت على ما تضمنه من أنواع البديع الذى يملك القلب الغليظ ويسترقه وان كان قد أخذه من قول عكاشة الصوفى فى أصل المعنى

حمرا مثل دم الغزال وتارة ... بعد المزاج تخالها زرقا با

واذا المزاج علا فتح جيبها ... نفثت بألسنة المزاج حبا با

ولكنه أخذه ذهبا فجعله يتوقدها وتناوله قبسا فاطلعه فى أفق البلاغة شهبا وزاده من

كان الشتاء استودع بيض النعام ماء السماء ثم دفنه فاذا كان الصيف وانقطعت اغارة الخيل أغار وكان أدل من قطاة فيجىء حتى يقف على البيضة وكان لا يغير على مضر بل على اليمن فاذا لم يجد أغار على ربيعة وكان يقول اللهم انك تهيىء ما شئت لمن شئت اللهم انى لو كنت ضبيا لكنت عبدا ولو كنت امرأة كنت أمة اللهم انى أعوذ بك من الخيبة فاما الهيبة فلا هيبة فذكروا انه أملق حتى لم يبق له شىء فخرج على رجليه رجاء أن يصيب غرة من بعض من يمر به فيذهب بإبله حتى أمسى فى ليلة من ليالى الشتاء مقمرة فاشتمل الصماء ثم نام فبينما هو نائم اذ جثم عليه رجل فقعد على جنبه فقال له استأسر فرفع السليك رأسه وقال الليل طويل وأنت مقمر فذهبت مثلا فجعل الرجل يلهزه ويقول يا خبيث استأسر فلما آذاه أخرج السليك يده وضم الرجل ضمة ضغط منها وهو فوقه فقال السليك أضرطا وأنت الاعلى فذهبت مثلا ثم قال السليك من أنت قال رجل افتقرت فقلت لأخرجن فلا أعود الى أهلى حتى أستغنى قال فانطلق معى فانطلقا فوجدا رجلا قعدته مثل قعدتهما فاصطحبوا

الفقه زيادة رقصت بها الاعطاف طربا وهزت الرؤس عجبا ومن تأمله وجد التورية قد مدت فيه على الجرة طنبا وأخذت محاسن التبرين سلبا (قال صاحب الاغانى) ان المهدى لما سمع الابيات قال لعكاشة لقد وصفت الخمر فاحسنت فى وصفها احسان من شربها وقد استحققت الحمد فقال أيؤمننى أمير المؤمنين حتى أتكلم بحجتى قال قد أمنتك فقال وما بدريك يا أمير المؤمنين أنى قد أجدت وصفها ان كنت لا تعرفها فقال له المهدى اعزب قبحك الله وما أحسن قول الشيخ صدر الدين أيضا

لم يصلب الراووق الا عندما * قطع الطريق على الهموم وعاقها

وقوله أيضا

ارقت دم الراووق حلالا لأننى * رأيت صليبا فوقها ومشرك
وزوجت بنت الكرم بابن غمامة * فصح على التعليق والشرط أملك

هذا الآخر من نمط الاول فى استعماله قراعدا الفقهاء والتورية بالتعليق مع تضمين المثل والاول أخذه من قول سيف الدين بن المشد فى مليح نصرانى

يصبو الحباب الى تقبيل مبسمه * وتكتسى الراح من خديه أنوارا
من أجل ذا أصبح الراووق منعكفا * على الصليب وشد الكاس زنارا

واستعمله صدر الدين أيضا فقال

ياغاية منيتى ويا معشوقى * من بعدك لا أصبو الى مخلوق
ياخير نديم كان لى يؤنسنى * من بعدك صليت على الراووق

وما أحسن قول شمس الدين محمد بن دانيال فيما ينقش على مشراط حجام وضمنه المثل الذى أتى به صدر الدين

أنا لا أكلم واصبا * الا باذن منه يملك
شرطى شفاه الباكيات من الاذى والشرط أملك

لا يخفى حسن التورية فى أكلم والشرط أملك (رجع الى حسن المخلص) ومن أحسن ما فيه قول القائد أبى عبد الله النبهى يمدح سيف الدين صدقة بن منصور بن دبيس

ونرجس خضل تحكى أزاهره * أحداق تبر على أجفان كافور
كأنما نشره فى كل باكرة * مسك تضوع أو ذكرا بن منصور

وأما ابن حجاج فاشق غباره فى حسن المخلص الى المديح ولا سابقه برق فضلا عن الريح بيناهو يهذر سخفا اذا به قد رفع الى المديح سمعا يتصل مدحه بجونه اتصال الزهر بغصونه والحديث بشجونه ويتحد منه الجد بالهزل اتحاد الذل بالعز والجد بالاذل فمن ذلك قوله من قصيدة

النيك من قدام فى * هذا الزمان قد ترك
قد ورثنى فقعسة * مثل اللجين المنسبك
فقلت يا سيدتى * أحسنت لا فضت يدك
أحسنت يا أوسع من * فتوح مولانا الملك

وقال أيضا من أبيات

جميعا حتى أتوا الجوف وهو جوف مراد فلما أشرفوا عليه اذ فيه نعم كثيرة فهابوا أن يغزوا فيطردوا بعضها فيلحقهم الطلب فقال لهم السليك كونوا قريبا حتى آتى الرعاة فأعلم لكم علم الحى أقريب أم بعيد فان كان قريبا رجعت اليكم وان كان بعيدا قلت لكم قولا أومئ اليكم به فاغزوا وانطلق حتى أتى الرعاة فلم يزل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحى فاذا هو بعيدا ن طلبوا لم يدركوا فقال السليك للرعاة ألا أغنيكم قالوا بلى فرفع صوته وغنى

ياصاحبى ألا لاحى بالوادى
الا عبيد قيام بين اذواد
هل تنظران قليلا ريث غفلتهم
أم تغدوان فان الرائح الغادى

فلما سمعا ذلك أتيا السليك فطردا الابل فذهبوا بأكثرها ولم يبلغ الصريخ الحى حتى فاتوهم (وحكى) أبو عبيدة قال بلغنى أن السليك رأى طلائع لبكر بن وائل وكانوا مجدبين ليغزوا على بنى تميم ولا يعلم بهم فقالوا ان علم السليك أنذر بنا قومه فبعثوا له فارسين على جوادين فلما رآهما تبجا خرج يحضر كأنه طلبى وطارداه عامة يومهما ثم قالا اذا كان الليل أعيا ثم سقط وأقصر عن العدو فنأخذه فلما

وقد بادلتها فيما لها لي * بشورة استها ولها قذالي

كملا بن العميد جميع مدحي * ودنيا ابن العميد جميعها لي

ومن حسن الخلاص قول ابن المعتز

والله لا كلمتها ولو انها * كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

وقد أشار ابن سناء الملك الى هذا في قوله

وملحة بالحسن يسخر وجهها * بالبدر يهزأ ريقها بالقرقف

لا أرتضي بالشمس تشبيهاها * والبدر بل لا أكتفي بالمكتفي

وعلقت عليه ابن جبارة في تعليقته التي أملاها على شعر ابن سناء الملك وقال عنده هذا البيت هذا نوع من الجنون والاختلاط وذلك ان هذا الشاعر كثيرا ما يسمع الشعر ويختلط فيه ذهنه فيأتي به على غير ما يقتضيه فان ابن المعتز أنشد البيت وأراد كونها في الحسن كالشمس التي هي آية النهار أو كالبدر الذي هو آية الليل أو كالمكتفي الذي هو خليفة الارض في عظم الشان وكبر السلطان فنقله هذا الشاعر الى الحسن ومن أين للمكتفي صفة الحسن والذي دلت عليه التواريخ انه كان أسمر أعين قصيرا وليست هذه من صفات الحسن وانما ظن أن ابن المعتز وصفه بالحسن فشى على ظنه وأخذ في مديح فنه وليس كما ظنه واعتقد ولا قصد ما قصد وأحسن ابن أبي الصقر في قوله

الشعر كالروض ذا ظام وذا خضل * أو كالصوارم ذا ناب وذا خضم

مثل العراقين هذا حظه خنس * يزري عليه وهذا حظه شمم

(قلت) ليس ابن سناء الملك ممن يخفى عليه هذا الذي ذكره وانما ذكر ابن المعتز المكتفي خروجا الى المديح بملاقة الحسن وما زال الشعراء يصفون الممدوح بالحسن والصباحة والطلاقة ويشبهونه بالشمس والبدر والصبح وذلك مشهور لا يحتاج الى شاهد يؤيده وانما قول ابن المعتز قد شاع وذاع وملأ الاسماع وسار وطار في الاقطار بالاشتهار فلما ذكر ابن سناء الملك حسن محبوبته وذكر الشمس والقمر والقافية قائمة كان المكتفي جالسا في طريقها وكان في ذكره اشارة الى قول ابن المعتز مع زيادة الجناس فقال بل لا أكتفي بالمكتفي الذي جعله ابن المعتز غاية في الحسن عنده لانه انتقص من أدنى الى أعلى ألا ترى ان قول ابن سناء الملك فيه بل التي هي للاضراب وهذا من الادب غاية في حسن النظم والتلعب بالكلام وما ينكر هذا الا من ليس له ذوق بالادب فانه قد جاء من هذا النوع كثير في كلام المتأخرين أنشدت في نفسه بالباب وبراعة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة المولى صفي الدين الحلي

يقبل الارض عبد من عبيدكم * عليكم وبعد فضل الله يعتمد

ما دار ميمة من أسنى مطالبه * يرمأ وأنتم له العلياء فالسند

وقال ابن سناء الملك أيضا

ودمية من أهواه في الحسن دمية * وصدق قولي أنها لم تكلم

(وقال أيضا)

اذا قيل لا تهلك أسى فلعلها * لقائل هذا قوله وتجمل

(وما أحسن) ما أشار ابن حجاج الى قول ابن نباتة السعدي في فرس أغر محجل

أصبحا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة فتبرأ عنها وندرت قوسه فانحطمت فوجد اقصدة منها قد أثرت بالارض فقالا ياله أخزاه الله وهما بالرجوع ثم قالا لعل هذا كان من أول الليل ثم فتر فتبعاه فاذا أثره منتفخا قد مال فرغا في الارض وخدها فقالا ياله قاتله الله فما رأينا أشد منه لا نتبعه أبدا فانصرفا ووصل الى قومه فأنذرهم فكذبوه لبعد الغاية فأنشد يقول

يكذبني العمران عمرو بن جندب
وعمرو بن سعد والمكذب أكذب

ثكلتهما ان لم أكن قد رأيتها كرادیس تهديها الى الحرب موكب

وجاء الجيش فأغاروا (وحكى) الاصمعي أن السليك لقي رجلا من خثعم ومعه امرأة فأخذه فقال له الخثعمي أنا أفدي نفسي منك فقال له السليك ذلك لك على أن لا تخبر بي ولا تطلع على أحد من خثعم فحالفه وخلف عنده امرأته ورهينة ورجع الى قومه فنكحها السليك وجعلت تقول له احذر خثعم فاني أخافهم عليك فقال

غضبت صباح وقد رأتني قابضا * أيرى فقلت لها مقالة فاجر
بالله الا ما لطمت جبينه * حتى يحقق فيك قول الشاعر

اشارة الى قوله

فكأنما لطم الصباح جبينه * واقتص منه فخاض في أحشائه

وهذا من المرقص وليس بعد هذا مزيد ولا غاية في الحسن وراءه وما أحسن ما قال ابن سناء الملك رحمه الله في موضع آخر من شعره

بأبي وأمي من يكون المكتفي * بجماله الجاه كالمقتدي

هنا لم يرد بالمكتفي الخليفة ولكنه هنا اسم فاعل من اكتفى ولما وصل الى المقتدي ترجع المكتفي للتورية لان المكتفي والمقتدي خليفتان من بني العباس وقولي كان المكتفي جالسا في طريق القافية ذكرت به ما اتفق لبشار بن برد مع تسنيم فان بشارا عرض له يوما ناظم بيت فقال

ما ان تحرك ابرقا متلاشقا * الا تحرك عرق في است

ثم قيل له في است من غربه تسنيم بن الحواري فسلم عليه فقال بشار في است تسنيم فقال له ايش والك قال له لا تسل قال سمعت ما اكره فاذكر لي سببه فانشده البيت فقال ما حملك على هذا قال سلامتك على قال لا سلم الله عليك ولا على ان سلمت بعدها عليك (رجع) وقد ذم بعض المتأخرين التخاص في بيت واحد ولكنه حسن ما قبح فقال

بينا ذوائب من يحب بكفه * حتى تعلق لحية الممدوح

وقد جاء التخاص في القرآن الكريم في قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون الآيات الى قوله تعالى فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين فهذا تخاص من قصة ابراهيم وقومه الى قولهم وتمني الكفار في الدار الآخرة الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا بالرسل وهذا تخاص خلافا لابي العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي فانه أنكر وقوع التخاص في الكلام وفي القرآن كثير منه والله تعالى أعلم

*(أريد بسطة كف أستعين بها * على قضاء حقوق للعلا قبلي)*

(اللغة) الارادة المشيئة وأصله الواو لقولك راوده الا أن الواو سكنت فنقلت حركتها الى ما قبلها فانقلبت في الماضي الفا وفي المستقبل ياء وسقطت في المصدر لمجاورتها الالف الساكنة وعوض منها الهاء في الآخر تقول راودته على كذا راودة وروادا أي أردته (البسطة) السعة وانبساط الشيء على الارض ومنه قوله تعالى وزاده بسطة في العلم (الكف) تقدم الكلام عليه في قولنا ناه عن الاهل (أستعين) أصله أستعون ويأتي الكلام على ذلك في الاعراب ومعناه أطلب الاعانة (القضاء) الحكم قال الله تعالى وقضى ربك أي حكم وقد يكون بمعنى الفراغ من قضيت حاجتي وقد يكون بمعنى الاداء والانهاء تقول قضيت دين وهذا المعنى هو المراد هنا (الحقوق) جمع حق وهو خلاف الباطل والمراد به هنا ما يلزم ذمة الانسان من المروءة في الجود وما أشبهه (العلا) هو الرفعة والشان والشرف والجمع المعالي فاذا فتحت العين مددت فقلت العلاء واذا ضممت قلت العلا بالقصر (القبل) الطاقة تقول مالي به قبل أي طاقة فهو كأنه احتمال الذي يلتزم بالقيام بما في ذمته (الاعراب) أريد فعل مضارع مانيه

وما حتم الاثام أذلة
الى الذل والاعناق تنمى وتنتمي

وبلغ خبره مشمل بن قلادة وأنس بن مدرك الخثعمي فخافا الى السليك فلم يشعر الا وقد طرقاه بالخيل فانشأ يقول

من مبلغ قومي أني مقتول
يارب قرن قد تركت مجدول
ورب زوج قد فجعت بطبول
ورب عان قد فككت مكبول

ثم عطف عليه وليس له طريق للعدو فقاتلاه * ومن شعره وقد أغار بقوم فانصرفوا عنه خوفا من العطش وبقي معه رجل يسمى صردا فبكى فقال السليك منشدا

بكى صرد لما رأى الحي أعرضت
مهامه رمل دونه وسهوب
فقلت له لا تبك عينك انها
قضية ما يقضى لنا فنتوب
سيكفيك ضرب القوم لحم مغرض
وما قد ورى القصاع مشوب

أقول الضرب اللبن الحامض وما القدور المرق كأنه يقول سنستغني ونأكل اللحم بعد اللبن وقوله

ألا عتبت على فصار متني
وأعجبها فوو اللمم الطوال
أشاب الرأس أني كل يوم
أرى لي حالة وسط الرجال

أرادوا القاعدة في حرف المضارعة أنه اذا دخل على رباعي كان مضموما تقول تريد تحسن تقيم لان الماضي أراد أحسن أقام وان كان الفعل ثلاثيا مثل ضرب وذهب أو خماسيا مثل انطلق واقتتل أو سداسيا مثل استخرج واحرنجم فان حرف المضارعة يكون مفتوحا في ذلك كله تقول يضرب ويذهب وينطلق ويقتتل ويستخرج ويحرنجم وانما اعرب الفعل المضارع دون الامر والماضي لان المضارع شابه الاسم بجواز شبهه ما وجب له قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك في شرح التسهيل لذلك ينبغي أن يعلم أن المعاني التي تعرض للكلام على ضربين أحدهما ما يعرض قبل التركيب كالتصغير والجمع والمبالغة والمفاعلة والمطاوعة والطلب فهذا الضرب يلزم كل معنى من معانيه صيغة تخصه فلا حاجة الى الاعراب بالنسبة اليه والثاني من الضربين ما يعرض مع التركيب كالفاعلية والمفعولية والاضافة وكون الفعل المضارع مأمورا به أو علة أو معطوفا أو مستأنفا فهذا الضرب تتعاقب معانيه على صيغة واحدة فيفتقر الى اعراب يميز بعضها عن بعض والاسم والفعل المضارع شريكان في قبول ذلك مع التركيب فاشتركا في الاعراب لكن الاسم عند التباس بعض ما يعرض له ببعض ليس له ما يغنيه عن الاعراب لان معانيه مقصورة عليه فجعل قبوله لها واجبا الان الواجب لا يحيص عنه والفعل وان كان قابلا بالتركيب لمعان يخاف التباس بعضها ببعض فقد يغنيه عن الاعراب تقدير اسم مكانه مثل لا تعن بالجفاء ومدح عمرا فانه يحتمل أن يكون نهيا عن الفعلين مطلقا وعن الجمع بينهما وعن الجفاء وحده مع استئناف الثاني فالجزم دليل على الاول والنصب دليل على الثاني والرفع دليل على الثالث ويغني عن ذلك وضع اسم موضع كل واحد من المجزوم والمنصوب والمرفوع تقول لا تعن بالجفاء ومدح عمرو لا تعن بالجفاء مادحا عمرا ولا تعن بالجفاء ولك مدح عمرو فقد ظهر بهذا تفاوت ما بين سببي اعراب الاسم واعراب الفعل في القوة والضعف فلذلك جعل الاسم أصلا والفعل فرعا والجمع بينهما اذا ذكرته أولى من الجمع بينهما بالابهام والتخصيص ولام الابتداء ومجاراة الفعل المضارع لاسم الفاعل في الحركة والسكون لان المشابهة بهذه الامور يعزل عما جيء بالاعراب لاجله بخلاف المشابهة التي اعتبرتها الان في الفعل الماضي من مشابهة الاسم ما يقابل المشابهة المعزوة للمضارع ولعله كمل فمن ذلك ان الماضي اذا ورد مجردا من قد كان مبهما في بعد الماضي وقربه واذا اقترن بقد تخلص للقرب فهذا شبيه بابهام المضارع عند تجرده من القرائن وتخلصه للاستقبال بحرف التنفيس وأما لام الابتداء وان كان لما ضارع بها مزيد شبه بالاسم لكونها لا تدخل الا عليهما فتقاومها اللام الواقعة بعد لو فانها تصحب الاسم والفعل الماضي خاصة كقوله تعالى ولو أنهم آمنوا واتقوا والمثوبة ولو أسمعهم لتولوا وليس اعتبار تلك أولى من اعتبار هذه ولم تظفر بهذه لقاوم تلك تاء التأنيث فانها تتصل بآخر الفعل الماضي كما تتصل بآخر الاسم فحصل للماضي بذلك من مشابهة الاسم مثل ما حصل للمضارع بلام الابتداء ويقاوم لام الابتداء مباشرة قد ومنذ فان الماضي يشارك الاسم فيها دون المضارع وأما مجاراة المضارع اسم الفاعل في الحركة والسكون فالماضي غير الثلاثي شريكه فيها وانما يختص بها المضارع اذا كان الماضي على فعل مطلقا أو على فعل متعديا وللماضي ما يقاوم الغائب من اتحاد وزنه ووزن الصفة والمصدر وتقاربهما افالاتحاد نحو طاب طلبا وجلب جلبا وغلب غلبا وفرح فرحا وأشر

يشق على أن يلقين ضيما
ويقصر عن تخلصهن مالي
(وعامر بن مالك انما لاعب الاسنة بيديك)

هو عامر بن مالك بن جعفر من بني صعصعة المعروف بملاعب الاسنة ويكنى أبا براء وأمه أم البنين أنجب امرأة في العرب وذلك أنها ولدت من مالك بن جعفر خمسة أبا براء والطفيل أبا عامر بن الطفيل وربيعة أبا اليدين وزرارا ومعاوية ويسمى معوذ الحكماء وقد افتخر بها اليد عند النعمان فقال

نحن بنو أم البنين الاربعه
وانما قال الاربعة لضرورة الشعر ونصب بني على المدح وأبو براء هو رجل من فرسان العرب المشهورين وكبارهم وانما لقب ملاعب الاسنة لقول أوس بن حجر فيه

يلاعب أطراف الاسنة عامر
فراح له حظ الكتائب أجمع

وقيل لقول آخر وقد فزع عنه أخوه في حرب

فررت وأسلمت ابن أمك عامرا
يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

وقيل لقول حسان بن ثابر وقد رآه بين فرسان أطافوا به يقاتلهم ما هذا الا ملاعب الاسنة * ووفد عامر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسلم وزعم بنو جعفر أنه

ويطرفهو فرح وأشر وبطر والمقاربة نحو تعب تعبا وحسب حسبا وكذب كذبا ولاريب ان هذا التوازن فى هذا الضرب أكمل منه فى يضرب فهو ضارب فبان بما ذكرناه تفصيل ما اعتبرناه (قلت) انما أثبت هذا الفصل بطوله من كلام الشيخ جمال الدين لما فيه من الفوائد وقد خالف الاقدمين فى تعليل اعراب المضارع ومال الى هذا الرأى الذى استنبطه وقد خالفه ولده الشيخ بدر الدين ومال الى مذهب المتقدمين ولكن جمال الدين اجتهد فى الاستقراء ولطف القياس * ومثل لاتعن بالجفاء وتمدح عمر امثال النحاة فى قولهم لاتأكل السمك وتشرب اللبن يجوز فى تشرب الرفع والنصب والجزم أما اذا نصبت فيكون النهى عن أكل السمك فى حال شرب اللبن كانك قلت لاتأكل السمك شاربا اللبن واذا رفعت يكون النهى عن أكل السمك والاباحة فى شرب اللبن كانك قلت لاتأكل السمك ولك شرب اللبن وأما اذا جزمت فيكون النهى عن الجمع بينهما قيل ان الجاحظ ناظر يوحنا بن ماسويه فى هذه المسئلة فقال الجاحظ لايخلو الجمع بين السمك واللبن اما أن يكون تاجيعا متساويين أو متضادين فان تساويا كان الجمع بينهما بمنابة استعمال الكثير من احدهما وان تضادا كان كل واحد منهما يقوم بدفع ضرر الآخر فلا فائدة فى منع الجمع بينهما فقال ابن ماسويه هذا البحث ما أعرفه ولكن متى جمعت بينهما انفلجت (قلت) فات تقسيم الجاحظ قسم آخر وهو أن يكونا متخالفين كالحموضة والبياض فانها ليست ضد البياض ولا مشابهة له بل مخالفته وأما العلة فى الفالج وغيره من الآفات اللاحقة للجمع بين السمك واللبن دون انفرادهما وان تضاعف مقدار كل واحد منهما على الانفراد فهو أن المزاج يحدث للممتزج صورة لم تكن لكل واحد من المسائط كما ان السكنجبين اليسير منه يقمع الصفراء ويكسر عاديتها على الفور ولا يفعل ذلك السكر ولا الخل عند انفرادهما واعتبر ذلك بالحبر فان كل واحد من العفص والزاج ليس باسود والماء الممتزج فيه قوة كل واحد منهما يقرب من الصفرة فاذا امتزجا حدث السواد الحالك وعجائب المركبات انما تتبع الصور اللاحقة للمزاج الا ترى أن الماء المعبر عنه بابن العذراء كيف تختلف ألوانه بحسب السبق فى الاختلاط وصورته ان يدق المرتك ويعمل عليه أربعة أمثاله خل ويغلى ويصفى بالملعقة ويعزل ماؤه فى اناء ويدق القلى ويعمل عليه أربعة أمثاله ماء قراح ويغلى ويصفى بالملعقة ويعزل ماؤه فى اناء ثان فهذان الماآن اذا جمع بينهما فى اناء ثالث ظهر بلون غير لونيهما اسود أو أبيض فاذا جمع بينهما فى اناء رابع وخولف بين الصب من أحدهما على الآخر على مائة دم جاء لون آخر ضد اللون الاول وهلم جرا تبارك الله الذى أوجد عجائب هذا العالم فى مخلوقاته لا اله الا هو الفعال لما يريد (رجع الى اعراب البيت) أريد فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم (فان قلت) هذه علة عدمية والعدم لايكون علة للوجود (قلت) معنى خلوه عن الناصب والجازم وجوده على أول حالاته قبل طريان الجازم والناصب واستعمال الكلمة على أول حالاتها ليس بأمر عدمى وانما اخترت هذه العبارة وان كانت رأى الكوفيين لانها أقوى حجة من مذهب البصريين فانهم قالوا أعرب بالرفع لوقوعه موقع الاسم وهو باطل لانهم اما أن يريدوا موقعا هو للاسم بالاصالة سواء جاز وقوع الاسم فيه كما فى نحو يقوم زيد أو امتنع منه كما فى نحو جعل زيد يفعل واما موقعا هو للاسم مطلقا فان أرادوا الاول فهو باطل برفع المضارع بعد لو وحرف التحضيض لانه ليس للاسم بالاصالة وان أرادوا الثانى فهو باطل أيضا

مات مسلما حيث حدث خالد بن عبد الله قال قدم عامر ابن مالك أبو براء ملاعب الاسنة وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له فرسين ورواحلتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قبلت هدية مشرك قبلت هديتك وعرض عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد انى أرى أمرك هذا حسنا شريفا وقومى خلفى فلو أنك بعثت نفرا من أصحابك لرجوت أن يجيبوا دعوتك ويتبعوا أمرك فان تبعوك فما أعز أمرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أخاف عليهم أهل نجد فقال عامر لاتخف انى جار لهم ان تعرض لهم أحد من أهل نجد فبعث معه أربعين رجلا من الانصار وقيل سبعين وأمر عليهم المنذر بن عمرو فلما نزلوا بماء من مياه بنى سليم يقال له بئر معونة عسكر وا وسرحوا ظهورهم وبعثوا مع سرحهم الحرث بن الصمة وعمرو بن امية وقدموا حزام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل فى رجال من بنى عامر فلما انتهى حزام لم يقرؤا الكتاب ووثب عامر بن الطفيل على حزام فقتله واستصرخ عليهم بنى عامر فابوا وقد كان عامر

لعدم رفع المضارع بعد ان الشرطية لانه موضع صالح للاسم فى الجملة كقوله تعالى وان أحد من المشركين استجارك فاجره (بسطة) مفعول به فلهذا نصبه وفى المفعول به كلام طويل وبحث حسن ادخرتهما لغير هذا المكان (كف) مضاف اليه فلهذا جر (أستعين) فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم كما تقدم وأصله أستعون من العون فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت الى العين ثم قلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ووضعه النصب على ثلاثة أوجه اما على انه مفعول لاجله أى أريد بسطة كف للاعانة على قضاء الحقوق أو على انه حال أى أريد بسطة كف مستعينا على كذا أو على الصفة لبسطة أى بسطة كف معينة لى (بها) جار ومجرور ولم يظهر الجر لان الضمائر كلها مبنية لشبهها بالحروف فى الوضع وسيأتى الكلام على الضمائر (على قضاء) على حرف جر وسيأتى الكلام على تقسيمها قضاء مجرور بعلى (حقوق) مجرور بالاضافة الى قضاء (للعلا) جار ومجرور ولم يظهر الجر فيه لانه مقصور واللام تكون للملك نحو المال لزيد ولشبه الملك نحو الباب للدار وللتعدية نحو قوله تعالى فهب لى من لدنك وليا وللتعليل نحو جئتك لاكرامك وزائدة لتقوية عامل ضعف بالتأخير أو بكونه فرعا عن غيره فالاول نحو قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون وقوله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون والثانى نحو قوله تعالى مصدق لما معهم وقوله تعالى فعال لما يريد فاللام فى بيت الطغرائى معناها شبه الملك وقد رأيت مصنفا لابى القاسم الزجاجى قد قسم اللام فيه الى أحد وثلاثين قسما وفصلها وذكر على كل قسم شواهده ولا باس بسردها هنا من غير تمثيل وهى لام التعريف ولام الملك ولام الاستحقاق ولام كى ولام الجحود ولام ان ولام الابتداء ولام التعجب ولام تدخل على المقسم به ولام جواب القسم ولام المستغاث به ولام المستغاث من أجله ولام الامر ولام المضمر ولام تدخل فى النفى بين المضاف والمضاف اليه ولام تدخل فى النداء بين المضاف والمضاف اليه ولام تدخل فى الفعل المستقبل لازمة فى القسم لا يجوز حذفها ولام تلزم ان المكسورة اذا خففت من الثقيلة ولام العاقبة وسماها الكوفيون لام الصيرورة ولام التبيين ولام لولا ولولا ولام التكثير ولام تكون بمعنى عند ولام تزاد فى لعل ولام ايضاح المفعول من أجله ولام تعاقب حروفا وتعاقبها ولام البين ولام تكون بمعنى الى ولام الشرط ولام توصل الافعال الى مفعولين (قبلى) منصوب بنزع الخافض على انه ظرف مكان معنى كانه قال على قضاء حقوق للعلا فى طوقى ووسعى وما أقدر على الاتيان به والعامل فيه متعلق الجار والمجرور فى العلا تقديره حقوق استقرت للعلا فى قبلى (المعنى) أحاول من الزمان بسطة كف من المال المتسع لاجل الاعانة على وفاء حقوق استقرت فى ذمتى للعلا وكنى عن الغنى ببسطة الكف لان الغنى يبسط كفه بالنفقة وكل غنى منفق باسط كفه ومازال الانفاق يسمى بسطا والامساك قبضا قال الله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وفى الآية الاولى اشكالان فى الظاهر تمسك بهما الملاحدة أحدهما أن اليهود مطبقون على أنهم لم يقولوا هذا الكلام فى حق الله تعالى فكيف يخبر الله تعالى عنهم بما لا يقولونه ولا يعتقدونه والجواب من وجوه الاول وهو مذهب الحسن رضى الله عنه أن المراد بهذا الكلام قولهم ان الله لا يعذبنا الا على قدر الايام التى عبدنا فيها العجل الا أنهم عبروا عن هذا المعنى بهذه العبارة

ابن مالك خرج قبل القوم الى ناحية نجد وأخبرهم انه جار أصحاب محمد فلا تتعرضوا لهم فقالوا ان نخفر جوار أبى براء وأبوا أن ينفروا مع ابن الطفيل فاستصرخ قبائل من بنى سليم فنفروا معه وراسوه عليهم فقال ابن الطفيل أقسم بالله ما أقتل هذا وحده فاتبعوا أثره حتى وجدوا القوم فقاتل القوم حتى قتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقى المنذر ابن عمرو فقالوا له ان شئت أمناك فقال لن أقبل منكم أمانا حتى آتى مقتل حرام فأمنوه حتى أتى مصرعه ثم برئوا من أمانه فقاتلهم حتى قتل وأقبل الحرث بن الصمة وعمرو بن أمية بالسرح وقد ارتابا بعكوف الطير قريبا من منزلهم فجعلا يقولان قتل والله أصحابنا ثم أوفيا على نشز من الارض فاذا أصحابهما مقتولون والخيل واقفة فقال الحرث لعمرو ما ترى قال أرى أن الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فقال الحرث ما كنت لاتأخر عن موطن قتل فيه المنذر فقاتلا فلقيا القوم فقاتلهم الحرث حتى قتل منهم اثنين ثم أخذوه فأسروه وأسروا عمرو بن أمية وقالوا للحرث ما تحب ان نصنع بك فانا لا نحب قتلك فقال أبلغوا

الفاسدة * الثانى قال المفسرون ان اليهود كانوا أكثر الناس أموالا وثروة ولما بعث صلى الله عليه وسلم ضاقت عليهم معايشهم ومنعوا من التكسب لاشتغالهم بأمره ومحاربته والجاهل اذا وقع فى البلاء والشدة يقول مثل هذه المقالة * الثالث انهم لما رأوا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى غاية الفقر والحاجة قالوا على وجه السخرية والاستهزاء ان الله محمد فقير مغلول اليد لا ينفق علينا شيأ * الرابع لعله كان فيهم من يرى رأى الفلاسفة ويقول انه يوجب بالذات لا يحدث الحوادث الا على نهج واحد وسنن واحد ولا يتعدى ذلك والفاعل المختار يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فهو كما قال تعالى كل يوم هو فى شان أى لا يزال فى ابداع شئون فعبر الفلسفى من اليهود عن هذا المعنى بهذه العبارة * الخامس لعل هذا الكلام صدر منهم على هذا النظام فى ذلك العصر وان لم يكن الآن فيهم من يعتقده كما نسبوا الى عبادة العجل وقولهم عزير ابن الله وان لم يكن الآن فيهم من يعتقده * والاشكال الثانى فى قوله تعالى بل يداه مبسوطتان قالوا تقرر بالدليل القطعى والبرهان العقلى أن الله تعالى ليس بجسم وهذه الآية تشعر بالجسمية والجواب ان اليد فى اللغة تطلق على معان منها الجارحة ومنها النعمة تقول له على يد أى نعمة ومنها القوة تقول مالى بهذا الامر يد أى قوة تدفع قال الله تعالى أولى الأيدى والابصار فسروه بذوى القوى والعقول ومنها الملك تقول هذه الضيعة فى يدى قال الله تعالى الذى بيده عقدة النكاح أى يملك ذلك فالاولى يمتنع اثباتها فى حق الله تعالى ولا يمتنع فى حقه تعالى اثبات البواقى * بقى سؤال آخر ما الفائدة فى تثنية اليد هنا الجواب ان فسرنا اليد بالنعمة فالمراد نعمة الدنيا ونعمة الدين أو الباطنة والظاهرة أو ما يتعلق بالدنيا والآخرة وان أردنا القوة فالمراد الاقتدار على الموت والحياة أو الخذلان والنصر أو الغنى والفقر وما أشبه ذلك وان أردنا الملك فالمراد ملك الدنيا والآخرة أو الايمان والكفر أو السعادة والشقاوة وما أشبه ذلك فعلى كل تقدير من التفسير يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء أى متمكن من اعطاء الدنيا والدين أو الامانة والاحياء أو الاسعاد والاشقاء ردا عليهم فيما زعموه (حكى) أن بعضهم كان من المسرفين على نفسه فلما توفى رآه بعض من كان يعلم حال باطنه فقال له ما فعل الله بك قال غفر لى قال بماذا قال كنت اذا تلوت هذه الآية قلت غلت أيديهم وأطلت التشديد فى اللام كالمتشفى بهم اه ولم أطل الكلام هنا الا لأن لفظ اليد يقع فى القرآن والحديث كثيرا وفى هذا ما يزيل تلك الشكوك وكتاب تأسيس التقديس للامام فخر الدين فى هذا الباب جيد نافع للغاية ولقد رأيت بعضهم بالغ فى اثبات اليد واستشهد على ذلك بقوله تعالى والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون فسقطت من كلامه مقهقها وتقهقرت متدهدها وقالت له الايد هنا القوة كالآد والتأييد ومنه المؤيد ولو كان المراد به جمع يد لأثبت الياء فى آخره[٣] فقال بايدى لان هذه أصليه لا يجوز حذفها لان أصل يديدى والجمع يرد الاشياء الى أصولها فلم يحر جوابا (رجع) الى معنى البيت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعط كل منفق خلفا وكل ممسك تلفا وما ظلم الطغرائى فى طلب المال لانفاقه فيما يكتسب به المحامد ويغنم به الاجور قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح مع الرجل الصالح وقال الحسن رضى الله عنه اذا أردت أن تعرف من أين أصاب الرجل ماله فانظر فيما ينفقه فان الخبيث ينفق فى السرف وقال أبو ذر أموال الناس تشبه الناس وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يأمر

فى مصرع المنذر وبرئت ذمتكم فيلغوا به مصرع الرجل ثم أطلقوه فقاتلهم وقتل منهم اثنين فشرعوا له الرماح حتى نظموه فيها قتلا وقال عامر بن الطفيل لعمرو بن أمية وهو أسير فى أيديهم لم يقاتل انه كانت على أمى نسمة فأنت حر عنها وجز ناصيته فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بئر معونة جعل يقول هذا عمل أبى براء قد كنت لهذا كارها وودعا على من قتلهم بعد الصبح فى الركعة الثانية من صبح تلك الليلة التى جاءه فيها الخبر فلما قال سمع الله لمن حمده قال اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم عليك ببنى ذكوان وعصية فانهم عصوا الله ورسوله قال ذلك خمس عشرة ليلة حتى نزلت الآية ليس لك من الامر شئ ثم أقبل أبو براء سائرا وهو شيخ كبير هرم فأخبر بما فعل ابن الطفيل فشق ذلك عليه ولا حركة به من الضعف وقال أخفر فى ابن أخى مرتين وسار حتى لحق ابن الطفيل فطعنه بالرمح فأخطأ مقتله وقيل كان الطاعن ربيعة ولده فتصايح الناس فقال ابن الطفيل انها لم تضرنى وقد وهبتها للعمى وانصرف عنه ونزل عامر بن مالك بقومه فدعاهم الى الارتحال الى النبى صلى الله عليه وسلم

[٣] قوله لأثبت الياء الى آخره هذا سهو لان الياء لا تثبت فيه رفعا وجرا اه

الاغنياء باتخاذ الغنم ويامر الفقراء باتخاذ الدجاج وفى المثل مال المرء موئله وقوته قوته وقال بعضهم اثنان لا أدرى أيهما أمر موت الغنى أم حياة الفقير قال بعض الشعراء

ومارفع النفس الدنيئة كالغنى * ولا وضع النفس الشريفة كالفقر

وقال ابن المعتز

اذا كنت ذا ثروة فى الورى * فأنت المسوّد فى العالم
وحسبك من نسب صورة * تخبر أنك من آدم

(ولما) توجه المعز أبو تميم معد بن منصور العبيدى الى الديار المصرية بعد ما وصل غلامه القائد جوهر وملك مصر واختط له القاهرة وكان العبيديون ينتسبون الى فاطمة رضى الله عنها خرج الناس الى لقائه ولما قرب من مصر واجتمع به الاشراف قال له من بينهم أبو محمد عبد الله بن طباطبا العلوى الحسنى من ينتسب مولانا فقال له المعز سنعقد لكم مجلسا ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس فى مجلس عام وجلس لهم وقال هل بقى من رؤسائكم أحد فقالوا لم يبق معتبر فسل عند ذلك سيفه وقال هذا نسبى ونثر عليهم ذهبا كثيرا وقال هذا حسبى فقالوا جميعا سمعنا وأطعنا ومازال هؤلاء الخلفاء بمصر يدعون الشرف ويقولون نحن من ولد فاطمة يريدون بذلك التعجيز على بنى العباس خلفاء بغداد فيقولون أبوناعلى بن أبى طالب وأمنا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم الحاكم وكان فى كل جمعة يقول مثل هذا على المنبر وكانت الرقاع ترفع اليه وهو على المنبر فى أشغال الناس فرفعت اليه رقعة فيها

انا سمعنا نسبا منكرا * يتلى على المنبر فى الجامع
ان كنت فيما قلته صادقا * فانسب لنا نفسك كالطائع
أو كان حقا كل ما تدعى * فاعد لنا بعد الاب السابع
أو فدع الاشياء مستورة * وادخل بنا فى النسب الواسع

فرماها من يده ولم ينتسب فيما بعد والقيمون بعلم الانساب والتواريخ لا يثبتون لهم هذه النسبة (قلت) كذا رأيت جماعة من الفضلاء يروون هذه الواقعة للحاكم وليس بشئ لان الحاكم توفى سنة احدى عشرة وأربعمائة وكان الخليفة ببغداد اذ ذاك القادر بالله لانه توفى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة والطائع لله تقلد الامر سنة ثلاث وستين وثلثمائة وخلع من الخلافة سنة احدى وثمانين وثلثمائة وتوفى بخلوعا سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة والذى كان خليفة بمصر فى أيامه انما هو العزيز أبو منصور نزار بن المعز لانه ولى الامر سنة خمس وستين وثلثمائة ومات سنة ست وثمانين وثلثمائة واذا كان كذلك فصاحب الواقعة انما هو العزيز وهو والد الحاكم بل الذى اتفق للحاكم أنه كان يدعى علم الغيب فيقول فلان قال فى بيته كذا وكذا وفعل كذا وكذا وكان ذلك باتفاق اعتمده مع العجائز اللاتى يدخلن بيوت الناس ويتجسس أخبارهم فرفعت اليه رقعة مكتوب فيها

بالظلم والجور قد رضينا * وليس بالكذب والحماقه
ان كنت أوتيت علم غيب * بين لنا كاتب البطاقه

فسكت بعد ذلك عن الكلام فى المغيبات وقيل ان ذلك اتفق للعزيز أيضا (رجع) وما يعد

وطلب ثار القتلى الذين كانوا فى جواره فثنا قلوا عليه وقال له بعض بنى أخيه انهم يقولون انه حدث لك عارض فى عقلك فدعا ابن أخيه البيد وقينة له فشرب وقال لها غنى ثم قال يا لبيد لو حدث بعملك حدث ما كنت قائلا فان قومك يزعمون ان عقله ذهب والموت خير من ذهاب العقل وبعضهم يرويها من عزوب العقل وقال يا لبيد اسمع

قوما تنوحان مع الانواح
فأبنا ملاعب الرماح
أبا براء مدره الشياح

كان غياث المرمل المتاح وهى من أبيات ثم شرب أبو براء الخمر صرفا حتى مات وهو يقول لا خير فى العيش وقد عصتنى بنو عامر و بنو جعفر يزعمون انه مات مسلما وكان شريف بيته يزعمون انه لما تنافر ابن أخيه عامر بن الطفيل مع علقمة بن علاثة سأل عمه الاعانة فأعطاه نعليه وقال استعن بهما فى مفاخرتك فانى ربعت فيهما أربعين مربعا مع انه كان كارها للمنافرة وفى ذلك يقول

أؤمر ان أسب بنى شريح
ولا والله افعل ما حييت
ومن احسن ما سمعت من شعره قوله

أن الطغرائي كان ذا نفس شريفة سخية وهمة عالية يؤثر المال لينفقه في مصارفه ومن شعره رحمه الله وقد تقدم ذكره في المقدمة

سأحجب عني أسرتي عند عسرتي * وأبرز فيهم ان أصبت ثراه
ولي أسوة بالبدر ينفق نوره * فيخفى الى أن يستجد ضياه

وهذه نفوس الاشراف تظهر عند الثروة طالبا للانفاق وتخفى عند الفقر طلبا للكتمان حالها فلا تكاف الناس سؤالا وما أحسن قول القائل

اسقني خمرة كرقة ديني * أو كعقلي ولا أقول كحالي
خيفة من توهم الناس أني * قلت هذا في معرض لسؤالي

ولقائل أن يقول على كل حال تعرض للسؤال كما قالوا في حق الغزالي لما أنشد قوله

خلت الديار فسدت غير مسود * ومن العناء تفردي بالسودد

قالوا أراد بهذا التواضع وهو قد ترفع لانه ادعى انفراده بالسودد ومن قول الاول قول الآخر ولكنه زاد في تعداد المتصف بالرقة حيث قال

ولم أدر اذ رق النسيم وعيشنا * وصوت مغنينا وصهباء قرقف
أعيشي أم صوت المغني أم الصبا * أم الكاس أم ديني أرق وأضعف

وقد ظرف في تأخير ذكر دينه لانه اخر ما في السمع قبل ذكر الرقة والضعف وأما الاول فان ذكر دينه افسح وطال عهد السامع به وهذا من أنواع البلاغة وقلت أنا

أقول لهم قد رق عيشي والصبا * وعقلي وكاساتي وصوت الذي غنى
فقال الذي أهوى وخصري نسيته * فقلت له والله قد جئت في المعنى

وقول الطغرائي * وأبرز فيهم ان أصبت ثراء * من قول الآخر

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن

(حكي) ان الامير بدر الدين بيليك الخازندار أحضره الى القاهرة تاجر كان يحسن اليه وهو في رقه فلما باعه تنقلت به الايام الى ما صار اليه وافتقر التاجر فيما بعد فحضر اليه بالديار المصرية وكتب له رقعة فيها هذان البيتان

كنا جميعين في بؤس نكابده * والقلب والطرف منا في أذى وقذى
والآن أقبلت الدنيا عليك بما * تهوى فلا تنسني ان الكرام اذا

اشارة الى البيت المتقدم فأعطاه عشرة آلاف درهم (قلت) وهذا عندي أشرف من التضمين الكامل وأطرب للفهم وأعذب للسمع وفيه من البلاغة حسن التضمين مع ما في ذلك من الاختصار الذي هو من أشرف أنواع البلاغة لانه يرفع عن الخاطب مؤنة الاصغاء ويقرع السمع بما هو محفوظ مقرر في الذهن (أنشدني) من لفظه لنفسه المولى صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي بالباب وبراعة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة من أبيات

لا ترك مالي تركك * مادين حبي شركك
حواجب وعيون * لها بقلبي فتك
كالقوس يرمي وهذي * تشكي المحب وتشكو

(وقال آخر)

لله أنا آتانا عن الضيف بالقرى
وألهتنا عن عرض والده ذبا
وأدخلنا البيت من قبل استه
اذا القور ابدى من جوانبه ركبا

القور الاكم والجبال الصغار يعني ان البغيل اذا كان جالسا بفنائه فرأى راكبا قد لاح من القور زحف بظهره داخلا الى بيته فرارا وخشية من الضيف كيلا يراه فيطرقه

(وقيس بن زهير انما استعان بدهائك)

هو قيس بن زهير بن جذيمة العبسي صاحب الحروب بين عبس وذبيان بسبب الفرسين داحس والغبراء كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه كان فارسا شاعرا داهية يضرب به المثل فيقال أدهى من قيس (حكي) المدائني ان رجلا مر بحي الاحوص فلما دنا من القوم حيث يرونه نزل عن راحلته فأتى شجرة فعلق عليها وطبا من لبن ووضع في بعض أغصانها حنظلة ووضع صرة من تراب وصرة من شوك ثم أتى راحلته فاستوى عليها وذهب فنظر الاحوص والقوم في أمره فعي به فقال أرسلوا الى قيس بن زهير فجاءه فقال له الاحوص ألم تخبرني انه لا يرد عليك أمر الا عرفت مأتاه فما لم

يتبادلان فينصفا * ن وليس بينهما ارتياب
فيصيب هذا ماءذا * كالبحر يمطره السحاب

(وقال) ابن سناء الملك

وظبي حكى ريم الفلا في نفاره * فيا باله لم يحكه في التلفت
يدافعني عن وصله بتهيم * فيا ليته لو كان يدفع بالتي

(وقال أيضا)

والجد مر طعمه * لا تحسبن الجد تمرا

(وقال) شرف الدين شيخ الشيوخ بحماة

راموا فطامي عن هوى * غذيته طفلا وكهلا
فوضعت في جيبي يدي وقلت خلوني والا

أنشدني من لفظه لنفسه المولى شهاب الدين الحسيني ابن قاضي العسكر كاتب الدرج السلطاني بالقاهرة سنة سبع وعشرين وسبعمائة من جملة قصيدة طويلة

ولما وقفنا بالمطايا عشية * على الطلل البالي وقلنا له ألا
أذنا لاخلاف الدموع فاخلفت * وفاضت الى ان أنبت العشب والكلا

الاشارة في البيت الاول وقلت أنا

علقتها من بنات الترك قد غنيت * بدمع عاشقها عن منة الشنف
يلقى المتيم من تثقيف قامتها * مالا يلاقيه كوفي من الثقفي
اني لاعجب للعذال كيف رأوا * شخصي وقد رحت ذا روح تردد في

(وقلت أيضا)

رشفت ريقك حلوا * فلم يكن لي صبر
وسوف أحظى بوصل * وأول الغيث قطر

(وقلت أيضا)

فك من هجرك شعرا * أو شانه برحاف
وقل لمن لام فيه * على تحت القوافي

وقال ابن القيسراني ومن خطه نقلت

أهيم الى العذب من ريقه * اذا هيم العاشقين العذيب
شهدت عليه وما ذقته * يقينا ولكن من الغيب غيب

قيل ان المبرد بعث غلامه الى غلام يحبه وقال له بحضرة الناس امض اليه فان رأيته فلا تقل له وان لم تره فقل له فذهب الغلام ورجع فقال لم أره فقلت له فجاءه فلم يجئ فسئل الغلام عن معنى ذلك فقال أنفذني الى غلام يهواه فقال ان رأيت مولاه فلا تقل له شيأ وان لم ترمولاه فادعه فذهبت فلم أر مولاه فقلت له فجاءه مولاه فلم يجئ الغلام (رجع) الى ذكر الامير بدر الدين بيلبك الخازندار حكى أن الملك الظاهر لما استعرضه ليشتريه قال له التاجر يا خوند انه يحسن الكتابة والقراءة فأحضرت له دواة وقلم وقدما اليه ليكتب شيأ يراه فكتب

لولا الضرورات ما فارقتكم أبدا * ولا تنقلت من ناس الى ناس

ترنو اصي الخيل قال فما الخبر
فاعلموه فقال وضح الصبح
لذي عينين فصار مثلا
يضرب في وضوح الشئ ثم
قال هذا رجل أسره جيش
قاصدكم ثم أطلق بعد أن
أخذت عليه العهود والمواثيق
أن لا ينذركم فعرض لكم
بما فعل أما الصرة من التراب
فانه يزعم انه قد أتاكم عدد
كثير وأما الحنظلة فانه يخبر
أن بني حنظلة غزتكم وأما
الشوك فانه يخبر أن لهم شوكة
وأما اللبن فهو دليل على
قرب القوم أو بعدهم ان كان
حلوا أو حامضا فاستعد
الاحوص وورد الجيش كما
ذكر (وحكى) أن النعمان بن
المنذر ارسل الى أبيه زهير
يخطب ابنته وسأله أن يبعث
اليه بعض بنيه فأرسل اليه
ولده شاسا فلما قدم عليه
اكرمه وأحسن جائزته ورده
الى أبيه وعرض عليه ان
يتبعه قوما يحفرونه فقال
لا شئ أمنع لي من نسبتي الى
أبي وخرج وحده فحفر عاما من
مياه بني غني فأكل وشرب
ونزل الى الماء يغتسل وكان
رياح بن الاشل الغنوي نازلا
في بيته على الماء ومعه امرأته
فرآها تحد النظر الى جسد
شاس وقد شما منه رائحة
المسك فاخذته غيرة فتفوق
اليهما فقتله وغيب أثره
وأخذ ما معه وكان معه عيبة

فأعجب الملك الاستشهاد بهذا البيت ورغبه ذلك فى مشتراه (وحكى) ان انسانا رفع قصة الى الصاحب كمال الدين بن العديم فأعجبه خطها فامسكها وقال لرافعها هذا خطك قال لا ولكن حضرت الى باب مولانا فوجدت بعض عماليكه فكتبها الى فقال على به فلما حضر وجده مملوكه الذى يحمل مداسه وكان عنده فى حال غير مرضية فقال هذا خطك قال نعم قال هذه طريقتى من هو الذى أوقفك عليها فقال يا مولانا كنت اذا وقعت لاحد على قصة أخذتها منه وسألته المهلة على حتى أكتب عليها سطرين أو ثلاثة فامره ان يكتب بين يديه ليراه فكتب

وما تنفع الآداب والعلم والحجى * وصاحبها عند الكمال يموت

فكان اعجاب الصاحب بالاستشهاد أكثر من الخط ورفع منزلته عنده حينئذ وقد عرض بعض أهل العصر يذكر الشيخين صدر الدين وكمال الدين فقال

مولاى صدر الدين ان زرته * أسعده الله على كل حال
رأيت حظى عنده وافرا * فصح ان النقص عند الكمال

(رجع الى قوله أريد بسطة كف) أما حب المال وطلبه للانفاق فما زال الشعراء يتداولون معناه قال أبو اسحق الغزى

لو تملك الدنيا يدى لأرحت من * يمسى ويصبح طالبا محتاثا
وقسمتها بينى وبين أصادقى * وعداى غير مميز أثلاثا

وقال بعض أهل الاندلس وهو مشهور

لحا الله دهرا خصنى بخصاصة * وأقعدنى عما سعى فيه أمثالى
تنوب صديقى نائبات زمانه * فيقعدنى عن رفده قلة المال
فوا أسفا من مكرمات أرومها * فينهضنى عزمى ويقعدنى حالى

وأشهر منه قول الآخر

والهف نفسى على مال أفرقه * على المقلين من أهل المروآت
ان اعتذارى الى من جاء يسألنى * ما ليس عندى من احدى المصيبات

(وقال آخر)

النفس ملأى من المعالى * والكيس صفر الجنان خالى
فليت مالى كمثل فضلى * وليت فضلى كمثل مالى

وقال أبو الحسين الجزار

لقد رضى الرحمن عن كل منفق * خلا بالنا تلقى رضا الله بالسخط
معيب على الانسان يعطيه ربه * بغير حساب وهو يحسب ما يعطى

وقال صالح بن صالح الشنتريني

أحب لذى قربى وصل ذا وسيلة * وقم بالحقوق الواجبات اللوازم
أما انني لو نلت أيسر يسرة * لكانت لكفى بسطة فى المكارم
فآها لعصر مثل أهليه جاهل * ودهر لابناء المروة ظالم

(وقال آخر)

يعز على أن أرى ذا مروة * من الناس لا أستطيع تغيير حاله

مملوءة مسكا وعطرا من عطر النعمان وحللا من ثيابه وأبطأ خبر شاس عن زهير فأخبر بما انصرف به من عند النعمان ولم يدر من قتله فقلق لذلك فقال قيس يا أبت أنا أكشف لك خبر أخى ثم دعا بامرأة حازمة من نساء قومه وكانت لسنة شديدة فامرها ان تأخذ لحما سمينا فتقدده وتخرج به الى بنى عامر وغنى وتعرض ذلك عليهم وتقول انى قد زوجت ابنتى وأنا أبتغى لها طيبا وثيابا ففعلت الى ان وقعت على امرأة الغنوى فقالت لها ان كتمت على أعطيتك حاجتك وأخبرتها بامر شاس وأعطتها مسكا وثيابا وباعتها ذلك بما معها من الشحم واللحم وخرجت العبسية حتى أتت قيسا فأخبرته فاخبر أباه فركب فى قوم من بنى عبس وأغار على غنى فقتلهم وفرقهم (وحكى) انه فى بعض حروبه لبنى ذبيان وهو يوم الشعب المشهور صعد بالجيش والنعم الى الجبل وعقل الابل عشرة أيام لا تشرب والماء كثير تحت الجبل فلما هجمت بنو ذبيان بالصعود الى الجبل حل عقال الابل وأمسك بذنب كل بعير رجل معه سلاحه فمرت الابل طالبة الماء لا تمر بشئ الا حطمته والرجال فى

ولو كان لي مال لصادف مالكا * يجود ببذل المال قبل سؤاله

وقال مسلم بن الوليد

عند الحوادث من أخيك عزيمة * حصداء مبرمة وعقل فاضل
عرف الحقوق وقصرت أمواله * عنها وضاق بها الغني الباخل

(وقال آخر)

أرى نفسي تتسوق الى أمور * يقصر دون مبلغهن مالي
فلا نفسي تطاوعني بخيل * ولا مالي يبلغني فعالي

(وقال آخر)

رزقت لبا ولم أرزق مروءته * وما المروءة الا كثرة المال
اذا أردت مساماة تقاعدني * عما أحاول منها رقة الحال

(وقال آخر)

الناس صنفان في زماننا ذا * لو تبتغي غير ذين لم تجد
هذا بخيل وعنده سعة * وذا جواد بغير ذات يد

زعمت الرواة انهما لم تسمع للاحنف بن قيس الا هذين البيتين وهما

فلو مد دهري بمال كثير * لجدت وكنت له باذلا
فان المروءة لا تستطاع * اذا لم يكن مالها فاضلا

وما أحسن قول ابن نباتة السعدي

مثل خلعت على الزمان رداءه * عدم الدراهم آفة الأجواد

وقال الوزير سهل بن هرون

ولكنما أبكي بعين سخينة * على حدث تبكي له عين أمثالي
وما الفضل الا أن تجود بنائل * والا لقاء الخل ذي الخلق العالي
فواحسرتي حتى متى أنا موجع * بفقد خليل أو تعذر افضالي
فراق خليل لا يقوم به الاسى * وخلة حر لا يقوم بها مالي

وقال ابن سناء الملك

ثقل الزمان علي حتى خف بين الناس وزني
ألقى الصديق بلا ثرا * ء والعدو بلا محن

ومما نظمته أنا

وقائلة قيم اجتهادك للغنى * وقد رقدت للحظ منك عيون
فقلت لها والله مالي حاجة * لتحصيل دنيا فالامور تهون
ولكن حقوق للعلا قد ترتبت * على ذمتي مفروضة وديون
فلو وجدت كفي لبرات ساحتي * وكنت أريك الجود كيف يكون

ومما قلت أيضا

أنا ان لم أجد في كسب مال * هات قل لي بالله كيف أجود
واذا لم أسد خلة حر * هات قل لي بالله كيف أسود

أعقابها تضرب فمن مرت به فكانت الهزيمة على بني ذبيان (وحكي) انه لما تطاولت الحروب بينه وبين حذيفة وحمل ابني بدر الذبيانيين جمع جمعا عظيما وبلغ بني عبس انهم قد ساروا اليهم فقال قيس أطيعوني فوالله لئن لم تفعلوا لا تكونن على سيفي الى أن يخرج من ظهري قالوا فانا نطيعك فأمرهم فسرحوا السوام والضعاف بليل وهم يريدون أن يظعنوا من منزلهم ذلك ثم ارتحلوا في الصبح وأصبحوا على ظهر العقبة وقد مضى سوامهم وضعفاؤهم فلما أصبحوا اطلعت عليهم الخيل من الثنايا فقال قيس خذوا غير طريق المال فلا حاجة للقوم أن يقعوا في شوكتكم ولا يريدون غير ذهاب أموالكم فأخذوا غير طريق المال فلما أدرك حذيفة الاثر ورآه قال أبعدهم الله وما خيرهم بعد ذهاب أموالهم وسارت ظعن عبس والمقاتلة من ورائهم وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال فلما أدركوه ردوا أوله على آخره ولم يفلت منهم شيء وجعل الرجل يطرد ما قدر عليه من الابل فيذهب بها وينفرد واشتد الحر فقال قيس يا قوم ان القوم قد فرق بينهم الغنم واشتغلوا فاعطفوا الخيل في آثارهم

وما يطلب المال الا للانفاق وبلوغ المقاصد وابلاغ القاصد كما ان السيف للذب والردع والمدية للقط والقطع وما أحسن قول أبي العتاهية في عبد الله بن معن من أبيات

فصغ ما كنت حليت * بسيفك خلخالا
فما تصنع بالسيف * اذا لم تك قتالا

يقال ان عبد الله قال ما لبست سيفي قط فرأيت انسانا يلمعني الا ظننته يحفظ قول أبي العتاهية في ومثل هذا ما قاله ابن نقيل في عبد الملك بن عمير القاضي

اذا كلمته ذات حاجة * فهم بأن يقضي تنحنح أو سعل

قال عبد الملك تركني والله وان السعلة تعرض لي في الخلاء فاذكر قوله فأهاب أن أسعل ومدح عبد الله بن الزبير الاسدي أسماء بن خارجة الفزاري فقال * تراه اذا ما جئته متهللا * البيتين فأثابه ثوابا لم يرضه فغضب عبد الله وقال يهجوه

فوالله لولا رهن هند بنظرها * لعد أبوها في اللئام المفالس
بنت لكم هند بتلديغ بظرها * دكاكين جص عاليات الحالس

فركب اليه أسماء وأرضاه وكان يقول بعد ذلك والله ما رأيت جصا في بناء ولا غيره الا ذكرت بظر أختكم هند يقال ان الهادي كان بنو العباس يسمونه موسى أطبق لانه كان يفتح فاه كثيرا فرتب المهدي في خدمته خادما يلاحظه أبدا فمتى سها عن نفسه وفتح فاه قال له موسى أطبق (رجع) عن أبي ذر رضي الله عنه انما مالك لك أو للعاجلة أو للوراثة فلا تكن أعجز الثلاثة وقال سعيد بن المسيب لا خير فيمن لا يكسب المال ليكف به وجهه ويؤدي به أمانته ويصل به رحمه وما أحسن ما عيرها ابن الجهم عن جمع المال طلبا للانفاق في قوله

وما تجمع الاموال الا لبذلها * كما لا يساق الهدي الا الى النحر

ومثله قول مسلم بن الوليد

تاتي البدور فتغنيها صنائعه * وما تنس منها كف منتقد
لا يعرف المال الا عند نافلة * ويوم يجمعه للنهب والبدد

وقال النضر بن جؤية

قالت طريفة ما تبقي دراهمنا * وما بنا سرف فيها ولا خرق
انا اذا اجتمعت يوما دراهمنا * ظلت الى طرق المعروف تستبق
لا يالف الدرهم المضروب صرتنا * لكن يمر عليها وهو منطلق

وبالغ أبو الطيب في قوله

وكلما لقي الدينار صاحبه * في ملكه افترقا من قبل يصطحبا
مال كأن غراب البين يرقبه * فكلما قيل هذا مجتد نعبا

هذا البيت الاول من معاني ابي الطيب التي يناقض آخرها أولها لانه قرر أولا أن الدينار يلقى صاحبه ثم قال يفترقان قبل اصطحابهما وهذا تناقض وكذا قوله

أعدى الزمان سخاؤه فسخا به * ولقد يكون به الزمان بخيلا

فقرران سخاءه أعدى الزمان فهذا دليل على وجوده ثم قال فسخا الزمان به اي أوجده والشيء لا يتقدم على وجود نفسه ولكن هذا النوع من المبالغات التي تخرج الى حد الاستحالة فتفيد

فلم يشعر بنو ذبيان الا بالخيل فلم يقاتلهم كثيرا أحد وانما كان هم الرجل في غنيمته أن يحوزها ويمضي فوضعت بنو عبس فيهم السلاح حتى ناشدتهم بنو ذبيان البقية ولم يكن لهم هم غير حذيفة فارسلوا الخيل تقص أثرهم وكان حذيفة قد استرخى حزام فرسه فنزل عنه ووضع رجله على حجر مخافة أن يقص أثره ثم شد الحزام فعرفوا حنف فرسه والحنف أن تميل احدى اليدين على الاخرى فتبعوه ومضى حتى استغاث بجفر الهباءة وهو موضع بماء الهباءة وقد اشتد الحر وقد رمى بنفسه ومعه حمل بن بدر أخوه وورقاء بن بلال وقد نزعوا سلاحهم وطرحوا سروجهم ودوابهم تتعلل وجعل ربيئتهم يتطلع فاذا لم ير شيأ رجع فنظر نظرة فقال اني رأيت شخصا كالنعامة فلم يكترثوا بقوله وبينما هم يتكلمون اذ دهمهم شداد ابن معاوية فحال بينهم وبين الخيل ثم جاء قرواش وقيس حتى تمام الخمسة فحمل بعضهم على خيلهم فطردها وحمل البقية على من في الجفر فقال حذيفة يا بني عبس فاين العقول والاحلام فضربه أخوه حمل بين كتفيه وقال اتق مأثور القول فذهبت مثلا يعني انك تقول قولا

المعنى قوة لم تكن فى غيره وقال أبو الحسين الجزار فى الحث على الانفاق

اذا كان لى مال علام أصونه * وما سادنى الدنيا من البخل دينه
ومن كان يوما ذا يسار فانه * خليق لعمرى أن تجود يمينه

وقلت أنا وفيه نكتة نحوية

لا تجمع الدينار واسمح به * ولا تقل كن فى حمى كفى
ما الدهر نحوى فيحوى الهدى * ويمنع الجمع من الصرف

لان جمع دينار دنانير وهذا الوزن أحد الاوزان الثلاثة التى جاءت على صيغة منتهى الجموع وهى مساجد ومصابيح وشواب والكل ممنوع من الصرف وأردت بالصرف فى الظاهر ما يريده النحاة وفى الباطن ما هو من حوادث الدهر ويخدم أيضا فى مصارفة الدينار بالدراهم فتأمله يظهر لك والمال قد يطلب لذاته وهذا مذموم نطق القرآن بالتوعد عليه فيمن يكنز الذهب والفضة ولا ينفقهما وأى أدب فى جمع المال وعدم انفاقه وأى فرق بين أن يكون ما فى الصندوق ذهبا وفضة وجواهر وبين أن يكون حجارة وترابا وبين أن يكون خاليا قال أبو الطيب

لمن تطلب الدنيا اذا لم تردبها * سرور محب أو اساءة مجرم

وهذا البيت مضطرب الصنعة لانه كان ينبغى له ان يقول سرور محب أو حزن عدو وهذا مما يقع له كثيرا وسيأتى من كلامه نظائر لهذا البيت وقول الطغرائى فى هذا البيت والذى بعده يشبه قول أبى الطيب

وأتعب خلق الله من زاد همه * وقصر عما تشتهى النفس وجده
فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده
وفى الناس من يرضى بيسور عيشه * ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكن قلبا بين جنبى ماله * مدى ينتهى بى فى مراد أجده

والدنيا كل أمورها غريبة وكلها عجائب وعلى الحقيقة ما فيها عجيبة هذا الطغرائى منشى السلطان محمد كما تقدم وصاحب ديوان الطغرا وله يد فى الكيميا وحل رموزها ومع هذا يقول * أريد بسطة كف أستعين بها * ولكن الزمان حب الفضل وسلم الجهل والظاهر من أمره أنه كان يعرف الكيميا علما لا عملا أو علما وعملا ولكن الايام ما ساعدته على التمكن من عملها حتى يبرزها من القوة الى الفعل لانه قال

ومن أعجب الاشياء أنى واقف * على الكنز من يظفر به فهو مبخوت
وأن كنوز الارض شرقا ومغربا * مفاتيحها عندى ويعجز فى القوت
ولولا ملوك الجور فى الارض أصبحت * وحصباؤها درلدى وياقوت

ذكرت بهذه الابيات قول المعتمد لما ترقت حال الموفق أحمد بن المتوكل الى غاية لم يبلغها الخليفة المعتمد وغلب الموفق على أمره

أليس من العجائب أن مثلى * يرى ما ها ن ممتنعا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا * وما من ذاك شئ فى يديه

*(والدهر يعكس آمالى ويقنعنى * من الغنيمة بعد الكد بالقفل)*

(اللغة)

نخضع فيه وتقتل ويشتهر عنك وقتل حذيفة وحمل ومن معه وتمزقت بنو ذبيان وأسرف قيس فى النكاية والقتل ثم ندم على ذلك ورثى حمل بن بدر بالابيات المشهورة فى الحماسة وهو أول من رثى مقتوله ولما أطال الحروب ومل أشار على قومه بالرجوع الى قومهم ومصالحهم فقالوا سر نسر معك فقال لا والله لا نظرت فى وجهى ذبيانية قتلت أباها أو أخاها أو زوجها او ولدها ثم خرج على وجهه حتى لحق بالنمر بن قاسط فقال يا معشر النمر انا قيس بن زهير غريب حرب فانظروا الى امرأة قد أدبها الغنى واذلها الفقر فزوجوه امرأة منهم ثم قال انى لا اقيم فيكم حتى اخبركم باخلاقى انى امرؤ غيور فخور انف ولست الفر حتى أبتلى ولا اغار حتى ارى ولا آنف حتى اظلم فرضوا باخلاقه فاقام فيهم زمانا ثم اراد التحول عنهم فقال يا معشر النمر انى ارى لكم على حقا يصاهر بى لكم ومقامى بين اظهركم وانى آمركم بخصال وانهاكم عن خصال عليكم بالاناة فبها تدرك الحاجة وتسود من لا تعابون بتسويده والوفاء فبه تتعايشون واعطاء من تريدون اعطاءه قبل المسئلة ومنع من تريدون منعه قبل الالحاح

(اللغة) الدهر الزمان قال الشاعر

ان دهرا يلف شملي بليلى * لزمان يهم بالاحسان

ويجمع على دهور ويقال الدهر الابد وقولهم دهر داهر كقولهم أبد آبد وقولهم دهر دهاريز أي شديد كقولهم ليلة ليلاء ونهار أنهر ويوم أيوم وساعة سوعاء وفي الحديث لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر لانهم كانوا يضيفون النوازل اليه فقيل لهم لا تسبوا فاعل ذلك بكم فان ذلك الفاعل هو الله تعالى والدهري بفتح الدال هو الملحد وبضمها المسن وقال ثعلب هما جميعا منسوبان الى الدهر والدهري هو الذي يعتقد عدم الصانع وينكر البعث والنشور والمجازاة (العكس) رد آخر الشيء الى أوله ومنه عكس البلية عند القبر لانهم يربطونها معكوسة الرأس الى ما يلي كلكلها وبطنها ويقال الى مؤخرها مما يلي ظهرها ويتركونها على تلك الحال حتى تموت (الآمال) جمع أمل وهو الرجاء تقول أملت خيره آمله بالضم أملا وكذا التأميل وقولهم ما أطول املته بكسر الهمزة أي أمله فهو كالجلسة والركبة (القناعة) الرضا بما قسم وقد قنع بالكسر يقنع قناعة فهو قنع وقنوع وأقنعه الشيء اذا أرضاه (الغنيمة) واحدة الغنائم وهي ما تظفر به من مال غيرك ولم يكن لك (الكد) الشدة في العمل وطلب الكسب والتعب (القفل) الرجوع من السفر وقد قفل يقفل بالضم ومنه القفل والقافلة الرفقة الراجعة من السفر فلا يقال ان خرج من بلده يريد مكانا آخر قافل الى أن يرجع وتسمى الرفاق قافلة قبل العود تفاؤلا لهم بالرجوع كما تسمى المهلكة مفازة والملدغ سليما وأول من نطق بهذا المثل امرؤ القيس فقال

وقد طوّفت في الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب

وقال عبيد بن الابرص

ولو لاقيت غلباء بن عمرو * رضيت من الغنيمة بالاياب

(الاعراب) (والدهر) الواو للابتداء الدهر مرفوع على انه مبتدأ (يعكس) فعل مضارع رفع لتجرده من الناصب والجازم وقد تقدم الكلام عليه وهو ثلاثي فلهذا فتح حرف المضارعة منه على ما تقدم (آمالي) جمع أمل وهو منصوب بيعكس ولم يظهر النصب فيه لانه مضاف الى ياء المتكلم والمفعول به قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب هو ما وقع عليه فعل الفاعل قال النيلي في الشرح يريد بالوقوع التعلق لا المباشرة والا لخرج مثل أردت الطلاق لعدم المباشرة واحترز بقوله عليه من الظرف لان الفعل يقع فيه لا عليه ومن المفعول له فان الفعل يقع لاجله ومن المفعول معه لانه يقع معه لا عليه ومن المفعول المطلق لانه نفس الفعل الواقع من الفاعل وقيل المفعول به هو المقول في جواب من سأل بمن تعلق هذا الفعل فيقول المجيب بزيد فلتقييده في السؤال والجواب بالباء سمي المفعول به (قلت) كيفما حاول النحاة رسم المفعول به لا يخلصون من ايراد عبد القاهر الجرجاني في اعراب خلق الله العالم لانه قال العالم هنا مصدر لا مفعول به لان المفعول به هو الذي كان موجودا وأثر فيه الفاعل شيأ آخر بفعله والمصدر هو الذي لم يكن موجودا بل كان عدما محضا والفاعل موجده ومخرجه من العدم الى الوجود بفعله والعالم في قولنا خلق الله العالم كذلك فكان مصدرا واعترض عليه بأنه لو كان مصدرا لكان نفس الخلق ولا يجوز ان يكون ذلك لوجهين أحدهما أنا نعلم العالم مع الشك في

وخلط الضيف بالالزام وايا كم
والرهان فيه شكات مالكا
أخي وبغي فانه صرع زهيرا
أبي وحلا والسرف في الدماء
فان قتل أهل الهباءة
أو رثى العار ولا تعطوا في
الفضول فقهروا عن الحقوق
ثم رحل الى عمان فأقام بها
حتى مات وقيل انه خرج هو
وصاحب له من بني أسد
عليهما المسوح يسيحان في
الارض ويقولان مما نبت
الى أن دفعا في ليلة قرة الى
أخبية لقوم من العرب وقد
اشتد بهما الجوع فوجدا
رائحة القتار فعيا يريدانه
فلما قاربا أدركت قيسا
شهامة النفس والانفة فرجع
وقال لصاحبه دونك وما
تريد فان لي لشاعلي هذه
الاجارع أترقب داهية القرون
الماضية فمضى صاحبه
ورجع من الغد فوجده قد لجأ
الى شجرة باسفل واد فنال من
ورقها شيأ ثم مات وفي ذلك
يقول الحطيئة من أبيات

ان قيسا كان ميتته
أنفا والحر منطلق
في دريس لا يغيبه
رب حر ثوبه خلق

ومن شعر قيس بن زهير يرثي
حمل بن بدر يقول

تعلم ان خير الناس ميت
على جفر الهباءة لا يريم
ولولا ظلمه ما زلت أبكي
عليه الدهر ما بدت النجوم

كونه مخلوقا لله تعالى الى أن نعلم ذلك بدليل منفصل فالعالم على هذا معلوم وكونه مخلوقا له تعالى غير معلوم لتوقفه على الدليل والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم فكان الخلق غير العالم الثانى ان الله تعالى يوصف بالخالق فلو كان الخلق العالم لكان الله موصوفا بالعالم وهو لا يجوز لانه يلزم من ذلك وصف القديم بالحادث أو قدم العالم (قلت) الجواب عن الايراد الذى أورده الامام عبد القاهر هو أن الكلام انما هو فى اصطلاح النحاة وهذا المصطلح انما هو فيما يعرض لاواخر الكلام من الرفع والنصب والجر لاتصاف الكلمة تارة بالفاعلية وتارة بالمفعولية وتارة بالاضافة الى غير ذلك فاذا قلنا خلق الله السموات والارض قلنا هذه الكلمات المركبة المسموعة نسميها فى اصطلاح النحاة فعلا وفاعلا ومفعولا فرفعنا اسم الله تعالى على أنه فاعل ونصبنا السموات والارض على المفعولية لوقوع فعل الفاعل عليهما ولا يلزمنا من هذه العبارة التى أوقعناها على هذه الالفاظ أن يكون المعنى فى الاصل قد وقع وتجدد لان الالفاظ أدلة على المعانى والدليل غير المدلول ولان الاسم غير المسمى والا لزم احتراق فم من تلفظ بالنار ولزم اذا قلنا أعدم الله العالم وأقام القيامة وأمات زيدا أن يكون هذا كله قد وقع الآن وتجدد ونحن نجد هذا باطلا على أنى أعتقد أن الامام رحمه الله كان يعتقد بطلان هذا الايراد انما أورده مغالطة واظهار صناعة فى البحث لا غير (رجع) واختلف فى ناصب المفعول به فمذهب سيبويه انه الفعل ولذلك تعددت المفاعيل بحسب اقتضاء الفعل لها لان الفعل ان اقتضى مفعولا نصبه أو اثنين نصبهما أو ثلاثة نصبها ومذهب ابن هشام أنه الفاعل لانه الذى أثر فيه فى المعنى فيؤثر فيه فى اللفظ (قلت) وهذا ليس بشئ لان الفاعل يضمر والمضمر لا يعمل فى المظهر ولانهم قسموا الفعل الى لازم ومتعد فدل على أن العمل له ومذهب الفراء انه الفعل والفاعل قياسا على الابتداء والمبتدا فى الخبر والشرط وحرف الشرط فى الجزاء على قول من يراه ومذهب الاخفش أن العامل فيه هو الفاعلية وليس بشئ والصحيح مذهب سيبويه وقد أشبعت القول على ما يتعلق بهذا فى التعليقة على الحاجبية (ويقنعنى) الواو عطفت الفعل على الفعل يقنعنى فعل مضارع مرفوع لانه معطوف على مرفوع ورفعه ضم العين والنون نون الوقاية والياء ضمير المتكلم وموضعها النصب بالمفعولية ليقنع والفاعل ضمير مستتر فيه يرجع الى الدهر كما استتر فى يعكس (من القنيمة) جار ومجرور ومن هنا للتبعيض وهو أحد معانيها وسيأتى الكلام عليها فى غير هذا الموضع ان شاء الله تعالى (بعد الكد) ظرف ومخفوض به فبعد ظرف زمان ولهذا نصب والعامل يقنع والكد مجرر باضافته الى الظرف (بالقفل) جار ومجرور والباء هنا للتعدية وتقدم الكلام على تقسيم الباء فالدهر فى البيت مبتدأ وخبره يعكس كأنه قال والدهر عاكس آمالى ويقنعنى موضعه الرفع عطفا على الخبر والباء فيه مفعول أول وبالقفل مفعول ثان له ومن القنيمة متعلق بيقنع فالجملة كلها من يقنعنى الى آخر البيت فى موضع رفع على أنها خبر معطوف على خبر المبتدا والبيت كله من أوله الى آخره فى موضع نصب على أنه حال من فاعل أريد بسطة كف كأنه قال أريد بسطة فى حال أن الدهر عاكس آمالى وقال الجوهرى فى صحاحه أقنعه الشئ اذا أرضاه فعلى هذا لا يتعدى الى مفعول ثان الا أن يشدد فتقول قنعته بالقليل من الرزق (المعنى) والدهر يعكس ما أؤمله وأرجوه من البسطة والرفعة حتى أقنع من القنيمة بالرجوع بعد التعب والمشقة وهذا

المثل

ولان الفتى حمل بن بدر
بغى والبغى مرتعه وخيم
أظن الحلم دل على قومى
وقد يستجهل الرجل الحليم
وما رست الرجال وما رسونى
فعوج على ومستقيم
وقوله أيضا
تعرفن من ذبيان من لو لقيته
بيوم حفاظ طار فى اللهوات
ولو أن سافى الريح يجعل سكم
قذى
لاعيننا ما كنتم بقذاة
وقوله أيضا
اذا أنت أقررت الظلامة لامرئ
رمالك باخرى شعبها متفاقم
فلا تبدلا للاعداء الاخشونة
فمالك منهم ان تمكن راحم
(واياس بن معاوية انما استضاء بمصباح ذكائك)
هو اياس بن معاوية بن قرة المزنى قاضى البصرة وكنيته أبو واثلة صاحب الفراسة والاجوبة البديعة يضرب به المثل فيقال أزكن من اياس والزكن التفرس بالشئ بالظن الصائب قال الشاعر
زكنت منهم على مثل الذى زكنوا
وبعض الناس يقول اذكى من اياس وهو الذى أراده أبو تمام فى قوله
فى حلم أحنف فى ذكاء اياس
(حكى) ابن عائشة قال اول ما عرف من ذكاء اياس انه دخل الشام وهو صغير فقدم

المثل يضرب لمن خفق مسعاه وطال سفره وتمنى العود الى بلده نعوذ بالله من هذا الحال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من طمع فى غير مطمع ومن طمع يعود الى طبع وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد والدهر مازال يعكس المقاصد ويراقب الخيبة ويراصد ويكمن المنايا فى الامانى ويثنى غصون الامل ذاوية بعد أن كانت عذبة المجانى خلقا ألفه الناس فى سجاياه وطبعا رمى الخلق به من سهام جناياه

فقد تنوا المقاصد والامانى * فتعترض الحوادث والمنون

والشعراء مازالوا يكثرون فى هذه المعانى قال أبو الطيب

أريد من زمنى ذا أن يبلغنى * ما ليس يبلغه فى نفسه الزمن

ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

(وقال أيضا)

أهم بشئ والليالى كأنما * تطاردنى عن كونه وأطارد

وقال المعتمد بن عباد يرثى ولديه المأمون والراضى بأبيات منها

بكيت فتحا فاذ دانيت سلوته * أودى يزيد فزاد القلب أشجانا

فكنت كالمبتغى ما يتخيله * حتى انتهى فرأى الغدران نيرانا

(وقال) ابن القيسرانى ومن خطه نقلت

الى كم أسوم الدهر غير طباعه * وأصدقه عن شيمتى وهو حانث

وأسمو مجدا فى العلا وتحطنى * خطوب كأن الدهر فيهن عابث

وقال مسلم بن الوليد

ما قصر السعى ولا علت * عن مطلب نفسى أمانيها

بل خانها الدهر وأزرى بها * عثرة جد لا تواتيها

ومن أصوات ابن جامع فى الاغانى

لئن فاتنى فى مصر ما كنت ارتجى * وأخلف لى منها الذى كنت آمل

فما كل ما يخشى الفتى نازل به * ولا كل ما يرجو الفتى هو نائل

ووالله ما فرطت فى وجه حيلة * ولكنه ما قدر الله نازل

وقد يسلم الانسان من حيث يتقى * ويؤتى الفتى من أمنه وهو غافل

(وقال) أبو فراس بن حارث الحمدانى

قد كنت عدتى التى أسطو بها * ويدى اذا اشتد الزمان وساعدى

فرميت منك بغير ما أملته * والمرء يشرق بالزلال البارد

(حكى) الخالديان فى اختيار شعر مسلم بن الوليد انه كان فى بعض أطراف البصرة رجل يخيف السبيل فأعيا أمره السلطان ثم ظفر به فأمر بقتله وصلبه فلما قدم لذلك قال للموكل به ان رأيت أن تتوقف عنى قليلا وتدنينى الى الجذع وتأمر لى بدواة وقرطاس أكتب شيئا فى قلبى فاذا فرغت من ذلك فشأنك وما أمرت به فأجابه الى ما سأل وقربه من الجذع فكتب ثم قال للموكل بقتله افعل ما بدا لك فنظر الى ما كتب فاذا هو

خصما له شيخا الى قاضى عبد الملك بن مروان وكان القاضى يعرف الخصم فقال لاياس اما تستحيى تقدم شيخا كبيرا فقال اياس الحق أكبر منه قال له اسكت قال فمن ينطق بحجتى اذا سكت قال ما أحسبك تقول حقا حتى تقوم قال أشهد أن لا اله الا الله فقام القاضى فدخل على عبد الملك فاخبره الخبر فقال اقض حاجته واصرفه عن الشام لئلا يفسد علينا الناس

(وحكى) غيره قال أول ما عرف من ذكاء اياس أنه كان صبيا فى المكتب فاجتمع قوم من النصارى يضحكون من المسلمين وقالوا ان المسلمين يزعمون انه لا يكون فى الجنة ثفل الطعام يعنون الغائط فقال اياس لمعلمه يا معلم أليس تزعم أن أكثر الطعام يذهب فى البدن قال نعم قال فما ينكر أن يكون الباقى يذهبه الله فى البدن فسكت النصارى وأعجب به المعلم

وحكى انه دخل الى الشام مرة ثانية وأراد الحج فقال للمكارى انظر لى انسانا غريبا فانى أريد أن أخرج سرا يعنى عدلا فاكراهما فلبثا فى المحمل ثلاثا لا يسأل هذا هذا شيأ فقال اياس يا عبد الله بعد ثلاث لا أصبر من أنت قال غيلان فقال غيلان العذرى قال نعم فمن أنت قال اياس

قالت سليمى كم تمنينا * وعدك وعد ليس يأتينا
يا قانعا بالدون من عيشه * حتى متى تصبح محزونا
فحركت أشرس ذامرة * من بعد تثنين وتحسينا
ان كنت قصرت ولم أجتهد * فى طلب الرزق فلومينا
وأى باب يرتجى فتحه * وما قرعناه بايدينا
ما قصر السعى ولكنها * مقادر جارية فينا

فرفع خبره الى من أمر بقتله فصفح عنه وأمر باطلاقه

(وقال آخر)

أسمو الى الامل الاقصى فيلفتنى * جد عثور ودهر مهتر خرف
لا الحظ يسعدنى فيما أحاوله * من العلو ولا الى عنه منصرف

خرج الوزير نظام الملك أبو الحسن على الى الصلاة فجلس قليلا ثم التفت الى الحاضرين وقال هنا بيت شعر أريد له أولا وهو

فكأننى وكأنه وكأنها * أمل ونيل حال بينهما القضا

وكان فى الجماعة أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندى الشافعى فقال

أفدى حبيبا زارنى متنكرا * فبدا الوشاة له فولى معرضا

ذكرت هنا ما أنشدنيه لنفسه من لفظه المولى جمال الدين يوسف الصوفى بدمشق سنة سبعمائة وعشرين

كأنما البدر وقد أشرقت * أنواره بين غضون الغصون
وجه حبيب زار عشاقه * فاعترضت من دونه الكاشحون

وقلت أنا فى هذا التشبيه

كأنما الاغصان لما انثنت * أمام بدر التم فى غيهبه
بنت مليك خلف شباكها * تفرجت منه على موكبه

(وقلت أيضا)

كأنما الاشجار فى روضها * والبدر فى غيهبه مسفر
بنت مليك خلف شباكها * قامت الى موكبه تنظر

(وقلت أيضا)

وكأنما الاغصان تثنيها الصبا * والبدر من خلل يلوح ويحجب
حسناء قد عامت وأرخت شعرها * فى لجة والموج فيه يلعب

(رجع) أنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى بالديار المصرية سنة ثمان وعشرين وسبعمائة قال أنشدنى لنفسه الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد

الحمد لله كم أسمو بعزمى فى * نيل العلا وقضاء الله ينكسه
كأننى البدر يبغى الشرق والفلك الأعلى يعارض مسراه فيعكسه

قلت أخذه الشيخ تقى الدين من ناصح الدين الارجانى حيث قال

قال أبو وائلة قال نعم ان شئت سألتنى وان شئت سألتك فقال له غيلان تكلم قال ان شئت أخبرتك بخبر أهل الجنة والنار والملائكة والشيطان والعرب والعجم فقال غيلان أخبرنى بها قال قال أهل الجنة حين دخلوها الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وقال أهل النار حين دخلوها ربنا غلبت علينا شقوتنا وقالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا وقال الشيطان رب بما أغويتنى وقالت العرب ولا يمنعك الطير شيأ أردته فقد خط بالاقلام ما كنت لاقيا

وقالت العجم هر چه بايد بان بود هميشه از پيش

* وكان سبب ولايته القضاء أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أرسل رجلا من أهل الشام وأمره ان يجمع بين اياس والقاسم بن ربيعة ويولى القضاء أعدهما فجمع بينهما فكان كل منهما يمتنع من الولاية فقال اياس للشامى سل عنى وعن القاسم فقيهى المصر الحسن البصرى وابن سيرين فعلم القاسم أنه ان سأل عنهما أشار اليه فقال للشامى لا تسأل عنه فوالله الذى لا اله الا هو ان اياسا الافضل منى وأعلم بالقضاء فان كنت من

سعيي اليكم في الحقيقة والذي * تجدون عنكم فهو سعي الدهر بي
أنحوكم ويردعزمي القهقرى * دهري فسيري مثل سير الكوكب
فالقصد نحو المشرق الاقصى له * والسير رأي العين نحو المغرب

لكن الشيخ تقي الدين أتى بالمعنى كاملا في بيت واحد والارجاني أتى بما يحتاج فيه الثالث الى الثاني فكان ذلك أكمل (قلت) لا بأس بايضاح هذا المعنى وذلك أن كل كوكب من الكواكب السيارة في فلك يخصه وهو مرصع في فلكه كالفص في الخاتم والافلاك السبعة دائرة من المغرب الى المشرق بدليل أن الهلال يرى في الليلة الاولى في مكان وفي الثانية ينتقل الى مكان آخر آخذا الى جهة الشرق وفي الثالثة والرابعة كذلك الى آخر الشهر حتى يتكمل لفلكه الدورة وهو أن يعود الى النقطة التي كان عليها أولا وهذه الحركة للفلك لا للكوكب وهي الحركة الذاتية المختصة بكل فلك وهذه الافلاك السبعة وفلك البروج وهو فلك الثوابت يحيط بها فلك تاسع يسمى الاطلس لانه لم يظهر للعين فيه شئ من الكواكب ولعل فيه كواكب لا ترى للبعد المفرط وهذا الفلك الاطلس يدور بما في باطنه من الافلاك الثمانية في كل يوم وليلة من المشرق الى المغرب دورة كاملة فحينئذ لكل فلك من الثمانية دورتان ذاتية وهي التي من المغرب الى المشرق وقسرية وهي التي من المشرق الى المغرب وقربوا تفهيم ذلك بنملة ماشية الى اليسار على رحى دائرة الى اليمين فللنملة في هذه الحالة تحركتان ذاتية وقسرية وانما سميت هذه الحركة العظمى قسرية لانها تقسر الافلاك وتدورها الى غير جهة حركتها الذاتية فتعكس دورانها وهذه الحركة هي التي بها ترى الشمس كل يوم في شروق وغروب والا ففلك الشمس لا يدور الدورة الكاملة الا بعد مضي سنة شمسية وذكر ابن أبي جمرة في مسئلة الرحمن على العرش استوى أنه يقال علا القوم زيد أي ارتفع ومعلوم أنه لم يستقر عليهم قاعدا وكما يقال علت الشمس في كبد السماء أي ارتفعت وهي لم تستقر ويشهد لذلك قول جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم حين سأله هل زالت الشمس فقال جبريل عليه السلام لا نعم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قلت لا ثم قلت نعم فقال بينما قلت لك لا ونعم جرت الشمس مسيرة خمسمائة عام وقد نص عز وجل على ذلك في كتابه فقال والشمس تجري لا مستقر لها على قراءة من قرأ بالنفي اه (قلت) الذي قرأ ذلك هو ابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعطاء بن أبي رباح وأبو جعفر محمد بن علي وأبو عبد الله جعفر ابن محمد وعلي بن حسين نص على ذلك ابن جني في المحتسب وهذه الحركة التي ذكرها جبريل عليه السلام هي حركة الشمس القسرية لا الذاتية وهي حركة الفلك الاعظم قال الامام فخر الدين رحمه الله انه يقدر ما يرفع الفرس سنبكه من الارض ويضعه وهو في أقوى جريه يتحرك الفلك الاطلس كذا كذا ألف ميل أو كما قال فسبحان الله العظيم ذي القدرة والجلال والعظمة لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون سبحان من أبدع هذا العالم وأوجده على غير مثال وقدر حركات الافلاك * يقال ان الامام فخر الدين كان يقول وهو على المنبر سبحان خالق تدوير فلك كرة المريخ قال العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم ابن ساعد الانصاري انما خص الامام تدوير فلك المريخ دون غيره من الافلاك لانه أعظم تداوير الافلاك حتى انه أعظم من الفلك الممثل للشمس الذي يحيط بالافلاك السفلية وفلك

يصدق فينبغي لك أن تصدق قولي وان كنت كاذبا فما يحل لك أن تولي القضاء وأنا كذاب فقال اياس للشامي انك جئت برجل فألقته على شفير جهنم فافتدى نفسه من النار بيمين كاذبة يستغفر الله عز وجل منها وينجو من النار فقال الشامي أما اذ فطنت لها فاني أوليك فاستقضاه فلم يزل على القضاء مدة ثم هرب ولما ولي القضاء دخل عليه الحسن البصري فبكى اياس وقال يا أبا سعيد بلغني أن القضاة ثلاثة رجل مال به الهوى فهو في النار ورجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة فقال الحسن ان فيما قضى الله تعالى في النبي داود ما يرد قول مولاي ثم قرأ قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فخص سليمان ولم يذم داود (وحكي) المدائني قال أودع رجل آخر كيسا فيه دنانير وغاب مدة طويلة فلما طال الامر فتق الرجل الكيس وأخذ الدنانير ووضع عوضها دراهم والخيط والخاتم على حاله ثم قدم صاحب المال فطالب ماله فدفع له الكيس بخاتمه فلم يقبله وقال هذه دراهم ومالي دنانير فقال هذا كيسك وخاتمك فرفعه لابن هبيرة

القمر والعناصر والمولدات ويتفرع على ذلك أنه يكون حين مقارنته للشمس أبعد عنها مما يكون عند المقابلة وذلك أن الكواكب العلوية انما تقارن الشمس فى ذرى تداويرها وانما تقابلها فى الحضيضات فعلى هذا اذا قارن المريخ الشمس كان بينها وبينه قطر تدويره واذا قابلها كان بينه وبينها قطر ممثلها وقطر تدوير المريخ أعظم من قطر ممثل الشمس اه أقول اذا كانت الكواكب العلوية النيرة تعاكس فى السير فاعسى أن يكون حال من هو فى هذا العالم الارضى وهو عالم الكون والفساد (رأيت) فى بعض المجاميع لبعض المغاربة

لست وجيها لدى الهى * هذا مدى دهرى اعتقادى
لو كنت وجها لما رانى * فى عالم الكون والفساد

وقد خطر لى عند تعليق هذا الفصل ان أرد على الطغرائى فى قوله والدهر يعكس آمالى البيت بحيث يكون ذلك نظما فى وزنه ورويه فقلت

تقول يعكس آمالى وأنت كما * علمت فى عالم فى الترب مستفل
أما ترى الشمس تلقى عكس مقصدها * فى كل يوم ولولا ذاك لم تفل

وكنت نظمت قبل هذا

لا يعجب المرء لعكس المنى * ما فكره فى مثل ذا ناقع
فالانجم السبع العلا مانجت * من عكسها بالفلك التاسع

وليس عكس المقاصد عند الدهر مطردا بل هو مع الاذى بار وعلى نهج الردى سار فان تمنى الانسان شرا قربه وان تمنى خيرا قلبه قال أبو الطيب الذى جربه

وأحسب أنى لو هويت فراقكم * لفارقتكم والدهر أخبث صاحب
فيا ليت ما بينى وبين أحبتى * من البعد ما بينى وبين المصائب

يقال من تكدد الوجود أن الانسان يرى فى منامه أنه وجد مالا أو أصاب جوهرا أو ظفر بخير فاذا انتبه لم ير من ذلك شيئا ويرى أنه قد أحدث فاذا انتبه وجد ذلك يقينا قال الشاعر

أرى فى منامى كل شئ يسوءنى * ورؤياى بعد النوم أدهى وأقبح
فان كان خيرا فهو أضغاث حالم * وان كان شرا جاءنى قبل أصبح

وقال أبو العلاء المعرى

الى الله أشكو أننى كل ليلة * اذا نمت لم أعدم خواطر أوهام
فان كان شرا فهو لا بد واقع * وان كان خيرا فهو أضغاث أحلام

وقال الاحنف العكبرى

وأحلم فى المنام بكل خير * فاصبح لا أراه ولا يرانى
ولو أبصرت شرا فى منامى * لقيت الشر من قبل الاذان

وما أرق قول القائل

وزارنى طيف من أهوى على حذر * من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولى به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب لى شغفا
ثم انتبهت وآمالى تخيل لى * نيل المنى فاستحالت غبطتى أسفا

وقال ابن المعتز

فقال لاياس انظر بيننا فقال اياس منذ كم أودعك قال منذ عشرة أعوام فقال فضوا الخاتم ففضوه ونثروا الدراهم فوجدوا فيها ضرب خمس سنين وست سنين وأقل وأكثر فقال اياس قد أقررت انه عندك منذ عشر سنين وفى الكيس ضرب خمس سنين فاقر بالدنانير وألزمه اياها ونظر اياس يوما الى رجل لم يره قط فقال هذا غريب واسطى معلم صبيان هرب له غلام فوجدوا الامر كذلك فسئل عن ذلك فقال رأيته يمشى ويلتفت فعلمت انه غريب وأيضا رأيت على ثوبه حمرة تراب واسط فعلمت انه من أهلها ورأيته يمر بالصبيان ولا يسلم عليهم ولا يسلم على الرجال فعلمت انه معلم ورأيته اذا مر بذى هيئة لم يلتفت اليه واذا مر بأسود ذى أسمال تأمله فعلمت انه يطلب آبقا * ووجده يوما الحكم بن أيوب عامل البلد فسبه وقال انك خارجى منافق فائتنى بكفيل فقال أنت أيها الامير تكفلنى ولا أعلم أحدا أعرف منك بى فقال وما علمى بك وأنا من أهل الشام وأنت من أهل العراق فقال اياس ففهم الشهادة منذ اليوم * وتبصر الناس هلال شهر رمضان فلم يره أحد غير أنس بن مالك

أبصرته فى المنام معتذرا * الى مما جناه يقظانا
ولان حتى اذا هممت به انتبهت عند الصباح لاكانا

وما الطف قوله وان لم يكن من هذه المادة

ألم الخيال بلاحمده * وأبدلنى الوصل من صده
وكم نومة لى قوادة * أتت بالحبيب على بعده

وهذا يشبه قول الآخر

تركت هجاء ابليس ثم مدحته * وذاك لان عزعندى سلوكه
يقرب من أهوى الى فان أبى * حكاه خيالا فى الكرى فانيكه

وما أشبه هذا بقول أبى حفص الشطرنجى

قل لمن شئت انني بك مغرى * ثم دعه يروضه ابليس

أنشدنى لنفسه بالديار المصرية من لا أوثر ذكره هنا

لو أن طيفك فى المنام أتيسى * مابت أشكو وحشتى لجليسى
قر أدار على خمر قريقه * ولحاظه وحديثه المأنوس
ماعمدتى فى قربه وحضوره * ووفاقه الا على ابليس

ومارمى ابليس بحجر من بنى آدم أدمع له من قول أبى نواس

عجبت من ابليس فى تيهه * وخبث ماأضمر فى نيته
تاه على آدم فى سجدة * وصار قوادا لذريته

وهذا المعنى الذى تخيله فى غاية الحسن وهو الذى فتح على ابليس هذا الباب ودخله الناس أفواجا قال بعضهم

علام تنبه أبامرة * وتزهى كثيرا على آدم
وانك فى الخزى من بعده * تقود على جملة العالم

وأما على ذكر الخيال فما ولع به أحد ولوع البحترى ولا أبدع فيه مثل ابداعه حتى صار لاشتهاره بذلك مثلا يقال خيال البحترى فمن ذلك قوله

بلى وخيال من أثيلة كاما * تأوهت من وجد تعرض يطمع
ترى مقلتى مالا يرى من لقائه * وتسمع أذنى رجع مالا يسمع
ويكفيك من حق تخيل باطل * تردده نفس اللهيف وترجع

(وقوله أيضا)

اذا ما الكرى أهدى الى خياله * شفى قربه التبريح أو نقع الصدى
ولم أر مثلينا ولا مثل شأننا * تعذب ايقاظا وننعم هجدا

(وقوله أيضا)

قد كان منى الوجد غب تذكر * اذ كان منك الصد غب تناسى
تجرى دموعى حين دمعك جامد * ويلين قلبى حين قلبك قاسى
ماقلت للطيف المسلم لاتعد * نفسى ولا نهضت حامل كاسى

وما أحسن قول أمين الدولة ابن التلميذ

وقد قارب المائة سنة من العمر فشهد عند اياس فقال اياس أشر لنا الى موضعه فجعل يشير ولا يرونه فتأمل اياس واذا بشعرة بيضاء من حاجب أنس قد انثنت وصارت على عينيه فمسحها اياس وسواها ثم قال يا أباحمزة أرنا موضع الهلال فنظر فقال ما أرى شيأ * وقيل لاياس يوما ان فيك عيوبا دمامة الشكل واعجابك بما تقول وعجلة بالحكم فقال أما الدمامة فليس أمرها الى وأما الاعجاب بالقول أفليس يعجبكم ما أقول قالوا نعم قال فانا أحق بالاعجاب بقولى وأما العجلة بالحكم فكم هذه ومد أصابع يده فقالوا خمس فقال أعجلتم بالجواب ولم تعدوها أصبعا أصبعا فقالوا كيف نعد مانعلمه فقال وأنا كيف أوخركم ما أعلمه * ودخل الى واسط فقال يوم قدمت بلدكم عرفت خياركم من شراركم من غير أن أكشف عنهم قالوا كيف قال معنا قوم خيار ألفوا منكم قوما وقوم شرار ألفوا قوما فعلمت أن خياركم من ألف خيارنا وكذلك شراركم * وكان يقول عرفت الزكن من أمى وكانت خراسانية وأهل بيتها يزكنون أى يتفرسون ولاياس أخبار كثيرة من

عاتبت اذلم يزر خيالك والنوم يشوقنى اليك مسلوب
فزارنى متعمدا وعاتبنى * كما يقال المنام مقلوب

دخل ابن القطان الشاعر البغدادى يوما على الوزير الزينى وعنده الحيص بيص فقال قد عملت بيتين لايمكن أن يعمل لهما ثالث لانى قد استوفيت المعنى فيهما فقال الوزير وماهما فأنشده

زار الخيال بخيله لامثل مرسله * فاشفانى منه الضم والقبل
مازارنى قط الاكى يوافقنى * على الرقاد فينقيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص ماتقول فى دعواه فقال ان أعادهما سمع لهما ثالثا فاعادهما فقال الحيص بيص

ومادرى ان نومى حيلة نصبت * لطيفه حين اعيا اليقظة الحيل

يقال اول من طرد الخيال طرفة بن العبد فانه قال

فقل لخيال الحنظلية يثقاب * اليها فانى واصل حبل من وصل

وتبعه جرير فقال

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسلام

(وقلت أنا)

ياحبذا لجرير من * قول كفانا الله عاره
طرقتك صائدة القلو * ب وليس ذا وقت الزياره
هل كان يلقى ان أتا * خيال من يهوى خساره
أوكان قلب قد حوا * من حديد أوحجاره

وأين قول جرير وطرفة من قول الآخر يعنف من عتب على الخيال حيث قال

الطيف أعشق منك اذ * يأتى اليك وأنت راقد

وفضل التهامى الخيال على الحقيقة فقال

وصل الخيال ووصل الخود ان بخلت * سيان ما أشبه الوجدان بالعدم
الطيف أحسن وصلا ان لذته * تخلو من الاثم والتنغيص والندم

واعتذر كشاجم عن تأخر الخيال على لسان الحبيب فقال

لقد بخلت حتى بطيف ملمم * على وقالت رحمة لنحيبى
أخاف على طيفى اذا جاء طارقا * وسادك أن يلقاه طيف رقيبى

نقلت من خط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر له

ان يكن يضحك فى الطيف حديثى ومقالى
كيف لا يضحك مما * قص منه فى الخيال

ومما قلته فى الخيال

لم يرنى الطيف اذ أتانى * لذوب جسمى بك انتحالا
وعند ماذله أتانى * بات كلانا يرى خيالا

(وقلت أيضا)

هذا الباب مجموعة فى كتاب يسمى زكن اياس * ومات رحمه الله سنة احدى وعشرين ومائة وهو ابن ست وتسعين سنة وقال فى العام الذى مات فيه رأيت فى المنام كانى وأبى على فرسين نجريا جميعا فلم أسبقه ولم يسبقنى وكان أبوه أيضا قد مات وهو ابن ست وتسعين سنة

(وسحبان انما تكلم بلسانك)

هو سحبان بن زفر بن اياس الوائلى وائل باهلة خطيب مفصح يضرب به المثل فى البيان أدرك الاسلام وأسلم ومات سنة أربع وخمسين (وحكى) الاصمعى قال كان اذا خطب يسيل عرقا ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ * وقدم على معاوية وفد من خراسان فيهم سعيد بن عثمان فخطب سحبان فلم يوجد فى منزله فاقتضب من ناحية اقتضابا وأدخل عليه فقال تكلم فقال انظروا الى عصا تقوم من أودى قالوا وما تصنع بها وانت بحضرة امير المؤمنين قال ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه وعصاه فى يده فضحك معاوية وقال هاتوا عصا فجاؤا بها اليه فركلها برجله ولم يرضها وقال هاتوا عصاى فاتوا بها

ضممت خيالك لما أتى * وقبلته قبلة المغرم
وقمت ومن فرحتي بالقا * حلاوة ذاك اللمى في فمي

ومن كلام القاضي الفاضل رحمه الله هذا على ان الطيف لا أعتد بمنته وان ركب الخاهل وقطع المراحل وتخطى الى أغصان القنا وخاض جداول الظبا ووطئ شوك النصال وعثر بحبال الخيال وحل وأعين الشهب اليه حول روان ودنا وأطراف القسي دوان وكيف أعتد بمنته والفكر بدنيه وأنا يقظان و يمثل ما لم يكن من قربه كما مثلت العين منه ما كان ويخليني منه ورب أحباب خلون به دوني وبوجدنيه وأنا رهن شوق لو طلبوني عنده ما وجدوني ذكرت بقوله والفكر بدنيه وأنا يقظان ما أنشدنيه لنفسه شهاب الدين أبو الثناء محمود

سرى والدجى شوق اليه وتذكار * خيال أضاءت من ضلوعي له نار
أموه بالتوهيم سر قدومه * اذا ما استزارته شجون وأفكار

كتب شرف الدين بن عنين من اليمن الى أخيه

سامحت كتبك في القطيعة عالما * ان الصحيفة أعوزت من حامل
وعذرت طيفك في الجفاء لانه * يسري فيصبح دوننا بمراحل

الثاني لابي العلاء المعري وهذا مبالغة في البعد بكون الخيال يعجز عن قطع مسافته ومن المعلوم ان الخيال يجتاب آفاق الارض في طرفة عين * سئل بعض العلماء عن قوله صلى الله عليه وسلم من رآني في منامه فقد رآني حقا فقال السائل في الليلة الواحدة بل الساعة الواحدة يراه جماعة في أماكن شتى من أطراف الارض فقال نعم هو

كالشمس في كبد السماء وضوءها * يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

البيت لابي الطيب وهو مأخوذ من قول ابن الرومي

كالشمس في كبد السماء محلها * وشعاعها في سائر الآفاق

وأخذهذا من قول البحتري

عطاء كضوء الشمس عم فغرب * يكون سواء في سناها ومشرق

ومثل هذا السؤال ما سئل عنه أبو الفرج بن الجوزي قيل له يا امام قتل الحسين رضي الله عنه بكربلا ويزيد في دمشق فكيف ينسب قتله اليه فقال

سهم أصاب وراميه بذي سلم * من بالعراق لقد أبعدت مرماك

البيت للشريف الرضي وقد أخذه ابن سناء الملك فقال

رميت من مصر قلبا بالشآم فما * أسرك سهما الى أحشاء أسراك

وقد تكلم الفقهاء فيمن رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وأمره بامر هل يلزمه العمل به أولا فالوا ان أمره بامر يوافق أمره يقظة ففيه خلاف وان أمره بما يخالف أمره يقظة فان قلنا ان من رآه صلى الله عليه وسلم على الوجه المنقول من صفته فرؤياه حق فهذا من قبيل تعارض الدليلين والعمل بارجحهما وما ثبت باليقظة أرجح فلا يلزمه العمل بامره فيما يخالف أمره يقظة اه * أورد ابن الاثير في المثل السائر قول بعضهم

وقد أشق الحجاب الصعب بادية * دوني وتأبى ولوجا فيه ان طرفا
كالطيف يأبى دخول الجفن منفتحا * وليس يدخله الا اذا انطبقا

فاخذها ثم قام وتكلم منذ صلاة الظهر الى ان قامت صلاة العصر ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا ابتدأ في معنى فخرج منه وقد بقي عليه منه شئ فما زالت تلك حاله حتى اشار معاوية بيده فاشار اليه سحبان ان لا تقطع على كلامي فقال معاوية الصلاة قال هي أمامك ونحن في صلاة وتحميد ووعد ووعيد فقال معاوية انت أخطب العرب فقال سحبان والعجم والجن والانس * ومما روي عنه في بعض خطبه البليغة يقول ان الدنيا دار بلاغ والآخرة دار قرار أيها الناس خذوا من دار ممركم لدار مقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم واخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل ان يخرج منها أبدانكم ففيها حبستم ولغيرها خلقتم ان الرجل اذا هلك قال الناس ما ترك وقالت الملائكة ما قدم لنفسه يا بعيدا ما يكون لكم ولا تخلفوا كلا لا يكون عليكم * ومن شعره يمدح طلحة الطلحات وهو طلحة بن عبد الله الخزاعي

يا طلحة الكرم من يرها
حسبا وأعطاهم لنائله
منك العطاء فأعطني

وعلى مدحك في المشاهد فيقال أن طلحة قال له احتكم

ثم قال ورأيت ابن حمدون البغدادى صاحب التذكرة قد أورد هذين البيتين فى كتابه وقال قد أغرب هذا الشاعر ولكنه خلط وجرى على عادة الشعراء لان الطيف لا يدخل الجفن وانما تخيله النفس قلت وهذا كلام من لم يطعم من شجرة الفصاحة والبلاغة وليس يمائله عندى الا ما يحكى عن ملك الروم اذ أنشد عنده بيت المتنبى وهو

كأن العيس كانت فوق جفنى ✽ مناخات فلما ثرن سالا

فسأل عن المعنى ففسر له فقال ما سمعت بأكذب من هذا الشاعر أرأيت من أناخ الجمل على عينه الا يهلكه اه (قلت) القوة المخيلة لا يختص فعلها باليقظة دون النوم بل تفعل فى النوم أقوى لانها لا تحتاج الى تحريك أعضاء البدن وانما تستعمل عين الروح النفسانى المتكون فى البطن المقدم من الدماغ وهو لا يتحال بالاستعمال فلهذا القوة المخيلة قادرة على أفعالها فى جميع الاحوال الا أنها لا تتصور الاشياء باختيارها لانها ليست قوة ارادية وانما فى اليقظة كانت القوة الارادية تصرفها على حسب اختيارها فاذا أتى النوم أتى أمر آخر فاضطرها الى أفعالها وذلك الامر لا يخلو من أحد امور أربعة الاول ارتسام صور المحسوسات التى أدركتها الحواس فى ذلك اليوم فى الخيال فاذا نام الانسان تصرفت القوة المخيلة فى رسوم الصور لقرب عهدها بها ويسمى هذا اتصال الحس بالخيال وعكسه اتصال الخيال بالحس كالاحلام وكمن يرى انه يأكل شيئا فى النوم فيستيقظ وطعمه فى فمه والثانى أن تنظر القوة الفكرية فى أمر من الامور مثل سفر أو ملاقاة صديق أو رجاء أو خوف واستخدم الخيال فى احضار صورها وبقيت تلك الصور فى النوم فتصرفت القوة فيها وفى معانيها ويسمى حديث النفس وعده بعضهم ضربا من الوسواس والثالث ان يتغير المزاج من الروح الذى هو محل القوة فتختلف أفعالها بحسب تغيره فان غلب على مزاجها الحرارة رأت الحمام والشمس والنيران وما أشبه ذلك وهى طبيعة الصفراء وان غلب على مزاجها البرودة رأت الامطار والسيول والبحار والثلوج وما أشبه ذلك وهى طبيعة البلغم وان غلب على مزاجها الحرارة المعتدلة رأت المطاعم الحلوة والالوان المصبغة والملاهى والمجامعة والتصدر وما أشبه ذلك وهى طبيعة الدم وان غلب على مزاجها البرودة اليابسة رأت المخاوف والظلمات والسواد وما أشبه ذلك وهى طبيعة السوداء وان غلب على مزاجها الخفة رأت الطيران والطفرة والعدو وما أشبه ذلك وان غلب على مزاجها الثقل رأت الاحمال الثقيلة والانحصار والانضغاط وما أشبه ذلك وان غلب على مزاجها عفونة الاخلاط رأت الاماكن القذرة والرائحة المنتنة وما أشبه ذلك وان غلب على مزاجها الاعتدال فى الاخلاط رأت الرياض والرائحة الطيبة وما أشبه ذلك (وعلى الجملة) فاذا خرج مزاج الروح الحامل للقوة المخيلة عن الاعتدال رأت المنامات المضطربة بغير نظام لان المزاج لا يثبت على حالة واحدة وهذه هى أضغاث الاحلام فما تعلق من الرؤيا بهذه الاضغاث لم يكن له تعبير وقل أن تصدق رؤيا الشعراء لانهم يستعملون قوتهم المخيلة فى اليقظة كثيرا فما يحاولونه فى معانى التشبيه والاستعارة والكناية وغير ذلك (والرابع) ما يفيضه واهب الصور على القوة المخيلة حال النوم بمثال تدركه النفس وعلم تعبير الرؤيا هو معرفة تطبيق ذلك المثال على ما قصد به وربما ألقاه صريحا بغير مثال فيستغنى عن التأويل ويسمى رؤية المثل بالمثل (فمن ذلك) المرائى التى ذكرها الجاحظ فى كتاب حيلة البرء ومنامات الشيخ محيى الدين

قال فرسك الورد وقصرك بكذا فقال طلحة أف لك لو سألتنى على قدرى أعطيتك كل فرس لى وكل قصر ولكن أبيت الا باهليتك

(وعمرو بن الاهتم انما سحر ببيانك)

هو عمرو بن سنان الاهتم بن سمى التميمى المنقرى وانما لقب سنان بالاهتم لانه هتمت ثنيته يوم الكلاب وعمرو من أكابر سادات بنى تميم وشعرائهم وخطبائهم فى الجاهلية والاسلام وهو بليغ القول طلق العبارة وكان يدعى المكحل لجماله وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو والزبرقان بن بدر فاسلما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمهما فسأل يوما عمرا عن الزبرقان بحضوره فقال مطاع فى ناديه شديد العارضة فى قومه مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان يا رسول الله انه ليعلم منى أكثر مما قال ولكنه حسدنى فقال عمرو أما والله لئن علمت ما قد علمت فانه لئيم الخال ضيق العطن حديث الغنى فرأى تغير النبى صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال يا رسول الله لا تغضب لما رضيت قلت أحسن ما علمت ولما غضبت قلت أقبح ما علمت فوالله

الدين بن عربى قدس سره التى ذكرها ضمن كتابه المسمى بالفتوحات المكية وناهيك به من كتاب وما أحسن قول القائل

له آمر بالرشد فى يقظاته * وفى النوم يهديه لخير الطرائق
فان قام لم يدأب بغير فضيلة * وان نام لم يحلم بغير الحقائق

وما اليق هذا بجناب النبى صلى الله عليه وسلم فانه كان فى مبدأ الامر قبل النبوة لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح واعلم أن القوة المخيلة لا تستقل بنفسها فى رؤية المنام بل تفتقر الى قوة الرؤية المفكرة والحافظة وسائر القوى العقلية فمن رأى كأن أسدا تخطى اليه وتمطى ليفترسه فالقوة المفكرة تدرك ماهية سبع ضار والذاكرة تدرك افتراسه وبطشه والحافظة تدرك حركاته وحياته والمخيلة هى التى ارتسم فيها ذلك جميعه وتخيلته * واعلم أن المنامات التى تحتاج الى التعبير هى الرؤيا التى تكون من الله تعالى اما بشارة أو نذارة لطفا من الله تعالى لينبه الانسان على ما يحدث له فى المستقبل ولهذا ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لم يبق من الوحى الا الرؤيا الصادقة وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وفسر ذلك القاضى عياض بأن قال مامعناه ان مدة ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يتعبد بغار حراء قبل النبوة تكون قد جزء من ستة وأربعين جزأ من مدة النبوة وهى احدى وعشرون أو ثلاث وعشرون أو خمس وعشرون سنة (قلت) قالوا أصح الاقوال أنه عاش صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين سنة وأنه نبئ على رأس الاربعين سنة فمدة النبوة ثلاث وعشرون سنة وثبت أنه كان يوحى اليه منامات قبل البعثة بستة أشهر وهى نصف سنة فاذا اسقطت ستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة كان جزأ من ستة وأربعين وهو كما جاء فى أشهر الاقوال * واعلم أن السبب فى تأخير تحقيق المنامات السارة وسرعة تحقيق المنامات الضارة هو أن القوة الالهية المظهرة لهذه المنامات تحمل البشارة بالخيرات الكائنة قبل أوانها بمدة طويلة لتكون مدة الفرح والسرور أطول فتكون النفس منبسطة بالبشارة مرتاحة بتوقع وصولها قبل حصولها وفى الجهة الاخرى تظهر الانذار بالشرور الكائنة فى زمان يقرب من حصولها ليقصر زمان الهم والغم وكثيرا ما لا يشعر بالهم ولا ينذر به اذا لم يكن للانسان منه بد شفقا عليه لئلا ينضاف الى ذلك الشر الهم الحاصل من الشعور بحصوله وليس حصول الشر سريعا وحصول الخير بطيئا من القواعد المطردة قيل لجعفر الصادق رضى الله عنه كم تتأخر الرؤيا فقال رأى النبى صلى الله عليه وسلم كلبا أبقع يلغ فى دمه فكان شمر بن ذى الجوشن قاتل الحسين وكان أبرص وكان تأخير الرؤيا خمسين سنة وقال بعضهم تتأخر الرؤيا الى عشرين سنة فان يوسف عليه السلام انما رأى تأويل رؤياه بعد عشرين سنة قال الرئيس أبو على بن سينا فى الشفاء فى كتاب الحيوان والصبى لا يحلم حلما يعتد به الى أربع سنين ومن الناس من لم يحلم الى أن يسن ومنهم من لم يحلم البتة ثم قال فى اثناء الكتاب ويضحك الصبى بعد أربعين يوما وذلك أول ما تفعل النفس الناطقة فى بدنه ويرى المنامات بعد شهرين فيما يظن به وينساها لانه فى مثل ذلك الوقت بالتقريب تختلف عنده المحسوسات ويميز بينها وترتسم فى خياله وقال أيضا كل حيوان دموى مشاء فانه ينام ويستيقظ وكل ذى جفن فانه يطبقه عند النوم وقد يحلم غير الانسان من ذوات الاربع يظهر ذلك من شمائلها وحركاتها وأصواتها اه ومن نوادر المخيال ما حكى أن بعضهم

ما كذبت فى الاولى ولقد صدقت فى الثانية فقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا واختلف فى معنى الحديث ان من البيان لسحرا فقال قوم أريد به المدح فان البيان الفهم وانما سمى سحرا لحدة عمله وسرعة قبول القلب له والتعجب منه كما يتعجب من السحر وقد اتفق الناس على أن تصوير الحق فى صورة الباطل والباطل فى صورة الحق من أعلى درجات البلاغة وقال قوم أريد به الذم لان السحر تمويه والبيان كثرة الكلام والنفاق واحتجوا بقوله عليه السلام الحياء والعى شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق والاول أصح وانما سمى البيان هنا نفاقا اذ كان من البذاء (وحكى) العتبى قال وفد الاحنف وعمرو بن الاهتم على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فاراد أن يقرع بينهما فى الرياسة فلما اجتمعت بنو تميم قال الاحنف وهى من سقطاته

ثوى قدح عن قومه طول ما ثوى
فلما أتاهم قال قوموا فقاخروا

فقال عمرو انا كنا نحن وأنتم فى دار جاهلية وكان الفضل فيها لمن جهل فسفكنا دماءكم وسبينا نساءكم

كتب الى امرأة كان يهواها مرى خيالك أن يلم بى فكتبت اليه ابعث الى بدينارين حتى أجيء اليك بنفسى فى اليقظة ومثل هذا ما حكى أن بعض البخلاء كتب الى غلام يهواه وضعت على الثرى خدى لترضى فكتب اليه الغلام ابعث الى بدينار حتى أدعك تضع خدك على خدى وقيل ان بعض المغفلين تعب فى تحصيل من كان يهواه مدة طويلة فلما حصل عنده وضع العاشق رأسه ونام فقال له لاى شئ تفعل هذا قال من عشقى فيك أنام لعلى أرى خيالك فى المنام وما أحسن قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

فسر لى عابر منامًا * فصل فى قوله واجمل
وقال لابد من طلوع * فكان ذاك الطلوع دمل

أنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ تقى الدين محمد بن سيد الناس بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة قال أنشدنى لنفسه الحكيم شمس الدين محمد بن دانيال الموصلى

كم قيل لى اذ دعيت شمسا * لابد للشمس من طلوع
فكان ذاك الطلوع داء * يرقى الى السطح من ضلوعى

وقال الشيخ تقى الدين السروجى

بى طلوع أنابه فى نزول * وطلوع بلا ارتفاع نزول
قيل لابد أن يزول سريعا * قلت أخشى أزول قبل يزول

وذكرت بما أوردته مما نقله ابن الاثير من البيتين اللذين أولهما وقد أشق الحجاب الصعب ما نقلته من خط ناصر الدين حسن بن النقيب

نصبت جفونى للخيال حبائلا * لعل خيالا فى الكرى منه يسنح
وكيف اذا أغمضتهن أصيده * ومن عادة الاشراك للصيد تفتح

وهو مأخوذ من قول ابن سناء الملك

سرى طيفه لا بل سرى فى سرابه * وقد طار من وكر الظلام غرابه
وما كان يدرى الطيف قبل طروقه * بان انفتاح الجفن منى حجابه

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

كفى حزنا أن لا أراقب لحظة * ولا أشهد اللذات الا تخيلا
ولا استزير الطيف خوف فراقه * لما ذقت من طعم التفرق أولا
وأقسم لو جاد الخيال بزورة * لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

(رجع) ذكرت بقول الصغرائى ويقنعنى من الغنيمة بعد الكد بالقفل ما نظمته أنا وهو

قنعت بالعود الى منزلى * وذلك دأب المرء فى خيبته
كالحجر الملقى الى صاعد * ليس له هم سوى عودته

اختلف أهل النظر فى هذا الموضع فقال قوم ان السهم أو الحجر أو غيرهما اذا رمى به صعدا وتناهى صعوده كانت له فى آخر صعوده لبثة قائم يتصوب منحدرا وقال آخرون لا لبث هناك وانما أول وقت حدوره عقيب آخر صعوده قال ابن جنى وهذا القول أشبه بسياق هذا الكلام على قول أبى الطيب

وما أنا غير سهم فى هواء * يعود فلم يجد فيه امتساكا

والبوم فى دار الاسلام والفضل فيها لمن حلم فغفر الله لنا ولك فغلب يومئذ عمرو على الاحنف ووقعت القرعة لآل الاهتم فقال عمرو

ولما دعتنى للرياسة معشر * لدى مجلس أضحى به النجم باديا
شددت لها ازرى وقد كنت قبلها
لا مثالها قدما أشد ازاريا

وتوفى فى سنة سبع وخمسين * وكان يقول أشجع الناس من ردجهله بحلمه * وكان يقول أف للخمر وكان ممن حرمها فى الجاهلية وقال لو كان شئ يشترى ما كان شئ أنفس منه يعنى العقل فالعجب لمن يشترى الحمق بماله فيدخله فى رأسه فيبقى فى جميعه ويسلم فى ذيله * ومن شعره وهو فى أعلى الطبقات قوله

ومستنبح بعد الهدو دعوته
وقد حان من سارى الشتاء طروق
يعالج عرنينا من الليل باردا
تلف رياح ثوبه وبروق
أضفت فلم أحفل عليه ولم أقل
لأهرمه ان المكان مضيق
وقلت له أهلا وسهلا ومرحبا
فهذا بيت صالح وغبوق
وقمت الى البزل الهواجد فانتقت
مقاصيدكوم كالجادل ردق

(قلت)

(قلت) القول الاول ذهب اليه الرئيس أبو علي بن سينا لانه يقول اما ان يحصل بين الحركة الصاعدة والحركة الهابطة زمان أولا والثاني محال والا لزم تتالي الآنات فيلزم من ذلك تركب الحركة الصاعدة والحركة الهابطة من أجزاء لا تتجزأ هذا خلف فتعين الاول فالجسم ساكن في ذلك الزمان هذا ملخص ما حكاه أثير الدين الابهري في كشف الحقائق ثم قال وفيه نظر لان الآن لا وجود له في الاعيان والا لكان في الحركة جزء لا يتجزأ فيكون في الجسم جزء لا يتجزأ وهو محال (قلت) هذا مبني على اثبات الجوهر الفرد وهو الجزء الذي لا يتجزأ وهي مسئلة عظيمة تدور عليها قواعد كثيرة في علم الكلام واثباته يشق على من ناظر الفيلسوف قال الذي منع ثبوته كل جزء تفرضه فان يمينه يتميز عن يساره ومتى كان كذلك قبل القسمة وقال المتكلمون لابد أن ينتهي القول الى اثبات جزء فاصل بين كل يمين ويسار فرضا في قسمة الاجزاء وهو المطلوب (مسئلة فرضية فيها اثبات الجوهر الفرد) وهي أختان اشترتا أمهما ثم ان أمهما وأجنبيا اشتريا أباهما يعني أبا الاختين فماتت احدى الاختين ولم تخلف الا أختا والاجنبي فلها النصف بالاخوة والباقي لمعتق الاب وهما الام والاجنبي والام ميتة فنصيبها وهو الربع للاختين لانهما معتقتاها واحداهما ماتت فنصيبها وهو الثمن لمعتق الاب وهما الام والاجنبي والام ميتة فنصيبها وهو نصف الثمن للاختين وواحدة ميتة فنصيبها وهو ربع الثمن للام والاجنبي والام ميتة فنصيبها وهو ثمن الثمن للاختين وهكذا الى ما لا نهاية له ويبقى شئ لا ينقسم على هذا النمط فتأمله يثبت لك الجوهر الفرد والله أعلم واحتال الفرضيون على قسمة هذا الميراث فقالوا نحن رأينا هذا الثمن الدائر ثلثاه للاجنبي وثلثه للبنت الموجودة اذ لها نصف بالاخوة وثمن بالجر وثلث الثمن الدائر أيضا بما قررناه وللاجنبي ربع وثلثا الدائر فيكون للبنت الثلثان فتجعل من ستة ثلاثة للبنت بالاخوة والباقي ثلاثة سهمان منها للاجنبي وسهم واحد للبنت بالولاء الذي انجر اليها من المعتق فيكون للبنت أربعة أسهم وللاجنبي سهمان والله أعلم وبالغ أبو اسحق النظام من المعتزلة في القول بعدم اثبات الجوهر الفرد وما أحلى قول ابن سناء الملك

ولو عاين النظام جوهر ثغرها * لما شك فيه أنه الجوهر الفرد

(وقوله أيضا)

وقد حور النظام جوهر ثغره * ألست تراه قد تقسم بالفلج

وما أحسن قول المعتضد بن عباد يضمن قول أبي الطيب

وما كنت بعد البين الا موطنا * لنفسي على أن لا يكون اياب
ولكنك الدنيا الى حبيبة * فما عنك لي الا اليك ذهاب

ومثل الاول قول ولده المعتمد

ما سرت قط الى الفتا * ل فكان من أملي الرجوع
شيم الالى أنا منهم * والاصل تتبعه الفروع

والاصل فيه قول قيس بن الخطيم

فاني في الحرب الضروس موكل * بتقديم نفس لا أريد بقاءها

قال أبو دلامة كنت في عسكر مروان بن محمد أيام زحف الى طبرستان فخرج رجل منهم ينادي

بأدماء مرتاع النتاج كأنها
اذا عرضت دون العنار
عنيق
فقام اليها الجازران فاغلوا
يطيران عنها الجلد وهي تفوق
فجرا اليناضرعها وسنامها
وأزهر يحبو للقيام عتيق
وبات لنا منها ولاضيف موهنا
عشاء سمين آهن ووشيق
وكل كريم يتقي الذم بالقرى
وللخير بين الصالحين طريق
لعمرك ما ضاقت بلاد باهلها
ولكن أخلاق الرجال تضيق
تمتى عروق من زرارة للعلا
ومن دونك والاسد عز عروق
مضاريب يجعلن الفتى في
أرومة
يفاع وبعض الوالدين رقيق

وقوله أيضا من أبيات

وذي لوثة مهني الرقاد بعينه
بغام رخيم الصوت ألوث فاتر
فقلت له كش ثيابك وارتحل
والا يكايدك السرى والهواجر
اذا ما نجوم الليل صارت
كأنها
هعائن يطلعن الفلاة صوادر
شآميه الاسهيلا كأنه
فنيق غدا من شولة وهو
جافر

وقوله وهو أحسن ما للمتقدمين في هذا المعنى

تطاردني يوم جديد وليلة
هما أبليا جسمي وكل فتى بالي

البراز فخرج اليه أحدا لا أعجله فجعل مروان يندب الناس على خمسمائة درهم فقتل أصحاب الخمسمائة فندبهم على ألف ولم يزل الى خمسة آلاف فلما سمعت الخمسة آلاف اقتحمت الصف فلما انظر الخارجي الى برزوهو يقول

وخارج اخرجه حب الطمع * فرمن الموت وفى الموت وقع
* من كان ينوى أهله فلا رجع *

قال فلما وقعت فى أذنى وليت هاربا ودخلت فى غمار الناس وكان أبو دلامة مع أبى مسلم فى بعض حروبه فدعا رجل الى البراز فقال أبو مسلم لابى دلامة اخرج اليه فقال

ألا لا تلمنى ان هربت فانى * أخاف على نفسى وان تحطما
فلو انتى أبتاع فى السوق منلها * وجدتك ما بالیت أن أتقدما

ولما خرج أبو دلامة مع روح المهلبي لقتال الشراة وأمره بالمبارزة قال

انى أعوذ بروح أن يقدمنى * الى القتال فتخزى بى بنو أسد
ان البراز الى الاقران أعلمه * مما يفرق بين الروح والجسد
قد حالف الفتك المنايا اذ صمدت لها * وأصبحت لجميع الخلق بالرصد
ان المهلب حب الموت أورثكم * ولم ارث أنا حب الموت عن أحد
لو أن لى مهجة أخرى لجدت بها * لكنها خلقت فردا فلم أجد

وقال ابن أبى قيس

قامت تشجعنى ضلالا بتضليل * وللشجاعة قلب غير مجهول
هاتى شجاعا بغير القتل ميتته * أريك ألف جبان غير مقتول
لما رأيت سيوف القتل مصلتة * منى تحيرت فى عرضى وفى طولى
الله سلمنى منهم وخلصنى * مصفر الوجه مخضوب السراويل
والله لو أن جبريلا تضمن لى * نفسى لما وثقت نفسى بجبريل

(قيل) ان بعض الجبناء ولى هاربا عند التقاء الصفين فقيل له ان الامير يغضب عليك لفرارك فقال غضبه على وأنا حى خير لى من رضاه على وأنا ميت

(وذى شطاط كصدر الرمح معتقل * عثلبه غير هياب ولا وكل)

(اللغة) ذى بمعنى صاحب (الشطاط) بالفتح والكسر اعتدال القامة يقال جارية شاطة بينة الشطاط (الاعتقال) هو أن يضع الفارس رمحه بين ساقه وركابه واعتقلت الشاة اذا وضعت رجليها بين فخذيك (هياب) رجل هيوبة وهيابة وهياب وهيبان بتشديد الياء أى جبان وكذلك الهيوب وفى الحديث الايمان هيوب أى صاحبه يهاب المعاصى (الوكل) رجل وكل بالتحريك ووكلة مثل همزة أى عاجز يكل أمره الى غيره ويتكل عليه وموكل مثل موحد وهو شاذ (الاعراب) الواو واو رب قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك رب حرف تقليل وتستعمل فى التكثير كما قال الشاعر

رب رفد هرقته ذلك اليو * م وأسرى من معشر أقيال

وقال تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فرب هنا معناها التكثير كما جاء فى كلامهم وهو كثير مثل رب ساع لقاعد ورب غافل ينتظره الموت اه ثم قال بدر الدين وتختص

اذا ما سلخت الشهر أهلت بعده
كفى قاتلا سلخى الشهور واهلالى

(وأن الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك)

بكر وتغلب هم بنو وائل الذين قامت بينهم حرب البسوس كما تقدم فى ذكر جساس ومهلهل واستمرت أعواما كثيرة الى أن تفانى الحيان وقتل عظماؤهم فخرج مهلهل الى أخواله ضجرا من الحرب وتطاول المدة ومال من بقى من القوم الى صلح بعضهم بعضا وراسلهم الحرث بن عمرو بن معاوية الكندى ملك كندة وهو جد امرئ القيس الشاعر فى الصلح بينهم والتسلط عليهم وقد كانوا قالوا ان سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا وأكل القوى الضعيف والرأى أن نملك علينا ملكا نعطيه البعير والشاة فيأخذ من القوى ويرد المظالم ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون فلا تنقطع الحروب فأجابوا الحرث ابن عمرو الى ما أراد فقدم عليهم وتلافى بقيتهم وأصلح أمرهم وشغلهم بغزو اللخميين من بنى غسان ملوك الشام وكان الحرث ملكا جليلا رفيع الهمة ويسمى آكل المرار وانما سمى بذلك لان

بالنكرات نحو رب رجل لقيته قلت لان النكرة تدل على الشيوع فيجوز فيها التقليل لقولها التقليل والتكثير واما المعرفة فمعلومة المقدار فلا تحتمل تقليلا ولا تكثيرا اه ثم قال بدر الدين وقد تدخل في السعة على المضمر كما تدخل على المظهر مثل دخول الكاف في الضرورة كقول العجاج

خلى الزنابات شمالا كثبا * وام اوعال كها أو أقربا

الا ان الضمير بعد رب يلزم الافراد والتذكير والتفسير بتمييز بعده نحو ربه رجلا عرفته وربه امراة لقيتها أنشد احمد بن يحيى * وربه عطبا انقذت من عطبه * قلت قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس اختلف في الضمير العائد الى النكرة هل هو معرفة او نكرة فان قلنا بان ضمير النكرة نكرة وبه قال السيرافي والزمخشري وجماعة فلا اشكال في دخول رب على الضمير وان قلنا بان ضمير النكرة معرفة وبه قال اكثر النحاة وهو الصحيح فانما جاز دخول رب على الضمير لانه لما أبهم من جهة تقدمه على المفسر ومن جهة وقوعه للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ واحد وشاع من جهة تفسيره بالنكرة صار فيه من الابهام والشيوع ما قارب به النكرة فجاز دخول رب عليه قال بدر الدين وتجري رب مع افادتها التقليل مجرى اللام المقوية للتعدية في دخولها على المفعول به وتختص بوجوب تصدير هاونعت مجرورها ومضى معداها وهو وما بعد النعت من فعل مفرع [٣] ظاهر أو مقدر مثال الظاهر رب رجل كريم عرفت ومثال المقدر رب رجل عرفته أي عرفت وكذلك قولك رب رجل رأيت ورب رجل كريم رأيته (قلت) قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس لابد للخفوض بها أو بما ناب منابها من الصفة وفي هذه المسئلة خلاف وهو هل المجرور برب لازم الصفة أو لا فمن الناس من قال بعدم اللزوم ومنهم من قال باللزوم كابي علي والزمخشري وابن عصفور ومن تبعهم واحتجوا لذلك بان الصفة في النكرة للتخصيص فهي تفيد الموصوف تقليلا فيوافق المعنى المقصود في ان رب للتقليل وقال الشيخ بهاء الدين أيضا انما جاز رب رجل وأخيه ولم يجز رب أخيه لان الثواني يجوز فيها ما لا يجوز في الاوائل بدليل قولهم كل شاة وسخلتها بدرهم ومررت برجل قائم أبواه لا قاعدين ولو قلت كل سخلتها ومررت برجل لا قاعدين أبواه لم يجز وانما جاز في الثواني ما لم يجز في الاوائل من قبل انه اذا كان ثانيا يكون ما قبله قد وفى الموضع حقه فيما يقتضيه فجاز التوسع في ثاني الامر بخلاف ما لو أتينا بالتوسع في اول الامر فانا حينئذ لا نعطي الموضع شيأ مما يستحقه هذا اذا لم نقل ان المضاف الى ضمير النكرة نكرة فان قلنا انه نكرة كان الجواز أسوغ قال ولا يكون العامل فيها الا بمعنى المضي كقولك رب رجل جواد لقيته أو أنا لاق أو هو ملاق ولا تقول رب رجل جواد سألقى أو لالقين لان التقليل في الماضي شائع ولا كذلك في المستقبل لانه لم يعلم فيتحقق تقليله قال وتلزم ابدا الصدر لشبهها بحرف النفي من جهة مقاربة التقليل للنفي لان النفي اعدام الشيء وتقليله تقريب من اعدامه ولان العرب استعملوا التقليل في موضع النفي قال الشاعر

قلما يبرح المطيع هواه * كلفا ذا صبابة وجنون

معناه ما يبرح المطيع هواه كلفا قال وتدخل عليها ما فتكون ما حينئذ كافة ويسميها بعضهم مهيئة لانها هيأت رب للدخول على الفعل الذي لم تكن تدخل عليه (قلت) وتحذف رب ويبقى عملها وهو بعد الفاء وبل قليل وبعد الواو كثير فمن حذفها بعد الفاء قول امرئ القيس

زياد بن الهبولة أحد ملوك الشام غزا أرضه والقوم خلوف بالبحرين فاصاب سبيا وغنائم وسبى هند بنت ظالم زوجة الحرث بن عمرو فبلغ الحرث الخبر فخرج للقاء ابن الهبولة وأرسل سدوس ابن سنان وخليع بن وهب يتجسسان له الخبر في عسكر ابن الهبولة فخرجا حتى هجما على العسكر ليلا وقد أمن الطلب وقسم النهب وأخذ الرباع واوقد نارا عظيمة ونادى مناديه من جاء بحزمة حطب فله قدره من تمر فاخذ كل منهما حزمة من الحطب وألقاها عند النار وأخذا التمر فاما خليع فقال يكفي هذه آية وانصرف وأما سدوس فقال لا أبرح حتى آتيه برجلي فلما دخل ابن الهبولة قبته قرب سدوس منها بحيث يسمع كلامه وأقبل ناس يحرسون القبة فضرب سدوس يده الى جليس له مخافة أن ينتكره فقال من أنت فقال فلان ودنا ابن الهبولة من هند امرأة الحرث فقبلها وداعبها وقال ما ظنك الآن بالحرث قالت ما هو الظن بل هو اليقين انه لن يدع طلبك حتى يعاين القصور الحمر يعني الشام وكاني أنظر اليه في فوارس من شيبان يدمرهم ويدمرونه وهو شديد الكلب كانه بعير

[٣] قوله من فعل مفرع الى آخر العبارة هكذا بالاصل ولتحرر اه

*هذا لك حبلى قد طرقت ومرضع *ومن حذفها بعد بل قول رؤبة بن العجاج

*بل بلد مثل الفجاج قتمه *وحذفها بعد الواو كثير لايحتاج الى شاهد واما حذفها مع عدم الواو والفاء وبل فنادر كقول الشاعر

رسم دار وقفت في طلله * كدت أقضي الحياة من جلله

وفي رب تسع لغات رب ورب ورب وربت وربت وربت ورب ورب ورب (رجع) ذي أصله ذوو وانما جر بالياء لانه أحد الاسماء الستة المعتلة المضافة التي تعرب بالواو رفعا وبالالف نصبا وبالياء جرا وذوهذه أطلق المتقدمون لفظها في هذه الاسماء الستة ولم يحترزوا من ذوا التي بمعنى الذي في لغة طيئ فانها مبنية لادخول للاعراب فيها وهذا أورد واعلى الشيخ جمال الدين بن الحاجب في قوله وذو مال في مقدمته قالوا كان ينبغي ان يقول وذوا التي بمعنى صاحب احترازا من ذوا الطائية كقول الحماسي

فان الماء ماء أبي وجدي * وبئري ذو حفرت وذو طويت

يريد الذي حفرت والذي طويت وكما قال أبو زيد الطائي في صفة الاسد لعثمان رضي الله عنه فلا وذو بيته في السماء ولذلك قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك

من ذا لك ذوان صحبة أبانا *وأجيب عن جمال الدين بن الحاجب بانه قال وذو مال فاستغنى بالمثال عن الاحتراز لانها في المثال بمعنى صاحب فتعين ان لفظة ذي في بيت الطغرائي بمعنى صاحب وهي مجرورة برب مضمرة وعلامة جرها الياء (شطاط) مضاف الى ذي وسيأتي الكلام على الاضافة فيما بعد (كصدر) الكاف بمعنى مثل وهي في موضع جر لانها صفة لذي المجرورة برب وصدر مجرور بالاضافة (الرمح) مجرور بالاضافة الى صدر (معتقل) مجرور على انه صفة بعد صفة لذي (مثله) جار ومجرور والهاء في موضع جر بالاضافة وهي ترجع الى الرمح والجار والمجرور في موضع نصب مفعول لاسم الفاعل وهو معتقل كانه قال معتقل مثله (غير هياب) غير مجرور على انها صفة لمعتقل (فان قلت) معتقل نكرة وغير هياب معرفة فكيف توصف النكرة بالمعرفة (قلت) غير لاتتعرف بالاضافة الا اذا وقعت بين متضادين وكانا معرفتين كما تقول عجبت من قيامك غير قعودك أو عجبت من الحركة غير السكون وهياب لم يضادمعتقلا فغيرنكرة هنا مع وجود الاضافة ومن خواص غير أن لاتدخلها الالف واللام (ولا وكل) الواو عاطفة ولا حرف نفي وغير للنفي فعطفت النفي على النفي ووكل مجرور بالعطف على هياب (المعنى) وصاحب قامة معتدلة مثل صدر الرمح معتقل برمح غير جبان ولا عاجز أخذ يصف صاحبه ويعدد ماهو عليه من كمال الخلق والخلق والصفات التي تطلب من رفاق السفر في الليل من الشجاعة والاقدام وغير ذلك فقد التفت الى هذا فاقتضب مما كان يشرحه ويوضحه من حاله ومقامه في بغداد وغربته وفقره وعدم أصحابه وعكس مقاصده وصف هذا الرفيق والالتفات عادة البلغاء فيلتفتون من فن الى فن ومن أسلوب الى أسلوب على عادة العرب في كلامهم وأرى الاقتضاب نوعا من الالتفات كقول أبي نواس في قصيدته النونية يبتدأ هو يصف الخمر ويقول من ذلك

ما استقرت في فؤادفتى * فدرى مالوعة الحزن

اذا اقتضب ذلك وقال بعده

أكل مرارا فسمى آكل المرار والمرار نبت فيه مرارة اذا أكلت منه الابل قلصت مشافرها وقيل بل سمعها سدوس يعني هندا تقول لابن الهبولة وقد سألها عن حبها الحرث فقالت والله ما أبغضت نسمة قط بغضي له وما رأيت أحزم منه نائما ومستيقظا وكان اذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عمامة من لبن فبينما هو نائم يوما وأنا قريب أنظر اليه اذ أقبل سالخ الى العس فشرب منه ثم مج فيه فقلت يستيقظ فيشربه فيموت فاستريح منه فانتبه من نومه فقال على بالاناء فناولته اياه فشمه ثم ألقاه فهرق ثم قال أين ذهب الاسود فقلت ما رأيته فقال كذبت فلما سمع سدوس هذه المقالة أمهل حتى نام الحرس وخرج يسري ليلته حتى صبح الحرث فدخل عليه وهو ينشد

أتاك المرجفون برجم ظن
على دهش وجئتك باليقين

ثم قص عليه ماسمع وكان الحرث جالسا في موضع فيه شئ كثير من نبت المرار فجعل يسمع الحديث ويعبث بالمرار ويأكل منه غضبا واسفا وهو لايعلم انه يأكله

(قوله فان قلت الخ) في هذا نظر ظاهر فليتأمل اه

تضحك الدنيا الى ملك * قام بالاثار والسنن

وكذلك الظفر الذى بيناه وفى ذكر حاله وما هو عليه من شكوى الزمان اذا اقتضب ذلك وأخذ فى وصف الصاحب الذى ذكره فهذا التفات من نوع الى نوع وقول ابن الأثير فى المعانى المبتدعة وتغليطه الناس فى الالتفات ومشاحة من أدخل فى الالتفات ما ليس من شرطه وهو ان الالتفات الرجوع من الخطاب الى الغيبة أو بالعكس تحكم منه وانما الالتفات هو الخروج من نوع الى نوع وسلوك سبيل بعد سبيل حتى ان التخلصات هى نوع من الالتفات ولكن خروجها متصل بمناسبة بين الغزل والوصف أو غير ذلك وبين المدح وأرباب البلاغة يسمون الالتفات شجاعة العربية وهو ينقسم ثلاثة أقسام الاول الرجوع من الغيبة الى الخطاب وبالعكس فالاول كقوله تعالى الحمد لله رب العالمين الآيات ثم قال اياك نعبد واياك نستعين انتقل من الغيبة الى الخطاب والثانى كقوله اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم انتقل من الخطاب الى الغيبة (وأقول) انما عدل فى الاول من الغيبة الى الخطاب لان الحمد دون العبادة الا ترى تحمد نظيرك ولا تعبده فكأن القارئ توسل الى الاعلى بالادنى والى الخطاب بالغيبة على سبيل التدريج الى الغاية ولم يخاطب الله من أول وهلة

قدم يدا من قبل أن تدنى يدا * ومبرة من قبل ان تدنى فما

فكأنه أثنى أولا ثم خاطبه ثانيا وفى الثانى انما عدل عن الخطاب الى الغيبة لان المقام مقام سؤال وتعطف وطلب هداية ورحمة من الله تعالى فلو قال غير الذين غضبت عليهم لكان قد نسب الغضب اليه تعالى وكان بمنزلة من يقول أنت تنعم وتنتقم وتعفو وتؤاخذ وفى هذا من المواجهة لمن يطلب احسانه ورحمته وهدايته ما فيه لانك تذكره بما له عليك أما اذا قلت أنت المنعم الذى لا يغضب والعفو الذى لا يؤاخذ كنت قد أتيت بما زاده عطفا عليك وأغراه بالعفو عنك وما أحسن قول القائل

حجبى عليك اذا خلوت كثيرة * واذا حضرت فانتى مخصوم

لا أستطيع أقول أنت ظلمتنى * والله يعلم أننى مظلوم

والثانى من أقسام الالتفات الرجوع عن الفعل المستقبل الى الامر وعن الماضى الى الامر فالاول كقوله تعالى ان تقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى انتقل من الاستقبال الى الامر والثانى كقوله تعالى قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين أقول انما عدل فى الآية الاولى عن المستقبل الى الامر لئلا يساوى بين شهادة الله تعالى وشهادتهم فلم يقل أشهد الله وأشهدكم وانما عدل فى الآية الثانية عن الماضى الى الامر لان لفظ الامر فيه العناية بما أمر به فاذا قلت أمرتك بالقيام وصل لله تعالى كان أبلغ من قولك أمرتك بالقيام والصلاة والثالث الاخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل وبالعكس فالاول كقوله تعالى الله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا الآية انتقل من المضى الى الاستقبال والثانى كقوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم وقوله تعالى ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات الآية انتقل من الاستقبال الى المضى وأقول انما عدل فى الاول عن الماضى الى

من شدة الغيظ الى أن فرغ الحديث ووجد طعمه فسمى آكل المرار ثم لحق ابن الهبولة فقاتله وظفر عليه ولم يزل ملكا على بنى وائل الى أن مات ومن شعره يقول

رب هم جشمته فى هواكم * وبعير تركته محسور

وغلام كلفته دلج الليـ * ـل فاضحى كأنه مخمور

ان من غره النساء بشئ * بعد هند لجاهل مغرور

حلوة العين واللسان وسن * كل شئ يحن منها الضمير

كل أنثى وان بدا لك منها * آية الحب هجرها يتعور

(والحمالات بين عبس وذبيان أسندت الى كفالتك)

(الحمالات) جمع حمالة وهو ما يتحمله الرجل عن القوم من دية أو غرامة وأصل الحرب بين بنى عبس وذبيان أن قيس بن زهير المقدم ذكره كان قد اشترى من مكة درعا حسنة تسمى ذات الفضول وورد بها الى قومه فرآها عمه الربيع بن زياد وكان سيد بنى عبس فأخذها منه غصبا فانتقل عنه قيس بن زهير بأهله وماله ونزل على بنى ذبيان وسيدهم حصن بن بدر بن حصين وأخوه حذيفة فأكرموه وأحسنوا جواره وكانت لقيس خيل كريمة من جملتها داحس وانما سمى

الاستقبال طلبا لاستحضار حال تلك الصورة البديعة فان المستقبل فى الانتظار والتوقع فيطلب بذلك التهيئ والتطلع لوقوع الحال بخلاف الماضى فانه أمر فرغ منه وليس للنفوس اليه تطلع وفى الثانى انما عدل عن الاستقبال الى الماضى لان الماضى أمر وقع وصح وثبت وتحقق كونه ولما كان الخبر وفزع أهل السموات والارض أمرا مطلوبا ثبوته وتحققه أخبر عنه بالماضى الذى وقع وجزم العقل به بخلاف الاستقبال فانه أمر مظنون يحتمل وقوعه وعدمه فانظر الى ما أعطى الالتفات فى هذه المواضع من المعانى وأفاد هامن الحكم فتبارك الله الذى أنزل القرآن وجعله معجزا نأت غايته عن البشر وبعدت مرامى معانيه وحكمه عن المعارضة والاتيان بمثله أو بسورة منه تنزيل من حكيم حميد * قال الزمخشرى والالتفات من أسلوب الى أسلوب تطرية لنشاط السامع وطلب للاصغاء اليه قلت ألا ترى أن الطغرائى لما أخذ فى وصف حاله وماهو فيه من النكد وضيق الحال كانه أطال على المخاطب فى ذلك وأحس منه بالملال فالتفت الى وصف هذا الصاحب الذى رافقه فأنشأ للسامع معنى غير الاول بعث له نشاطا جديدا واستأنف له اصغاء آخر وجدد له تطلعا يتشوف معه الى الوقوف على هذا الخبر الثانى وهذا غير خاف وصدر بيت الطغرائى هو بعينه صدر بيت الحريرى فى مقامته الرابعة والاربعين من قصيدته الباثية لانه قال

وذى شطاط كصدر الرمح قامته * صادفته بنى يشكو من الجدب

ومثل هذا لا يعد سرقة لان المعنى ليس ببديع ولا للفظه بقطيع ولا الطغرائى بعاجز عن الاتيان بمثله بل جرى على لسانه ونسى أن هذا لغيره لعدم الاحتفال بأمره اذ هو ليس بامر كبير وهذا كثير الوقوع للناس لا يكاد يسلم القول منه ولهذا قال أشياخ الادب ما حفظ المقامات أحد ونسيها الا نظم ونثر وقوله كصدر الرمح معتقل بمثله من الايجاز والاختصار لانه استغنى بمثله عن ان يقول برمح طويل قويم معتدل وما أحسن المثل المشهور ويكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق وقال البحترى

والشعر لمح كفت اشارته * وليس بالهذر طوّلت خطبه

وأحسن ما ورد فى الايجاز قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين وقد تكلم أرباب البلاغة فى هذه الآية وأكثروا قال ابن أبى الاصبع وما رأيت فيما استقريت من الكلام كآية استخرجت منها احدا وعشرين ضربا من المحاسن وذكرها ثم فسر ذلك وشرحه والكلام عليها يطول ههنا وهذه الآية مشهورة بين أرباب البلاغة بالابداع وأعظم ما فيها شرح شأن نوح عليه السلام فى الطوفان من أوله الى آخره فى هذه الالفاظ القلائل ومن جملة اعجاز القرآن ايجازه وهو مشحون بذلك ومثل قول الطغرائى بمثله فى كلام الشعراء كثير كقول أبى تمام الطائى

وركب كأطراف الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه

فاستغنى بقوله على مثلها عن أن يقول على نوق كاطراف الاسنة وما أحلى قول ابن الساعاتى

يا لقومى وقد أقام فريق * ليلة النصف واستقل فريق
كل قد ومثله لكن الذا * بل قد والناضر المعشوق

داحسا لانه كان لرجل من بنى يربوع يقال له قراوش وكان له فرس تسمى جلوى ولرجل منهم يقال له حوط فرس يقال له ذو العقال وكان لا يطرقه شيء وانهم توجهوا فى نجعة والفحل مع ابنتين لحوط يقودانه فمرت به جلوى وديقا فلما استنشاها ودى فضحك شباب منهم فاستحيت الفتاتان فأرسلتا مقوده فوثب على جلوى ثم جاء حوط وكان سيئ الخلق فرأى عين فرسه فقال ثار والله فأخبر بالخبر فنادى بنى يربوع فاجتمعوا فقالوا والله ما أكرهناه قال أريد ماء فرسى فقالوا دونك فأوثقها حوط ثم جعل فى يده ترابا وسطا عليها فادخل يده فى فرجها وأخرجها فاشتملت الرحم على ما فيها فنتجها قراوش مهرا فسماه داحسا لسطوة حوط عليه ودحسه اليد اليها وخرج داحس كانه أبوه * ثم ان قيس بن زهير أغار على بنى يربوع فغنم وسبى وركب داحسا فتيان من بنى درم فنجوا وقطعا الخيل فلما رآه قيس أعجب به فدعا الى أن يجعل فداء السبى ففعلوا وصار لقيس فتراهن رجلان من بنى ذبيان عليه وعلى فرس محذيفة تسمى الغبراء أيهما

وقلت أنا في هذا النوع

يا قوم من سطوة الترك سلوا * بيض أجفانهم لحز النحور
كل لحظ ومثله لكن النصـ * ـر تراه في الحرب للمكـ * ـور

وقلت أيضا

رب يوم تقابل الورد فيه * بين روض وبين خـ * ـد تضرج
كل شئ ومثله لكن الأحـ * ـسن ما كان بالعـ * ـذار مسيج

وقلت أيضا

يقابل بدر التم منه بطلعة * هي البدر لكن حسنها منه أشهر
وفي خده ورد وفي الروض مثله * ولكن ما تحت النواظر أنضر

وقريب من هذه المادة أعني قول الطغرائي وغيره قول أبي العتاهية فيما أظن

حلقت لحية موسى باسمه * وبهـ * ـرون اذا ما قابلا

قوله باسمه أوقع في النفس من ان يقول حلقت لحية موسى بموسى لان خفاء التدبير أحسن من وضوحه وعلى ذكر موسى فما أحلى قول مجد الدين بن الظهير الاربلي في القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان وولده موسى

وكيف يؤتى رشده حاكم * حكم في لحيته موسى

كتب الشيخ جمال الدين الموقاني الى جمال الدين موسى بن يعمور وقد أهدى له موسى

وأهديت موسى نحو موسى وان يكن * قد اشتركا في الاسم ما أخطأ العبد
فهذا له حد ولا فضل عنده * وهذا له فضل وليس له حد

وقد اختلس قول أبي العتاهية المتقدم أبو الحسن علي بن عبد الغني الضرير الحصري وهو ابن أخت أبي اسحق ابراهيم صاحب زهر الآداب فقال

يا حرقة الشـ * ـعراء انك منهم * حيث ابتغوا رزقا لبا لمرصاد
لو حل بالوادي المقدس ركبهم * لشفاه غلتهم بجنب الوادي
ولو ابتغوا حلق الرؤس بمكة * لحضر الرشيد بها وغاب الهادي

يريد باسم الرشيد وهو هرون واسم أخيه الهادي وهو موسى ومثل هذا قول أبي بكر محمد بن عمار وقد دخل حماما بحصن شقورة فالتمس نورة يطلي بها عورته فلم يجد فاستعمل الموسى بدلا منها فقال

شـ * ـقورة شر دار * وشرها زاد بوسا
عدمت هرون فيها * فظلت أطلب موسى

وقول ابن عمار الحصري فيه شئ يؤاخذان به وهو انما أراد بهرون قلب حروفه ليعود نورة وليس في اللفظين ما يدل على القلب وان كان يمكن التاويل للحصري بانه ما أراد الا غيبة موسى الهادي وحضور الرشيد هرون لا غير ولكن المتبادر الى الذهن ذلك فعلى كل حال قول أبي العتاهية أكمل وقلت أنا ملغزا في الموسى

وما شئ له حـ * ـد وخـ * ـد * يكلم من يلامسه بحقه
وكل حلقه من تحت رأس * وهذا الرأس يصبح تحت حلقه

السابق على عشر قلائص وقد قيل ان داحسا والغبراء فرسا قيس والحضار والحنفاء فرسا حذيفة وانهم أجروا الجميع وقيل تراهنا على فرسي قيس أيهما السبق وللرواة في ذكر هذا السباق أخبار مختلفة مطولة جدا تشتمل على أمثال وأشعار اختصرتها لكثرة ما فيها من الموضوعات ثم ان الرجلين أخبرا حذيفة بن بدر بالرهان على فرسه وفرس قيس فرضي به وأرضاه فاتيا قيسا فقالا انا راهنا على فرسك فقال راهنتما من شئتما وجئتماني بني بدر فانهم قوم يظلمون فقالا قد أوجبنا الرهان مع حذيفة فقال والله لتستعلن علينا شرا ثم جاء قيس الى حذيفة فقال انما جئتك لاواضعك الرهان عن صاحبي فقال لا والله حتى تاتي بالعشر قلائص فأحفظ ذلك قيسا فغضب وتزايدا حتى بلغا مائة فلوص ووضعا الرهان على يد رجل من بني ثعلبة وجعلا الغاية مائة غلوة ثم قادا الفرسين الى الغاية وركبهما فتيان منهما وكان حمل بن بدر قد جعل شعارها ثلاثا ووضعه في شعب من شعاب هضب القليب على طريق الفرسين وأكمن فيه فتيانا وأمرهم ان جاء داحس سابقا أن يردوا

أنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق المحروسة سنة تسع وعشرين وسبعمائة

رأيت فى جلق غزالا * تحار فى حسنه العيون
فقلت ما الاسم قال موسى * قلت هنا تحلق الذقون

وهذا النوع يسميه أرباب البديع القول بالموجب وهو ان يقع فى كلام المتكلم شئ يعنى به نفسه فيثبته المتكلم لغيره من غير تصريح بثبوته له ولا بنفيه وقد جاء فى القرآن العظيم منه قوله تعالى حكاية عن المنافقين يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل الآية فاسم كنوا بالاعز عن فريقهم وبالاذل عن المؤمنين فأثبت الله عز وجل صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الاخراج بصفة العزة ولا لنفيه وهذا نوع عزيز الوقوع لا يطيع من يرومه لتوعر مسلكه ولا باس بايراد ما حضرنى منه قرأت على الشيخ الامام الكاتب أبى الثناء محمود كتابه الذى وسمه بحسن التوسل الى صناعة الترسل وأورد فيه لنفسه قوله

رأتنى وقد نال منى النحول * وفاضت دموعى على الخد فيضا
فقالت بعينى هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر أيضا

ثم قال ومن أحسن ما سمعت فيه قول محاسن الشواء

ولما أتانى العاذلون عدمتهم * ومافيهم الا اللعمى قارض
وقد بهتوا لما رأونى شاحبا * وقالوا به عين فقلت وعارض

قلت ومن هنا أخذ ناصر الدين بن النقيب قوله

ومالى سوى عين نظرت لحسنها * وذاك لجهلى بالعيون وغرتى
وقالوا به فى الحب عين ونظرة * لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتى

وأصل هذا المعنى قول الاول

وجاؤا اليه بالنعاويذ والرقى * وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو صدقوا قالوا به نظرة الانس

وأورد فى حسن التوسل قول الارجانى

غالطتنى اذ كنت جسمى الضنا * كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندى فى الهوى * مثل عينى صدقت لكن سقاما

قلت أخذه ابن نقادة أخذا قبيحا واستحق به اللوم صريحا لانه قال

غالطتنى حين حاكى خصرها * جسمى الممرض وجدا وغراما
ثم قالت أنت عندى ناظرى * ولعمرى صدقت لكن سقاما

وأخذه آخر فقال

شكوت صبابتى يوما اليها * وما قاسيت من ألم الغرام
فقالت أنت عندى مثل عينى * لقد صدقت ولكن فى السقام

وأورد فى حسن التوسل قول القائل

قلت ثقلت اذ أتيت مرارا * قال ثقلت كاهلى بالايادى

قلت

وجهه الى أن تسبقه الغبراء فسبق داحس فأشار اليه من كان فى الشعب فردوا وجهه وجاءت الغبراء وعلم قيس والذى على يده الرهان بذلك فقال قيس لحذيفة أعطنى سبقى وقال الذى على يده الرهان باحذيفة أعطوه سبقه فقد سبق داحس فاعطاه السبق ثم ان جماعة من قوم حذيفة ندموه على دفعه السبق الى قيس ونهاه آخرون عن الشر وقالوا ان قيسا لم يسبق الى كرمه وانما سبق دابة دابة فابى وبعث ابنه ندبة بن حذيفة الى قيس يطلب منه السبق فقال هذا سبقى فكيف أعطيكم اياه فتناول ابن حذيفة من عرض قيس وشتمه وأغلظ له وكان الى جانب قيس رمح فطعنه فدق صلبه واجتمع الحيان وأدوادية المقتول وأخذها حذيفة دفعا للشر ثم ان قومه ندموه فعاد الشر بينهم فتحمل قيس بمن معه من قومه ورحل وجمع الفرسان وقامت الفتن بين الحيين الى أن قتل مالك بن زهير أخو قيس وكان الربيع ابن زياد عمهما معتزل الحرب فلما سمع بمقتل ابن أخيه مالك شق ذلك عليه وقاتل بنى ذبيان وأنشد

قلت طوّلت قال لابل تطوّلت وأبرمت قال حبل ودادى

انتهى ما أورده فى الكتاب المذكور وما ألطف قول صدر الدين بن الوكيل

وبى من قساقلبا ولان معاطفا * اذا قلت أدنانى يضاعف تبعيدى

أقــر برق اذ أقول أناله * وكم قالها أيضا ولكن لتهديدى

ونقلت من خط السراج الوراق له

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحى * لهموم نفس ليت لا حملتها

قــد كان عندك يا فلان صريمة * فأجبتهم بعت الحمار وبعتها

ونقلت منه له

وسائــل يسألنى وقــد * أنشدت شعرا يشبه الشعرى

يقول لى اذ كنت لدى معشر * قد عبدوا البيضا والصفرا

ما حصــلت دائرة بينهــم * قلت نــعم بطيخة خضرا

ونقلت منه له

متمارض جعل التغا * شى من خبائثه سبب

ويقول ما أنا طيب * صدق اللعين وما كذب

ونقلت منه له

لقنته العذر عن تر * ك حاجتى لو تصوّر

فقلت أنســيتها والنسيان أمر مقــدر

فقال لست بناس * فقلت مولاى أخبر

ونقلت منه له

أطعموا العلقة شيخا * ذقنــه كالثلج بيضا

ثم قالوا خــذوا ه * يستفيض الداء غيضا

يحلق السوداء حلقا * قلت والبيضاء أيضا

ونقلت منه له

قلت صدّق فيك مدحى * وثنــاء فاض فيضا

قال ما صــدّقت عمرى * لا ولا صليت أيضا

ونقلت منه له

لقنته الاعــذار عن * وعــدثناه عنــه افكا

وصرفت للنسيان ذا * ك وقلت لم يك منك تركا

فأجاب بل أنا غيرنا * س قلت ما فى ذاك شكا

ونقلت منه له

كلمات لابنى بنات أربــع * والنى جاءت تمــام الخامسه

قلت قد سميتهــا رابعة * قال اياك وأخرى طارمه

ونقلت منه له

وقائــل قال لى لما رأى قلقى * لطول وعــد آمال تعنينا

من كان مسرورا بمقتل مالك
فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه
بالصبح قبل تبلج الاسحار
أبعد مقتل مالك بن زهير
يرجو النساء عواقب الاطهار
يعنى انه أخذ ثار مالك فندبته النساء وكذلك عادة العرب لا تندب القتيل حتى يؤخذ ثاره وبعض الادباء اعترض فى قوله
بالصبح قبل تبلج الاسحار
فان الصبح لا يكون الا بعد تبلج الاسحار وأجيب بأقوال منها ان الصبح ههنا الحق الواضح من وصف القتيل الذى هو كالصبح كأن النساء ندبنه بخلال الحسان الواضحة والبيت الثالث
٣ يستشهد به العروضيون على دخول الحذف فى عروض الطويل كما يدخل فى ضربه وهو زوال السبب من

٣ قوله يستشهد به العروضيون الخ فيه أن البيت المذكور من الكامل لا من الطويل فلم يصادف الاستشهاد به على ما ذكره محلا لان أواخر تفاعيل الكامل أوتاد لا أسباب كما لا يخفى هذا ولم يتعرض أبو الفداء فى تاريخه لهذا البيت الثالث فليحرر اه مصححه الاول

عواقب الصبر فيما قال أكثرهم * محمودة قلت أخشى أن تخبرينا

ونقلت منه له

قالت جعت لفاقة كلا * فانهض وقم وادأب لهم العائله
فأجبت هل تدرين لى سببا * قالت ولا وتداوهذى الفاصله

وقال ابن سناء الملك

لهفى على عشاق لك الطرش * العمى فى عشقك لا العمش
عاشقك القش ولا غرو أن * تلتهب النيران فى القش
قالوا لقد أحدث من بعدنا * مالا يرى قلت على الفرش

ونقلت من خط الشيخ محمد التلمسانى

اسم حبيبى ومايعانى * قد شغلا خاطرى ولبى
قالوا على فقلت قدرا * قالوا كوانى فقلت قلبى

وقال النور الاسعردى

سألت الوزير أتهوى النسا * أم المرد جار وأعلى مهجتك
فقال وأبدى الخلاعات لى * كذا وكذا قلت من زوجتك

وقال أيضا عند ما عمى فى آخر عمره

سألت الله يختم لى بخير * فعجل لى ولكن فى عيونى

وقال أيضا فى مملوك باعه

سمحت ببيع المملوك يمانعنى * ولو أراد رضائى ما تعدانى
قالوا أينسب للعلان قلت لهم * ما كنت بائعه لو كان علانى

أنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباته

مبقل الخد أدار الطلا * فقال لى فى حبها عاتبى
عن أحمر المشروب ما تنتهى * قلت ولا عن أخضر الشارب

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى شمس الدين محمد بن الصائغ

عارضنى العذال فى عارض * قالوا بلطف بعد ما أطنبوا
ما آن بالعارض أن تنتهى * قلت ولا بالشيب لا تتعبوا

وقلت أيضا

وصاحب لما أتاه الغنى * تاه ونفس المرء طماحه
وقيل هل أبصرت منعيدا * تشكره قلت ولا راحه

وقلت أنا

ولقد أتيت لصاحب وسألته * فى قرض دينار لامر كانا
فاجابنى والله دارى ماحوت * عينا فقلت له ولا انسانا

وقلت أيضا

يقولون لما رأونى * وقد أخجل الغصن والجؤذرا
أتشتاق من طرفه أبيضا * فقلت ومن قده أسمرا

مفاعلن المقبوضة وهو قليل ولا يستعمل * ثم توالت أيام الحروب بينهم وكان أعظمها يوم الهباءة كما تقدم وسئم قيس من القتال فذهب الى أخواله كما ذكر فى ترجمته وكان الربيع قد مات وأكل بعض القوم بعضا فقام فى الصلح الحرث بن عوف وهرم بن سنان المريان وجلا الجمالات واجتهدا فى اصلاح ذات البين وفى ذلك يقول زهير بن أبى سلمى الشاعر

تداركتما عبسا وذبيان بعدما

تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وكانت اليد الطولى للحرث ابن عوف أولا وآخرا والسبب فى ذلك أن الحرث قال يوما لخارجة بن سنان أترانى أخطب الى أحد فيردنى قال نعم قال ومن ذلك قال أوس بن حارثة بن لام الطائى فقال الحرث لغلامه ارحل فركبنا حتى لقينا أوس بن حارثة فى بلاده فوجدناه فى فناء منزله فلما رأى الحرث ابن عوف قال مرحبا بك ياحرث قال وبك قال وما حاجتك قال جئتك خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه ودخل أوس الى امرأته مغضبا وكانت من عبس فقالت من الرجل الذى وقف عليك قال ذلك سيد العرب الحرث بن عوف

وقلت أيضا

يقول لى العذال لما عشقته * وبعض جواب الصب فيه لطائف
أيسبيك منه يا أخا الوجد ناظر * مهنده ماض فقلت وسالف

وقلت أيضا

قد سالت النسيم وهو خبير * بسؤالى اذ غاب وجهك عنى
قلت قل لى هل ورد خديه غض * قال قد ضاع نشره قلت منى

وقلت أيضا

بدا فى الخد عارضه فاضحى * عليه معنفى باللوم يغرى
وحاول أن يرى منى سلوا * فقال لقد تعذر قلت صبرى

وقلت أيضا

سالت نسيم أرضك حين وافى * فقلت صف القوام ولا تحاشى
فقال يلين قلت لكل صعد * وقال يميل قلت لكل واشى

وقلت أيضا

صدق خلى نسمات الصبا * فيما روت عنك وما شكا
وقال لا أخبر منها بما * جاءت به قلت ولا أذكى

وقلت أيضا

يقول صحبى اذ أتى منكم * مشرف بالغت فى شكره
هل يلتقى أكرم من طيه * قلت ولا أطيب من نشره

ولابأس بقول من قال موآليا

عبر على حبيبى قلت كلمنى * فقال بحبك لحسنى قلت تقبلنى
فقال لى بشما زا أو تجاوبنى * ضحكت لو قال بارد قلت سبلنى

وبعضهم أراد ان يشترى جارية عرضت عليه فقال لها كم دفعوا فيك فقالت وما يعلم جنود ربك الا هو وقيل ان رجلا رمى عصفورا فاخطاه فقال له آخر أحسنت فغضب وقال أتهزأ بى قال انما قلت أحسنت الى العصفور ذكر أبو الحسن المدائنى ان رجلا من أهل الحجاز قال لابن شبرمة العلم من عندنا خرج فقال صدقت الا انه لم يرجع اليكم لقى شيخ شيخا آخر مثله فقال له ماذا يصنع الشيخ الخمس اليوم فقال له يشتمنى وقال بعضهم لولده والله لا أفلحت فقال له والله يا أبى ولا أنا حكى ان الصاحب جمال الدين بن مطروح قال يوما لشهاب الدين القوصى ياشهاب الدين أنت عندنا مثل الوالد فقال لاجرم أنى مطروح وقال له بعض الرؤساء أنت عندنا مثل الاب وشدد الباء فقال لاجرم انكم تأكلونى (أقول) لايخفى ما فى هذا التنذير من اللطف لان الأب مشدد الباء هو المربى وقال بعضهم هو للدواب بمنزلة الخبز للاناسى ومن يشدد الباء من الاب الذى هو الوالد لايكون الا دابة وقيل ان أبا الفرج بن الجوزى كان له ولد يدعى عليا فدخل يوما الى البيت فرأى تحت سجادة الشيخ أربعة دنانير فأخذها فلما أحس بمجىء الشيخ نام فطلب الشيخ الدنانير فلم يجدها فعرف أنه أخذها فحركه وقال ويلك أكانت الدنانير بنجا قال لا والله الا جيادا فضحك الشيخ وقال خذها لاجعل الله لك فيها بركة

قالت فما لك لم تستنزله قال انه استحمق قالت وكيف قال جاءنى خاطبا قالت أفتريد أن تزوج بناتك قال نعم قالت فاذا لم تزوج سيد العرب فمن قال قد كان ذلك قالت فتداركك ما كان منك قال عاذا قالت بان لحقه فتردده قال وكيف وقد فرط منى ما فرط اليه قالت تقول انك لقيتنى وأنا مغضب بامر لم تقدم فيه قولا فانصرف ولك عندى ما تحب فانه سيفعل فركب أوس بن حارثة فى أثره قال خارجة فوالله انا لنسير اذ حانت منى التفاتة فرأيته فاقبلت على الحرث وما يكلمنى غما فقلت له هذا أوس بن حارثة فقال وما نصنع به امض فلما رآنا لا تلتفت صاح بالحرث اربع على فوقف له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا فبلغنى أن أوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعى لى فلانة لاكبر بناته فاتته فقال يا بنية هذا الحرث بن عوف سيد من سادات العرب وقد جاءنى خاطبا وقد أردت أن ازوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال ولم قالت لانى امرأة فى وجهى ردة وفى خلقى بعض العهدة ولست بابنة عمه فيرعى رحمى وليس بجارلك فى البلد فيستحيى منك ولا آمن أن يرى منى

(حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت * بشدة البأس منه رقة الغزل)

(اللغة) الحلو نقيض المر يقال حلا يحلو حلاوة واحلولى افعوعل وقد عداه حميد بن ثور فى قوله

فلما أتى عامان بعد انفصاله * عن الضرع واحلولى دمانا يرودها

ولم يجئ افعوعل متعديا الا هذا وحرف آخر وهو اعرورى يت الفرس والطعوم تسعة وهى الحلو والمر والحامض والمزوا لمالح والحريف والمقص والدسم والتفه لان الجسم اما ان يكون كثيفا أو لطيفا أو معتدلا والفاعل فيه اما الحرارة أو البرودة أو الاعتدال بينهما فيعمل الحار فى الكثيف مرارة وفى اللطيف حرافة وفى المعتدل ملوحة وتعمل البرودة فى الكثيف عفوصة وفى اللطيف حموضة وفى المعتدل قبضا وبعمل الاعتدال فى الكثيف حلاوة وفى اللطيف دسومة وفى المعتدل تفاهة وقد يجتمع طعمان كالمرارة والقبض فى الحمض ويسمى البشاعة والمرارة والملوحة فى السخنة ويسمى الزعوقة وبعضهم زعم أن أصول الطعوم أربعة الحلاوة والمرارة والحموضة والملوحة وما عداها مركب منها أنشد فى نفسه المولى صفى الدين أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا الحلى اجازة

يا قابض المال الذى لم يزل * طرفى الى بهجته يطمح
ومن اذا حرجنى لحظه * غدا بلحظى خده يجرح
تالله لا أنفك مستهزأ * فيك بأشعارى ولا أبرح
يعذب لى الاحماض فى قابض * حلو اذا ما مر يستملح

وما أرشق قول البدر يوسف بن أؤلؤ الذهبى أنشد نيه الحاج لاجين الذهبى قال أنشدنى البدر يوسف لنفسه

يا عاذلى فى هواه * اذا بدا كيف أسلو
يمر بى كل وقت * وكلما مر يحلو

(فائدة) قولهم فلان يحب الحموضة معناه انه يأتى الدر لان الاحماض فى اللغة الانتقال من شئ الى شئ لان الابل اذا ملت الحلة اشتهت الحمض فتحول اليه وفى حديث الزهرى الاذن مجاجة وللنفس حمضة أى شهوة للانتقال فكأن اللائط انتقل من الامر الطبيعى المعتاد الى غيره (الفكاهة) بالضم المزاح وبالفتح مصدر فكه فهو فكه فكاهة اذا كان طيب النفس مزاحا (الجد) نقيض الهزل وهو الاجتهاد فى الامور تقول جد فى الامر يجد بالكسر والضم وأجد فى الامر مثله قال الاصمعى ان فلانا لجاد مجد بالغتين (المزج) الخلط يقال مزجت الشراب اذا خلطته بغيره ورسم المزاج عند الحكماء بانه حصول كيفية متشابهة عن تفاعل كيفيات متضادة موجودة فى عناصر متصغرة الاجزاء متلاقية باكثرها اذا وقف فعلها عند حد وقيل عليه ان هذا التفاعل ان كان فى آن واحد كيف يمكن ان يكون الكاسر مكسورا وان كان على التعاقب كيف يصير المنكسر كاسرا بعد انكساره ولابد من انكسار سورة كل واحد منهما لتحصل الكيفية المتشابهة متوسطة بينهما (والجواب) ان الحكماء بينوا أن الجسم مركب من جزءين قابل ومقبول ويسمى القابل منهما الهيولى والمادة ويسمى المقبول الصورة فالفاعل فى حال المزاج انما هو الصورة بواسطة الكيفيات والمنفعل انما هو المادة فيكون التفاعل فى آن واحد ويقع انكسار السورات ولا يلزم كون الفاعل منفعلا وتقريب ذلك ان النار تفعل بواسطة كيفيتها التى هى

الحرارة

ما يكره فيطلقنى فقالون على وصمة فقال قومى بارك الله فيك ثم دعا الوسطى فاجابته بمثل ذلك أو بقريب منه ثم دعا الصغيرة فقال لها كما قال لاختيها فقالت أنت وذاك فقال انى عرضت ذلك على أختيك فأبتاه فقالت لكنى الجميلة وجها الصناع يدا الحسيبة أبا فان طلقنى فلا أخلف الله عليه قال بارك الله عليك ثم خرج الينا فقال قد زوجتك بهيسة بنت أوس قال قد قبلت فأمر أمها أن تهيئها وتصلح من شأنها ثم أمر ببيت فضرب له وأنزله اياه فلما أدخلت اليه لبث هنيهة ثم خرج الى فقلت له أفرغت من شانك قال لا والله لما مددت يدى اليها قالت مه اعند أبى واخوتى هذا لا يكون قال فاربالرحلة فارتحلنا بها فسرنا ما شاء الله ثم قال لى تقدم فتقدمت فعدل بها عن الطريق فما لبث أن لحقنى فقلت أفرغت قال لا والله قالت لى كما يفعل بالامة الخبيثة والسيئة الاخيئة لا والله حتى تنحر الجزور وتذبح الغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل المثلى قلت والله لا أرى هيئة عقل وانى لارجو أن تكون المرأة النجيبة ثم سرنا الى أن دخلنا بلادنا فاحضرنا الابل والغنم ثم دخل اليها وخرج فقلت

الحرارة فى مادة الماء والماء يفعل بواسطة كيفيته التى هى البرودة فى مادة النار (رجع) (الشدة) ضد اللين (البأس) الشجاعة (الرقة) ضد الغلظ (الغزل) مغازلة النساء وهى محادثتهن ومراودتهن وتغزل اذا تكلف الغزل وزعم بعض الادباء ان الغزل فى الذكور والتشبيب فى الاناث (الاعراب) حلوصفة لذى فى البيت الذى تقدم (الفكاهة) مجرور بالاضافة والاضافة تنقسم الى قسمين معنوية ولفظية فالمعنوية هى التى لا ينوى بها الانفصال وتحدث بين المضاف والمضاف اليه تعلقا لم يكن قبلها وتفيد الاول تعريفا كغلام زيد وتخصيصا كغلام رجل واللفظية هى التى فى تقدير الانفصال ويكون بين المضاف والمضاف اليه تعلق من غير جهة الاضافة ولا تفيد تخصيصا ولا تعريفا ولكن فائدتها التخفيف والذى عمل فى الثانى الجر تقدير حرف الجر وهو اما من التى لبيان الجنس مثل خاتم فضة واما اللام التى للملك أو الاختصاص بطريق الحقيقة أو المجاز فان كان المضاف بعض ما أضيف اليه وصالحا لحمله عليه كما فى خاتم فضة وثوب خز وباب ساج وخمسة دراهم فالاضافة بمعنى من وان لم يكن كذلك كما فى غلام زيد ولجام فرس وبعض القوم ورأس الشاة فالاضافة بمعنى اللام ومن النحاة من ذهب الى انها تكون بمعنى فى كقوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر وقوله تعالى يا صاحبى السجن وقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهذا اختيار الشيخ جمال الدين محمد بن مالك قال ولده بدر الدين فى شرح الخلاصة يعنى أن الاضافة على ثلاثة أنواع والضابط فيها أن تعين تقديرها بمن لكون المضاف اليه اسما للجنس الذى منه المضاف فهى بمعنى من أو تقديرها بفى لكون المضاف اليه ظرفا وقع فيه المضاف فهى بمعنى فى وان لم يتعين تقديرها بهما فهى بمعنى اللام ثم قال بدر الدين والذى عليه سيبويه وأكثر المحققين ان الاضافة لا تعدو أن تكون بمعنى اللام أو بمعنى من ومو هم الاضافة بمعنى فى محمول على انها فيه بمعنى اللام على المجاز ثم أخذ يستدل على ذلك بأمور فيها طول اضربت عن اثباتها خوف الاطالة وعلى ذكر الاضافة أنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة

يا ملكا يحبر قصاده * جبرا له الله مكاف عليه
شكر الهذا الجود من نعمة * يبسط ضيف الباب فيها يديه
اذا أتته وهو فى صحبة * صار مضافا ومضافا اليه

وقال ابن سناء الملك

تجبى الملوك لابوابه * فيغمرهم جوده الشامل
ويخفضهم انه كالمضاف * ويرفعه انه الفاعل

وظرف الشهاب محاسن الشواء فى قوله

وكنا خمس عشرة فى التشام * على رغم الحسود بغير آفه
فقد أصبحت تنوينا وأضحى * حبيبى لا تفارقه الاضافه

قلت ويعجبنى قول ابن هانئ الاندلسى من أبيات

علمته باب المضاف تفاؤلا * ورقيبه يغريه بالتنوين

(رجع) الاضافة فى الفكاهة اضافة لفظية وليست بمعنى من لان من شرط ذلك أن يحسن وصف الاول بالثانى لكونه بعضا له ولا بمعنى اللام التى للملك لا بطريق الحقيقة ولا المجاز لا

أفرغت قال لا والله قلت ولم ذاك قال دخلت عليها أريدها قلت قد أحضرنا من المال ما ترين قالت والله لقد ذكرت لى من الشرف بما لا أراه فيك قلت كيف قالت أتتفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا يعنى بنى عبس وذبيان قلت فترين ماذا قالت اخرج الى هؤلاء القوم فأصلح بينهم ثم ارجع الى وانى لست فاعلة قلت والله انى لارى عقلا وهمة ولقد قالت قولا فخرج بنا فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى من الفريقين ثم يؤخذ الفضل ممن هو عليه فحملنا عنهم الديات وكانت ثلاثة آلاف بعير وعاش الحرث الى أن أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ووفد عليه وأسلم وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الانصار فى جواره يدعو قومه الى الاسلام فقتله رجل من بنى ثعلبة فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فقال لحسان قل فيه فأنشد يقول

يا حار من يغدر بذمة جاره
فبكم فان محمدا لا يغدر
وأمانة المرى حيث لقيته
مثل الزجاجة صدعها لا يجبر

فتألم الحرث لهذا القول وأرسل يعتذر ويبعث اليه بدية

بتكلف أعني تقدير اللام ويحسن أن تكون بمعنى في ويكون التقدير حلو في الفكاهة (مر الجد) صفة أخرى والجد مضاف اليه والكلام فيه كالكلام فيما تقدم ولك في هذه الصفات التي تعددت كلها الرفع على أنها اخبار مبتدا محذوف تقديره هو حلو الفكاهة والنصب على أن العامل أعني مضمرا والجر على الصفة لذي وهو أقواها وقد قرئ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك برفعها ونصبها وجرها لان الصفات اذا تعددت جاز فيها ذلك وعليه اعرب قوله تعالى والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة وقول الخرنق

لا يبعدن قومي الذين هم * سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

فمن قوله معتقل في البيت الاول الى قوله في الثاني مر الجد يجوز في الجميع الاعرابات الثلاثة الا قوله وكل فانه معطوف على هياب وهو مجرور فلا يجوز فيه الا الجر (فارق بين الصفة والوصف) قالوا الوصف ما يجوز انتقاله كحمرة الخجل وصفرة الوجل والصفة ما لا تتغير كالطول والقصر والسواد للزنجي والبياض للصقلبي (قد مزجت) قد حرف يحب الافعال ويقرب الماضي من الحال وهي هنا للتحقيق الفعل وسيأتي الكلام عليها في قوله

تؤم ناشئة بالجزع قد سقيت * (مزجت) فعل مغير لما لم يسم فاعله والتاء علامة تأنيث الفاعل (بشدة البأس) الباء حرف جر وشدة مجرور بالباء والبأس مضاف اليه والاضافة هنا بمعنى اللام (منه) جار ومجرور و(رقة) مرفوع على أنه مفعول ما لم يسم فاعله لمزجت وقد تقدم الكلام على مفعول ما لم يسم فاعله في قوله ناء عن الاهل البيت (الغزل) مضاف اليه والاضافة بمعنى اللام وفيه تقديم وتاخير تقديره قد مزجت رقة الغزل فيه بشدة البأس والجملة كلها في موضع الجر على أنها صفة لذي والتقدير ممزوجة فيه رقة الغزل (المعنى) انه صاحب حلو المزاح طيب الاخلاق كريم الجد وهذه صفة مدح لان الشدة في الاجتهاد محمودة فهو قد مزجت فيه الحلاوة من رقة الغزل بالمرارة من شدة البأس وما أحق هذا الصاحب بقول القائل

وكالسيف ان لاينته لان متنه * وحداه ان خاشنته خشنان

وقد كان صلى الله عليه وسلم يباسط أصحابه وجلساءه ويمزح ويلين جانبه لمن حضره ويؤنسه فاذا كانت الحرب واحتد الجد وحمي الوطيس وخارت القوى وذهلت الابطال تقدم أصحابه واتقى بنفسه صلى الله عليه وسلم ومن خصائصه انه كان صلى الله عليه وسلم اذا جرد سيفا لا يغمده حتى ينال به من عدوه ومنها تحريم الهزيمة عليه من العدو في الحرب ولا شك في لطفه ورأفته ورقة قلبه وحنوه على قومه وهم به كافرون يؤذونه ويكذبونه ويصدون عنه ويحاربونه وهو يحلم عليهم ويشفق عليه عنادهم قال الله تعالى عزيز عليه ما عنتم وقال صلى الله عليه وسلم يوم كسر سنه اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حتى وصفه الله تعالى في كتابه فقال وانك لعلى خلق عظيم ثناء على صفاته الجميلة وخلاله الجليلة وكان أشدهم من العذراء في خدرها ولا شك في انه كان صلى الله عليه وسلم من النجدة والشدة والبأس والاقدام ولقاء العدو في الغاية التي تكبو دونها سوابق الابطال وتتبرقع الفرسان بغبارها فانه كان في حروب الكفار أقرب الناس الى العدو قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ترقوة أبي بن

الرجل سبعين بعيرا فعجلها
رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومات الحرث عقيب ذلك
ومن شعره قوله

فان أكبر فاني في لداتي
وعاقبة الاصاغر أن يشيبوا
وما كثرت فائدني بغدر
كفاني في الفوائد ما يطيب
ولو لم يكن للشاعر الا هذا
القول لكفاه وقوله

لهم يد لا أؤدي حق نعمتها
عندي لمختبط طار ومن منن
اذجاء يسعى الى رحلي لأسعفه
أليس قد ظن بي خيرا ولم يرني
(وأن احتيال هرم لعلقمة
وعامر حتى رضيا كان ذلك
عن اشارتك)

هو هرم بن قطبة بن سنان الفزاري حكم من حكام العرب يقضي بين السادات فيرضون بقضائه ولا يرد قوله اذا فضل أحد المتنافرين على الآخر ومعنى المتنافرة المحاكمة في الحسب والفضل بين الرجلين يقال نافره اذا حاكمه ونفره اذا غلبه (وعلقمة) هذا هو علقمة ابن علاثة بن جعفر من بني عامر بن صعصعة (وعامر) هو ابن الطفيل بن مالك بن الاحوص وكل منهما سيد من سادات قومه فارس شاعر وسؤدد من أخبارهما

خلف من فرجة من سابغة الدرع والبيضة وهو يقول أين محمد لا نجوت ان نجا فطعنه صلى الله عليه وسلم بحربته فوقع أبي عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم قال سعيد بن المسيب فكسر ضلعا من أضلاعه فمات منها ومع هذا فقد مزح صلى الله عليه وسلم ولم يقل الا حقا قرأت على الامام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم التي أودعها تاريخه ومنها قال زيد بن أبي أوفى عن ابن لهيعة عن عمارة بن غزية عن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس تفرد به ابن لهيعة وضعفه معروف وجاء من طريق آخر لابن لهيعة كان النبي صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع صبي انتهى وجاءته امرأة فقالت يا رسول الله احملني على جمل قال أحملك على ولد الناقة قالت لا يطيقني قال الناس وهل الجمل الا ولد الناقة وجاءته امرأة فقالت يا رسول الله ان زوجي مريض وهو يدعوك فقال لعل زوجك الذي في عينيه بياض فرجعت وفتحت عين زوجها فقال مالك فقالت أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن في عينيك بياضا فقال وهل أحد الا وفي عينيه بياض وقالت أخرى يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة قال يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة وهي تبكي فقال عليه السلام أخبروها انها لا تدخل وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا وبالجملة فصفاته وشمائله وما انطوى عليه أجل من أن يحيط بها وصف وأشرف من ان يضم جواهرها نظم أو وصف فلو جرى القلم الى أن يخفى وصرلسانه الى أن يخفت ويخفى ما جنى زهرا أنبته حدائق تلك الحقائق ولا التقط درا ملأ حقائب هاتيك الخلائق ولا اجتلى من ذلك الافق الذي كله شموس وأقمار غير شهبه الخفية ولا نال على ظمئه من ذلك البحر غير بقية وكل موارده عذبة شهية صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

ان في الموج للغريق لعذرا * واضحا ان يفوته تعداد

نعم قد دون الناس جملة من شمائله وصفاته ووضعوا كتبا كانها رياض تتأرج بنسمات سماته وأودعوها نكتا بدورها في التمام ورصعوها جواهر تروق في التاليف والانتظام

في بطن قرطاس رخيص ضمنت * احشاؤه درر الكلام الغالي

وبوبوا ورتبوا وهذبوا وذهبوا وذكروا ونصوا وخبروا وقصوا وحبروا وديجوا وحكوا الصحيح وما روجوا

وعجزوا فأثنوا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فما كتاب القاضي عياض الارياض ولا الشمائل الاخمائل ولا كتاب الدلائل الا فوائد جلائل ولا الشهاب الا مطفئ التهاب

أساميا لم تزده معرفة * وانما لذة ذكرناها

ويجبني ابيات العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه سمعت الشيخ الامام فتح الدين الحافظ محمد بن سيد الناس اليعمري في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة بالديار المصرية وهو يقرأ علينا من لفظه كتابه الذي وسمه بنفح المدح قال رويناه من طريق الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد وأحمد بن عمرو البزار ومحمد بن موسى بن حماد اليزيدي قالوا حدثنا أبو السكن زكريا بن يحيى حدثني عم أبي ٣ وحزين حسن عن جده حميد بن منهب قال قال خزيمة بن أوس كنا

شيأ * فاما سبب منافرتهما كما حكى أبو عبيدة وغيره قال أول ما هاج النفار بين علقمة ابن علاثة وعامر بن الطفيل ان علقمة كان قاعدا ذات يوم يبول فنظر اليه عامر وقال لم أر كاليوم سوأة رجل أقبح فقال علقمة لانها لا تنث على جاراتها ولا تنازل الاكفاءها يعرض بعامر فقال عامر وما أنت والقدوم والله لفرس أبي المسمى حبسة أذكر من أبيك وافعل أبي المسمى الغيهب أعظم ذكرا منك فقال علقمة أما فرسكم فمارة وأما فحلكم فغدرة وكنا قد استعرناه هذا الفحل من رجل من كلب يستطرقونه فغلبوه عليه ولكن ان شئت نافرتك قال قد شئت فقال علقمة والله اني لبر وانك لفاجر واني لوفي وانك لغادر فبم تفاخرني يا عامر فقال عامر والله اني لانزل منك للقفرة وأنحر للبكرة وأطعن للغرة ثم تنافروا على مائة من الابل يعطيها للحكم أيهما نفر عليه صاحبه ثم خرج علقمة بمن معه من بني خالد وخرج عامر بمن معه من بني مالك وقد أتى عامر بن الطفيل عمه ملاعب الاسنة فقال يا عماه أعني قال يا ابن أخي سنني قال لا أسبك وأنت عمي قال دونك نعلي فاني ربعت فيهما أربعين مرباعا فاستعن بهما في نفارك وجعل منافرتهما

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عمه العباس يا رسول الله انى أريد ان أمتدحك فقال النبي صلى الله عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك فانشا يقول

من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر * أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف عليا تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الارض وضاءت بنورك الافق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النور وسبل الرشاد نخترق

ونقلت من خط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر وهو من نظمه

يا أحمد المبعوث فينا لقد * بلغت المجد الى منتهاه
كم رمت امداحك لولا لى * لفظا وافى ذا المثانى ثناه
انى لا أحصى ثناء على * ذى خلق أثنى عليه الاله

وما أحلى قوله

لقد قال كعب فى النبي قصيدة * وقلنا عسى فى مدحه نتشارك
فان شملتنا بالجوائز رحمة * كرحمة كعب فهو كعب مبارك

وله فى غالب الظن

يقولون لم لا تمتدح سيد الورى * وتطنب فى تعظيمه وامتداحه
فقلت لهم جبريل جاء بمدحه * وليس مديحى ريشة فى جناحه

٣ قلت جزم الناظم الحاء فى تمتدح وهى مرفوعة وهو لحن من توهم أن لم حرف جزم وانما هى لم التى يستفهم بها والقاعدة حينئذ حذف الالف منها * وقد جمع الشيخ فتح الدين المشار اليه كتابا فيمن مدح النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة رضى الله عنهم وسماه منح المدح وله قصائد على حروف المعجم سماها بشرى اللبيب بذكرى الحبيب كلها فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبت منها الجزء الاول وسمعته من مصنفه الى ترجمة ابن الزبعرى والباقى اجازة والثانى كتبته وقرأته غير مرة والشهاب الدين محمود قصائد طنانة فى مدح النبي صلى الله عليه وسلم كتبتها وقرأتها عليه رغبة فى البركة وطلبا للدخول فى زمرة من دون مدحه وكتبه وقرأه صلى الله عليه وسلم (رجع) وممن جمع الشجاعة على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وصحابته كان فينا كاحدنا ان الجانب كثير التواضع سهل الانقياد وكنا نهابه مهابة الاسير المربوط للسياف الواقف على رأسه وقال معاوية رضى الله عنه لقيس بن سعد رحم الله أبا الحسن فلقد كان هشا باشا فكاهة فقال قيس نعم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ويتبسم الى أصحابه وأراك تسر فى نفسك وتعيب أبا الحسن بذلك والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذى لبدتين قدمه الطوى وتلك هى هيبة التقوى ليس كما يهابك طغام الشام ولما عزم عمر بن الخطاب رضى الله عنه على استخلافه قال له الله أبوك لولا دعابة فيك وشجاعته اشهر من أن تذكر وأغنى

الى أبى سفيان بن حرب فلم يقبل منهما وكره ذلك الامر لمحالهما وحال عشيرتهما فانطلقا الى هرم بن قطبة حتى نزلا به فقال هرم لاحكمن بينكما ثم لافصلن ثم لست أثنى بواحد منكما فاعطيانى موثقا اطمئن اليه أن ترضيا بما أقول وأمرهما بالانصراف ووعدهما ذلك اليوم من قابل فانصرفا حتى اذا بلغ الاجل خرجا اليه فخرج علقمة ببنى الاحوص معهم القباب والجزر والقدور ينحرون فى كل منزل ويطعمون وجمع عامر بنى مالك وخرجوا على الخيل عليهم السلاح فقال رجل من غنى يا عامر ما صنعت أخرجت بنى مالك تفاخر بنى الاحوص معهم القباب والجزر وليس معك شئ تطعم الناس ما أسوأ ما صنعت فقال عامر لرجلين من بنى عمه أحصيا كل شئ مع علقمة من قبة أو قدر أو لقحة ففعلا فقال عامر يا بنى مالك انها المقارعة عن أحسابكم فاشخصوا بمثل ما شخصوا افعلوا فأتوا هرما فاقاموا عنده أياما وأرسل الى عامر فأتاه سرا لا يعلم به علقمة فقال يا عامر قد كنت

٣ قوله قلت جزم الناظم الخ الظاهر ان الجزم ضرورة فلا داعى الى الجزم باللحن اه

من ان تمدح أو تشكر ولما دعا الامام على معاوية الى البراز قال له عمرو بن العاص لقد أنصفك فقال له معاوية رضى الله عنه ما غششتنى منذ نصحتنى الا اليوم أتأمرنى ببارزة أبى الحسن أراك طمعت فى امارة الشام بعدى (عاد القول) الى معنى بيت الطغرائى هذه الصفات التى ذكرها قلما تجتمع فى انسان الا من اختصه الله بهذه الموهبة لانها مع تضادها محمودة ولا يتفق ذلك الا من اعتدال المزاج وقد اختلف الحكماء فى وجوده وعدمه قال الامام فخر الدين فى الطب الكبير الذى ذكره الشيخ فى الشفاء يعنى الرئيس ابن سينا وساق كلاما يدل على ان المركب المعتدل قد يكون موجودا الا انه لا يستمر ولا يدوم ثم قال بعد كلام طويل وأما المعتدل الذى امتزج من العناصر على أكمل أحواله فقد قالوا لما كان الاعتدال الحقيقى ممتنعا وجب ان يكون كلما كان أقرب اليه أولى باسم الاعتدال اه قال الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى احتجوا على تعذر وجود المعتدل بامتناع مكان يستحقه لان مكان الجسم المركب هو مكان ما يغلب عليه من العناصر وهذا بسائطه متعادلة فيجب ان لا يستحق مكانا فيمتنع وجوده وأقول فى هذه الحجة نظر وذلك ان عنينا بالمعتدل ما تكافأت فيه الكيفيات فهذا لا يجب ان لا تتكافأ فيه الكميات لان الجزء اليسير من النار يقاوم بحرارته كثيرا من جوهرى الماء والارض فعلى هذا يجوز وجود المعتدل باعتبار الكيفيات دون الكميات ويكون مكانه الذى يستحقه هو مكان ما غلب عليه من العناصر بكميته لا بكيفيته لان الاعتبار فى المزاج انما هو بالكيف فقط والاعتبار فى الجزء انما هو بالكم والثقل والخفة فالحجة المذكورة غير موجهة والمزاج لا يخلو اما ان تتكافأ فيه الكيفيات الاربع الاول وهى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة أولا فان كان الاول فهو المعتدل وان كان الثانى فلا يخلو اما ان تغلب فيه كيفية واحدة أولا والاول هو الذى خرجه فى كيفية بسيطة وأقسامه أربعة بعدد الكيفيات الاربع وهى الحار والبارد والرطب واليابس والثانى هو الذى خرجه فى أكثر من كيفية واحدة فلا تجتمع فيه كيفيتان متضادتان غالبتان فبقى ان يكون احدى الفاعلتين أعنى الحرارة والبرودة مع احدى الانفعالتين أعنى الرطوبة واليبوسة فاقسامه أربعة الحار الرطب والحار اليابس والبارد الرطب والبارد اليابس فجملة أنواع المزاج تسعة واحد منها معتدل وثمانية خارجة عن الاعتدال انتهى * وقول الطغرائى رحمه الله تعالى يشبه قول أبى تمام الطائى وهو

الجد شيمته وفيه فكاهة * سمح ولاجد لمن لم يلعب

شرس ويتبع ذا لين خليقة * لا خير فى الصهباء مالم تقطب

ما أحسن قوله لا خير فى الصهباء مالم تقطب لان الخمرة اذا كانت صرفا كانت حادة لا يمكن استعمالها فاذا مزجت بالماء وهو طبع بارد تولد عنهما كيفية أخرى تقارب الاعتدال فامكن استعمالها وقول أبى تمام أيضا

لا طائش نهف ولا خلائقه ولا * خشن الوقار كانه فى محفل

فكله يجد الجد أحيانا وقد * يمضى ويهزل عيش من لم يهزل

وقول أبى الحسين الجزار

أنت الكريم وجل من قد أنبأت * عمن مضى فى كتبها الاخبار

أرى لك رأيا وفيك خيرا وما حبستك هذه الايام الا لتنصرف عن صاحبك أتفاخر رجلا لا تفخر أنت ولا قومك الا بآبائه فما الذى أنت به خير منه فقال عامر ناشدتك الله والرحم أن لا تفضل على علقمة فوالله ان فعلت لا أفلح بعدها هذه ناصيتى جزها واحتكم فى مالى فان كنت ولا بد فاعلا فسوّ بينى وبينه فقال انصرف فسوف أرى رأيا تخرج عامر وهو لا يشك انه ينفر عليه ثم أرسل هرم الى علقمة سرا يعلمه بعامر فاتاه فقال يا علقمة والله ان كنت لاحسب فيك خيرا أتفاخر رجلا هو ابن عمك فى النسب وأبوه أبوك وهو أعظم منك عناء وأحمد لقاء فما الذى أنت به خير منه فقال له علقمة نشدتك الله أن لا تنفر على عامر فاجابه عما أجاب به الآخر وانصرف ثم ان هرما أحضر بنيه وبنى أبيه فقال انى قائل غدا بين هذين الرجلين مقالة فاذا فعلت ذلك فليطرد أحدكم عشرة جزائر فينحرها عن عامر ويطرد بعضكم عشرة جزائر وينحرها عن علقمة وفرقوا بين الناس لئلا يكون لهم جماعة وأصبح هرم فجلس فى مجلسه واقبل الناس وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا فقام لبيد فقال

خلق كالين الماء وق لشارب * ظمأ وعزم فى التوقد نار

وقول القائل

ملك تقصر المشركون بباسه * فتقصر بالاقرار عين الدين
فعلى العداة بغلظة وتجهم * وعلى العفاة برقة وبلين

وقول ابن أبى العرب المغربى

من كل مشتمل بمنصل عزمه * ذى همة تطأ السماك همام
نشوان من خمر الكرى صاحى الندى * ريان من ماء المحامد ظامى

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

ملك يقاس محاربه بسودده * اذا يقايس غير الدارا الفرس
مظفر الجد مشاء على جدد * من حله اللدن أو من حربه الشرس

ومن أحسن ما حضرنى فى صاحب جمع الاخلاق التى يعز وجودها فى شخص واحد قول القائل

تلطفت الايام حتى تفضلت * على بندمان كريم الخلائق
له سمت عدل واستكانة عاشق * وهمة جبار ولطف الزنادق

وما أحسن قول أبى الفتح البستى فى عبد الملك الثعالبى صاحب اليتيمة وغيرها

أخ لى ذكى النفس والاصل والفرع * يحل محل العين منى والسمع
تمسكت منه اذ بلوت اخاءه * على حالتى وضع النوائب والرفع
بأوعظ من عقل وآنس من هوى * وأوفق من طبع وأنفع من شرع

ذكرت بتنسيق الصفات هنا ما أنشدنيه من لفظه لنفسه القاضى جمال الدين عبد القاهر التبريزى الحاكم بصفد سنة أربع وعشرين وسبعمائة يصف الشباب وهو مليح

وناطقة بأفواه ثمان * تميل بعقل ذى اللب العفيف
لكل فم لسان مستعار * يخالف بين تقطيع الحروف
تخاطبنا بلفظ لا يعيه * سوى من كان ذا طبع لطيف
نصيحة عاشق وند يم راع * وعزة موكب ومدام صوفى

وقد أحسن أبو بكر الخوارزمى حيث قال فى الخمرة

وصفراء كالدينار بنت ثلاثة * شمال وأنهار ودهر محرم
مسرة محزون وعذر معربد * وكنز مجوسى وفتنة مسلم
ممات لأحياء حياة لميت * وعدم لمن أثرى ثراء لمعدم

وما أحسن قول شهاب الدين العزازى ملغزا فى الشباب

وما صفرا مشاجبة ولكن * يزينها النضارة والشباب
مكتبة وليس لها بنان * منقبة وليس لها انقلاب
تصيح لها اذا قبلت فاها * أحاديثا تلذ وتستطاب
ويحلو المدح والتشبيب فيها * وما هى لاسعاد ولا الرباب

قوله تصيح عداه الى أحاديث وهو غير جائز الا على تأويل حمله على المعنى أى تسمع وهو ضعيف

وأما

ياهرم ابن الاكرمين منصبا
انك قد وليت حكما معجبا
فاحكم وصوب رأى من تصوبا
فقام هرم وقال يا بنى جعفر
قد نحا كتماعندى والله
انكما كركبتى البعير الآدم
يقعان معا على الارض وليس
أحد منكما الا وفيه ما ليس
فى صاحبه وكلاكما سيد كريم
وعمد بنو هرم الى الجزر
فنحروها وفرقوا الناس
وكره أن يفضل بينهما وهما
ابناعم فيوقع بذلك عداوة
بين الحيين وخرجا من عنده
راضيين وقد قيل انه قال لهما
انتما كغربى السيف فانه
لو قال كركبتى البعير لقيل
أيهما اليمين وقيل انه لم يقل
شيأ من ذلك وانما اكتفيا
بما قال سرا وذهبا عنه وادعى
الاعشى انهما حكماه وحكم
لعامر على علقمة وقال فى
ذلك قصائد * ومات علقمة
مسلما وله وفادتان احداهما
على النبى صلى الله عليه وسلم
أسلم فيها والثانية على عمر بن
الخطاب رضى الله تعالى عنه
وجرت له معه حكاية لطيفة كان
علقمة صديقا لخالد بن الوليد
رضى الله عنه وكان عمر يشبه
بخالد فالتقاه فى الليل فقال
ياخالد ا عزلوك وهو يظن
انه خالد وكان عمر قد عزل
خالدا عن جيش الشام غيظا
منه بسبب قتل مالك بن
نويرة وتزوج زوجته كما تقدم

وأما التشبيب فهو مأخوذ من قول سيف الدين بن المشد

يا مطربا أغنى النديم غناؤه * عن طيب مشموم وعن مشروب
شبب اذا غنيتنى بحديثهم * ان الغناء يطيب بالتشبيب

وأخذه القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فنقله وقصره على الحسن وعقله فقال

كتبت لكم من أعين القصب التى * جرى فى نواحيها بذكركم طرب
فان أطرب التشبيب فيها بذكركم * فكم أطرب التشبيب من أعين القصب

وأنشدنى الشيخ الاديب الكاتب شهاب الدين أبو الثناء محمود قال أنشدنى من لفظه لنفسه القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر

وناطقة بالنفخ من روح ربها * تعبر عما عندنا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاسمعت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

وقال محيى الدين بن قرناص فى مليح مشيب

مشيب بجفاه راح يقتلنا * فان تداركنا بالنفخ أحيانا
هويت تشبيبه من قبل رؤيته * والآن تعشق قبل العين أحيانا

وله فيه أيضا

علقته مشيبا مهفهفا * أخضع فى حبه فيسمح
لا غرو أن تشب من تشبيبه * نار الهوى أما تراه ينفخ

وأنشد يوما بحضرة شرف الدين الحلاوى لغزوهو

وناطقة خرساء يادة شحوبها * تكلفها عشرو عنهن تخبر
يلذ الى الاسماع رجع حديثها * اذا سد منها منخر جاش منخر

فأجاب فى الحال

نهانى النهى والشيب عن وصل مثلها * وكم مثلها فارقتها وهى تصفر
ما أحلى هذا الجواب وأبدعه حيث أجاب التضمين بتضمين مثله حل به معناه ونقله الى النباية وكلاهما من أبيات الحماسة لتابط شرا ومثله قول زين الدين بن عبد الله

وناطقة صفراء تنطق عن هوى * فتعرب عما فى الضمير وتخبر
براها الهوى والوجد حتى أعادها * أنابيب فى أجوافها الريح تصفر

وقول مجير الدين محمد بن تميم

قيان ملاهيها بلذ سماعها * ويطربنا منهن عود ومزهر
وأكثر ما ينشى لنا السكر بينها * أنابيب فى أجوافها الريح تصفر

وقوله أيضا

ولما حضرنا للسماع وضربنا الملاهى وكل بالهوى يترنم
أصغينا الى تشبيبهم وغنائهم * فنحن سكوت والهوى يتكلم

وأنشدنى القاضى شهاب الدين أبو الثناء محمود لشمس الدين عبد الوهاب

منقبة مهما خلت مع محبها * يزودها لثما ويغتفر اشزرا
وتحفيفها فى كف من شئت فاتقل * اذا شئت فى اليمنى وان شئت فى اليسرى

فقال عمر نعم فقال علقمة ما هو والا والله نفاسة عليك وحسدا لك فقال عمر فما عندك معونة على ذلك فقال معاذ الله ان اعمر علينا سمعا وطاعة ولا نخرج عليه ولا نخالفه وانصرفا فلما أصبح دخل علقمة على عمر وعنده خالد فقال عمر رضى الله عنه له يا علقمة أنت القائل البارحة لخالد ما قلت فقال علقمة لخالد ما فعلتها فقال والله ما لقيتك البارحة ولا رأيتك الا فى هذه الساعة فظن علقمة وعرف انه اغتاله عمر وظنه خالدا فقال يا أمير المؤمنين ما سمعت الا خيرا قال أجل ثم ولاه حوران وخرج اليها فقصده الحطيئة مادحا له فقالت علقمة قبل أن يصل اليه فقال

لعمرى لنعم المرء من آل جعفر * بحوران أمسى غيبته الجنادل
وما كان بينى لو لقيتك سالما * وبين الغنى الا الليال قلائل

فلما وصل وجد علقمة قد أوصى له بسهم من ماله

وأما عامر بن الطفيل فكان شجاعا مشهورا شاعرا مقدما قال أبو عبيدة اجتمع العكاظيون على أن فرسان العرب ثلاثة ففارس تميم عتيبة بن الحرث بن شهاب أحد بنى ثعلبة صياد الفرسان وفارس ربيعة بسطام بن قيس وفارس قيس عامر بن

يعني أن الشبابة بالشين المعجمة تحريفها سبابة بالمهملة وقال سيف الدين علي بن قزل المشد

ومطرب قد رأينا في أنامله * براعة لسرور النفس أهلها
كلما عاشق وافت حبيبته * قضمها بيديه ثم قبلها

وقال أيضا

وعارية من كل عيب حبيبة * الى كل قلب ظل بالبين مجروحا
لها جسد ميت يعيش بنفخة * اذا دخلته الريح صارت به روحا
تعيد الذي يلقى عليها بلذة * تزيد فؤادا الصب وجدا وتبريحا
وتنطق بالسحر الحلال عن الهوى * وتوحي الى الاسماع أطيب ما يوحى

(قلت) غالب ما سقته من المقاطيع مأخوذ من قول سيف الدين بن قزل المشد حسبما تراه ذكرت هنا قول السراج المحار يهجو زامرة سوداء

ولرب زامرة تهيج بزمرها * ريح البطون فليتها لم تزمر
شبهت أنغامها على ضرباتها * وقبيح منسمها الشنيع الابخر
بخناقس قصدت كنيفا واغتدت * تسعى اليه على خيار الشنبر

شبه ثلاثة بثلاثة فابدع وان كان قد لمحه من قول الاول يهجو زامرا أسود

كأنها في حالة العيان * خناقس دبت على ثعبان

وعلى قول السراج المحار يليق قول القائل أبصر الحامل والمحمول ودار الوكالة خناقس تسعى على خيار الشنبر الى الكنيف وقال آخر يمدح زامرا

وزامر يبعث في زمره * الى قلوب الناس أفراحا
كأن اسرافيل في نايه * ينفخ في الاموات أرواحا

وقلت أنا في ذمه

يقول في مجلس نازامر * لم نلق ما ألقى باصغاه
ما عندكم ميل الى حاضر * قلنا ولا شوق الى ناه

(رجع) وفي بيت الطغرائي من حسن الصناعة ما يشهد لقائله بفوز قدحه في البلاغة فانه جمع فيه بين ثمانية أشياء الحلاوة والمرارة والفكاهة والمزح والقسوة والرقة واليأس والغزل وهي ثمانية لم تجتمع لغيره بهذا الانسجام والعذوبة وأرباب البديع يسمون هذا النوع المقابلة واستشهدوا عليه بقوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى الآيتين ففي كل آية ما يقابل الاخرى هكذا قرره الجميع وأقول انه فات فيه ذلك فان لفظة فسنيسره تكررت في الآيتين ولم يختلف معناها فاتت المقابلة ويحتمل أن يكون فسنيسره في معنى فسنهيئه لانه اذا تيسر تهيئه كان معسرا لكن ذلك غير صريح ومن أحسن ما استشهدوا به في هذا النوع من الشعر قول أبي الطيب

أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وأنثني وبياض الصبح يغري بي

قالوا قابل في خمسة بخمسة * كنت عند الشيخ الامام الاديب الكاتب القاضي شهاب الدين أبي الثناء محمود أقرأ عليه كتابه حسن التوسل فجاء هذا البيت في أثناء القراءة في مكانه وعنده جماعة من الطلبة وغيرهم فقال عدوا هذه الخمسة التي ذكرها أرباب البديع فكلهم قالوا

الطفيل وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أربد بن قيس مع قوم من بني عامر فقال يا محمد مالي ان أسلمت قال النبي صلى الله عليه وسلم لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال لا الا أن تجعل لي الامر من بعدك قال ليس ذلك لقومك قال فتجعل لي الوبر ولك المدر قال لا ولكن أجعل لك أعنة الخيل قال أو ليست لي ثم قال يا محمد والله لأملأنها عليك خيلا ورجلا ولأربطن بكل نخلة فرسا وولى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني عامرا وأربد واهد بني عامر وأغن الاسلام عن عامر ثم انصرفوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله تعالى على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فاندلع لسانه من فيه كضرع الشاة فجال الى بيت امرأة من سلول وجعل يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم مات فواراه أصحابه وجعلوا على قبره أنصابا ميلا في ميل وجعلوه حمى فقيل ان بعض ولده رأى ذلك فيما بعد فقال لقد ضيقتم على أبي وأما أربد فأرسل الله تعالى عليه صاعقة فقتلته وفي ذلك يقول أخوه

أخشى على أربد الحتوف ولا * أرهب نوء السماك والاسد

أزورهم

أزورهم يقابل أنثى وسواد يقابل بياض والليل يقابل الصبح ويشفع يقابل يغرى ووقفوا فقال هذه أربعة لاربعة وبقى القسم الخامس فلم يتنبهوا له فقلت لفظة لى تقابل لفظة بى لان الشفاعة له تقابل الاغراء به كأنه قال ذلك لى وهذا على قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

الاتراه قابل ما عليهم بما لهم لما فى ذلك من الاساءة والسرور فأعجبه ذلك وقد أخذ بعضهم قول أبى الطيب أخذا ملحا فقال وقد أجاد

أقلى النهار اذا أضاء صباحه * وأطال انتظار الظلام الداجا
فالصبح يشمت بى فيقبل ضاحكا * والليل يرثى لى فيدبر باكيا

وفيه مقابلة خمسة بخمسة * حكى لى الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى قال كان شيخنا الامام العلامة تقى الدين بن دقيق العيد يقول قل لعلماء المعانى والبيان والبديع أتحسنون أن تقولوا مثل أزورهم البيت فاذا قالوا الاقل لهم فأى فائدة فيما تصنعونه اه يريد بهذا أن العلم غير العمل والمباشرة دون الوصف والطعن فى الهيجاء غير الطعن فى الميدان وحكى ان بعض الوعاظ كان على منبره يتكلم فى المحبة وأمور العشق وأحواله ومد أطناب الاطناب فى ذلك فقام اليه بعض الجماعة وقال

بعيشك هل ضممت اليك ليلى * قبيل الصبح أو قبلت فاها
وهل زفت اليك فروع ليلى * زفيف الاقحوانة فى نداها

فقال الواعظ لا والله فقال له فاقصر ما شئت وما أحسن قول عبد الله بن سباط الكاتب القيروانى

قال الخلى الهوى محال * فقلت لو ذقته عرفته
فقال هل غير شغل قلب * ان أنت لم ترضه صرفته
وهل سوى زفرة ودمع * ان لم تردد به كففته
فقلت من بعد كل وصف * لم تعرف الحب أو صفته

وقال علماء الادب ان معنى بيت أبى الطيب مسروق من قول ابن المعتز

لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد

ولبعضهم فى المقابلة

عذيرى من الايام مدت صروفها * الى وجه من أهوى يد النسخ والمحو
وأبدت بوجهى طالعات أرى بها * سهام أبى يحيى يسددها نحوى
فذاك سواد الخد ينهى عن الهوى * وهذا بياض الوخط يأمر بالصحو

أبو يحيى كناية عن الموت وفى المقابلة من هذه الابيات نظر وأحسن من هذا المعنى وأرشق قول الارجانى

شبت أنا والتحى حبيبى * حتى برغمى سلوت عنه
وأبيض ذاك السوادمنى * واسود ذاك البياض منه

ومن المقابلة قول أبى تمام الطائى

يا أمة كان قبح الجور يسخطها * دهرا فاصبح حسن العدل يرضيها

ولعامر بن الطفيل شعر جيد سرى ممكن فمن ذلك قصيدته الرائية التى ذكر فيها غور عينه وذلك ان مسهر بن يزيد كان فارسا شريفا فجنى جناية فى قومه فلحق ببنى عامر فشهد يوم فيف الريح مع عامر بن الطفيل وكان عامر يتعهد القوم يومئذ فيقول يا فلان ما رأيتك فعلت ويا فلان ما صنعت فيقول الرجل الذى قد أبلى انظر الى سيفى وما فيه ورمحى وما فيه وان مسهرا قد أقبل فى تلك الهيئة فقال يا أبا على يعنى ابن الطفيل انظر الى ما صنعت اليوم انظر الى سنان رمحى حتى اذا أقبل عليه عامر وجأه بالرمح فى وجهه ففلق الوجنة وانشقت عين عامر ففقأها وترك مسهر الرمح فى عينه وضرب فرسه ولحق بقومه قالوا وانما دعا مسهرا الى الغدر بعامر أنه كان يراه يصنع بقومه هذا فقال هذا والله مبير قومه فأراد قتله وارا حتهم منه فقال عامر

لقد علمت عليا هوازن أننى
انا الفارس الحامى حقيقة جعفر

وقد علم المزنوق أنى اكره
على جمعهم كرالمنيح المشهر

ألست ترى ارماحهم فى شرعا
وأنت حصان ماجد العرق فاصبر

حكى الشيخ العلامة غرس الدين أبو بكر الاربلى صاحب كتاب الالفية فى الالغاز الخفية ان الصاحب شرف الدين مستوفى اربل أنشده لغيره

على رأس عبد تاج عز يزينه * وفى رجل حر قيد ذل يشينه

فقال غرس الدين المذكور بديها

تسر لثيما مكرمات تعزه * وتبكى كريما حادثات تهينه

قلت هذا أحسن فى البديهة ولكنه ناقص عن الاول من وجهين الاول ان الاول قابل ستة بستة لاشك فيها وهو قابل أربعة بأربعة الثانى ان المقابلة فى قوله تحتاج الى تأويل لان السرور يقابله الحزن فكان ينبغى أن يقول وتحزن لكن لما كان الغالب ان البكاء انما يكون من الحزن أطلق البكاء هنا على الحزن ولان المكرمات لا تقابل الحادثات الا بتأويل أن المكرمات تكون فى الخير والحادثات تكون فى الشر وأكثر ما عد الناس فى المقابلة بيت أبى الطيب لانه قابل فيه بين خمسة وهذا قابل فيه بين ستة كما تراه فهذا أبلغ ما يمكن أن ينظم فى هذا المعنى والله أعلم * وما أحلى قول القاضى الفاضل والقدوم على كريم ترتجى مبرته خير من المقام مع لئيم تخشى معرته وقال شرف الدين الحلاوى

وبدت نظائر ثغره فى قرطه * فتشابها ممتحنا الفين فأشكلا

فرأيت تحت البدر سالفة الطلا * ورأيت فوق الدر مسكرة الطلا

قلت لو اتفق له أن يقول سلافة الطلا لكان أحسن ولكن هذا من الجناس المعنوى لانه أراد ذلك فلم يساعده الوزن فعدل الى ما يرادف ذلك المعنى وهذا النوع استدركه المتأخرون وهو عندى باطل لان هذا الباب اذا فتحناه كان غالب الشعر جناسا معنويا وقد أشبعت القول على هذا فى مكانه من كتابى المسمى جنان الجناس ولم تتفق المقابلة فى قول الحلاوى صريحة الا فى قوله تحت وفوق وأما البدر والدر فبتأويل بعيد أى ان ذلك فى كبد السماء والدر أصله من قعر البحر وأما سالفة الطلا ومسكرة الطلا فليس من التقابل فى شئ وأى تقابل بين سالفة الغزال والخمرة حكى السراج الوراق قال خرجنا الى الدير وصحبتنا جمال الدين أبو الحسين الجزار ومعنا غلام مليح زامر فلما اجتمعنا فى مشرف الدير حضر عندنا صبى راهب مليح فشرب معنا وأطمعتنا أنفسنا فيه فأنكر الرهبان عليه وأخذوه منا وهرب الزامر فقلت

فى فخنا لم يقع الطائر

فقال أبو الحسين الجزار

لا راهب الدير ولا الزامر

فقلت

فالقلب فى أثرهما هائم

فقال أبو الحسين

والعقل من أجلهما حائر

فقلت

فسعدنا ليس له أول

فقال أبو الحسين

ونحسنا ليس له آخر

ويعجبنى قول القائل

الشعر خطة خسف * لكل طالب عرف

وقول الآخر

للشيخ عيبة عيب * وللفتى ظرف ظارف

لعمرى وما عمرى على بهين
لقد شان حر الوجه طعنة مسهر
فيا شمس الفتى ان كنت اعور عاقرا
جبانا فما اغنى لدى كل محضر
ومن ذلك قوله
وكم مظهر بغضا الينا وداننا
اذا ما التقينا كان اخفى الذى ابدى
مطاعيم فى اللأوى مطاعين فى الوغى
شمائلنا تتلى وأيماننا تندى
وقوله ايضا
وصاحب صدق قد أخذت بضبعه
وقلت له وازر أخاك فأزرا
ضروب بنصل السيف خلف صحابه
اذا أغبر أولاد المقاريف اسفرا
(وجوابه لعمرو وقد سأله عن أيهما كان ينفر وقع من ارادتك)
يعنى هرم بن قطبة المقدم ذكره وذلك انه كان أسلم وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يحبه فقال له يوما يا أبا عمرو ايهما كنت تنفر يعنى علقمة وعامرا ومن كان عندك الافضل منهما فقال لو قلت الآن فيهما كلمة لعادت جذعة يعنى الحرب بين الحيين فأعجب بهذا القول منه وقال بحق حكمتك

ذكرت هنا واقعة عبد الجليل بن وهبون المرسي مع خاله وان لم تكن من باب المقابلة قيل انه كان دون الحلم وهو الى جانب خاله وقد منع له عريش فانكسرت دعائمها ثم رفعت على أخشاب الجوز فانكسرت فقال له خاله أجز

مال عليها العريش فانكسرت * فقال كانها من سلافة سكرت

لم ترعيني ولا وعت أذني * سلافة أسكرت وما عصرت

وكتاب بدائع البدائه لابن ظافر والدلائل عليه لدى في هذا الباب كتاب حسن يدل تأليفه على سعة باع مصنفه في الاطلاع ومن المقابلة قول القائل في مأبون

يأتي الى الاحرار مجلس فوقهم * وينام من تحت العبيد ويوتى

ذكرت هنا قول الآخر

لنا عالم يؤتى فيأتي بحجة * على ذاك من أنباء علم وآيات

فقلنا له الاسلام يعلو ولم يكن * ليعلى فقال العلم يوتى ولا ياتى

أنشدني لنفسه اجازة الشيخ الامام شهاب الدين أبو الثناء محمود

يارا كبا يفري جيوب الفلا * على أمون جسرة أو جواد

يسري فتبديه ظهور الربا * طورا وتخفيه بطون الوهاد

وهذا أرشق من قول عبد الصمد بن بابك

ألوح وأخفي والعيون رواصد * وشمس الضحى تنأى منالا وتقرب

فيضمرني جو من الارض غابر * ويطلعني حقف من الرمل أجدب

قلت كذا نقلته من خط ابن خروف النحوي ولو قال بدل جو وهد لكان أحسن لان الجو لا يقابل الحقف وانما يقابله وهد ولو قال بدل الارض والرمل السهل والحزن كان أبدع فانه لا تضاد بين الارض والرمل فاعرفه (وقلت أنا)

غنى بشعر سميع فانثنى * مشيب الجوقة يدعولي

وقال ما مقطوعه داخل * لذاك يستخرج موصولي

أنشدني لنفسه اجازة المولى صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي

جاء وفي قده اعتدال * مهفهف مالد عديل

فذ خفقت عطفه شمال * وثقلت جفنه شمول

ثم انثنى راقصا بقد * تثني الى نحوه العقول

يجول ما بيننا بوجه * فيه مياه الحيا تجول

ورنح الرقص منه عطفا * حف به اللطف والدخول

فعطفه داخل خفيف * وردفه خارج ثقيل

وعلى ذكر ثقالة الردف فما أحلى قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني وأرشقه

تلاعب الشعر على ردفه * أوقع قلبي في العريض الطويل

يا ردفه جرت على خصره * رفقا به ما أنت الا ثقيل

وأين هذا من قول الآخر

يا خصره كم جفاه * تبدي وأنت نحيل

العرب

(وأن الحجاج تقلد ولاية العراق بجدك)

(الجد) الحظ والجد الاجتهاد في الامور وكلا الوجهين يصلح ههنا وهذا المذكور هو الحجاج بن يوسف ابن ابي عقيل الثقفي السفاك المشهور ولد سنة احدى واربعين وتشابا الطائف وزعم بعض الرواة انه كان اول امره معلم صبيان ويسمى كليبا وفيه يقول الشاعر

اينسى كليب زمان الهزال * وتعليمه سورة الكوثر

وغيف له فلك دائر * وآخر كالقمر الازهر

يشير الى خبز المعلمين فانه مختلف في الصغر والكبر على قدر بيوت الصبيان ثم صار دباغا ويستدل على ذلك بحكايته مع كعب الاسقري ايام ولايته وذلك ان المهلب ابن ابي صفرة لما اطال قتال الازارقة في ولاية الحجاج كتب اليه يستبطئه في تأخير مناجزة الازارقة ويعجزه فقال المهلب لرسوله قل له ان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وقام كعب الاسقري وكان من جند المهلب فانشد

ان ابن يوسف غره من عزوكم * خفض المقام بجانب الاعصار

لو شاهد الصفين حين تلاقيا * ضاقت عليه رحيبة الاقطار

يا ردفه نح عني * ما أنت الا ثقيل

قلت الاول أحسن وأرشق وأكمل من وجوه الاول ان المعنى كامل في بيت واحد وهنا في بيتين الثاني انه أتى بالمثل خاليا من ثقل الاعراب كما هو جار على ألسنة العوام ولم يأت به ملحونا الثالث أن في قوله نح عني ما لا يليق بالعشاق من الجفوة لانه يطلب بعد الردف عنه الا تراهم عابوا على ابن بقي قوله في الابيات القافية

حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيأ وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كي لا ينام على وساد خافق

وفضلوا عليه قول الحكم بن عبال

ان كان لا بد من رقاد * فأضلعي هاك عن وساد
ونم على خفقها هدوا * كالطفل في تهنه المهاد

وقلت أنا رادا على ابن بقي في وزنه ورويه

أبعدت من زحزحته عن أضلع * ما أنت عند ذوي الغرام بعاشق
هذا بدل الناس منك على الجفا * اذ ليس هذا فعل صب وامق
ان شئت قل أبعدت عنه أضالعي * ليكون فعل المستهام الصادق
أو قل فبات على اضطراب جوانحي * كالطفل مضطجعا بمهد خافق

أنشدني لنفسه اجازة المولى صفي الدين الحلي

مليح يغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شيء بارد غير ريقه

وما أحسن قول شمس الدين محمد بن التلمساني منقولا من خطه

فكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتحالى ثغره وهو بارد
وكم يدعي صونا وهذي يخونه * بفترتها للعاشقين تواعد

قلت هذا هو السحر الحلال الذي يلعب بالعقول ويدع الالباب بحسنه يقوم ويقول أنشدني من لفظه لنفسه بالديار المصرية سنة تسع وعشرين وسبعمائة شرف الدين عيسى الناسخ

شكوت الى ذاك الجمال صبابة * تكلف جفني انه قط لا يغفو
فملأت لي الاعطاف والخصر رقة لي * ولكن تحالى الشعر واثاقل الردف

قلت لا أعرف يغفو انما هو وغفى يغفي وان كان فهو لغة رديئة غير فصيحة لان غفا يغفو ولم يرد في كلام فصيح والله أعلم

*(طردت سرح الكرى عن ورد مقلته * والليل أغرى سوام النوم بالمقل)*

(اللغة) الطرد الابعاد وكذا الطرد بالتحريك يقال طردته فذهب ولا يقال منه انفعل ولا افتعل الا في لغة رديئة والرجل مطرود وطريد (السرح) المال السائم تقول سرحت الماشية وأنشتها وأرحتها واسمتها واهملتها وسرحتها سرحا هذه وحدها بلا الف ومنه قوله تعالى وحين تسرحون وسرحت هي بنفسها سروحا يتعدى ولا يتعدى تقول سرحت بالغداة وراحت بالعشي وسرحت فلانا الى مكان كذا اذا ارسلته (الكرى) النعاس تقول منه كرى الرجل بالكسر يكرى كرى فهو كر وامرأة كرية على فعيلة بكسر الراء وفتحها قال الشاعر

ورأى معاودة الدباغ غنيمة
أيام كان محالف الاقتار
فبلغت أبياته الحجاج فكتب
الى المهلب يأمره باشخاص
كعب فاعلم كعبا بذلك
وأوفده من ليلته الى عبد
الملك بن مروان وكتب اليه
يستوهبه منه فقدم كعب
برسالته من المهلب الى عبد
الملك فاستنطقه واستنشده
فاعجبه ما سمعه منه وكتب الى
الحجاج يقسم عليه أن يعفو
عنه فلما دخل كعب على
الحجاج قال ايه يا كعب
ورأى معاودة الدباغ غنيمة
فقال أيها الامير والله لوددت
في بعض ما شاهدته من تلك
الحروب وما بوردناه المهلب
من خطرها أن أنجو ومنها
وأكون جاسا أو حائكا
فقال الحجاج أولى لك لولا
قسم أمير المؤمنين لما نفعك
ما أسمع فالحق بصاحبك
وبعض الرواة ينكر هذا
القول ويقول هذه من
أكاذيب الشعراء وزعم
ان الحجاج لم يزل في كنف
أبيه وكان أبوه رجلا نبيلا
جليل القدر الى أن اتصل
يعني الحجاج بروح بن زنباع
ثم بعبد الملك بن مروان ولم
يزل يترقى الى أن ولي العراق
والمشرق وطار ذكره وعظم
سلطانه وأول ما عرف من
شهامته وجوده أن أباه خرج
من مصر يريد عبد الملك

لا يستمل ولا يكرى مجالسها * ولا يميل من النجوى مناجيها

وأصبح فلان كريان الغداة أى ناعسا (الورد) خلاف الصدر وهو فعل القوم الذين يأتون الماء ليردوه (المقلة) شحمة العين التى تجمع البياض والسواد وتجمع على مقل والحدقة السواد الاعظم والناظر هو السواد الاصغر والانسان يكون فى الناظر لانه كالمرآة اذا استقبلتها رأيت شخصك فيها قال أبو الطيب

جارية طالما خلوت بها * تبصر فى ناظرى محياها

يصف شدة قربها منه والعامة تسمى الانسان المؤنث وذبابة العين مؤخرها واللحظ طرف العين مما يلى الصدغ والموق طرفها مما يلى الانف والحلاق باطن جفن العين وشفر العين طرف الجفن الذى ينبت عليه الشعر والحاجب العظم المشرف على العين *ذكرت بالشفر ما أنشدنيه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة

يقولون من وطء النساء خف العمى * فقلت دعوا قصدى فانى من شين

اذا كان شفر العين دون محلها * فعندى أن الشفر خير من العين

قلت هذا يشبه قولهم تصدقت ببصرى على ذكرى وقول نور الدين على الاسعردى

ياسائلى لما رأى حالتى * والطرف منى ليس بالمبصر

لست أحاشيك ولكننى * سمعت بالعينين للأعور

(رجع) الاغراء ضد التحذير (السوام) والسائمة بمعنى وهو المال الراعى يقال سامت الماشية تسوم سوما أى رعت فهى سائمة وجمع السائم والسائمة سوائم وأسمتها أنا أخرجتها الى الرعى قال الله تعالى فيه تسيمون (النوم) معروف وهو ضد اليقظة يقال نام ينام فهو نائم والجمع نيام وجمع نائمة نوم على الاصل ونيم على اللفظ وسيأتى الكلام على تصريف ذلك فى الاعراب (الاعراب) (طردت) طرد فعل ماض أدغمت الدال فى التاء لقرب المخرج والتاء ضمير الفاعل (سرح) مفعول به وتقدم الكلام عليه و (الكرى) مجرور بالاضافة ولم يظهر الجر فيه لانه مقصور والاضافة هنا مقدرة باللام التى هى لشبه الملك (عن ورد) عن حرف جر وورد مجرور به وهو فى موضع نصب لانه مفعول ثان لطردت وعن هنا للتجاوز وقد تقدم الكلام على عن وتقسيمها (مقلته) مجرور بالاضافة وهى بمعنى اللام أيضا والهاء فى موضع جر بالاضافة وهى راجعة الى ذى الذى تقدم فى قوله وذى شطاط (والليل) الواو واو الحال وهى التى للابتداء والليل مرفوع على انه مبتدأ (أغرى) فعل ماض سد مسد الخبر للمبتدا والفاعل فيه ضمير مستتر يرجع الى الليل والخبر اذا كان فعلا وجب تأخيره لانه لو تقدم خرج عن باب المبتدا والخبر الى باب الفعل والفاعل ومن المواطن التى يجب فيها تقديم المبتدا وتأخير الخبر اذا كان المبتدا يساوى الخبر فى المعرفة والنكرة وليس هناك قرينة تدل على المحكوم عليه ولا المحكوم به كقولك صديقى صديقك وأفضل منى أفضل منك فهنا استويا فى المعرفة والنكرة وليس ثم قرينة توضح الخبر به من المخبر عنه وأحدهما يمتاز عن الآخر بالتقديم لانه محكوم عليه فوجب حفظا المرتبة فقدم المبتدأ فاى الجزءين قدمت كان هو المبتدأ وهذا يطرد فى باب الفاعل والمفعول اذا لم يكن ثم قرينة لا عقلية ولا لفظية مثل ضرب موسى عيسى فالمقدم هو الفاعل لانه تراعى له المرتبة وتحفظ فى التقديم (مسئلة) قولهم أبو يوسف أبو حنيفة هذا مبتدأ وخبر وقد استويا

ابن مروان ومعه ابنه الحجاج فاقبل سليم بن عمرو القاضى وكان من أورع الناس وأتقاهم فقام اليه يوسف فسلم عليه وقال انى أريد أن آتى أمير المؤمنين فان كانت لك حاجة فأعلمنى قال نعم حاجتى ان تسأله أن يعزلنى عن القضاء فقال يوسف والله لوددت قضاة المسلمين كلهم مثلك فكيف أسأله هذا ثم انصرف فقال ابنه الحجاج من هذا الذى قمت اليه فقال يابنى هذا سليم بن عمرو قاضى أهل مصر وقاصهم فقال يغفر الله لك يا أبت أنت ابن أبى عقيل تقوم الى رجل من كندة أو تحييه فقال والله يابنى انى أرى الناس ما يرجون الا بهذا وأشباهه فقال والله ما يفسد الناس على أمير المؤمنين الا هذا وأشباهه يقعدون ويقعد اليهم أحداث الناس ويذكرون سيرة أبى بكر وعمر فيخرجون على أمير المؤمنين والله لوصفا هذا الامر الى لسألت أمير المؤمنين أن يجعل لى السبيل فاقتل هذا وأشباهه فقال أبوه والله يابنى انى لاظن أن الله تعالى خلقك شقيا *وأول ما أعجب عبد الملك منه انه كان قد اتصل بروح بن زنباع وصار من جملة أصحاب شرطته وكان روح بمنزلة نائب عبد الملك ثم ان عبد الملك توجه الى الجزيرة لقتال زفر بن

في التعريف ومع ذلك فلا تحفظ لهما المرتبة بل هما سواء تأخر أحدهما أو تقدم لان لنا قرينة عقلية تدل على أن أحدهما مخبر عنه والآخر مخبر به اذا الغرض من تشبيه أبي يوسف بابي حنيفة وأبو يوسف محكوم عليه وأبو حنيفة محكوم به عقلا فلا يضر التقديم والتأخير لفظا ومن هذا النوع قول الشاعر

تعيرنا أننا عالة * ونحن صعاليك أنتم ملوكا

هذا البيت سأل علي بن زيد الفصيحي أبا القاسم بن علي الحريري عن اعرابه فقال تقديره تعيرنا اننا عالة صعاليك ملوكا أنتم ونحن عالة جمع عائل منصوب به وملوكا صفة لهم وأبطل هذا الجواب علم الدين السخاوي وقال الملوك لا تكون صفة للصعاليك وفي تقديره صعاليك ملوكا أنتم ونحن لا معنى له والصواب ان عالة من عالني الشيء يعنى أثقلني أي تعيرنا باننا عالة ملوكا في حالة التصعلك فهو منصوب على الحال ونحن أنتم مبتدأ وخبره أي نحن مثلكم ومن المواطن التي يجب فيها تقديم المبتدا اذا كان الخبر محصورا كقولك انما زيد شاعر وما عمرو الا كاتب لمن يتوهم أن زيدا غير شاعر وعمرا غير كاتب فهنا يجب حفظ المرتبة لهما ومنها أن يكون الخبر مسندا الى مبتدا مقرون بلام الابتداء نحو لزيد قائم ومنها أن يكون له صدر الكلام كقولك من ابوك لان الاستفهام له صدر الكلام (سوام النوم) منصوب على انه مفعول به والنوم مضاف اليه والاضافة هنا بمعنى اللام التي هي لشبه الملك (بالمقل) جار ومجرور موضعه النصب متعلق باغرى والباء هنا للتعدية وقوله والليل أغرى سوام النوم بالمقل في موضع النصب على الحال كأنه قال طردت الكرى عنه في حالة اغراء الليل سوام النوم بالمقل (المعنى) منعته النوم بالحادثة ونحن في ليل قد أقبل بالنوم على العيون وحببه الى المقل واستعار الطرد للمنع كما استعار للكرى سرحا اذ هو من متعلق السرح ولذلك أكده بالاستعارة الثانية لانه ابدل السرح للنوم بالسوام وهما من باب واحد وحسن الاستعارة هنا أن السرح السائم اذا ورد الماء كانه يذهب بالشرب واذا سام في النبات رعاه واذهب ما فيه من العشب وقد يكون فيه زهر يشبه العيون اليقظى فاذا ذهب بالرعي اشبه العين التي زال رونقها وغاب بياضها وسوادها بالنوم وكذلك الماء المورود للسرح يشبه العين اليقظى فاذا ذهب أشبه تغميضها وقد نا كد الطغرائي هذا الرفيق ومنعه نومه فكان كما يقال لا ينام ولا يدع الناس ينامون ولو كفاه شره لسره فان الخلي لا يلزم بحال الشجي والوزير المغربي أنصف دونه اذ قال

لي كلما ابتسم النهار تعلة * بحدث ماشان قلبي شانه
فاذا الدجى وافى وأقبل جنحه * فهناك يدري الهم أين مكانه

وهو ماخوذ من قول مجنون بني عامر

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعني والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى اذا بدا * لي الليل هزتني اليك المضاجع

ولمح المعنى فيه محمد بن يحيى بن حزم فقال

اذا طلعت شمس على بسلوة * أثار الهوى بين الضلوع غروبها

وقال المجنون أيضا

الحرث عند ما عصى عليه بقرقيسا فامر روح بن زنباع جماعة من أصحابه وأصحاب شرطته يحثون المتأخرين من أهل العسكر في كل منزلة وكان الحجاج من جملتهم وكان يجتهد في ذلك الى ان مر يوما بعد رحيل العسكر بجماعة من خواص غلمان روح في خيمة يأكلون فأمرهم بالرحيل فضجروا منه اذ لا بد لهم ومحل سيدهم وقالوا له انزل كل واسكت فضرب بسيفه أطناب الخيمة فسقطت عليهم وأطلق فيها نارا فاحرقت أثاثهم عليهم فاسكتوه وأتوا به الى روح وسمع عبد الملك الخبر فطلبه وقال من فعل هذا بغلمان روح فقال أنت يا أمير المؤمنين أمرتنا بالاجتهاد فيما ولينا فعلنا ما أمرت وبهذه الفعلة يرتدع من بقي من أهل العسكر وما على أمير المؤمنين ان يعوض عليهم ما ذهب وقد قامت الحرمة وتم المراد فاعجب عبد الملك فقال ان شرطيكم لجلد ثم أقره على ما هو عليه ولما طال القتال والحصار بينه وبين زفر بن الحرث أرسل عبد الملك رجاء بن حيوة وجماعة منهم الحجاج الى زفر بكتاب يدعوه الى الصلح فاتوه بالكتاب وقد حضرت الصلاة فقام رجاء فصلى مع زفر وصلى الحجاج وحده فسئل عن ذلك فقال لا أصلي مع

وشغلت عن فهم الحديث سوى * ماكان منك وحبكم شغلى
وأديم نحوك محدثى نظرى * أن قد فهمت وعندكم عقلى

ومن هنا أخذ أمين الدين جوبان قوله دوبيت

لا أستمع الحديث عن غيركم * من لذة فكرى واشتغالى بكم
ألوى نظرى كأنى أفهمه * من قائله وخاطرى عندكم

ولعمرى ان هذه الاستعارات التى فى كلام الطغرائى واقعة موقعها وهى فى غاية الحسن والاستعارة عند أرباب البيان هى ادعاء معنى الحقيقة فى الشئ للمبالغة فى التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين لفظا أو تقديرا ألا ترى انه شبه الليل وايراده النوم على المقبل بالراعى الذى يسوق الماشية الى المرعى وشبه منعه النوم صاحبه وشغله عنه بالطرد كالذى يطرد السرح عن ورود الماء ولا شك ان الاستعارة أبلغ من التشبيه وأوقع فى النفس وانظر الى قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا والى ما فيه من الطلاوة بخلاف ما اذا قيل وشيب الرأس كالنار يشتعل فهو ادعى أن حقيقة الاشتعال فى الشيب دون النار ووجه المناسبة التى حسنت هذه الدعوى ان الشيب لما كان بياضا يأخذ فى الشعر الاسود شيأ فشيأ الى ان يقوى ذلك ويشتد حتى يأتى على السواد جميعه فيذهبه حسن ادعاء الحقيقة هنا كما ان النار تأخذ فى الفحم شيأ فشيأ وتذهب دبيب الشيب فى الشعر حتى تأتى على الفحم ومن هنا عيب على القائل

والشيب ينهض فى الشباب كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

فان الصياح هنا لا مناسبة له ولا معنى وقيل ان بعضهم لما سمع قول أبى تمام

لا تسقنى ماء الملام فانى * صب قد استعذبت ماء بكائى

جهز له قدحا وقال له ابعث لى فى هذا قليلا من ماء الملام فقال أبو تمام حتى تبعث لى ريشة من جناح الذل وما ظلم من جهز له القدح فانه استعار قبيحا وليست استعارته كاستعارة جناح الذل فى الآية بل الاستعارة فى الآية فى غاية الحسن وما أحلى قول الحسن بن وهب شربت البارحة على وجه الجوزاء فلما انتبهت الفجر نمت فما غفلت حتى لحقنى قميص الشمس وما أحلى قول البدر الذهبى

ما نظرت مقلتى عجيبا * كاللوز لما بدا نواره
اشتعل الراس منه شيبا * واخضر من بعد ذا عذاره

سال رجل عمرو بن قيس عن الحساة يجدها الرجل فى ثوبه أو فى خفه من حصى المسجد قال ارم بها فقال الرجل زعموا أنها تصيح حتى ترد الى المسجد فقال دعها تصيح حتى ينشف حلقها فقال الرجل سبحان الله أولها حلق قال فمن أين تصيح ومثل هذا ما حكاه أشعب الطماع قال جاءت لى جارية بدينار فقالت أودعه لى عندك فقلت ضعيه تحت المصلى فلما راحت وضعت الى جانبه درهما فلما كان بعد جمعة جاءت تطلبه وقالت أين الدينار قلت محله لكن انظرى لعله ولد فان كان ولد شيأ خذيه فنظرت اليه فقالت نعم هنا درهم فقلت ما دام هو تحت المصلى فهو يلد لك كل جمعة درهما فأخذت الدرهم وتركت الدينار وانصرفت وحضرت بعد جمعة وطلبت الدينار فلم تجده فسألت عنه فقلت لما مات فى النفاس فقالت ويلى كيف يموت فقلت يا بطراء منافق خارج على أمير المؤمنين وعن طاعته فسمع عبد الملك بذلك فزاد عجبا بالحجاج ورفع قدره وولاه بلدا تسمى تبالة وهى أول ما ولى فخرج اليها فلما قرب سال عنها فقيل انها وراء هذه الاكمة فقال أف لبلدة تستر ها أكمة فرجع فقيل فى المثل أهون من تبالة على الحجاج ثم قدم على عبد الملك فلازم خدمته فلما فرغ عبد الملك من قتال مصعب ابن الزبير ورجع الى الشام قال من لابن الزبير يعنى عبد الله القائم بمكة والحجاز وندب الناس الى قتاله فقام الحجاج فقال يا أمير المؤمنين أنا له ابعثنى اليه فلقد رأيت فى المنام كأنى سلخته وجردته من جلده فبعثه اليه وجهز معه جيشا فقدم الى مكة ونصب المنجنيق على الكعبة وفعل ما فعل حتى قتل ابن الزبير وصفت الخلافة لعبد الملك فسر باجتهاده وأرسل اليه عهده على مكة والمدينة والطائف فاستخف أهل الحرمين وأهانهم ثم كتب الى عبد الملك يقول انى حزت الحجاز بشمالى وبقيت يمينى فارغة يعرض بالعراق فبعث اليه عهده على العراق وهذا أحد الاقوال فى سبب ولايته العراق * والقول الآخر انه وفد على عبد الملك ومعه ابراهيم ابن طلحة بن عبد الله التيمى

كيف تصدقين بولادته ولا تصدقين بموته فى النفاس وما أحسن قول ابن خفاجة الاندلسى

وقد جال من جون الغمامة أدهم * له البرق سوط والشمال عنان
وضمخ درع الشمس نحر حديقة * عليه من الطل السقيط جمان
ونمت باسرار الرياض خميلة * لها النور ثغر والنسيم لسان

وقوله من أبيات

فى خصر غور بالادراك موشح * أو رأس طود بالغمام معمم
أو نحر نهر بالحباب مقلد * أو وجه خرق بالضريب ملثم

وقول محيى الدين بن قرناص

قد أتينا الرياض حين تجلت * وتحلت من الندى بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من أنامل الاغصان

ذكرت بعمامة الغمامة هنا قول القاضى الفاضل ووصلنا حصن كوكب وهو نجم فى سحاب وعقاب فى عقاب وهامة لها الغمامة عمامة وأسلة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامة قلت ما أحسن هذا التخيل وألطف هذه الاستعارات وقد عاب ضياء الدين بن الاثير هذا الفصل فى المثل السائر وأجبت عنه فى كتابى المسمى بنصرة الثائر على المثل السائر ويحكى قول ابن خفاجة

الا رب يوم حثت الكاس خطوه * فطار وأيام السرور قصار
عثرت بذيل السكر فيه عشية * وللريح فى موج الخليج غبار
وقد فضض النوار كل رباوة * وسال عليها للاصيل نضار

قلت كل هذه الالفاظ فى الابيات فصيحة الا قوله رباوة فانه غير مستعمل لان فى ربوة أربع لغات تثليث الراء بالضم والفتح والكسر والضم أفصحها واللغة الرابعة رباوة ولكنها غير مستعملة الا فيما قل ولغة القرآن أفصح ولو قال

وقد فضضت جيد الروابى أزاهر * يسيل عليها للاصيل نضار

لكان أعذب موقعا فى السمع من ذلك وقول أبى نصر عبد العزيز بن نباتة السعدى

خرقنا بأطراف القنا لظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب
لقوا نبلنا مرد العوارض وانثنوا * لاوجههم منها لحى وشوارب

وقول الشريف أبى الحسن على العقيلى من أبيات

وفرق تيجان نواره * فلم ينس من غصن مفرقا

وقوله أيضا

اذا أبدى مؤامرة التجنى * أقمت له وجوه الاحتمال

وقوله أيضا

لنا أخ يحسن ان يحسنا * رضاه للعانين عذب الجنى
قد عرفت روضة معروفه * بانها تنبت زهر الغنى
اذا تبدى وجه احسانه * تنزهت فيه عيون المنى

وقوله أيضا

وكان من رجال قريش علما وتبلا وعملا وزهدا ومهابة وكان الحجاج مسخرا له لا يترك من اجلاله شيأ فلما قدما على عبد الملك أذن للحجاج فى الدخول فلما دخل سلم ولم يبد بشئ الا أن قال يا أمير المؤمنين قدمت عليك برجل من أهل الحجاز ليس له نظير فى كمال المروءة والديانة وحسن المذهب والطاعة مع القرابة ووجوب الحق قال ومن هو قال ابراهيم بن طلحة التيمى فليفعل أمير المؤمنين معه ما يفعله بامثاله فقال عبد الملك ذكرتنا حقا واجبا ورحما قريبة ثم أذن له فلما دخل قربه وأدناه ثم قال له ان أبا محمد ذكر لنا ما لم نزل نعرفك به من الفضل وحسن المذهب فلا تدعن حاجة الا ذكرتها فقال ابراهيم ان أولى الامور أن يفتتح به الحوائج ما كان لله فيه رضا ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم أداء ولجماعة المسلمين نصيحة قال وما هو قال لا يمكن القول الا وأنا خال فأخلنى قال أو دون أبى محمد قال نعم فاشار عبد الملك الى الحجاج فخرج وقال قل فقال يا أمير المؤمنين انك عهدت الى الحجاج مع تعطرسه وتجبره وبعده عن الحق وركونه الى الباطل وولايته الحرمين وبهما من أولاد المهاجرين والانصار من قد

خلص بجاه الوصل قلب متيم * غمز الصدود عليه أعوان الضنى

وقوله أيضا

كلما لاح وجهه بمكان * كثرت زحمة العيون عليه

وقوله أيضا

فلما تبدى لنا وجهه * نهينا محاسنه بالعيون

وقوله أيضا

الغرب بالليل مسك * والشرق بالفرند
وروضة الجام فيها * من زهر ذا الراح ورد
فاشرب على وجه أرض * له من الماء خد
فجيد يومك فيه * من الملاحة عقد

وقوله أيضا

الى كم ذا ترد الغيث لا يروى من الغدر
أظن الغيث قد تمت * عليه حيلة العذر

وقوله أيضا

قد ضاقت الحيلة بى فى رشا * لا يقبل الرشوة من ود
ما سرت بالشكوى الى سمعه * قط فاشرفت على وعد

وقوله أيضا

وأوحشت من رؤياك طرفى فلم يزل * تنزهه فى ورد وجنتك الغض
فان كنت تخشى من لسان بكائه * فما الرأى الا أن تبر طل بالغمض

وقول ابن الساعاتى

ولولا رواة بسل وشاة تخبر صوا * أحاديث ليست فى سماع ولا نقل
لثمنا ثغور النور من شنب الندى * خلال جبين النهر فى طرر الظل

وقول ابن النبيه

تبسم ثغر الروض عن شنب القطر * ودب عذار الظل فى وجنة النهر

وقوله أيضا

والنهر خد بالشعاع مورد * قد دب فيه عذار ظل البان
والماء فى سوق الغصون خلاخل * من فضة والزهر كالتيجان

وقول محيى الدين بن قرناص

لقد عقد الربيع نطاق زهر * يضم لقضبه خصرا نحيلا
ودب مع العشى عذار ظل * على نهر حكى خدا اسيلا

وكلهم أخذ والوجه والعذار من ابن خفاجة حيث قال

وما الانس الا فى مجاج زجاجة * ولا العيش الا فى صرير سرير
وانى وان جئت المشيب لواع * بطرة ظل فوق وجه غدير

وقول مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت

علمت يسومهم الخسف
ويقودهم بالحتف ويطؤهم
بطغام أهل الشام ورعاع لا روية
لهم فى اقامة حق ولا فى ازاحة
باطل ثم تظن أن ذلك ينجيك
من عذاب الله فكيف بك
اذا جائك محمد صلى الله عليه
وسلم غدا للخصومة بين يدى
الله تعالى أما والله انك ان
تنجو هنالك الا بحجة تضمن
لك النجاة فأبق لنفسك أو دع
وكان عبد الملك متكئا
فاستوى جالسا وقال كذبت
ومنت فيما جئت به ولقد ظن
بك الحجاج ظنا لم نجده فيك
فانت المائن الحاسد قال
فقمت ووالله ما أبصر شيأ
فلما جاوزت الستر لحقنى
لاحق فقال للحاجب امنع
هذا من الخروج وأذن
للحجاج فدخل فلبث مليا ولا
أشك انهما فى أمرى ثم خرج
الاذن لى فدخلت فلما
كشف الستر اذا أنا بالحجاج
خارج فاعتنقنى وقبل ما بين
عينى وقال اذا جزى الله
المتواخيين بفضل تواصلهما
فجزاك الله أفضل الجزاء
أما والله لئن بقيت لارفعن
ناظريك ولأتبعن الرجال
غبار قدميك قال فقلت فى
نفسى انه ليسخر بى فلما وصلت
الى عبد الملك أدنى مجلسى
كما فعل فى الاول ثم قال يا أبا
طلحة هل أعلمت الحجاج بما
جرى أو شاركك أحد فى

وليلة بت أسقى فى غياهبها * راحا تسل شبابى من يد الهرم
مازلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

وقول ابن قلاقس

جرت خيل النسيم على الغدير * وردت تحت قسطال العبير
وغاب الصبح فى كف الثريا * وكان براحة القمر المنير

وما أحسن قول أمين الدين جوبان

أصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهما منه بغير ملال
لتلتقطى زهرات ورد خديكم * من بين شوك ملامة العذال

ويعجبنى قول القائل وان كان مشهورا

مجرة جدول وسماء آس * وأنجم نرجس وشموس ورد
ورعد مثالث وسحاب كأس * وبرق مدامة وضباب ند

وقول ابن الساعاتى

وكم ركبت بهيم الليل فى غرض * وبدره غرة والصبح تحجيل
ووردة الفجر فى خدى مطالعه * كأنها أثر ابقاه تقبيل

وقول ابن قلاقس

سرى وجبين الجو بالطل يرشح * وثوب الغوادى بالبروق موشح
وفى طى أبراد النسيم خميلة * باعطافها نور المنى يتفتح
تضاحك فى مسرى المعاطف عارضا * مدامعه فى وجنة الروض تسفح
ويورى به كف الصبا زند بارق * شرارته فى فحمة الليل تقدح

وقال ابن رشيق

باكر الى اللذات واركب لها * نجائب اللهو ذوات المراح
من قبل أن ترشف شمس الضحى * ريق الغوادى من ثغور الاقاح

وقال ابن سناء الملك

قد كان لى منديل كم سابغ * ماجاز مسح فى به فى مذهبى
فاعتضت منه بخده من أحببته * ومسحت فى منديل كم مذهب

وقال بعض المغاربة

زار وقد شمر فضل الازار * جنح ظلام جانح للفرار
وروضة الانجم قد صوحت * والفجر قد فجر نهر النهار

قرأت على الشيخ الامام الاديب الكاتب أبى الثناء محمود قصيدة له منها

يا راكب الوجناء يجذب فى السرى ذيل الزميل
يختال فى حبر الشرو * ق ضحى وفى حبك الاصيل
ويحوم من نهر المجر * ة كالنجوم على مسيل

وقرأت عليه من أخرى له

أيها السائر الذى فى المرامى * باكر السير بكرة وأصيلا

نصيحتك فقلت لا والله ولا أعلم أحدا أظهر يدا عندى من الحجاج ولو كنت محابيا أحدا بدينى لكان هو ولكنى آثرت الله ورسوله والمسلمين فقال قد علمت صدق مقالتك ولو آثرت الدنيا لكان لك فى الحجاج أمل وقد عزلته عن الحرمين لما كرهت ولايته عليهما وأخبرته انك الذى استزلتنى له عن ما استصغار الولاية وولينه العراق لما هنالك من الامور التى لا يدحضها الا مثله وانما قلت له ذلك ليؤدى ما يلزمه من ذمامك فاخرج معه فانك غير ذام لصحبته مع يدك عنده فخرجت مع الحجاج وأكرمنى أضعاف اكرامه واستدللت على مكارم عبد الملك وأخلاقه واعترافه بالحق وتلطفه فى الامور (وقيل) فى سبب ولاية الحجاج العراق قول آخر ثم دخل الحجاج الى العراق ودخل الكوفة وبدأ بالمسجد وخطب خطبته المشهورة التى يقول فيها يا أهل العراق والنفاق والله لاعصبنكم عصب السلمة ولاحونكم حو العصا حطما أوضعتم فى الضلالة وتماديتم فى الجهالة يا عبيد العصا أنا الغلام الثقفى لا عدا الا وفيت ولا أخلق الا فريت انما مثلكم كما قال الله تعالى

يكحل المقلتين من اثمد الليـ ـل فيفنى القفار ميلا فميلا

وقرأت عليه من أخرى له

أعد حديث الحي فالركب في طرب * وقص أنباء من بالجزع من عرب
كرر حديث الثنايا فهو أعذب لي * على الغمام من رضاب الخرد العرب
اذا الكرى ذرى أجفاننا سنة * من النعاس نفضناها من الهدب

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

ولما جنى طرفي رياض جمالكم * جعلتم سهادي في عقوبة من جنى
أحبابنا ان عفتم السفح منزلا * وأخليتم من جانب الجزع موطنا
فقد حزتم دمعي عقيقا ومهجتي * غضى وسلكتم من ضلوعي منحنى

وأنشدني أيضا من لفظه لنفسه

وقد روت عن لينه واعتداله * صحاح العوالي مسندا بعد مسند
اذا قعدت أردافه قام عطفه * فياطول شجوى من مقيم ومقعد

وأنشدني أيضا من لفظه لنفسه

لحا الله قلبا كلما جرط رفه * الى الحسن ألقى عروة المتماسك
تأبط شرا من أذى الوجد واثنى * كثيرا له وى شتى النوى والمسالك

وأنشدني أيضا من لفظه لنفسه

هذي الحمائم في منابر أيكها * تملي الغناء والطل يكتب في الورق
والقضب تخفض للسلام رؤسها * والزهر يرفع زائريه على الحدق

وهذا أحسن من قول مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت

اني لاشهد للحمى بفضيلة * من أجلها أصبحت من عشاقه
مازاره أيام نرجسه فتى * الا وأجلسه على أحداقه

وقلت أنا من مقامة

وما حسدت نفسي سوى نفس الصبا * ولا سمعا يوم قطعناه بالحمى
فكم ضم عطفا للغصون مرنحا * وعانق قدا للقضيب مقوما
وقبل خد الورد وهو مضرج * وثغر الاقاحي في الربا اذ تبسما
وكم بات يستجلي عذارا بنفسج * سقته الغوادي صوبها فتنمنما

وقلت أيضا

قلت اذ قيل لي تسل فهذا * بصدغه قد دجا وكان ينير
هي مرآة خده غاب منها * في غلاف العذار شئ يسير

وقلت أيضا

لقد تها اذ ينثني صولة * معروفة ما بين عشاقها
قد قطعت ظهر غصون الربا * وجرت الورق بأطواقها

وقلت أيضا

وحقك لو حكاها غصن بان * لقطعت الخفاف على قذاله

وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون شاهت الوجوه فانكم أشباه ذلك فاستوثقوا واستقيموا أقسم بالله لتدعن الارجاف ولتقلعن على الانصاف ولتنزعن عن القيل والقال وكان وكان والهن وما الهن أولاهبرنكم بالسيف هبر ايدع النساء أيامى والولدان يتامى والله لكأني أنظر الى الدماء تترقرق بين اللحى والغلاصم فلما سمع أهل الكوفة هذه الخطبة وكان بعضهم قد أخذ حصا اراد أن يحصب به الحجاج فتساقط من ايديهم حزنا وروعا وثبتت مهابته في قلوبهم وتحكم حينئذ في رقابهم وكان القاسم بن سلام يقول قاتل الله اهل الكوفة اين قبائلهم وعشائرهم واهل الانفة منهم وأين تجبرهم قتلوا عليا وطعنوا الحسين وقاتلوا المختار وعجزوا عن قتل هذا الملعون الدميم الصورة وقد جاءهم في اثني عشر راكبا وهم مائة الف ولكن ظهر تصديق امير المؤمنين علي بن ابي طالب في قوله اللهم سلط عليهم الغلام الثقفي ثم اقام الحجاج بالعراق يرهب

ولم يفتح لعين الزهر جفنا * لينظر في الغدير الى خياله

وقلت أيضا وان كان فيه طول

لي غادة لم ترض بدر الدجى * بيت في خدمتها يسرى
اذا رنت أقسم من خوفها * هاروت لاعاد الى السحر
وفرقها الوضاح ينفي الدجى * ويسلخ الليل الى الفجر
والبرق لما ابتسمت كم غدا * وقلبه يخفق بالذعر
والظبي لما التفتت جيدها * هج على الوجه الى النفر
فلو تثنت قطعت خصرها * على قذال الغصن النضر
وأدخلته في حرام النقا * وما استحت من شيبة الزهر

وما أطرب لشئ كطربي لاستعارات القاضي الفاضل رحمه الله في مثل قوله وتلك الجبهة وان كانت عربية فانها مستودع الانوار وكنز دينار الشمس ومصب أنهار النهار * وقوله وتصبر حتى تنجلي هذه الغمرة وحتى تجف مناديل الجفون فانها كانت بالدموع عصرة وقوله أيضا من قصيدة مطولة

قد استخدمت بالافكار سري * وما أطلقت لي بالوصل أجره
ولم أره على الايام الا * عقدت محبة وحللت صره
ولا استمطرت سحب العين الا * بقيت بأدمعي في الشمس عصره

وقوله في ليلة جد ذخرها وخد جمرها الى يوم تود البصلة لو ازدادت قبصا الى قصها والشمس لو جرت النار الى قرصها * وقوله وأنتم يا بني أيوب لو ملكتم الدهر لاعتطيتم ليا اليه أداهم وقلدتم أياه صوارم وأفنيتم شموسه وأقماره في الهيجات دنانير ودراهم وأيامكم أعراس وماتم فيها على الاموال ماتم والجود في أيديكم خاتم ونفس حاتم في نقش ذلك الخاتم * ونقلت من خط مجير الدين عبد الله بن عبد الظاهر وما أحسن ما قال القاضي الفاضل رحمه الله وأما الحاحظ فانا معاشر الكتاب الامن دخل من كتبه الحارة وشن الغارة وخرج وعلى الكتف منها كارة ولا يقول المملوك في فوائد المولى تاج الدين ذلك بل يقول ما منا الامن أدخله داره وساهمه بدره وابداره وأجلسه معه في الدارة وأخلى له سريره وخلى سراره ونزل من عنده وبين يديه من فوائده الكواكب السيارة بل يقول ما منا الامن استعار منه فاعاره واستكساه فحسن له الشارة واستجناه فاجناه ثماره وتركه وكل معنى مبتكر له كصاحب الجب وكل ذي استفادة منا يلتقطه كبعض السيارة * قلت كان ينبغي له ان يقدم القول الثاني على الاول * وقول القاضي الفاضل وحالي في التفرس الى هذه الغاية الارض من ذوات المحارم ما وطئتها برجلي وطرقها اضاحيه ما كسوتها ظلي * وقوله وان رأى المجلس ان يكون الجواب في ظهر الكتاب فخر أن يدفع في ظهره * وقوله أيضا والله بمن بطلوع نجمه نهارا وبقدوم وجهه الذي تسر أساريره أسرارا فينعم بكتابه فان الكتاب للقاء رديف وفيه نجدة للصبر على الشوق والشوق قوى والصبر ضعيف * وقوله وانما لسانه يبرز الابريز ولي لسان حبه القلب فهو في الدهليز * وقوله وعلى المتوفي ديون جليلة والدين عثرة الصراط والقبر على المطلوب سم الخياط * وقوله وكيفما كتبت يد سيدنا نثرت الدر الثمين

ويفتك حتى استوثقت له الامور ثم خرج عليه عبد الرحمن ابن الاشعث باهل العراق فامده عبد الملك باهل الشام فكانوا شيعته فاستمرت بينه وبين ابن الاشعث الوقائع حتى هزمه الحجاج بدير الجماجم بعد ثمانين وقعة في ستة أشهر وكان مع ابن الاشعث أكثر من مائتي ألف فلما هزموا قال الحجاج لاصحابه اتركوهم فليبددوا ولا تتبعوهم ثم نادى مناديه من رجع فهو آمن ودخل الكوفة وجاء الناس من المنهزمين يبايعونه فكان يقول لمن جاء يبايعه اشهد على نفسك بالكفر وتخرج عن الجماعة ثم تب فان شهد والا قتله فاتاه رجل من خثعم فقال اشهد على نفسك بالكفر فقال ان كنت عبدت ربي ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر لبئس العبد أنا والله ما بقي من عمري الا ظمء حمار وانني أنتظر الموت صباحا ومساء فأمر به فضرب عنقه وقدم بعده شيخ آخر فقال الحجاج ما أظن الشيخ يشهد على نفسه بالكفر فقال يا حجاج أتخادعني أنت عن نفسي أنا أعرف بها منك واني لاكفر من فرعون وهامان فضحك الحجاج وخلى سبيله * وكان في الحجاج خلال امتاز بها عن أبناء وقته الكرم

واستدعت سطوره مصافحة شفاه اللائمين * وقوله فان الهم موت والوهم صريخ ماله صوت وقوله أيضا فلا أقر الله كتابا الا كنت سابحا في بحر كله درر وقاطفا من روض كله ثمر وظللت منه بنهار كله غرر وبت بليل كله سحر مستمتعا بحديث كله سمر وارد امنه موردا كله صفاء على رغم انف زمان كله كدر * وقوله فطرقنا كلها أسواق والبرارى عليها من المهابة أغلاق وأيدى الولاة لاعناق المفسدين أطواق * وقوله أيضا ومايؤثر المملوك أن يفتح باب شكواه لدهره ولا يعزيه عن المصاب الذى لا يطيعه اللسان فى ذكره ولا أن يدل المولى على الامر الجامع بين ترويع سره وتحصيل أجره ولا أن يشير الى أن الحى غريب فى طريق عمره الى أن يحصل فى دار قبره * وقوله أيضا وأنا على دفع الايام وهى تدفعنى ولباس الليالى وهى تخلعنى وعتاب الدهر ولكن ما أظنه يسمعنى وقوله فيما أظن

نزلتى بالله زولى * وانزلى غيرها تى
واتركى حلقى بحقى * فهو دهليز حياتى

وقوله فى مسحة القلم

مسحة نهارها * يجن ليل الظلم
كانها مذ خلقت * منديل كم القلم

وقول نور الدين على بن سعد المغربى فيها

ومسحة لاحت كأفق تبددت * به قطع الظلماء والصبح طالع
ولما أطال الليل فيها ورود * حكته وسدت للصباح المطالع

وأنشدنى لنفسه اجازة المولى ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر

ومسحة تناهى الحسن فيها * فأضحت فى الملاحة لا تبارى
فلا تنكر على القلم الموانى * اذا فى وصلها خلع العذارا

(والركب ميل على الاكوار من طرب * صاح وآخر من خمر الكرى ثمل)

(اللغة) الركب تقدم الكلام عليه (ميل) جمع أميل وهو الذى لا يستوى على السرج قال جرير

لم يركبوا الخيل الا بعد أن هرموا * فهم ثقال على أكتافها ميل

(الاكوار) جمع كور وهو القتب (الطرب) خفة تلحق الانسان لشدة حزن أو سرور تقول طرب يطرب فهو طرب قال الشاعر

وترانى طربا فى اثرهم * طرب الواله أو كالمختبل

فطرب اسم فاعل وهو هنا يحتمل أن يكون من الفرح وأن يكون من الحزن ولكنه الى الحزن أقرب لانه فى بيت الشعر انما جاء فى سياق شدة السهر (صاح) صحا يصحو ومن سكره فهو صاح اذا زال ما كان يجده من النشوة (خمر) قال ابن الاعرابى انما سميت الخمرة خمرة لانها تركت فاختمرت واختمارها تغير ريحها وقيل لخامرتها العقل أى تغطيتها (الكرى) تقدم تفسيره (ثمل) تقول ثمل الرجل بالكسر ثملا اذا أخذ الشراب منه فهو ثمل أى نشوان (الاعراب) (والركب) الواو للابتداء والركب مرفوع على انه مبتدأ (ميل) مرفوع على انه خبر المبتدا وهو جمع أميل كما تقول أبيض وبيض وكان أصله ميل بضم الميم كما تقول أحمر وحمر ولكنهم استثقلوا الضمة قبل حرف العلة وهو الياء فقلبوا الضمة الى جنس ما بعدها فكانت كسرة كما

والفصاحة والدهاء والجور وحلم فى بعض الاوقات * فاما كرمه فحكى انه لما دخل المدينة فرق فى أهلها عشرة آلاف دينار ثم قال أتينا كم وقد غاض الماء لكثرة النوائب فاعذرونا فقال رجل لا عذر الله من يعذرك وأنت أمير المصرين وأنت عليم القريتين فقال صدقت واقترض أموالا من هناك من التجار فكان شيأ عظيما ولما ولى العراق كان يطعم فى كل يوم على ألف مائدة يجتمع على كل مائدة عشرة أنفس ويطاف به فى محفة على أيدى الرجال يشرف على القوم ويقول يا أهل الشام اهشموا الخبز لئلا يعاد عليكم وقيل كان فعله هذا خصيصا بأهل الشام وكان يرسل الرسل الى الناس لحضور الطعام فكثر عليه ذلك فقال أيها الناس رسلى اليكم الشمس اذا طلعت فاحضروا للغداء واذا غربت فاحضروا للعشاء فكانوا يفعلون ذلك واستقل الناس يوما فقال ما بال الناس قد قلوا فقام رجل وقال يا أيها الامير انك أغنيت الناس فى بيوتهم عن الحضور الى مائدتك فأعجبه ذلك وقال اجلس بارك الله عليك * وأما دهاؤه فحكى عبد الله بن ظبيان قائل مصعب بن الزبير قال كنت يوما واقفا على باب الحجاج

فاذا به قد خرج وحده وكانت
القائلة وما بالباب أحد فوقع
فى نفسى ان أقتله فنظرت الى
فقال هل لقيت يزيد بن أبى
أسلم يعنى كاتبه قلت لا قال
القه فان عهدك على الرى
معه فطمعت وكففت عنه
وتوجهت الى يزيد فلم يكن
عنده عهد ولا شئ من ذلك
وانما قال الحجاج ذلك حذرا
وشغلا لى عما أردته به وبنى
هو وعبد الملك فى بعض المساجد
بابين فوقعت صاعقة
فاحرقت باب عبد الملك
فدخله حسد للحجاج فكتب
اليه انما مثل أمير المؤمنين
ومثلى كمثل ابنى آدم اذ
قربا قربانا فتقبل من أحدهما
ولم يتقبل من الآخر ودخل
يوما على عبد الملك فدعا
بالشراب فقال يا أمير المؤمنين
اعفنى فانى أنهى أهل عملى
عنه وأكره أن أخالف قول
العبد الصالح وما أريد أن
أخالفكم الى ما أنهاكم عنه
فقال عبد الملك انه نبيذ
الرمان يشهى الطعام ويزيد
فى الباه فقال الحجاج أما كونه
يشهى الطعام فوالله لوددت
أن هذه الاكلة تكفينى حتى
أموت وأما كونه يزيد فى
الباه فحسب الرجل أن
يصرع فى الشهر مرة وصعد
يوما المنبر فأراد أن يختبر طاعة
الناس له فقال الا أن الحجاج
كافر فلم يرد عليه أحد شيأ

فى بيع وقيل وكما فى ميزان وميعاد فالاصل ضم أوائل هذه الاربعة ولكنهم فعلوا بها
ماذكرته لك (على الاكوار) جار ومجرور متعلق بميل (من طرب) جار ومجرور وطرب بكسر
الراء اسم فاعل هنا وليس هو مصدرا فتفتح الراء لانه لو كان مصدرا لفسد المعنى وكان
الجار والمجرور مفعولا من اجله وكان قوله وآخر من خمر الكرى معطوفا على غير شئ ولم يتعلق
بما يربطه وهذا الجار والمجرور فى موضع الحال واذا كان الجار والمجرور حالا فلا بد له من التعلق
بمحذوف هو العامل فيه وتقديره هنا والركب ماثلون منقسمين (صاح) مجرور على أنه صفة
لطرب تبعه فى افراده وتذكيره وتنكيره وجره (وآخر) الواو عاطفة عطفت آخر على طرب ولم
ينجر لانه غير منصرف فعلامة الجر فيه فتحة وانما قلنا انه غير منصرف لان فيه علتين
فرعيتين من العلل التسع وهما العدل والصفة والعدل فيه تحقيقى لان آخر من باب أفعل
التفضيل وهذا الباب شرطه ان لا يستعمل الا مضافا أو بالالف واللام أو بمن ولهذا لحنوا أبا
نواس فى قوله

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

لانه استعمل افعل التفضيل بغير شرطه وأجاب ابن أبى الحديد رادا هذا القول على ابن الاثير
فى المثل السائر بأن قال لا يذكر أن كثيرا من أئمة العربية طعن فى هذا البيت ولكن انتصر
له كثير منهم فقالوا وجدنا افعل فى غير موضع واردة بغير لام ولا اضافة ولا من مثل دنيا
فى قول الراجز * فى سعى دنيا طالما قد مدت * وقول الآخر * وان دعوت الى جلى ومكرمة *
وقول الآخر * لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة * وقالوا طوبى لك وفى البيت وجه آخر وهو ان
تكون من فى قوله من فواقعها زائدة على مذهب أبى الحسن فى زيادة من فى الواجب فانه
يذهب الى ذلك ويحتج بقوله تعالى فيهما من برد أى فيهما برد وهذا رجح ان يكون كبرى
وصغرى فى البيت مضافتين وقد وقع الاتفاق على جوازه (قلت) قال الشيخ بهاء الدين بن
النحاس هذا عجيب من مثل هذا الرجل الفاضل أما ايراده دنيا واخواتها فكل وجوهها
مذكورة فى كتب النحاة مما يغنى عن الاطالة بذكره بخلاف صغرى وكبرى وأما قوله بزيادة
من فكأنه يظن ان من اذا كانت زائدة كان الجر بالاضافة أو كانت الاضافة باقية وهذا
لا وجه له وانما الجر بحرف الجر لا ان حروف الجر لا تعلق وأما زيادة حرف الجر بين المضاف
والمضاف اليه فلم يقل به الا فى مثل لا أبا لك على شذوذ وليس هذا منه ولا يريد الاخفش بقوله
ان من تزاد فى الواجب ما أراده ابن أبى الحديد اه (قلت) قال النحاة وربما استعملوا هذه
الصفات استعمال الاسماء فحذفوا الالف واللام نحو قولهم دنيا لانها وان كانت صفة فقد غلبت
وصارت بمنزلة الاسماء غير الصفات ومثله جلى وأنشدوا الابيات التى أنشدها ابن أبى الحديد
وأما من قرأ وقولوا للناس حسنى بغير تنوين ومن أنشد * ولا يجزون من حسنى بسوأى *
فليستا بتأنيث أحسن وأسوأ بل هما مصدران كالرجعى والبشرى * وقد اختلف النحاة فى
الصرف ما هو فقال قوم التنوين وحده وقال آخرون الجر والتنوين واختار الاول جمال الدين
محمد بن مالك والدليل على انه أقوى من أربعة أوجه الاول انه مطابق لاشتقاق اسم الصرف
فانه مأخوذ من صريف ناب الابل والبكرة والقلم وهو الصوت الذى يسمع من هذه الاشياء
قال الشاعر * له صريف صريف القعو بالمدر * يعنى البكرة الثانى ان الاسم الذى لا ينصرف

يدخله الجر مع الالف واللام والاضافة مع وجود مانع الصرف فيه الثالث ان الشاعر اذا اضطر الى التنوين فى المرفوع والمنصوب نون ويقال اضطر الى ذلك ولا جر الرابع انه اذا اضطر الى التنوين فى الجر جر ونون ولو كان الجر من الصرف لفتح ونون وانما كان باب مالا ينصرف ممنوعا من الجر والتنوين قياسا على الفعل اذ لا جر فيه ولا تنوين لكون الفعل فرعا على الاسم على الصحيح والعلل المانعة من الصرف كلها تتفرع على ما سواها فاذا دخلت على الاسم ألحقته بالفرعية وخلصته من الاسمية الباقية فلهذا أعرب اعراب الفعل ومنع مامنع منه الفعل فاذا أضيف أو دخلته الالف واللام أو من قويت الاسمية فيه وتمحض فيها فدخل فيه الجر وانما قلت ان العلل المانعة من الصرف فروع لان العدل فرع على المعدول عنه سواء كان تقديريا أو تحقيقيا والصفة فرع على الموصوف والتأنيث فرع على التذكير والمعرفة فرع على النكرة والعجمة فرع على العربية والجمع فرع على المفرد والنون والالف الزائدتان فرعان على ما يزيدتا عليه ووزن الفعل فرع على وزن الاسم فاذا حصل فى الاسم علتان من هذه شابه الفعل فى الفرعية فاعطى ما أعطى ومنع مامنع وانما تبع التنوين الجر لانه لو جر بغير تنوين لالتبس بالمضاف الى النفس وبالجملة فهى باب مالا ينصرف مباحث دقيقة استوفيتها فى التعليقة على الحاجبية من أول الباب الى آخره (رجع) * (من نحر الكرى) جار ومجرور ومضاف اليه ولم تظهر الكسرة فى المضاف لانه مقصور والاضافة بمعنى اللام التى للملك مجازا والجار والمجرور متعلق بشمل ومن هنا للبيان الجنس (شمل) مجرور على انه صفة لآخر والبيت بجموعه فى موضع النصب على الحال كانه قال طردت سرح الكرى عن ورد مقلته فى حالة اغراء النوم بالمقل وفى حالة ميل الراكب على ظهور مطيهم (المعنى) نادمته وحادثته والرفاق قد مالوا على مطاياهم فهم مابين صاح من النوم ومابين مثل من الكرى وهذا دليل على انهم كانوا فى أخريات الليل وفى ذلك الوقت يكون بعضهم قد صحا من نحر النوم والآخر فى نشوته يميل يمنة ويسرة قال ابن صردر

قلت وهم من نشوات الكرى * مواثل كالسجد الركع
حثوا مطايا كم فكم غاية * قد فنيت بالأينق الظلع

وقال بديع الزمان الهمذانى

لله من ليل أجوب جيوبه * كأنى فى أجفان عين الردى كحل
كأن الدجى نقع وفى الجو حومة * كوا كبها جند طوائرها رسل
كأن مطايانا سماء كأننا * نجوم على أقتابها برجها الرحل
كأن السرى ساق كأن الكرى طلا * كأن الهاشرب كأن المنى نقل

أنشدنى اجازة الشيخ الامام الاديب الكاتب القاضى شهاب الدين أبو الثناء محمود قال أنشدنى لنفسه الشيخ الامام مجد الدين محمد بن أحمد بن عمر المعروف بابن الظهيرى الاربلى الحنفى من أبيات

أما والمطايا فى الازمة تمرح * وقد شفها طول السرى فهى وزح
قسى عليها كالسهام سواهم الـ * ـوجوه كما أمسوا على السوق أصبحوا
يميل بهم سكر السهاد كأنما * على كل كور غصن بان مرنح

فقال باللات والعزى وبالبغلة الشهباء ويوم الاربعاء ودخل عليه قاتل الحسين رضى الله عنه فقال له أنت قاتل الحسين قال نعم قال كيف قتلته قال دسرته بالرمح دسرا ثم هبرته بالسيف هبرا ووكلت أم رأسه الى امير غير وكل فقال الحجاج اما والله لا يجتمعان فى الجنة وكان قصده رضا اهل العراق واهل الشام فخرج اهل العراق يقولون صدق الحجاج لا يجتمع والله ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتله فى الجنة وخرج اهل الشام يقولون صدق الامير لا يجتمع من شق عصا المسلمين وخالف امير المؤمنين هو وقاتله فى طاعة الله فى الجنة * واما جوره وسفكه الدماء فقد ذكر انه قتل اكثر من مائة الف صبرا آخرهم سعيد ابن جبير بل جبير وهو الصحيح رضى الله عنه ومات فى حبسه اكثر من عشرين الفا لم يجب على احد منهم حد وكان حبسه بغير سقف ولا ظل صيفا وشتاء وليس فيه مستراح والناس بعضهم على بعض ومتربوا عليهم فاستغاثوا به فقال اخسؤا فيها ولا تكلمون * وقال أبو عمرو بن العلاء كنت اقرأ الا من اعترف غرفة بالفتح وبلغ الحجاج وكان يقرأ بالضم

وقرأت على القاضي أبي الثناء محمود قوله من قصيدة طويلة

كأن غصونا في الرمال يميلها * سحير على الانضاء مر صباها
نشاوى على الاكوار من خمرة السرى * وكاس الكرى قد ألويا بطلاها

وقرأت عليه أيضا قوله

لا تردها على جواها ودعها الآن تهوى بين الوهاد هويا
ان بين الضلوع منها الى الرى بعيدين الزرقاء داء دويا
ضمر كالقسي ترمي بشعب * فوقها كالسهام مرمى قصيا
بلبلتهم كاس السرى فتثنوا * نشوة ما سقوا بها البابليا

وقرأت عليه أيضا قوله

كرر حديث الثنا بانها وأعذب لي * على الظما من رضاب الخرد العرب
فقد سرت نفحة أنشأت نسمتها * فينا فخلنا على الاكوار من طرب

وقرأت عليه أيضا

برانا الهوى حتى توهمنا الذى * يرانا خيالا في الدجى قد سرى وهنا
كأنا على الاكوار أفنان دوحة * يميلها مر الصبا غصنا غصنا

وقال ابن قلاقس

ولرب خرق جبته بضوامر * لحق الاباطل قادها الاقدام
خوص كامثال السهام نحافة * فاذا سما خطب فهن سهام
في فتية بيض الوجوه حديثهم * والليل داج صبوة وغرام
عبث الكرى برؤسهم فأمالها * فكأنهم سكرى وليس مدام

وقال أيضا

طرحنا العجز عن أعجاز عيس * نوشحها على الحزم الحزاما
وندفع بالسرى منها قسيا * فتقذف بالنوى منها سهاما

وقال ابن خفاجة

وقد مارت منها قسي بايدي السرى * وفوق منها فوقها الجد أسهما

وقال ابن الساعاتي

ولكم رميت حشا الفلاة بأسهم * بعثت حنايا اينق وركائب
من كل منتصب وآخر ساجد * وسناكما اختلفت أنامل حاسب

قلت هذا التشبيه في غاية الحسن لان أنامل الحاسب واحدة ترتفع وأخرى تنخفض وكذا الركب في وقت السرى اذا غلب عليهم النعاس ترى هذا قد هوى بعد ما ارتفع وهذا قد انتصب بعد ما هوى وقال الشريف الرضي

هن القسي من النحول فان سما * طلب فهن من النجاء الاسهم

قال الثعالبي هذا ما أراه سبق اليه لانه جمع بين القسي والاسهم اه ويعجبني قول ابن حديس الصقلي

قلاص حناهن الهزال كانها * حنيات نبع في أكف جواذب

اذا

فطلبني فهربت الى واد بصنعاء فأقمت زمانا فسمعت أعرابيا يقول لآخر قدمات الحجاج فقال الاعرابي ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقال فلم أدر باي شئ كنت أشد فرحا أبموت الحجاج أم بسماع البيت استشهد به على القراءة (وحكي) بعض القراء قال قرأ الحجاج في سورة هود انه عمل غير صالح فلم يدر ايقول عمل أم عمل فقال ائتوني بقارئ فاتي بي وقد قام من مجلسه فحبست ونسيني الحجاج حتى عرض السجن بعد ستة أشهر فلما انتهى الى قال فيم حبست فقلت في ابن نوح أصلح الله الامير فضحك وأطلقني وحكي أنه أراد سفرا فصعد المنبر فقال اني قد عزمت على السفر وخلفت عليكم ابني محمدا وأوصيته خلاف ما أوصى به العبد الصالح أن لا يتقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم الا واني أعلم انكم تقولون لا أحسن الله له الصحابة ألا واني مجعل لكم الصواب بالجواب فاقول لا أحسن الله عليكم الخلافة * وحدث رجل قال هربت من الحجاج حتى مررت بقرية فاذا كلبانائما في ظل حب فقلت في نفسي ليتني كنت الكلب وكنت

اذا أوردت من زرقة الماء أعينا * وقفن على ارجائها كالحواجب

أخذه الآخر فقال

وقفرشكا فيه جوادي من الظما * ولم ألق فيه منهلا غير ناضب
كان الفيافي أقسمت لا تبله * على عين ماء أو ترى مثل حاجب

وقال التهامي

وعصابة مال الكرى برؤسهم * ميل الصبا بذوائب الاغصان

قلت ما أحلى قوله عصابة ورؤس وذوائب تكاد ترقص بهذا المعنى الالفاظ والسطور وتحلى بدرره القرائب من الغواني والقصور وما أعلم مثله في بديع صناعته غير قول أبي الطيب

على سابح موج المنايا بحره * غداة كأن النبل في صدره وبل

فانه ناسب فيه بين السابح والموج والوبل ثم ان سابحا هنا مثل قول التهامي وعصابة في أن كلا من اللفظين يخدم في معنيين اما عصابة فأحد معنييها في البيت الرفقة مع قطع النظر عن بقية البيت واذا لمح الرؤس والذوائب كان معناها الثاني ما يشد به الرأس وكذلك سابح أحد معنييه الفرس والثاني اسم فاعل من سبح ولقد تعجبت من هذين البيتين وحسنهما واتقان البديع فيهما وهما اللذان أمنا أن يعزا بثالث لما ادعاه الحريري فيما رواه عن الحارث والبيتان اللذان للحريري هما قوله

سم سمة تحمد آثارها * واشكر لمن أعطى ولو سمه
والمكرمة مهما استطعت لا تأته * لتقتني الود والمكرمه

ولقد رأيت عدة مقاطيع قد نظمها الشعراء في هذا النمط لما ادعى الحريري هذه الدعوى فيهما ومن أحسن ما علق بذهني من تلك المقاطيع قول القائل

ملامة الوقعاء يوم الوغى * أحسن من حرائي ملامه
فه اذا استجديت عن قول لا * فالحر لا يملأ منها فمه

وقول الآخر

والمس لمهوى الضيف جزل القرى * واصفح عن المسلم والمسلمه
والهر مهما استطعت لا تعله * فانه مهما علا مهرمه

وللصاغاني مجادلة في معارضة البيتين رواها الشيخ شرف الدين الدمياطي عنه (رجع) وفي بيت الطغرائي من البديع الجمع مع التقسيم لانه جمعهم في ميل على الاكوار ثم قسمهم فقال منهم من مال من التعب ومنهم من مال من النعاس ومن أمثله هذا النوع قول أبي الطيب

حتى أقام على أرباض خرشنة * تشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

وأحسن من هذا قوله صلى الله عليه وسلم ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فابليت أو تصدقت فأمضيت وقيل فأبقيت * ووقف اعرابي على حلقة الحسن رضي الله عنه فقال رحم الله من تصدق من فضل أو واسى من كفاف أو آثر من قوت فقال الحسن ما ترك الرجل منكم أحدا حتى عمه بالمسئلة ومن المجون قول من قال

مستريحا من خوف الحجاج
ومررت ثم عدت من ساعتي
فاجد الكلب مقتولا
فسالت عنه فقيل جاء أمر
الحجاج بقتل الكلاب
فعجبت من عموم جوره
* وأما حلمه فحكي عنه انه
خرج يوما الى ظاهر الكوفة
منفردا فرأى رجلا فقال
ما تقول في أميركم قال الحجاج
قال نعم قال زعموا أنه من ثمود
وكفى بسوء سيرته شرا فعليه
لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين فقال الحجاج أتعرفني
قال لا قال أنا الحجاج فقال
الرجل أتعرفني أيها الامير
قال لا قال أنا مولى بني عامر
اجن في الشهر ثلاث مرات
هذا اليوم أشد الصرع على
فضحك من قوله وصفح
عنه * وأتى بقوم من أصحاب
ابن الاشعث فامر بضرب
أعناقهم فقام رجل فقال
أيها الامير ان لي عندك يدا
قال وما هي قال شتمك
رجل بحضرة ابن الاشعث
فرددت عنك فقال من يشهد
لك فاشار هذا وأشار بيده
الى رجل منهم فقال صدق
أيها الامير فقال ما منعك
أن تفعل كما فعل قال
بغضي لك فقال الحجاج أطلقوا
هذا اليد عندنا وهذا الصدق
في مثل هذا الوقت * وقال يوما
لاحمد بن يونس فكرت في
أمرك فوجدت دمك ومالك

وبديع الجمال معتدل القا * مة كالغصن حين قلبي اليه
أشتهي أن يكون عندي وفي بيتي وبعضي فيه وكلي عليه

وقرأت على القاضي شهاب الدين أبي الثناء محمود رحمه الله قوله في كتابه حسن التوسل

وانى انى تذرى نحوها * وقد ودعتني قبيل الفراق
ولاصبر لي فأطيق النوى * ولاطمع ان نأت في اللحاق
ولا أمل يرتجى في الرجوع * ولا حكم في رد تلك الناق
كمضني يودع روحا غدت * يراها على رغمه في السياق

وقال أبو تمام في الافشين لما أحرق

نار بساور جسمه من حرها * لهب كما عصفرت شق ازار
طارت له شعل يهدم لفحها * أركانه هدما بغير غبار
فصلان منه كل مجمع مفصل * وقعان فاقرة بكل فقار
صلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الفجار
وكذاك أهل النار في الدنيا هم * يوم القيامة جل أهل النار

الشاهد في قوله صلى لها البيت قلت هذا الافشين كان أيام الخليفة المعتصم قائد الجيوش وله صولة عظيمة عند المعتصم ثم انه شق العصا وخرج عليه وعلى الاسلام وكان موصوفا بالنجدة والشجاعة والرأي والخبرة والمقبض عليه وعلى مازيار وموبذان السغد أحضروا بين يدي الوزير ابن الزيات وأحضر رجلان عريانان فاذا جنوبهما عارية من اللحم وكان اسم الافشين خيذر والافشين لقب لكل من ملك أشروسنة فقال له الوزير ياخيذر أتعرف هذين قال نعم هذا مؤذن وهذا امام مسجد بنياه باشروسنة ضربت كلا منهما ألف سوط لانه كان بيني وبين ملوك السغد عهد أن أترك كل قوم على دينهم وكانا قد وثبا على بيت أصنام فأخرجاها منه وعملاه مسجدا فقال له الوزير فما الكتاب الذي عندك قد زخرفته ورصعته بالجواهر وجعلته في الديباج وفيه الكفر بالله قال هذا كتاب ورثته عن آبائي فيه آداب وحكم من نمط كليلة ودمنة آخذ منه الآداب وأدع ماسواه فقال للموبذان ماتقول في هذا قال هذا يأكل المخنوقة ويأمرني بها ويقول لحمها أرطب من المذبوحة وقال اني قد دخلت لهؤلاء القوم في كل ما أكره حتى أكلت الزيت وركبت الجمل ولبست النمل غير أني الى هذا العام لم يسقط عني شعر يعني عانته ثم ان الموبذان بعد هذا أسلم على يد المتوكل ثم قال له الموبذان يا أفشين كيف يكتب اليك أهل مملكتك قال كما كانوا يكتبون الى أبي وجدي ما تفسيره بالعربية الى الهة الآلهة من عبيده قال ابن الزيات ما أبقيت لفرعون قال خفت أن يفسدوا علي بتغيير ما عهدوه وقدم مازيار فقالوا للافشين هل كاتبت هذا قال لا قال مازيار كتب الى أخوه على لسانه انه لم يكن ينصر هذا الدين الابيض غيري وغيرك وغير بابك فاما بابك فقد قتل نفسه بحمقه فان خالفت لم يكن للخليفة من يقوم بحربك غيري ومعي الفرسان وأهل النجدة فان وجهت اليك لم يبق أحد يحاربنا الا ثلاثة العرب والمغاربة والاتراك أما العرب فكالكلاب اطرح له كسرة ثم اضربه بالدبوس وأما المغاربة الذئاب فانهم أكلة رؤس غنم وأما الاتراك فانما هي ساعة حتى تنفد سهامهم ثم تحول عليهم جولة فتأتي على آخرهم ويعود الدين الى ما لم يزل عليه أيام العجم فقال الافشين هذا يدعى على أخي ولو كنت

حلالا فقال أيها الامير أشد ما في القضية أن هذا الرأي بعد الفكر فضحك وعفا عنه وكان عنده يوما بعض ندمائه وقد أدركته سنة فعطس النديم عطسة منكرة ففزع الحجاج وقام منكرا مغضبا وقال ما أردت بهذه العطسة الا أن تروعني فقال أيها الامير والله هذه عادتي فقال والله ان لم تأتني بشاهد على ذلك والا ضربت عنقك فخرج الرجل فوجد بعض أصحابه فقص عليه الامر فقال أنا أشهد لك فدخلا على الحجاج فقال لصاحبه بم تشهد فقال أيها الامير أشهد بانه عطس يوما عطسة وقع منها ضرسه فضحك الحجاج حتى استلقى فقال حسبك وأمر بهما فأخرجا وكان قليل الضحك الا أن يغلب عن نفسه * وأما فصاحته وبلاغته فهذه خطبته المشهورة المطولة مثل يوم دير الجماجم وغيره وفصوله الموجزة في المكاتبات وعلى المنابر قال مالك بن دينار والله لربما رأيت الحجاج يتكلم على المنبر ويذكر حسن صنعه الى أهل العراق وسوء صنعهم له حتى يخيل لي أنه مظلوم وقال الحسن البصري لقد وقذتني كلمة سمعتها من الحجاج يقول على هذه الاعواد ان امرأ ذهبت ساعة من عمره في

كتبت اليه لم أنكره لانى اذا نصرت أمير المؤمنين بيدى كنت أنصره بالحيلة أحرى لأخذ برقبته هذا فزجره ابن أبى دواد وقال أمختون أنت قال لا قال ما منعك قال خفت التلف قال أتتلقى الحروب وتخاف من قطع قال تلك ضرورة أتصبر عليها وأما القلفة فلا ولا أخرج بها من الاسلام فقال القاضى قد بان لكم أمره فرد الى الحبس ومنع من الطعام والشراب الى أن مات وصلب وأحرق بالنار وهذا اللعين أخزاه الله تعالى أخذ بغتة بغير تعب ويليق به أن يدخل فى قوله تعالى ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين بل هو أشد حالة من أصحاب سقر فانه ضرب من عمر مسجدا وأذن وصلى ألف سوط وشق عصا المسلمين وغدر بمن وثق به وخان العهود والأيمان ونكث بمن خوله النعم وحكمه على البلاد والجيوش وأراد اطفاء نور الاسلام واظهار عبادة النار وخوطب بالالوهية

الرود راوزى لم تلومه * وما أتى فى فعله ببدعه

هل نالك الا مه فى دبرها * فى الظهر من رمضان يوم الجمعه

لو اتفق لهذا الناظم أن يذكر أن وقوع الفعل كان فى مكة شرفها الله تعالى لما كان فات ذلك شيء من الخزى * قيل ان بعضهم كان واقفا بعرفة فرأى انسانا يتضرع ويتحب ويبالغ فى الدعاء ويقول بتحرق وتوجع اللهم اغفر لى فقال له يا أخى ان الله تعالى قد من على عباده فى هذا اليوم وغفر لاهل عرفة فقال يا أخى دعنى فان ذنبى عظيم فقال له هل قتلت أحدا والديك قال لا قال هل وطئت أحدا من محارمك قال لا قال فهل كفرت قال لا قال هل دللت على سرية من سرايا المسلمين قال لا وأخذ يعدد عليه كبائر الذنوب وهو يقول لا قال فما الذى أتيت قال نكت خنزيرة قال الامر سهل ان الله يغفر الذنوب جميعا ولكن أخبرنى كيف وقفت لك حتى فعلت قال كانت مبتة قال فكيف قام عليك قال مصصت لسانها فقال لا غفر الله لك ولا تجاوز عنك يا أخس العالم وهذا الافشين كان المعتصم قد جهزه لمحاربة بابك الخرمى لانه أخاف الاسلام وتغلب على أذربيجان وأراد اظهار ملة المجوس وظهر فى أيامه مازيار المذكور القائم بملة المجوس بطبرستان فعظم شأنه وكان المعتصم قد بعث اليه فى أول سنة اثنتين وعشرين ومائتين القواد قائدا بعد قائد وفى كل ذلك يهزم بابك الجيوش ويقتل الابطال حتى بعث اليه بالافشين وأطلق يده فى الولايات وعقد له لواء على أرمينية وما فتحه من البلاد فاختار الافشين من الجند ما أراد ولم يزل يدبر على بابك الحيلة ويطاوله حتى أمكنته الفرصة فهرب بابك وأخذ أخوه وقرابته وكان بابك قد اختفى بعد هروبه فى غيضة ثم خرج منها فالتقى بسهل البطريق فغباه عنده وبعث الى الافشين يخبره بمجاء أصحابه اليه وأخذوا به وأخذوه وكان المعتصم قد جعل لمن أحضره حيا ألفى ألف درهم ولمن أحضره ميتا ألف ألف درهم فأمر لسهل بالفى ألف درهم وحط عنه خراج عشرين سنة ولما أحضر ليلا أمكن المعتصم الصبر الى بكر النهار فاختفى فى لباس غريب وتوجه اليه حتى أبصره وكان من شدة تطلعه الى أخباره قد رتب البريد فى منازل قريبة حتى كانت تأتيه الاخبار من مسيرة شهر ونصف فى يوم ونصف ثم ان المعتصم أمر سنة ثلاث بقتل بابك وأخيه واحراقهما فاركبوا بابك فيلا مخضوبا باللحناء والمسوه قباء ديباج وقلنسوة مسورة مثل الشربوش وطافوا به ثم قطعت أربعته ثم رأسه ولما قطعت يده

غير ما خلق له الجدير أن
تطول حسرته * وخطب يوما فقال أيها الناس اقنعوا
هذه الانفس فانها ان سألت شيئا
اذا اعطيت وأعطى شيئا اذا
سئلت فرحم الله امرأ جعل
لنفسه حظا ما وزر ما فقادها
بحظامها الى طاعة الله
وعطفها بزمامها عن معصية
الله فانى رأيت الصبر عن
محارمه أيسر من الصبر على
عذابه * وبلغه وفاة أخيه
وابنه فصعد المنبر فقال
محمد ان فى يوم أما والله ما كنت
أحب أن يكونا معى فى الدنيا
بما أرجو لهما من ثواب
الآخرة وايم الله فيوشكن
الباقى منا ومنكم أن يفنى
والجديدان أن يبلى وستدال
الارض منا لتأكل من لحومنا
وتشرب من دمائنا كما أكلنا
من ثمارها وشربنا من
أنهارها * وخطب يوما فقال
ان الله أمرنا بالعمل وكفانا
الرزق فليتنا لو أمرنا بالرزق
وكفينا العمل * وقال أيها الناس
والله ما أحب أن ما مضى من
الدنيا بعماتى هذه ولما
بقى منها أشبه بما مضى من
الماء بالماء * ولما قتل عبد
الله بن الزبير ارتجت مكة
بالبكاء فصعد الحجاج المنبر
فقال الا ان ابن الزبير كان من
أحبار هذه الامة حتى
رغب فى الخلافة ونازع فيها
وخلع طاعة الله واستكن

ذلك بدمها وجهه فقيل له لاى شئ فعلت هذا قال حتى لا ترواوجهى مصفرا اذا نزف دمى فيظن انى خفت من الموت فقال المعتصم لولا أن جنايته لا توجب الصنيعة لكان أهلا للاستبقاء وقال لاخوه يا بابك معلت معالم يفعله أحد فاصبر صبر لم يصبره أحد فقال سوف ترى وفعل ما فعل بهما ثم أحرقا فلم يتأوها قط قيل انه قتل مائة وخمسين ألفا * قلت رحم الله المعتصم فلقد كان ذا عزم ومروءة وعصبية لهذا الدين القيم بلغه وهو فى مجلس شرابه أن امرأة هاشمية عند بعض نصارى عمورية وأن نصرانيا من البطارقة لطمها على وجهها فقالت وامعتصماه فقال النصرانى ما يجىء اليك الا على الابلق فيقال انه ختم الكاس التى كانت فى يده واقسم لا يشربها حتى يفك الهاشمية من الاسر ونادى فى عسكره ان يجتهدوا فى ركوب الخيل البلق فيقال انه توجه الى عمورية فى سبعين ألف أبلق ولم يزل يجده واجتهاده حتى فتح عمورية وتطلب تلك الهاشمية بعينها فلما حضرت قال لها لبيك لبيك وطلب تلك الكاس المختومة وشربها وصار ركوب الابلق مثلا * وما أحسن قول كمال الدين بن النبيه فى زجل يمدح به الاشرف موسى من جملته

هات ياساقى الحميا * ان نجم الليل غرب
من يكون البدر ساقيه * كيف لا يشرب ويطرب
أنت والاوتار والكاس * للهموم دوا مجرب
لا تخاف الصبح يهجم * دع يجى ويركب أبلق

ونقلت أنا هذا الى المنار فقلت من جملة زجل

يا فؤادى لا تحول * عن هوى ذا الظبى الاحور
اياك أن يطغيك لائم * قال كذلك يوتعذر
ما ترى كافور خدو * ه وعليه الخال عنبر
لا تخف صولة عذاره * دع يجى ويركب أبلق

*(فقلت أدعوك للعلى فتصرفنى * وأنت تخذلنى فى الحادث الجلل)*

(اللغة) دعوت فلانا اذا صحت به (الجلى) الامر العظيم وجمعها جلال مثل كبرى وكبر قال جرير

وان دعوت الى جلى ومكرمة * يوما كرام من الاقوام فادعينا

(النصرة) ضد الخذلان فى الحروب وغيرها وهى الاعانة على ما أهم وفى الحديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما وسيأتى الكلام على ذلك خذلانه أخذه خذلانا اذا تركت عونه ونصرته (الحادث) الجلل الواقع العظيم من الدهر قال الشاعر

ولئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهن عظمى

والجلال أيضا الهين فهو من الاضداد قال امرؤ القيس لما قتل أبوه الا كل شئ ما سواه جلل والمراد به هنا فى كلام الطغرائى الواقع العظيم * ومن الاضداد غابر للذاهب والآتى والجون للابيض والاسود والبين للبعد والقرب والصريم الليل والنهار والناصع الابيض والاسود والاهم للعظيم واليسير والناهل للريان والظمآن ووراء بمعنى قدام وخلف وبعت الشئ اذا بعته من غيرك وبعته اشتريته وشعبت الشئ أصلحته وشققته والصارخ للمستغيث والمغيث والهاجد للمصلى بالليل والنائم والوهدة الارتفاع والانحدار

والتعزير

بحرم الله ولو كان شيأ ما نعا
للعصاة لمنع آدم حرمة الجنة
لان الله تعالى خلقه بيده
وأسجد له ملائكته وأباحه
جنته فلما عصاه أخرجه منها
بخطيئته وآدم على الله أكرم
من ابن الزبير والجنة أعظم
حرمة من الكعبة * وخطب
يوما فقال أيها الناس من
ادعى داء فعندى دواؤه
ومن ثقل عليه رأسه وضعت
عنه ثقله ان للشيطان طيفا
وللسلطان سيفا فمن وضعه
ذنبه رفعه صلبه ومن لم تسعه
العافية لم تضق عنه الهلكة
وأرجف قوم بموته فخرج
متعاملا حتى صعد المنبر فقال
الا ان أهل العراق أهل
النفاق نفخ الشيطان فى
مناخرهم فقالوا مات الحجاج
وان مت فيه والله ما يرجى
الخير الا بعد الموت ومارضى
الله تعالى ذكره بالتخليد لاحد
من خلقه الا لابليس
وأعوانهم عليه وهو ابليس
لعنه الله ولقد سأل سليمان
ربه فقال رب هب لى ملكا
لا ينبغى لاحد من بعدى
ففعل ثم اضمحل كأن لم يكن
أستغفر الله لامير المؤمنين
ولى وللمسلمين ثم نزل وكتب
الى قتيبة بن مسلم انى نظرت

والتعزير للاكرام والاهانة والتعريض للمدح والذم وترب للغنى والفقير والاهمال للسرعة فى السير والاقامة والخناديد للخصيان والفحول وعسعس اذا أقبل واذا أدبر والقرء للحيض والطهر ومذهب الشافعى انه للطهر فقط روى ذلك عن ابن عمر وزيد وعائشة والفقهاء السبعة ومالك وربيعة وأحمد رضى الله عنهم وقال على وعمر وابن مسعود وأبو حنيفة والثورى والاوزاعى وابن أبى ليلى وابن شبرمة واسحق رضى الله عنهم انه الحيض وثمرة معرفة هذا الخلاف ان مدة العدة عند الشافعى رضى الله عنه ومن تابعه أقصر وعند الباقين أطول حتى لو طلقها فى حال الطهر حسبت بقية الطهر قرأ وان حاضت عقيبه فى الحال فاذا شرعت فى الحيضة الثالثة انقضت عدتها وان طلقها فى حال الحيض فاذا شرعت فى الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعند أبى حنيفة ومن تابعه فالم تطهر من الحيضة الثالثة ومن الحيضة الرابعة ان كان الطلاق فى حال الحيض لا يحكم بانقضاء عدتها ثم ان قالت طهرت لا كثر الحيض تنقضى عدتها قبل الغسل وان طهرت لاقل الحيض لم تنقض عدتها حتى تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء أو يمضى عليها وقت صلاة ومن حجج الشافعى على مذهبه أن الطلاق فى زمن الحيض منهى عنه فوجب أن يكون زمان العدة غير زمان الحيض وقول عائشة رضى الله عنها أتدرون ما الاقراء الاقراء الاطهار ولان الاصل أن لا يكون لاحد على أحد منع من التصرفات فاذا جاء أمر بخلاف الاصل كان الزمن الاقل أولى من الاطول والاطهار أقل فالقول بان القرء هو الطهر أولى ومن حجج أبى حنيفة على مذهبه قوله صلى الله عليه وسلم دعى الصلاة أيام أقرائك وقوله صلى الله عليه وسلم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان واجمعوا على أن عدة الامة نصف عدة الحرة فوجب أن الحرة تعتد بالحيضات والاجماع على أن استبراء الرحم فى الجوارى المشتريات بالحيضة فكذلك العدة للحرة لان شرع العدة لاستبراء الرحم وأهل اللغة مختلفون فى القرء ما هو قال أبو عبيدة قيل هو من الاضداد وقيل انه حقيقة فيهما كالشفق اسم للحمرة والبياض وقال قوم هو حقيقة فى الحيض مجاز فى الطهر وقال آخرون بالعكس وقال آخرون هو موضوع بحسب معنى واحد مشترك بين الحيض والطهر والقائلون بهذا القول اختلفوا على ثلاثة أقوال الاول أن القرء هو الاجتماع ثم فى وقت الطهر يجتمع الدم فى البدن وهو قول الاصمعى والاخفش والفراء والكسائى والقول الثانى قول أبى عبيدة انه عبارة عن الانتقال من حالة الى حالة والثالث وهو قول أبى عمرو ابن العلاء ان القرء هو الوقت يقال اقرأت النجوم اذا طلعت واقرأت اذا افلت ويقال هذا قرء الرياح لوقت هبوبها فاذا ثبت ان القرء هو الوقت دخل فيه الحيض والطهر لان لكل واحد منهما وقتا معينا وما فى ربع العبادات اصعب من مسائل باب الحيض والتيمم ولما اجتاز نجم الدين البادرانى بالموصل رسولا الى حلب سنة سبع واربعين وستمائة سال الفقهاء الذين بها عن هذه المسئلة نظما

أيا فقهاء العصر هل من مخبر * عن امرأة حلت لصاحبها عقدا
اذا طلقت بعد الدخول تربصت * ثلاثة اقراء حددن لها حدا
وان مات عنها زوجها فاعتدادها * بقرء من الاقراء تاتى به فردا

فاجاب عن ذلك تاج الدين بن يونس بقوله

فى سنى فاذا أنا قد بلغت خمسين سنة وأنت نحوى فى السن وان امرأة قد سار نحو خمسين حجة الى مورد لقمن أن يورده ولما حضرته الوفاة كان يقول اللهم اغفر لى فان الناس يزعمون انك لا تفعل ومات بواسط سنة خمس وتسعين وهى مدينته التى انشاها وكان يوم موته عرس العراق ولم يعلم بموته حتى أشرفت جارية من القصر وهى تبكى وتقول الا ان مطعم الطعام ومغلق الهام قد مات ثم دفن فسمع جر السلاسل من قبره فقال كاتبه رحمك الله أبا محمد ما تدع قراءة القرآن حيا ولا ميتا فضحك الناس من قوله ووقف رجل من أهل دمشق على قبره فقال اللهم لا تحرمنا شفاعة الحجاج وحلف رجل بالطلاق الثلاث من زوجته أن الحجاج من أهل النار فاستفتى طاوس فقال يغفر الله لمن يشاء وما أظنها الا طلقت ويقال انه استفتى الحسن البصرى فقال اذهب الى زوجتك وكن معها فان لم يكن الحجاج فى النار فما يضرك أنك فى متعة الحرام

وكناه عهدنا النجم يهدى بنوره * فبابله قد ابهم العلم الفردا
سألت فخذعنى قتيلك نقيصة * اقرت برقى بعد ان نكعت عمدا

(الاعراب) فقلت الفاء للتعقيب اى عقبت طرد الكرى عنه بقولى والمعنى فالتفت الى فقلت له أو فلم يلتفت الى فقلت له وما احسن الفاء التى تكررت فى قول الشنفرى

بعينى من امست فباتت فاصبحت * فقضت أمورا فاستقلت فولت

وابيات ابى ذؤيب الهذلى التى يصف فيها حمر الوحش والصائد على حرف العين المرفوعة ايضا فى هذا الباب مليحة الى الغاية ومن الطف ما وجدته فى هذا الباب قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى

للعاشقين بأحكام الغرام رضا * فلا تكن يا فتى بالعذل معترضا
روحى الفداء لاحبابى وان نقضوا * عهد الوفى الذى للعهد ما نقضا
قف واستمع راجيا أخبار من قتلوا * فمات فى حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى لحب فرام الوصل فامتنعوا * فسام صبرا فأعيا نيله فقضى

وظرف نور الدين الاسعردى فى قوله

وأغن كم فى جفنه من قاضب * وقوامه فى لينه كقضيب
لاقيته متبسما من بعدما * قد كنت لا ألقاه غير قطوب
أسقيته راحى فنام فنكته * والفاء فى الحالين للتعقيب

أورد ابن الاثير فى المثل السائر قوله تعالى فحملته فانتبذت به الآيتين وقال فى هاتين الآيتين دليل على أن حملها به ووضعها اياه كانا متقاربين لانه عطف الحمل والانتباذ الى المكان الذى مضت اليه والمخاض الذى هو الطلق بالفاء وهى للفور ولو كانت كغيرها من النساء لعطف بثم التى للتراخى والمهلة ألا ترى أنه قد جاء فى الآية الاخرى قتل الانسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره فلما كان بين تقديره فى الطين واخراجه منه مدة متراخية عطف ذلك بثم * قال ابن أبى الحديد فى الفلك الدائر الفاء ليست للفور بل هى للتعقيب على حسب ما يصح اما عقلا أو عادة ولهذا صح ان يقال دخلت البصرة فبغداد وان كان بينهما زمان كثير لكن تعقب دخول هذه دخول تلك على ما يمكن بعنى أنه لم يمكث بواسط مثلا سنة أو مدة طويلة بل طوى المنازل بعد البصرة ولم يقم بواحدة منهما اقامة يخرج بها عن حد السفر الى أن دخل بغداد وهذا الذى يقوله أهل اللغة وأهل الاصول وليست الفاء للفور الحقيقى الذى معناه حصول هذا بعد هذا بغير فصل ولا زمان كما توهمه هذا الرجل ألا ترى الى قوله تعالى لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب فان العذاب متراخ عن الافتراء فلا يدل قوله تعالى فى قصة مريم على ان الحمل والمخاض كانا فى يوم واحد اه (قلت) بحث ابن أبى الحديد متجه والذى قاله ابن الاثير ضعيف وقد اختلف المفسرون فى مدة حملها فقال ابن عباس رضى الله عنهما تسعة أشهر كما فى سائر النساء وقال عطاء وأبو العالية والضحاك سبعة أشهر وقال غيرهم ثمانية أشهر ولم يعش مولود يوضع لثمانية أشهر الا عيسى عليه السلام وقال آخرون ستة أشهر وقال آخرون ثلاث ساعات حملته فى ساعة وصور فى ساعة ووضعته فى ساعة وروى ابن عباس رضى الله عنهما أن مدة الحمل كانت ساعة قال الامام فخر الدين

(وقتيبة فتح ماوراء النهر بسعدك)

هو قتيبة بن مسلم بن عمرو الباهلى وكنيته أبو صالح نشأ فى الدولة المروانية وترقى وولى الامارة وفتح الفتوحات العظيمة وعبر الى ماوراء النهر مرارا وابلى فى الكفار * وكان شجاعا جوادا دمث الاخلاق فطنا ولم يكن يعاب الا بانه باهلى وكان أصحابه يمازحونه بذلك ويحتمل ويحلم (حكى) أبو عبيدة قال قدم رجل من بنى سلول على قتيبة بن مسلم بكتاب عامله على الرى وهو المعلى الحمارى فرآه على الباب قدامة بن جعفر وكان صديقا لقتيبة كثير الادلال عليه فدخل على قتيبة فقال يبابك الاثم العرب فقال ومن هو قال سلولى رسول محمارى الى باهلى فتبسم قتيبة تبسم غيظ والتفت الى مرداس الاسدى وقال انشدنى شعرا لا قيشر فظهم مرداس مراده فانشده شعرا لا قيشر فيه تعريض بقدامة يقول

قلت قم صلى فصلى قاعدا * يتغشاه سماد السكر

فتغير وجه قدامة فقال قتيبة هذه بتلك والبادى أظلم * ويروى انه مازح اعرابيا جافيا فقال أيسرك ان تكون مثلى باهليا أميرا

الرازى ويمكن الاستدلال له بوجهين وذكر فى الاول ماقاله ابن الاثير وذكر فى الثانى أن الله تعالى قال فى وصفه ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فثبت ان عيسى عليه السلام لما قال الله له كن كان وهذا مما لا يتصور فيه مدة الحمل انما تعقل تلك المدة فى حق من يتولد من النطفة اه وقال الامام فخر الدين فى الطب الكبير قد عرفت أن الشهر السابع أول شهر يولد فيه الجنين الذى تكون خلقته قوية وزمان تكوينه سريعا وزمان طلبه للخروج سريعا وكثيرا ما يموت المولودون فى هذه المدة لانهم يقاسون حركات شديدة فى ضعف من الخلقة فان مثل هذا المولود وان كان قويا فى الاصل لكنه قريب العهد بالتكون فاما المولود فى الشهر الثامن فهو أكثر المولودين هلاكا وبقاؤه حينا ما نادر جدا فان كان أنثى فبقاؤها أندر فان كان فى البلاد الحارة فاندر والسبب فيه أنه لا يخلو حالهم اما أن يكونوا تأخروا فى تمام الخلق وطلب الانفصال الى هذا الوقت فهذا يدل على أن قوتهم ما كانت قوية فى الاصل فلما حاولوا الانفصال فى أول عهد الاستتمام وقبل كماله ضعفوا أكثر من ضعف من يحاول الانفصال فى آخر عهد الاستتمام وكانت قوته قوية فى الاصل كالمولودين فى السابع فان لم يكونوا كذلك كانت خلقتهم قوية وحركتهم سريعة وطلبهم الانفصال من الام سريعا فيكون مثل هذا الجنين قد رام الانفصال فى الشهر السابع وعجز عنه فحينئذ عرض له ما يعرض للضعيف الذى حاول الحركات الخاصة ثم عجز عنها من الاعياء والضعف فيمرض لامحالة وتضعف قوته وتخل فاذا ولد فى الشهر الثامن فقد تولى عليه سببان موجبان للضعف فلاجرم أنه يموت وأما اذا ولد فى الشهر التاسع فقد تخلله بين هذين الزمانين زمان طويل زال عنه فيه أثر الضعف فلاجرم أنه يعيش واعلم أن كثيرا ممن يولد فى العاشر يكون قد عرض له محاولة الانفصال فى التاسع فلم يتيسر له وعرض له ما يعرض فى الثامن وقليلا ما يتفق طلب الانفصال فى التاسع ثم يمتد الانتعاش الى العاشر وأما المنجمون فقالوا الجنين يكون فى الشهر الاول فى تدبير زحل وفى الثانى فى تدبير المشترى وهكذا حتى يكون فى السابع فى تدبير القمر فان ولد فيه عاش لان خلقته قد تمت واستوفت طبائع الكواكب وقواها واما الشهر الثامن فان زحل يتولاه ثانيا فيستولى عليه البرد والجمود والضعف فان ولد فيه مات وأما التاسع فيتولاه المشترى فيكسب المولود قوة وحرارة وصلاح حال فاذا ولد عاش وأما العاشر فيتولاه المريخ فلاجرم أن يكون الامر كما ذكرنا اه (قلت) كل من الطبيعيين والمنجمين علموا عدم حياة المولود فى الثامن بما ذكروه على ما هو جار على قواعدهم المقررة عندهم وأما كونه تحرك فى هذا الوقت المخصوص دون غيره وطلب الانفصال فلم يعلموه ولكن هذا من الادلة على القول بان الفاعل المختار سبحانه وتعالى فعال لما يريد وفى قوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم رد عظيم على الطبيعيين وأرباب الهيئة والمنجمين ومذهب الشافعية ان أكثر مدة الحمل أربع سنين وأقله ستة أشهر وقد ولد الضحاك بن مزاحم ستة عشر شهرا وشعبة ولد لسنتين وهرم بن سنان ولد لاربع سنين ولذلك سمى هرما ومالك ابن أنس حمل به أكثر من ثلاث سنين والحجاج بن يوسف ولد لثلاثين شهرا يقال انه كان يقول أذكر ليلة ميلادى ويقال ان عبد الملك بن مروان حمل به ستة أشهر والشافعى حمل به أربع سنين أو أقل والحنفية يقولون للشافعية فى بسطهم ما جسرا ما مكم أن يظهر الى الوجود حتى تولد

فقال لا والله قال فتكون باهليا خليفة فقال لا والله ولو أن لى ما طلعت عليه الشمس قال فيسرك أن تكون باهليا وتكون فى الجنة فاطرق ثم قال بشرط أن لا يعلم أهل الجنة أنى باهلى فضحك قتيبة من قوله وكان قتيبة من أكبر الامراء المنتمين الى الحجاج وهو الذى كاتب عبد الملك ابن مروان فى أمره حتى ولاه خراسان وذلك أن يزيد بن المهلب كان قد ولى خراسان بعد أبيه وظهرت مناقبه وعظمت آثاره فحسده الحجاج وعمل على عزله وتولية قتيبة وكان مما أكد أمر يزيد عنده ان الحجاج وفد على عبد الملك ثم عاد الى العراق فمر فى طريقه بدير فيه راهب عالم بالكتب وعلوم الاول فسأله هل تجدون أمورنا فى كتبكم قال نعم قال ما تقول فى عبد الملك قال نجده فى زماننا الذى نحن فيه قال ومن يقوم بعده قال رجل يسمى الوليد قال فهل تعلم ما الى قال نعم قال فمن يليه قال يزيد قال فى حياتى أم بعد مماتى قال لا أعلم فوقع فى نفس الحجاج انه يزيد بن المهلب ثم جلس يوما يفكر وعنده عبيد ابن يونس وهو ينكت فى الارض فقال له ما الذى بك قال ان أهل الكتب يذكرون

امامنا ويحيبهم الشافعية بقولهم بل امامكم مائت لظهور امامتنا * ويحكى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه أتى اليه رجل وقال انى تزوجت جارية بكرا ولم أر بها ريبة ثم انها أتت بولد لستة أشهر فقال الولد لك قال الله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين وعن عمر رضى الله عنه أنه جىء له بامرأة وضعت لستة أشهر فشاور فى رجمها فقال ابن عباس رضى الله عنهما ان خاصمتكم بكتاب الله خصمتكم ثم ذكر هاتين الآيتين فكأنما أيقظهم (رجع) والفاء أصل وضعها للترتيب المتصل والترتيب على ضربين ترتيب فى المعنى وترتيب فى الذكر والمراد بالترتيب فى المعنى ان يكون المعطوف بها لاحقا متصلا بلا مهلة كقوله تعالى خلقك فسواك والاكثر كون المعطوف بها متسببا عما قبله كقولك أملته فمال وأقمته فقام وأما الترتيب فى الذكر فنوعان أحدهما عطف مفصل على مجمل هو هو فى المعنى كقولك توضأ فغسل وجهه ويديه ومسح رأسه ورجليه ومنه قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى الآية والثانى عطف لمجرد المشاركة فى الحكم بحيث يحسن بالواو كقول امرئ القيس بين الدخول فحومل وتختص الفاء بعطف ما لا يصلح كونه صلة على ما هو صلة كقولك الذى يطير فيغضب زيد الذباب فلو جعلت موضع الفاء واوا أو غيرها فقلت الذى يطير ويغضب زيد أو ثم يغضب زيد الذباب لم تجز المسئلة لان يغضب زيد جملة لا عائد فيها على الذى فلا يصلح أن يعطف على الصلة لان شرط ما يعطف على الصلة أن يصلح وقوعه صلة فان كان العطف بالفاء لم يشترط ذلك لانها تجعل ما بعدها مع ما قبلها فى حكم جملة واحدة لاشعارها بالسببية كما قلت الذى ان يطر يغضب زيد الذباب وقد تقع ثم موقع الفاء كقول الشاعر

كهز الردينى تحت العجاج * جرى فى الأنابيب ثم اضطرب

وقد يعطف بالفاء متراخيا كقوله تعالى والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى اما التقدير متصل قبله واما لحمل الفاء على ثم اه كلام بدر الدين بن مالك قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس وقد أورد على كون الفاء للتعقيب والترتيب قوله تعالى وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا وقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وبهذه الآية أخذ داود الظاهرى فى كون الاستعاذة بعد الفراغ من القراءة ولا دليل فى ذلك لان تقدير الكلام والله أعلم فاذا أردت القراءة فاستعذ بالله وأما الجواب عن الآية الاولى فيجوز ان تكون الارادة محذوفة فيها ايضا كما كانت محذوفة فى الاخرى وتقديره والله أعلم وكم من قرية أردنا اهلاكها وقد أجيب بجواب آخر وهو ان معنى قوله فجاءها بأسنا حكم بمجىء البأس فالحكم متأخر عن الاهلاك فالفاء على بابها اه (قلت) قد تحذف الفاء مع المعطوف بها اذا أمن اللبس وكذلك الواو فمن حذف الفاء قوله تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم التقدير فامتثلتم فتاب عليكم وقوله تعالى فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر معناه فافطر فعليه عدة ومن هذا الباب هذا البيت لانه يقدر طردت عنه الكرى فلم يلتفت الى فقلت له أدعرك وهذه الفاء العاطفة على الجواب المحذوف يسميها أرباب المعانى الفاء الفصيحة قال صاحب الكشاف فى قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله تقديره فعملا به وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله وقال صاحب المفتاح وأخبارهما صنع بهما

وعما

أن ما تحت يدى يليه رجل يسمى يزيد وانى نظرت فى هذا الاسم فذكرت جماعة منهم يزيد بن أبى كبشة ويزيد ابن الحصين ويزيد بن دينار وليس فيهم من يصلح لهذا الامر وما شم غير يزيد بن المهلب قال فأخلق به فلم يجد شيأ يعزله به فكتب الى عبد الملك بن مروان يذم من يزيد ويقول انه يميل الى آل الزبير فكتب اليه عبد الملك ان ذلك وفاء لآل الزبير من آل المهلب وان وفاءهم لاولئك يدعوهم الى الوفاء لنا فكتب اليه الحجاج يخوفه غدر يزيد وآل المهلب فكتب اليه عبد الملك قد أكثرت فى يزيد فسم لى رجلا يصلح لخراسان فسمى له مجاعة بن مسعر ولم يكن يصلح وانما جعل ذلك دهاء منه حتى لا يعرف ميله الى قتيبة ويعلم أن عبد الملك لا يرضى مجاعة ابن مسعر فكتب اليه عبد الملك بسفه رأيه معناه لم يرض ابن مسعر فسمى له قتيبة بن مسلم فقال وله فولاه وكره أن يواجه ابن المهلب بالعزل فكتب اليه اقدم على واستخلف أخاك ففعل وعند قدومه سار قتيبة الى خراسان فدخلها وصعد المنبر فسقطت العصا من يده فتطير الناس فأخذها وقال ليس كما تظنون ولكن سر العدو ولكن كما قال الشاعر

وعما قالاه كانه قيل نحن فعلنا الايتاء وهما فعلا الحمد وهذا الباب كثير فى القرآن وهو من جملة فصاحته ولهذا سماها ارباب المعانى الفاء الفصيحة (رجع) قلت فعل ماض والتاء ضمير الفاعل (أدعوك) فعل مضارع والكاف ضمير المفعول وأصله أدعوك فحذف همزة الاستفهام كقول الشاعر

فوالله ما أدرى وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان

تقديره أبسبع رمين أم بثمان فحذف الهمزة للضرورة والمحذوف فى اما التى للاستفهام أو الاصلية على خلاف فى ذلك هربا من استثقال الجمع بين الهمزتين * يقال ان بعض النحاة قال للطبيب يا حكيم أفؤادى يوجعنى فقال له أبطل هذه الهمزة وقد عوفيت من هذا الالم فكيف لو قال له أأدعوك (للجلى) جار ومجرور واللام للتعدية وعلامة الجر كسرة مقدرة على الالف لانه مقصور وموضعه النصب على المفعولية (لتنصرنى) اللام لام كى فهى تنصب الفعل المضارع وتنصرنى فعل مضارع منصوب بلام كى والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول وما أحلى قول شرف الدين بن العفارض

نصبا أكسبنى الشوق كما * تكسب الافعال نصبا لام كى

وأحسن منه قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى ومن خطه نقلت

ومستتر من سنى وجهه * بشمس لها ذلك الصدغ فى
كوى القلب منى بلام العذار * فعرفنى أنها لام كى

(وأنت) الواو واو الابتداء وأنت اسم مضمر فى موضع رفع بالابتداء والضمائر كلها مبنية لانها أشبهت الحرف فى الوضع لان الاصل فى الاسماء أن توضع على ثلاثة أحرف فما فوقها ولا يرد باب يد ودم وأخ وأب اذ الاصل يدى ودمو وأخو وأبو وان يكون الحرف الصناعى على حرف كباء الجر ولامه هذا هو الاصل فى وضع الاسماء والحروف وقد يخرج الاسم عن هذا الاصل فيوضع على حرف واحد وهو الضمائر مثل الهاء والكاف والياء فاذا كان كذلك فقد شابه الاسم الحرف فى الوضع فيعطى حينئذ حكمه فيبنى (فان قلت) اذا قررت ما قررته فما بقى الضمائر مثل أنا وفروعه وهو وفروعه على أزيد من حرف (قلت) كما ان الحرف خرج عن أصله فكان منه ما هو على حرفين مثل من وعن وفى وما هو على ثلاثة أحرف مثل على والى وما هو على أربعة أحرف مثل حتى ولكن العاطفة وما هو على خمسة أحرف مثل لكن من اخوات ان كذلك خرج الضمير عن وضعه فكان على حرفين مثل هو وبابه وعلى ثلاثة مثل أنا وأنت فلذا اعتبر الاصل فى وضع الحرف أولا ولا اعتبار عاطر أعلمه واعتبر الضمير فى أصله ولا اعتبار بما تجدد له (فان قلت) فمن أين لك ان الاصل فى الضمائر ان تكون على حرف واحد (قلت) لان الاصل فى وضع الضمائر طلب الاختصار وكونها على حرف واحد أختصر من غيره ولذلك لا يؤتى بالمنفصل مع امكان الاتيان بالمتصل فلا تقول أعطيتك اياه مع وضع اعطيتكه والضمائر كلها تسعون ضميرا تداخل منها تسعة وعشرون وبقى منها أحد وستون ضميرا أصلها خمسة وهى الياء للمتكلم فقط والتاء للمتكلم والمخاطب والكاف للمخاطب فقط والهاء للغائب والميم للجمع المذكرين وتخلفها النون للجمع المؤنث والدليل على انها تسعون أن الضمير اما مرفوع أو منصوب أو مجرور فالاولان يكونان متصلين ومنفصلين والثالث لا يكون الا

فالقت عصاها واستقر بها النوى

كما قر عينا بالاياب المسافر

ثم وثب قتيبة ليغزو ما وراء النهر فجمع جيوشه فخطبهم خطبة بليغة فقطع النهر فتلقاه من الجانب ان رسل الملوك وهداياهم وأولهم صاحب طخارستان وهو من ملوك الترك وأرسل اليه مفتاح بلده وغير ذلك من الهدايا فصالحه وأقام قتيبة على بلخ لان بعضها كان عاصيا عليه فقاتل أهلها وسباهم وكان فيمن سبى امرأة برمك جد البرامكة فصارت الى عبد الله بن مسلم أخى قتيبة فواقعها فيقال انها حملت منه بخالد وقيل كانت حاملا به * ثم غزا قتيبة بيكند وهى أدنى مدائن بخارى الى النهر ويقال لها مدينة التجار وهى على رأس المفازة من بخارى فلما نزل بهم استنصروا بالصغد واستنجدوا من حولهم فأتوهم فى جمع كثير وأخذوا على قتيبة الطرق والمضايق فلم يصل اليه رسول ولا قدر على انفاذ رسول مدة شهر وأبطأ على الحجاج خبره فأشفق عليه وعلى من معه من المسلمين فأمر الناس بالدعاء وكتب بذلك الى الامصار وأقام قتيبة يقاتلهم كل يوم وكان لقتيبة عين فيهم يقال له بندر

متصلا فذلك خمسة تضرب فى ثلاثة تكلم وخطاب وغيبة فتلك خمسة عشر تضرب فى ثلاثة مفرد ومثنى ومجموع فتلك خمسة واربعون تضرب فى اثنين مذكر ومؤنث فتلك تسعون سمع المازنى قرقرة من بطن انسان فقال هذه ضرطة مضمرة (رجع) تخذلنى فعل مضارع مرفوع محلوه من الناصب والجازم ورفعه ضمة اللام والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول والجملة فى موضع الخبر لانت (فى الحادث) جار ومجرور فى موضع نصب لانه ظرف لتخذلنى تقديره تخذلنى وقت الحادث (الجلل) مجرور على انه صفة للحادث وقد تبعه فى افراده وتذكيره وتعريفه وجره وقوله أدعوك الى آخر البيت فى موضع النصب بقلت (المعنى) فقلت له مستفهما أدعوك للامر العظيم طالبا نصرتك وأنت تخذلنى فى مثل هذا الحادث العظيم وهذا استفهام ومعناه التوبيخ كقوله تعالى اذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس الآية لكن الاستفهام هنا للمسيح صلوات الله عليه والتوبيخ للنصارى والاستفهام هنا من المسيح أبلغ من الاستفهام من النصارى لانه يحتمل انهم يقولون نعم كذا قال فيرجع الى المسيح صلوات الله وسلامه عليه ويستفهم منه فابتدئ بالاستفهام منه فى أول الامر

يرى الامر يفضى الى آخر * فيجعل آخره أولا

وفى الاستفهام منه فائدة أخرى وهى أنه عليه الصلاة والسلام قال ما قلت لهم الا ما أمرتنى به فكان أبلغ فى توبيخهم فى الموقف بين العالمين وفى قوله ما قلت لهم الا ما أمرتنى به فائدة لانه لو قال لم أقل لهم ذلك لاحتيج أن يقال له فما الذى قلت لهم فعلم المقصود وأجاب عما يقال له فيما بعد ومثله قوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن ماء البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته علما بانه صلى الله عليه وسلم يسئل فيما بعد ذلك عن السمك وفى قوله الا ما أمرتنى به دون ما قلت لهم الا أن اعبدوا الله دليل على اعترافه بالعبودية وانه مأمور فى أقواله وأفعاله لئلا يتوهم انه فعل ذلك وقاله تبرعا ويفهم هذا من قوله ربى وربكم فانه اعترف على نفسه لله تعالى بالربوبية قبلهم وفى قوله تعالى وأنت على كل شئ شهيد حكمة أخرى ترفع وهم من يتوهم أنه كان الشهيد عليهم لما كان بين ظهرانيهم دون الله تعالى وانه لما غاب عنهم تولى الله الشهادة عليهم فقال وأنت على كل شئ شهيد أى فى الحالتين حالة وجودى بين ظهرانيهم وحال غيبتى عنهم وبالجملة فهذه القصة يحتمل الكلام عليها مجلدا لطيفا فانها قد تضمنت من البلاغة والحكم ما يعجز المتكلمون عن استغراق ذلك واستخراج جواهره واستنباط معانيه قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا فسبحان من أنزله هدى ورحمة (رجع الى قول الصغرائى) أقول قد جبلت النفوس الابية على تحقيق الظنون بها وتصديق الامل فيها والرجاء فيما يطلب منها من نصرة واعانة وازالة ضرورة وسد خلة وابواء وذب وغير ذلك والنفوس اللئيمة بخلاف ذلك تكذب الظنون فيها وحسن الظن بالله أمر واجب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عز وجل أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى خيرا وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى ونقل عن أحد اهل البيت رضى الله عنهم أنه لما احتضر قال لولده يا بنى اقرأ على الرخص لاموت وأنا أحسن الظن بالله تعالى وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه حسن الظن بالله أن لا ترجو الا الله تعالى ولا تخاف الا ذنبك * أنشدنى لنفسه اجازة الشيخ الامام الاديب الكاتب

أعجمى فدفع اليه أهل بخارى مالا على أن يدفع قتيبة عنهم فأتاه فقال أخلنى فأخلى المجلس فقال قد عزل الحجاج عن العراق وهذا عامل جديد يقدم عليك فارجع بالناس الى مرو وكان عند قتيبة ضرار الضبى فقال قتيبة لغلامه اقتل بندر فضرب عنقه فقال لضرار والله لئن علم أحد بهذا الحديث قبل ان يقضى حربنا لاحقنك به فان انتشار مثل هذا الحديث يفت فى أعضاد المسلمين ثم أصبح الناس على راياتهم وانكروا قتل بندر وقالوا كان ناصحا للمسلمين فقال قتيبة ظهر لى غشه فاخذه الله بذنبه ثم تقدم فقاتل وأنزل الله النصر على المسلمين فهزموهم وفتح قتيبة اكنافهم ووصل الى بيكند ففتحها عنوة واصاب بها من الاموال والجواهر ما لم يصبه فى بلد آخر وكان بها صنم من ذهب فاذابوه فخرج منه مائة ألف وخمسون ألف مثقال من الذهب وكتب الى الحجاج بالفتح ثم توجه الى سجستان فارسل اليه صاحبها فصالحه ثم توجه الى خوارزم وكان صاحبها قد راسله سرا خوفا من أخيه الخارج عليه فصالحه وسلم اليه أخاه لانه كان شرط عليه ذلك

القاضى

القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود ومن خطه نقلت

قيل ما أعددت للحتف فقد جئت محله
قلت أعددت مع التو * حيد حسن الظن بالله

وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس

فقري لعمر وفك المعروف يغنيني * يا من أرجيه والتقصير يرجيني
ان أوثقتني الخطايا عن مدى شرف * نجا بادراكه الناجون من دوني
أوغص من امل ما ساء من عمل * فان لي حسن ظن فيك يكفيني

ويتعين على ذوي المروآت احتمال الاذى والضرر في تصديق أمل الآمل وتحقيق رجائه وايصاله الى ما آربه وتبليغه مقاصده قال أبو الطيب المتنبي

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال

قيل ان الصاحب جمال الدين بن مطروح كتب الى بعض الرؤساء رقعة على يد صديق له يشفع فيها عنده فكتب له ذلك الرئيس هذا الامر علي فيه مشقة فكتب ابن مطروح جوابه لولا المشقة فلما وقف عليها ذلك الرئيس فهم الاشارة الى قول المتنبي وقضى المصلحة * وسأل أبو الاسود الدؤلي معاوية في أمر فوضع معاوية يده على أنفه فضرب أبو الاسود يده وقال والله لاسودنك حتى تصبر على محادثة الشيوخ البخر * وفي معنى قول أبي الطيب قول مسلم بن الوليد

أبا سهل ان الجود خير مغبة * وأكرم ما يأتي به القول والفعل
وما الفضل والمعروف فيما هويته * ولكنه فيما كرهت هو الفضل

وقول مهيار الديلمي

وأكره كل معتذر الماعي * الى التقصير نال فما أنالا
اذا نشأت سحائبه بوعد * أهب قنوطه ريحا شمالا
وليس أخوك الامن تحط الامور به فيحمد ظلها ثقالا

ومن الكلام النوابغ محك المودة والاخاء حال الشدة لا الرخاء ولهذا قيل

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة * ومع الشدائد تعرف الاخوان

قيل ان يوسف عليه السلام كتب على باب السجن لما خرج منه هذا قبر الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ولله در يزيد بن المهلب من ذي مروءة وسخاء وتصديق أمل فانه كان في حبس الحجاج يعذب فدخل عليه يزيد بن الحكم وقد حل نجم مما كان عليه وكانت نجومه في كل أسبوع ستة عشر ألف درهم فقال له

أصبح في قيدك السماحة والجود وفضل السلاح والحسب
لا بطران تتابعت نعم * وصابر في البلاء محتسب
أحرزت سبق الجياد في مهل * وقصرت دون سعيك العرب

فالتفت يزيد الى مولى له وقال له أعطه نجم هذا الاسبوع ونصبر على العذاب الى السبت الآخر وقد روى صاحب الاغاني هذه الابيات لحمزة بن بيض مع يزيد المذكور وقال فقال له يزيد والله يا حمزة لقد أسأت اذ نوهت باسمي في غير وقته ولا يترك لك ثم رفع مصلاه ورمى اليه

ثم توجه الى سمرقند فقاتل وثلم السور فصالحوا الصلح فصالحهم على ألفي ألف ومائتي ألف في كل سنة وعلى ان يعطوه ثلاثين ألف رأس ليس فيهم طفل ولا شيخ وعلى ان يخلوا المدينة لقتيبة ويخرجوا منها المقاتلة ويدخلها قتيبة ويبني بها مسجدا ويصلي فيه ويخطب ويتغدى ويخرج منها فاجابوه الى ذلك فقال ابعثوا الينا ما صالحنا كم عليه فبعثوا اليه بالمال والرؤس فقال قتيبة الآن ذلوا حين صاروا لاولادهم واخوانهم في ايدينا ثم بنوا جامعا ونصبوا منبرا وخلوا المدينة وانتخب قتيبة من اراد من فرسانه ودخلها فاتى المسجد فصلى وخطب ثم تغدى وارسل الى اهلها لست بخارج منها فخذوا ما اعطيتمونا وكان قتيبة يعير بالغدر باهل سمرقند ثم حرق الاصنام وبيوت النيران ووجد جارية من بنات يزدجرد فقال قتيبة اترى ابن هذه يكون هجينا فقالت نعم من قبل ابيه فارسل بها الى الحجاج فبعث بها الى الوليد ابن عبد الملك فولدت له يزيد ثم غزا قتيبة الصين وكاشغر فبعث اليه ملك الصين ابعث لنا رجلا من قومك نسأله عن دينكم فنتدب له